سلسلة تراث العلماء (١)

مقتل الحسين عليه السلام

تأليف

السيد عبد الرزاق المقرم

شعبة التراث الثقافي والديني
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
(١٥٦)

مقتل الحسين عليه السلام

العتبة

مقتل الحسين عليه السلام

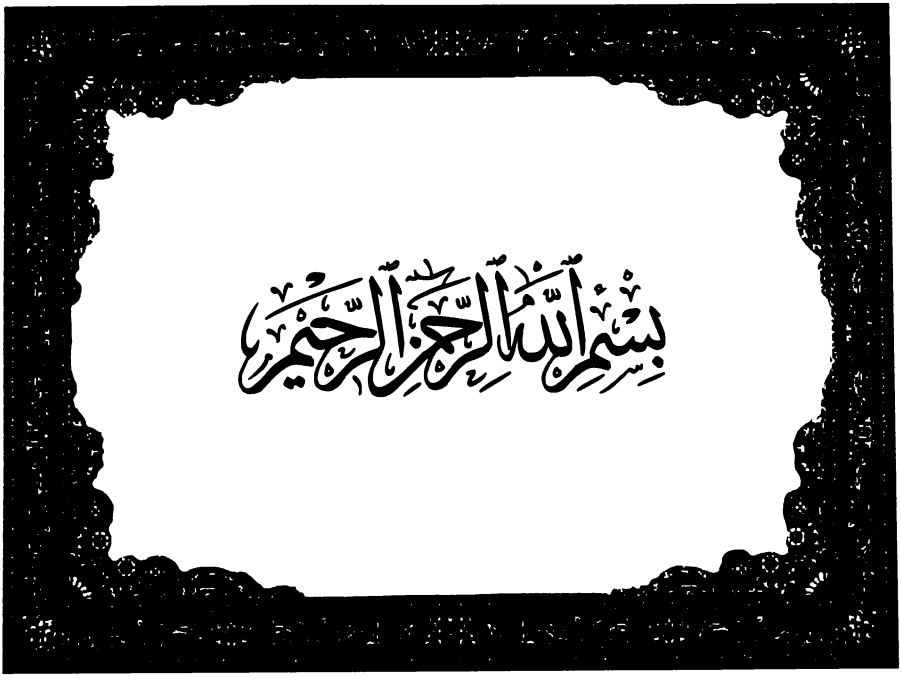
بسم الله الرحمن الرحيم

مقتل الحسين عليه السلام

تأليف

السيد عبد الرزاق المقرم

شعبة التراث الثقافي والديني

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www. imamhussain-lib. com
E-mail: info@imamhussain-lib. com

تصميم الكتاب: احمد عبد الوهاب زيارة

طبع على مطابع

Published by Aalami Est.
Beirut Airport Road
Tel:01/450426 Fax:01/450427

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

Email:alaalami@yahoo.com

نهضة الحسين عليه السلام

كان المغزى الوحيد لشهيد الدين، وحامية الإسلام الحسين بن أمير المؤمنين عليه السلام إبطال أُحدوثة الأُمويين، ودحض المعرات عن قدس الشريعة، ولفت الأنظار إلى براءتها وبراءة الصادع بها عمّا ألصقوه بدينه؛ من شية العار، والبدع المخزية، والفجور الظاهرة، والسياسة القاسية[1] فنال سيد الشهداء عليه السلام مبتغاه بنهضته الكريمة، وأوحى إلى الملأ الديني ما هنالك من مجون فاضح، وعرّف الناس (بيزيد المخازي) ومَن لاث به من قادة الشر وجراثيم الفتن، فمجّتهم الأسماع، ولم يبقَ في المسلمين إلا من يرميهم بنظرة شزراء حتّى توقدت عليهم العزائم، واحتدمت الحمية الدينية من أُناس ونزعات من آخرين، فاستحال الجدال جلاداً، وأعقبت بلهنية عيشهم حروباً دامية أجهزت على حياتهم، ودمرت ملكهم المؤَسَّس على أنقاض الخلافة الإسلامية من دون أية حنكة أو جدارة، فأصاب هذا الفاتح الحسين عليه السلام شاكلة الغرض بذكره السائر،

---

(١) يتحدث الاستاذ أحمد أمين في ضحى الإسلام ١ / ٢٧، عن الحكم الاموي فيقول: الحق إنّ الحكم الاموي لم يكن حكماً إسلامياً يساوى فيه بين الناس، ويُكافئُ المحسن، عربياً كان أو مولى، ويعاقب المجرم، عربياً كان أو مولى، وإنّما الحكم فيه عربي، والحكّام خَدمة للعرب، وكانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية.

وصيته الطائر، ومجده المؤثل، وشرفه المعلّى ﴿وَلا تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمواتاً بَل أَحيَاء عندَ رَبِّهِمْ يُرزَقُونَ﴾.(١)

لا أجدك أيها القارىء وأنت تسبر التاريخ، وتتحرّى الحقائق بنظر التحليل، إلا وقد تجلّت لك نفسيّة (أبيِّ الضيم) الشريفة، ومغزاه المقدّس ونواياه الصالحة، وغاياته الكريمة في حلِّه ومرتحله، وفي إقدامه وإحجامه في دعواه ودعوته، ولا أحسبك في حاجة إلى التعريف بتفاصيل تلكم الجمل بعد أن عرفت أن شهيد العظمة مَن هو؟ وما هي أعماله؟ وبطبع الحال تعرّف قبل كلّ شيء موقف مناوئه، وما شيبت به نفسيته من المخازي.

نحن لو تجردنا عما نرتئيه (لحسين الصلاح) من الإمامة والحق الواضح - الذي يقصر عنه في وقته أي ابن أُنثى - لم تدع لنا النصفة مساغاً لاحتمال مباراته في سيرة طاغية عصره، أو أنه ينافسه على شيء من المفاخر. فإن سيّد شباب أهل الجنّة متى كان يرى له شيئاً من الكفاءة حتّى يتنازل إلى مجاراته؟ ولقد كان عليه السلام يربأ بنفسه الكريمة حتّى عن مقابلة أسلافه.

أترى أن الحسين عليه السلام يقابل أبا سفيان بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله، أو معاوية بأمير المؤمنين عليه السلام، أو آكلة الأكباد بأم المؤمنين خديجة رضوان الله تعالى عليها، أو ميسون بسيّدة العالمين عليها السلام، أو خلاعة الجاهلية بوحي الإسلام، أو الجهل

---

(١) سورة آل عمران / ١٦٩.

المطبق بعلمه المتدفق، أو الشَّرَه المخزي بنزاهة نفسه المقدسة؟! إلى غيرها مما يكلُّ عنه القلم، ويضيق به الفم.

لقد كانت بين الله سبحانه وتعالى، وبين اوليائه المخلصين أسرار غامضة تنبو عنها بصائر غيرهم، وتنحسر أفكار القاصرين حتّى أعمتهم العصبية؛ فتجرؤا على قدس المنقذ الأكبر، وأبوا إلا الركون إلى التعصب الشائن، فقالوا: إن الحسين قُتل بسيف جدّه؛ لأنه خرج على إمام زمانه (يزيد) بعد أن تمت البيعة له، وكملت شروط الخلافة باجماع أهل الحلِّ والعقد، ولم يظهر منه ما يشينه ويزري به!![1].

---

(١) عبارة أبي بكر ابن العربي الاندلسي- في كتابه العواصم ص ٢٣٢، تحقيق محب الدين الخطيب، ط سنة ١٣٧١. قال رسول الله ﷺ: «**ستكون هنات، فمَن أراد أن يفرّق أمر هذه الأُمّة، وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً مَن كان**». فما خرج عليه أحد إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جدّه ﷺ انتهى. وقال محب الدين في التعليق على هذا الحديث: ذكره مسلم في الصحيح، في كتاب الأمارة. قلت: هو في الجزء الثاني ص١٢١، كتاب الأمارة بعد الغزوات، أخرجه عن زياد بن علاقة عن عرفجة عنه ﷺ. (وابن علاقة) سيِّىء المذهب، منحرف عن أهل البيت عليهم السلام كما في تهذيب التهذيب ٢ / ٣٨١. وذكر عرفجة في ج٧ ص١٧٦، ولم ينقل له مدح أو ذم، فهو من المجهولين لا يؤبه بحديثه.

والعجب من التزامه بصحة خلافة يزيد، وهو يقرأ حديث النبي ﷺ: «لا يزال أمر أُمّتي قائماً بالقسط حتّى يكون أول من يثلمه رجل من بني أُميّة، يقال له يزيد»!! رواه ابن حجر في مجمع الزوائد ٥ / ٢٤١ عن مسند أبي يعلى والبزاز. وفي الصواعق المحرقة ص ١٣٢ عن مسند الروياني عن أبي الدرداء عنه ﷺ: «**أول من يبدل سنتي رجل من بني أُميّة، يقال له يزيد**». وفي كتاب الفتن من صحيح البخاري - باب قول النبي ﷺ: «هلاك أُمّتي على يدي أُغيلمة من أُمّتي». عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ←

وقد غفل هذا القائل عن أنّ ابن ميسون لم يكن له يوم صلاح حتّى يشينه ما يبدو منه! وليس لطاماته ومخازيه قبل وبعد وقد ارتضع در ثدي (الكلبية) المزيج بالشهوات، وتربّى في حجر مَن لُعن على لسان الرسول الأقدس[١]، وأمر الأُمّة بقتله متى شاهدته متسنماً صهوة منبره![٢]. ولو امتثلت الأُمّة الأمر الواجب؛ لأمنت العذاب الواصب، المطلّ عليها من نافذة بدع الطاغية، ومن جرّاء قسوته المبيدة لها، لكنها كفرت بأنعم الله، فطفقت تستمرء ذلك المورد الوبيء ذعافاً

«هلكة أُمّتي على يدي غلمة من قريش». قال ابن حجر في شرح الحديث من فتح الباري ١٣ / ٧: كان أبو هريرة يمشي في السوق ويقول: اللهم، لا تدركني سنة ستين، ولا أمارة الصبيان. قال ابن حجر: أشار بذلك إلى خلافة يزيد، فإنها في سنة ستين، ولم يتعقبه.

(١) في تاريخ الطبري ١١ / ٣٥٧ (حوادث سنة ٢٨٤)، تاريخ أبي الفداء ٢ / ٥٧ (حوادث سنة ٢٣٨)، كتاب صفين / ٢٤٧، تذكرة الخواص / ١١٥، إن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى أبا سفيان على جمل وابنه يزيد يقوده ومعاوية يسوقه فقال: «لعن الله الراكب والقائد والسائق».

(٢) في تاريخ بغداد ١٢ / ١٨١، تهذيب التهذيب ٢ / ٤٢٨ وكذلك ٥ / ١١٠، تاريخ الطبري ١١ / ٣٥٧، كتاب صفين / ٢٤٣، ٢٤٨، شرح نهج البلاغة ١ / ٣٤٨، كنوز الدقائق (في هامش الجامع الصغير) ١ / ١٨، اللآلئ المصنوعة ١ / ٣٢٠، ميزان الاعتدال ١ / ٢٦٨ ترجمة الحكم بن ظهير، وكذلك ٢ / ١٢٩ ترجمة عبد الرزاق بن همام، سير أعلام النبلاء ٣ / ٩٩ ترجمة معاوية، مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ١٨٥، تاريخ أبي الفداء ٢ / ٥٧ (حوادث سنة ٢٨٣) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اذا رأيتم معاوية على منبري، فاقتلوه.

ممقراً؛ فألبسها الله لباس الخوف، وتركها ترزح تحت نير الاضطهاد، وترسف في قيود الذل والاستعباد، ونصب عينها استهتار الماجنين وتهتّك المنهمكين بالشهوات! وكلما تنضح به الآنية الاموية الممقوتة شب (يزيد الاهواء) بين هاتيك النواجم من مظاهر الخلاعة.

ولقد أعرب عن كل ما أضمره من النوايا السيئة على الإسلام، والصادع به جَذِلاً بِخلاء الجوِّ له، فيقول العلامة الآلوسي:

مَن يقول إن يزيد لم يعصِ بذلك ولا يجوز لعنه، فينبغي أن ينتظم في سلسلة أنصار يزيد، وأنا أقول: إنّ الخبيث لم يكن مصدقاً برسالة النبي صلى الله عليه وآله، وإنّ مجموع ما فعله مع أهل حرم الله وأهل حرم نبيه صلى الله عليه وآله وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما صدر منه من المخازي، ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قذر!، ولا أظن أن أمره كان خافياً على أجلّة المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين، ولم يسعهم إلا الصبر. ولو سلّم أن الخبيث كان مسلماً، فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان. وانا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يتصور أن يكون له مَثل من الفاسقين. والظاهر أنه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه. ويلحق به ابن زياد، وابن سعد وجماعة، فلعنة الله عليهم وعلى أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم ومَن مال إليهم إلى يوم الدين، ما دمعت عين على أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

ويعجبني قول شاعر العصر، ذي الفضل الجلي، عبد الباقي افندي العمري الموصلي، وقد سئل عن لعن يزيد، فقال:

يزيد على لعنى عريض جنابه فاغدو به طول المدى العن اللعنا

ومَن يخشى القيل والقال من التصريح بلعن ذلك الضليل، فليقل: لعن الله عز وجلّ من رضي بقتل الحسين عليه السلام، ومن آذى عترة النبي صلى الله عليه وآله بغير حقٍّ، ومن غصبهم حقهم، فإنه يكون لاعناً له؛ لدخوله تحت العموم دخولاً اولياً في نفس الأمر. ولا يخالف أحداً في جواز اللعن بهذه الألفاظ ونحوها، سوى ابن العربي المار ذكره وموافقيه، فإنهم على ظاهر ما نقل عنهم، لا يجوّزون لعن مَن رضي بقتل الحسين عليه السلام! وذلك لعمري هو الضلال البعيد الذي يكاد يزيد على ضلال يزيد!.

ثم قال: نقل البرزنجي في (الاشاعة)، والهيثمي في (الصواعق المحرقة)، أن الإمام أحمد لما سأله ابنه عبد الله عن لعن يزيد قال: كيف لا يلعن مَن لعنه الله في كتابه! فقال عبد الله: قرأت كتاب الله عز وجل فلم أجد فيه لعن يزيد! فقال الإمام: إن الله يقول: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ**﴾[1]، وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد!.

---

(١) سورة محمّد / ٢٢ - ٢٣.

وقد جزم بكفره وصرّح بلعنه جماعة من العلماء، منهم: القاضي أبو يعلى، والحافظ ابن الجوزي، وقال التفتازاني: لا نتوقف في شأنه، بل في إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أعوانه وأنصاره، وصرح بلعنه جلال الدين السيوطي.

وفي تاريخ ابن الوردي، والوافي بالوفيات: لما وردت على يزيد نساء الحسين وأطفاله، والرؤوس على الرماح، وقد أشرف على ثنية جيرون ونعب الغراب، قال:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشموس على رُبى جيرونِ

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فلقد قضيت من النبى ديوني

يعني: أنه قتل بمن قتله رسول الله ﷺ يوم بدر؛ كجده عتبة وخاله ولد عتبة وغيرهما، وهذا كفر صريح، فاذا صح عنه، فقد كفر به. ومثله تمثله بقول عبد الله بن الزبعرى قبل إسلامه بـ (ليت أشياخي ببدر...) الأبيات انتهى[1].

إلى كثير من موبقاته وإلحاده، فاستحق بذلك اللعن من الله وملائكته وأنبيائه، ومَن دان بهم من المؤمنين إلى يوم الدين. ولم يتوقف في ذلك إلا من حُرم ريح الإيمان، وأعمته العصبية عن السلوك في جادّة الحقِّ؛ فأخذ يتردد في سيره، حيران لا يهتدي إلى طريق، ولا يخرج من مضيق.

---

(١) تفسير روح المعاني ٢٦ / ٧٣، آية: (فهل عسيتم أن توليتم).

ولم يتوقف المحققون من العلماء في كفره وزندقته، فيقول ابن خلدون: غلط القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي، إذ قال في كتابه (العواصم والقواصم): إن الحسين قُتل بسيفِ شرعه، غفلة عن اشتراط الإمام العادل في الخلافة الإسلامية! ومَن أعدل من الحسين في زمانه وإمامته وعدالته في قتال أهل الآراء!؟. وفي الصفحة نفسها ذكر الاجماع على فسق يزيد، ومعه لا يكون صالحاً للإمامة، ومن أجله كان الحسين عليه السلام يرى من المتعين الخروج عليه، وقعود الصحابة والتابعين عن نصرة الحسين لا لعدم تصويب فعله، بل لأنهم يرون عدم جواز اراقة الدماء، فلا يجوز نصرة يزيد بقتال الحسين، بل قتله من فعلات يزيد المؤكدة لفسقه والحسين فيها شهيد[1].

ويقول ابن مفلح الحنبلي: جوّز ابن عقيل وابن الجوزي الخروج على الإمام غير العادل، بدليل خروج الحسين على يزيد؛ لاقامة الحق. وذكره ابن الجوزي في كتابه (السر المصون) من الاعتقادات العامية التي غلبت على جماعة من المنتسبين إلى السنة، إنهم قالوا: كان يزيد على الصواب، والحسين مخطئ في الخروج عليه. ولو نظروا في السِّير لعلموا كيف عُقدت البيعة له والزم الناس بها، ولقد فعل مع الناس في ذلك كلَّ قبيح، ثم لو قدرنا صحة خلافته، فقد بدرت منه بوادر وظهرت منه أمور، كلٌّ منها يوجب فسخ ذلك العقد؛ من نهب المدينة، ورمي الكعبة بالمنجنيق، وقتل الحسين وأهل بيته عليهم السلام وضربه على ثناياه بالقضيب،

---

(١) مقدمة ابن خلدون / ٢٥٤ - ٢٥٥ عند ذكر ولاية العهد.

وحمل رأسه على خشبة، وإنما يميل إلى هذا جاهل بالسيرة، عامّي المذهب، يظن أنه يغيظ بذلك الرافضة[١].

وقال التفتازاني: الحقُّ إن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره به، واهانته أهل بيت النبي ﷺ، مما تواتر معناه وان كان تفاصيله آحاد. فنحن لا نتوقف في شأنه، بل في إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه[٢].

وقال ابن حزم: قيام يزيد بن معاوية؛ لغرض دنيا فقط، فلا تاويل له. وهو بغي مجرد[٣]. ويقول الشوكاني: لقد أفرط بعض أهل العلم فحكموا: بأن الحسين السبط رضي‌الله‌عنه وأرضاه، باغ على الخِمّير السكّير، الهاتك لحرمة الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية! لعنهم الله. فيا للعجب من مقالات تقشعر منها الجلود، ويتصدع من سماعها كل جلمود!![٤].

وقال الجاحظ: المنكرات التي اقترفها يزيد؛ من قتل الحسين، وحمله بنات رسول الله ﷺ سبايا، وقرعه ثنايا الحسين بالعود، واخافته أهل المدينة، وهدم الكعبة، تدل على القسوة والغلظة والنصب، وسوء الرأي والحقد والبغضاء، والنفاق والخروج عن الايمان. فالفاسق ملعون، ومن نهى عن شتم الملعون فملعون[٥].

---

(١) الفروع ٣ / ٥٤٨ باب قتال أهل البغي - مطبعة المنار - سنة ١٣٤٥ هـ.
(٢) شرح العقائد النسفية ص ١٨١ طبع الاستانة سنة ١٣١٣ هـ.
(٣) المحلّى ١١ / ٩٨.
(٤) نيل الاوطار ٧ / ١٤٧.
(٥) رسائل الجاحظ ص ٢٩٨ الرسالة الحادية عشرة في بني أمية.

ويحدث البرهان الحلبي، إن الاستاذ الشيخ محمّد البكري تبعاً لوالده كان يلعن يزيد ويقول: زاده الله خزياً وضِعه وفي أسفل سجين وضَعه[١] كما لعنه أبو الحسن علي بن محمّد الكياهراسي، وقال: لو مددت ببياض لمددت العنان في مخازي الرجل[٢]. وحكى ابن العماد عنه، أنه سئل عن يزيد بن معاوية، فقال: لم يكن من الصحابة؛ لأنه ولد أيام عمر بن الخطاب. ولأحمد فيه قولان؛ تلويح وتصريح. ولمالك قولان؛ تلويح وتصريح. ولأبي حنيفة قولان؛ تلويح وتصريح. ولنا قول واحد.

تصريح دون تلويح، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد، ومدمن الخمر، وشعره في الخمر معلوم[٣]. ويقول الدكتور علي ابراهيم حسن: كان يزيد من المتّصفين بشرب الخمر واللهو والصيد[٤].

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: كان يزيد بن معاوية ناصبياً فظاً، غليظاً جلفاً، يتناول المسكر ويفعل المنكر، افتتح دولته بقتل الشهيد الحسين، وختمها بوقعة الحَرّة؛ فمقته الناس ولم يُبارك في عمره[٥].

---

(١) السيرة الحلبية.

(٢) وفيات الاعيان لابن خلكان ترجمة علي بن محمّد بن علي الكياهراسي، ومرآة الجنان لليافعي ٣/ ١٧٩.

(٣) شذرات الذهب لابن العماد ٣/ ١٧٩ سنة ٥٠٤هـ.

(٤) تاريخ الإسلام العام/ ٢٧٠، الطبعة الثالثة.

(٥) نقله عنه في الروض الباسم للوزير اليماني ٢/ ٣٦.

وقال الشيخ محمّد عبده: اذا وجدت في الدنيا حكومة عادلة تقيم الشرع، وحكومة جائرة تعطله، وجب على كلّ مسلم نصر الأُولى. ثم قال: ومن هذا الباب خروج الإمام الحسين سبط الرسول ﷺ على إمام الجور والبغي، الذي ولي أمر المسلمين بالقوّة والمكر، يزيد بن معاوية، خذله الله وخذل مَن انتصر له من الكرامية والنواصب[١]. وقال ابن تغربردي الحنفي: كان يزيد فاسقاً، مدمن الخمر[٢]، وقال: أخذت فتاوى العلماء بتعزير عمر بن عبد العزيز القزويني؛ إذ قال أمير المؤمنين يزيد، ثم أُخرج من بغداد إلى قزوين[٣]. وقال أبو شامة: دخل بغداد أحمد بن اسماعيل بن يوسف القزويني فوعظ بالنظامية، وفي يوم عاشوراء قيل له: إلعن يزيد بن معاوية. قال: ذلك إمام مجتهد. ففاجأه أحدهم فكاد يُقتل، وسقط عن المنبر. ثم أخرجوه إلى قزوين، ومات بها سنة (٥٩٠) هـ[٤].

وقال سبط ابن الجوزي: سئل ابن الجوزي عن لعن يزيد فقال: أجاز أحمد لعنه، ونحن نقول لا نحبه؛ لما فعل بابن بنت نبينا، وحمله آل رسول الله ﷺ سبايا إلى الشام على أقتاب الجمال، وتجرِّيه على آل رسول الله، فإنْ رضيتم بهذه المصالحة

---

(١) تفسير المنار١ / ٣٦٧ في سورة المائدة: آية ٣٧ و ج ١٢ ص ١٨٣ و ١٨٥.

(٢) النجوم الزاهرة ١/ ١٦٣.

(٣) النجوم الزاهرة ٦ / ١٣٤ سنة ٥٩٠ هـ.

(٤) رجال القرنين لأبي شامة / ٦، ومضمار الحقائق لتقي الدين عمر ابن شاهنشاه الايوبي، المتوفى سنة ٦١٧ هـ - تحقيق الدكتور حسن حبشي ص١٢٠ - حوادث سنة ٥٧٩هـ.

بقولنا لا نحبه، وإلا رجعنا إلى أصل الدعوى جواز لعنته[١].

وذكر أبو القاسم الزجاجي باسناده عن عمر بن الضحّاك، قال: كان يزيد بن معاوية ينادم (قرداً)، فأخذه يوماً وحمله على إتان وحشي. وشد عليها رباطاً، وأرسل الخيل في أثرها حتّى حسرتها الخيل فماتت الأتان، فقال يزيد بن معاوية:

تمسك أبا قيس بفضل عنانه فليس علينا أن هلكت ضمان

كما فعل الشيخ الذي سبقت به زياداً أمير المؤمنين إتان[٢]

وما ذكره ابن الأثير عن أبي يعلى حمزة بن محمّد بن أحمد بن جعفر بن محمّد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: أنا لا اكفّر يزيد؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله: «سألت الله تعالى أن لا يسلط على بنيَّ من غيرهم، فأعطاني ذلك»[٣]. لا يتابع عليه؛ لأن شرف أبي يعلى وجلالته وثقته، تبعد صدور هذه الكلمة الجافّة عنه، وإن سبقه إليها الرافعي في التدوين في علماء قزوين[٤]. وعلى فرض صدورها منه، فمن المقطوع به صدورها منه تقية. وقد بالغ الميرزا عبد الله افندي تلميذ المجلسي في إنكارها[٥]؛ لأن كل من ترجم له من علماء الرجال مدحه

---

(١) مرآة الزمان ٨ / ٤٩٦ ط حيدراباد.

(٢) أمالي الزجاجي ص٤٥ ط المكتبة المحمودية – مصر.

(٣) كامل ابن الاثير ٤ / ٥١ (حوادث سنة ٦٤ هـ) عليه مروج الذهب.

(٤) التدوين في علماء قزوين ٢ / ١٨٤ تصوير في مكتبة السيد الحكيم.

(٥) رياض العلماء (بترجمته)، مخطوط في مكتبة السيد الحكيم.

واطراه بالجميل، ولم يذكر ذلك عنه، ولو كان لصدورها عنه عين أو أثر لمقتوه من أجلها. وقد ترحّم عليه الشيخ الصدوق في كتبه وترضّى عنه؛ لأنه من مشائخه.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام ص ٤٩٣ باب ٣٩ حدّثه بقم سنة (٣٣٩) هـ عمّا كتبه إليه علي بن إبراهيم بن هاشم سنة (٣٠٩) هـ، عن ياسر الخادم عن الرضا عليه السلام ... الخ حتّى أن الخطيب البغدادي مع تعصبه ترجم له، ولم يذكر عنه هذه الكلمة النابية[١]، فهذه الكلمة من زيادات الرافعي وابن الأثير، الغير المقرونة بأصل وثيق.

وبعد مقت أعلام الأُمّة ليزيد، نحاسب عبد المغيث بن زهير بن علوي الحربي عن الأُصول الصحيحة التي استقى منها كتابه، الذي صنّفه في فضائل يزيد[٢]!

وأي مأثرة صحيحة وجدها له حتّى سجّلها في كتابه؟! وهل حياته كلّها إلا مخازٍ وتهجمات على قدس الشريعة؟! لذلك لم يعبأ العلماء بهذا الكتاب. فيقول:

ابن العماد في شذرات الذهب ج٤ ص ٢٧٥ حوادث السنة ٥٨٣ هـ أتى فيه بالموضوعات وفي البداية لابن كثير ج١٢ ص ٣٢٨ ردّ عليه ابن الجوزي فأجاد

---

(١) تاريخ بغداد ٨ / ١٨٤ طبع أول.
(٢) طبقات الحنابلة ١ / ٣٥٦.

وأصاب وفي كامل ابن الأثير ج ١١ ص ٢١٣ عليه مروج الذهب أتى فيه بالعجائب وفي طبقات الحنابلة لابن رجب ج ١ ص ٣٥٦ صنّف ابن الجوزي في الردّ عليه سماه الردّ على المتعصب العنيد، المانع من لعن يزيد.

ومن الغريب ما أفتى به عبد الغني المقدسي، حين سئل عن يزيد فقال: خلافته صحيحة؛ لأن ستّين صحابياً بايعه، منهم: ابن عمر. ومن لم يحبه لا ينكر عليه؛ لأنه ليس من الصحابة، وإنما يمنع من لعنه؛ خوفاً من التسلق إلى أبيه، وسداً لباب الفتنة!![1]. وأغرب من هذا، إنكار ابن حجر الهيثمي رضا يزيد بقتل الحسين عليه السلام، أو أنه أمر به[2] مع تواتر الخبر برضاه، ولم ينكره إلا من أنكر ضوء الشمس!!.

قال ابن جرير والسيوطي: لما قُتل الحسين سُرَّ يزيد بمقتله، وحسنت حال ابن زياد عنده، ثم بعد ذلك ندم[3]. وقال الخوارزمي: قال يزيد للنعمان بن بشير: الحمد لله الذي قتل الحسين[4]. وقد احتفظوا بمنكراته كاحتفاظهم ببغي أبيه معاوية، ومعاندته لقوانين صاحب الدعوة الإلهية، أليس هو القائل لأبيه صخر لما أظهر الإسلام فرقاً من بوارق المسلمين؟

---

(١) طبقات الحنابلة لابن رجب ٢ / ٣٤.

(٢) الفتاوى الحديثية ص ١٩٣.

(٣) تاريخ الطبري٧ / ١٩ طبعة أولى و تاريخ الخلفاء ١ / ١٣٩ (عند أحوال يزيد).

(٤) مقتل الحسين للخوارزمي٢ / ٥٩.

يا صخر لا تسلمن طوعاً فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
لا تركنن إلى أمر تقلّدنا والراقصاتِ بنعمان به الحرقا
فالموت أهون من قيل الصباة لنا خيل ابن هند عن العزّى كذا فرقا
فان أبيت أبينا ما تريد ولا تدع عن اللات والعزّى اذا اعتنقا (٦)

ويقول ابن أبي الحديد: طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية، وقالوا: إنه كان ملحداً لا يعتقد بالنبوة. ونقلوا عنه في فلتات كلامه ما يدل عليه(١).

وجدّه صخر، هو القائل للعبّاس يوم الفتح: إن هذه ملوكية. فقال العبّاس: ويلك إنها نبوة(٢). وفي معاوية، يقول أحمد بن الحسين البيهقي: خرج معاوية من الكفر إلى النفاق في زمن الرسول ﷺ، وبعده رجع إلى كفره الأصلي(٣).

فابن ميسون عصارة تلكم المنكرات، فمتى كان يصلح لشيء من الملك فضلاً عن الخلافة الإلهية، وفي الأُمّة ريحانة الرسول وسيد شباب أهل الجنة؟!. أبوه من قام الدين بجهاده، وأُمّه سيدة نساء العالمين، وهو الخامس لأصحاب الكساء، وعدل الكتاب المجيد في (حديث الثقلين)، يتفجر العلم من جوانبه، ويزدهي الخُلق العظيم معه أينما يتوجه، وعبق النبوة بين أعطافه، وألق الإمامة في أسارير

---

(١) شرح نهج البلاغة ١ / ٤٦٣ ط اول - مصر.
(٢) كامل بن الاثير ٢ / ٩٣ عليه مروج الذهب و تاريخ الطبري ٣ / ١١٧ طبعة أولى.
(٣) هدية الأحباب / ١١١ بترجمة البيهقي.

وجهه. والى هذا يشير عليه السلام لمّا عرض الوليد البيعة، فقال: «أيها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم. ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، وقاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق. ومثلي لا يبايع مثله»[١].

وبعد هذا، فلنسأل هذا المتحذلق عن قوله: (خرج الحسين بعد انعقاد البيعة ليزيد)، متى انعقدت هاتيك البيعة الغاشمة؟ ومتى اجتمع عليها أهل الحل والعقد؟ أيوم كان يأخذها أبوه تحت بوارق الإرهاب؟! أم يوم إسعاف الصِلات لرواد الشره رضيخة يتلمظون بها؟![٢] أم يوم عرضها عمال يزيد على الناس، فتسلل عنها ابن الرسول ومعه الهاشميون، وفر ابن الزبير إلى مكّة وتخفى ابن عمر في بيته؟[٣]. وكان عبد الرحمن ابن أبي بكر يجاهر بأنها هرقلية؛ كلما مات هرقل قام هرقل مكانه[٤]، وكان يقول: إنّها بيعة قوقية، وقوق هو اسم قيصر[٥] فأرسل له معاوية مئة ألف درهم يستعطفه بها، فردها وقال: لا أبيع ديني بدنياي[٦]، وقال: عبد الله بن عمرو بن العاص لعابس بن سعيد، الذي حثّه على

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف ص ٩٨.
(٢) تاريخ الطبري ٦ / ١٣٥، وابن خلكان بترجمة الأحنف.
(٣) تاريخ الطبري ٦ / ١٧٠.
(٤) الكامل في التاريخ ٣/ ١٩٩، مجالس ثعلب/ ٥١٩، الفائق للزمخشري ٢/ ٢٠٣ طبع مصر.
(٥) سلس الغانيات - نعمان خيري الآلوسي / ٤١.
(٦) تهذيب الأسماء ١ / ٢٩٤.

البيعة ليزيد: أنا أعرف به منك، وقد بعتَ دينك بدنياك[١]. وقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي للشامي الذي أرسله مروان بن الحكم ليبايع ليزيد: يأمرني مروان أن أبايع لقوم ضربتهم بسيفي حتّى أسلموا! والله ما أسلموا ولكن استسلموا[٢].

وقال زياد بن أبيه لعبيد بن كعب النميري: كتب إليّ معاوية في البيعة ليزيد، وضمان أمر الإسلام عظيم؛ إنَّ يزيد صاحب رسلة وتهاون مع ما اولع به من الصيد، فأخبر معاوية عني، وأخبره عن تهاون يزيد بأمر الدين وفعلاته المنكرة[٣].

وقد أنكر على معاوية سعيد بن عثمان بن عفان، وفيما كتب إليه: إن أبي خير من أب يزيد، وأمي خير من امّه، وأنا خير منه[٤]. وكان الأحنف بن قيس منكراً لها، وكتب إليه يعرفه الخطأ فيما قصده من البيعة لابنه يزيد، وتقديمه على الحسن والحسين مع ما هما عليه من الفضل والى من ينتميان، وذكّره بالشروط التي أعطاها الحسن، وكان فيها أن لا يقدم عليه أحداً، وإن أهل العراق لم يبغضوا الحسنين منذ أحبوهما، والقلوب التي أبغضوه بها بين جوانحهم[٥].

---

(١) القضاة للكندي / ٣١٠ اوفست.
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ١٢٨.
(٣) تاريخ الطبري ٦ / ١٦٩ (حوادث سنة ٥٦).
(٤) نوادر المخطوطات - الرسالة السادسة / ١٦٥ في المغتالين لمحمد بن حبيب.
(٥) الإمامة والسياسة ١ / ١٤١، مطبعة الأُمّة - مصر / ١٣٢٨ هـ.

وحرص أبيُّ الضيم سيد الشهداء على نصح معاوية وارشاده إلى لاحب الطريق، وتعريفه منكرات يزيد، وإن له الفضل عليه بكل جهاته، وفيما قال له: «إنّ أُمّي خير من أُمّه، وأبي خير من أبيه». فقال معاوية: أمّا امّك، فهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهي خير من امرأة من كلب. وأمّا حبي يزيد، فلو أُعطيت به ملء الغوطة لما رضيت. وأمّا أبوك وأبوه، فقد تحاكما إلى الله تعالى فحكم لأبيه على أبيك[1].

إلى هنا سكت أبو عبد الله الحسين عليه السلام؛ لأنه عرف ألا مقنع لابن آكلة الأكباد بالحقيقة، وإنما لم يقل معاوية (إنّ أباه أفضل من أبيك)؛ لعلمه بعدم سماع أحد منه ذلك، ولشهرة سبق علي عليه السلام إلى الإسلام واجتماع المحامد

فيه، وتقدّمه على غيره في الفضائل جمعاء؛ لذلك عدل معاوية إلى الإيهام بايجاد شبهة المنافرة والمحاكمة، وهذا ما يسمّيه علماء البلاغة بالاستدراج.

ومرّة أُخرى، قال له سيد الشهداء أبو عبد الله عليه السلام: «لقد فهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، تريد أن توهم على الناس كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو تخبر عمّا احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد من استقرائه الكلاب المهارسة[2]، والحمام السبق،

---

(١) المثل السائر لابن الاثير ١ / ٧١ باب الاستدراج - طبع مصر / ١٣٥٨ هـ.

(٢) في الآداب السلطانية لابن الطقطقي / الفصل الأول صفحة ٣٨: كان يزيد بن معاوية يلبس كلاب الصيد اساور الذهب، والجلاجل المنسوجة منه، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه.

والقَينات ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده ناصراً، ودع ما تحاول فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت فيه، فوالله ما برحت تقدم باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم حتّى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود، ولات حين مناص»[1].

وكتب عليه السلام إليه مرّة ثالثة: «إعلم إن الله عز وجل كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها، وليس الله تعالى بناسٍ أخذك بالظنة، وقتلك اولياءه على التُّهم، ونفيك لهم عن دورهم إلى دار الغربة. أولست قاتل حجر أخا كندة والمصلين العابدين؛ الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله تعالى لومة لائم؟ أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة؛ فنحل جسمه، واصفرّ لونه بعدما آمنته وأعطيته من عهود الله عز وجل، ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس جبل؛ جرأة منك على ربك، واستخفافاً بذلك العهد؟ أولست المدّعي (ابن سمية) المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه من أبيك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله تعمداً، واتبعت هواك بغير هدى من الله تعالى، ثم سلطته على العراقين يقطع أيدي المسلمين، ويُسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل. كأنك لست من هذه الأُمّة وليسوا منك!؟ أولست الكاتب لزياد أن يقتل كلَّ مَن كان على دين علي بن أبي طالب عليه السلام؛

---

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٥٤.

فقتلهم ومثّل بهم بأمرك. ودين علي عليه السلام هو دين الله عز وجل الذي به ضرب أباك وضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست.

وإنّ أخذك الناس ببيعة ابنك يزيد، وهو غلام حدث يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب؛ فقد خسرت نفسك، وبترت دينك وأخربت أمانتك»[١].

وكتب إليه مرة رابعة يعدد عليه بوائقه؛ وذلك لما قتل زياد ابن أبيه مسلم بن زيمر، وعبد الله بن نجي الحضرميَّين، وصلبهما على أبواب دورهما بالكوفة أياماً، وكانا من شيعة علي أمير المؤمنين عليه السلام. وفيما كتب إليه: «ألست صاحب حِجر والحضرميَّين اللذين كتب إليك ابن سمية أنهما على دين علي عليه السلام ورأيه. فكتبت إليه: مَن كان على دين علي ورأيه فاقتله وامثل به، فقتلهما ومثل بامرك بهما؟ ودينُ علي وابن عم علي الذي كان يضرب عليه أباك، ويضربه عليه أبوك، جلست مجلسك الذي أنت فيه. ولولا ذلك، كان أفضل شرفك وشرف أبيك تجشم الرحلتين اللتين بنا منَّ الله عليك بوضعها عنكم.....» في كلام طويل يوبّخه فيه بادّعائه زياداً، وتوليته على العراقين[٢].

ولم تُجدِ هذه النصائح من ابن الرسول صلى الله عليه وآله في دحض باطل معاوية، بعد أن سدّت بوارق الإرهاب، وبواعثُ الطمع طريق الحقّ. لكن معاوية بدهائه المعلوم لم يرقه أن يمس الحسينَ عليه السلام سوءٌ؛ خشية سوء الفتنة وانتكاث الأمر، لما

---

(١) رجال الكشي / ٣٢ ط الهند، ترجمة عمرو بن الحمق، الدرجات الرفيعة / ٤٣٤ ط النجف.

(٢) المحبر لابن حبيب/ ٤٧٩ ط حيدر آباد.

يعلمه أن (أبيَّ الضيم) لا يتنازل إلى الدنية إلى نفس يلفظه، وأن شيعته يومئذ غيرهم بالأمس على عهد أخيه الإمام المجتبى، فإنهم ما زالوا يتذمرون من عمّال معاوية؛ للتنكيل الذريع بهم حتّى بلغ الحال، أن الرجل منهم يستهين أن يقال له: زنديق، ولا يقال له (ترابي)!.

وكم من مرة واجهوا الإمام المجتبى عليه السلام بكلام أمرّ من الحنظل مع اعترافهم له بالإمامة، وإذعانهم بأن ما صدر منه عن صلاح إلهي، وأمر ربوبي. وحتى أنهم استنهضوا الحسين عليه السلام غير مرّة فلم ينهض معهم؛ رعاية للميثاق، وإرجاء الأمر إلى وقته المعلوم لديه من جدّه صلى الله عليه وآله، وأبيه الوصي عليه السلام.

فمعاوية يعلم أنه لو أُصيب الحسين عليه السلام بسوء - والحالة هذه - تلتف الشيعة حوله؛ فيستفحل الخطب بينه وبين معاوية.

وللعلة هذه بعينها؛ أوصى ولده يزيد بالمسالمة مع الحسين إن استبد بالأمر، ومهما يجد من أبيِّ الضيم مخاشنة وشدة. فقال له: إنّ أهل العراق لن يدعوا الحسين حتّى يخرجوه، فإن خرج عليك وظفرت به، فاصفح عنه، فإنّ له رحماً ماسة، وحقاً عظيماً[1]. لكن (يزيد الجهل)؛ لغروره المُردي لم يكترث بتلك الوصيّة، فتعاورت عليه بوادره، وانتكث فتله. ولئن سرَّ (يزيد الخزاية) الفتحُ العاجل، فقد أعقب فشلاً قريباً، وكاشفه الناس بالسباب المقذع، وأكثروا باللائمة عليه حتّى ممّن لم ينتحل دين الإسلام.

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ١٧٩.

وحديث رسول ملك الروم مع يزيد في المجلس، حين شاهد الرأس الأزهر بين يديه يقرعه بالعود! أحدث هزّة في المجلس، وعرف يزيد أنه لم تُجدِ فيهم التمويهات. وكيف تجدي وقد سمع من حضر المجلس صوتاً عالياً من الرأس المقدس، لمّا أمر يزيد بقتل ذلك الرسول «لا حول ولا قوة إلا بالله»[1]؟ وأي أحد رأى أو سمع قبل يوم الحسين عليه السلام رأساً مفصولاً عن الجسد ينطق بالكلام الفصيح؟ وهل يقدر ابن ميسون أن يقاوم أسرار الله، أو يطفئ نوره الأقدس؟... كلا.

ولقد فشا الإنكار عليه من حريمه وحامته حتّى أن زوجته هند[2] لما أبصرت

---

(١) عوالم الامام الحسين / ١٥٠ للمحدث عبد الله البحراني، ترجمته في روضات الجنات / ٣٧٠ آخر ترجمة الشيخ عبد الله ابن الحاج صالح السماهيجي جامع الصحيفة العلوية.

(٢) قصة تزويج هند زوجة عبد الله بن عامر بن كريز من يزيد، واجبار زوجها على الطلاق، من الأساطير التي أراد واضعها الحطّ من كرامة سيدي شباب أهل الجنة؛ الحسن والحسين عليهما السلام، فرويت بصور مختلفة.

(الصورة الاولى) في مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ١٥١ ط النجف، بالاسناد إلى يحيى بن عبد الله بن بشير الباهلي، قال: كانت هند بنت سهيل بن عمرو عند عبد الله بن عامر بن كريز، وكان عامل معاوية على البصرة. فاقطعه خراج البصرة على أن يتنازل عن زوجته هند؛ لرغبة يزيد فيها. وبعد انتهاء العدّة أرسل معاوية أبا هريرة ومعه ألف دينار مهراً لها، وفي المدينة ذكر أبو هريرة القصة للحسين بن علي عليه السلام، فقال: «**اذكرني لهند**». ففعل أبو هريرة، واختارت الحسين فتزوجها، ولمّا بلغه رغبة عبد الله بن عامر فيها، طلّقها وقال له: «**نِعم المُحلل كنت لكما**». وفي اسناده يحيى بن عبد الله بن بشير الباهلي عن ابن المبارك وهو مجهول عند علماء الرجال.

(الصورة الثانية) في المصدر نفسه / ١٥٠ مسنداً عن الهذلي عن ابن سيرين: إن عبد ←

الرحمن بن عناب بن أُسيد كان أبا عذرتها، طلقها وتزوجها عبد الله بن عامر بن كريز. وذكر كما في الصورة الاولى، إلا أنه أبدل الحسين بالحسن عليه السلام، وأنه قال لعبد الله بن عامر بعد أن طلقها: «لا تجد مُحَلّلاً خيراً لكما مني». وكانت هند تقول: سيدهم حسن. واسخاهم عبد الله. وأحبهم إليَّ عبد الرحمن. وفي تهذيب التهذيب ٢ / ٤٥: إن الهذلي هو أبو بكر، كذّاب عند ابن معين، ضعيف عند أبي زرعة، متروك الحديث عند النسائي. = وفي الوافي بالوفيات ٣ / ١٤٦، اعترف محمّد بن سيرين على نفسه، بأنه يسمع الحديث، وينقص منه. وكان من سبي (جرجيا). وفي طرح التثريب / ١٠٣: كان سيرين من سبي عين التمر. (الصورة الثالثة) في نهاية الارب ٦ / ١٨٠: كانت زينب عند عبد الله بن سلام عامل معاوية على العراق، فطلب منه معاوية طلاق زوجته؛ لرغبة يزيد فيها على أن يزوجه من ابنته. فلما طلقها لم توافق ابنة معاوية على التزويج منه، فأرسل معاوية أبا هريرة وأبا الدرداء إلى العراق ليخطبا زينب بنت اسحاق ليزيد. فقدما الكوفة، وكان بها الحسين بن علي عليه السلام، فذكرا له القصة، فقال لهما: «اذكراني». فاختارت الحسين عليه السلام وتزوجها، ولما عرف رغبة عبد الله بن سلام فيها طلقها؛ ليحلها لزوجها الاول. وهذه القصة المطولة، التي أرسلها النويري في نهاية الأرب من دون إسناد، ارسلها ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون ص١٧٢ سنة ١٣٣٠هـ، واسماها (ارينب) بالراء المهملة. والحسين عليه السلام لم يرد إلى الكوفة بعد ارتحالهم منها!. (الصورة الرابعة) في الامثال للميداني ١ / ٢٧٤ حرف الراء عنوان (رب ساع لقاعد) روي مرسلاً: إن معاوية سأل يزيد عن رغباته، فذكر له رغبة في التزويج من (سلمى أُم خالد)، زوجة عبد الله بن عامر بن كريز. فاستقدمه معاوية، وسأله طلاق امرأته على أن يعطيه خراج فارس خمس سنين، فطلّقها. فكتب معاوية إلى واليه على المدينة (الوليد بن عتبة) أن يُعلم ام خالد بطلاقها. وبعد انقضاء العدة، أرسل معاوية أبا هريرة ومعه ستون ألفاً؛ عشرون ألف دينار مهرها، وعشرون ألفاً كرامتها، وعشرون ألفاً هديتها. وفي المدينة حكى القصة لأبي محمّد الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام، فقال لأبي هريرة: «اذكرني». وقال له الحسين: «اذكرني لها». وقال عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطلب: اذكرني. وقال عبد الله بن جعفر الطيّار: اذكرني. وقال عبد الله بن الزبير: اذكرني. وقال عبد الله بن مطيع بن الاسود: اذكرني. ولّما دخل عليها أبو هريرة، حكى لها ما أراده

الرأس مصلوباً على باب دارها، والأنوار العلويّة تتصاعد إلى عنان السماء، وشاهدت الدم يتقاطر، ويُشم منه رائحة طيّبة، عظم[١] مصابه في قلبها؛ فلم تتماسك دون أن دخلت عليه مجلسه مهتوكة الحجاب وهي تصيح: رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مصلوب على دارنا وقام إليها وغطّاها، وقال لها: اعولي على الحسين، فإنه صريخة بني هاشم، عجّل عليه ابن زياد[٢].

قصداً منه تعمية الأمر، وتبعيد السُّبة عنه بالقاء الجريمة على العامل، لكن الثابت لا يزول. وهذا هو السر في انشائه الكتاب الصغير، الذي وصفه المؤرخون بأنه (اذن فارة)، أرفقه مع كتابه الكبير إلى واليه على المدينة الوليد بن

معاوية، ثم ذكر رغبة الجماعة فيها. فقالت له: اختر لي أنت؟ فاختار لها الحسن بن علي عليه السلام وزوجها منه، وانصرف إلى معاوية بالمال. ولما بلغت معاوية القصة، عتب على أبي هريرة، فردّ عليه: المستشار مؤتمن. هذا كلُّ ما في عيبة المؤرخين الامناء على تسجيل الحقائق كما وقعت! ومن المؤسف عدم تحفظهم عن الطعن بكرامة المسلمين! والتأمل في هذه الأُسطورة لا يعدوه الاذعان، بأن الغاية منها: هو النيل من ابني رسول الله صلى الله عليه وآله، الإمامين على الأُمّة «إن قاما وإن قعدا»؛ لعل مَن يبصر الأشياء على علاتها من دون تمحيص - وقد وجد من انطلت عليه هذه الاكذوبة، فرمى أب محمّد الحسن عليه السلام بما تسيخ منه الجبال، بالاعتذار عن كثرة الزوجات للحسن عليه السلام - يقنع أن الطلاق بالثلاث شائع، وأنهم لم يجدوا محللاً صادقاً بأن يتزوج المرأة على الدوام ثم يطلقها إلا الحسن عليه السلام! وما أدري بما يعتذر يوم يقول له (أبو محمّد) عليه السلام: على أي استناد وثيق هتكتني، ولم تتبصر؟.

(١) خطط المقريزي ٣ / ٢٨٤.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٧.

عتبة؛ بأخذ البيعة من أهلها عامة. وفي هذا الكتاب الصغير، إلزام الحسين بها[1]، وإن أبى فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه؟!.

وليس الغرض من هذا، إلا أن يزيد لما كان عالماً بأن بيعته لم يتفق عليها صلحاء الوقت، وأشراف الأُمّة، وما صدر من الموافقة منهم يوم أرادها أبوه معاوية إنما هو بالوعيد والتهديد!

أراد ان يخلي رسمياته عن الأمر بقتل الحسين عليه السلام، بحيث لو صدر ذلك من عامله ولامه الناس وخطّؤوه؛ تذرع بنسبة القتل إلى العامل. فان كتابه الذي يأمره فيه بأخذ البيعة من أهل المدينة عامة، خالٍ من هذه الجرأة؛ فيكون له المجال في إلقاء التبعة بذلك على عاتق العامل كما انه في الوقت نفسه تذرع بهذا العذر، وانطلى على بعض المؤرخين! وهل ينفعه هذا؟ ... لا.

لبسوا بما صنعوا ثياب خزايةٍ سوداً تولّى صبغهنَّ العارُ

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ١٨٨.

الأنبياء مع الحسين

لقد كان حديث مقتل الحسين عليه السلام من أسرار الخليقة وودائع النبوات، فكان هذا النبأ العظيم مألكةَ[١] أفواه النبيين، دائرة بين أشداق الوصيين وحملة الأسرار؛ ليعرفهم المولى سبحانه وتعالى عظمة هذا الناهض الكريم، ومنّته على الجميع بحفظ الشريعة الخاتمة التي جاؤوا لتمهيد أمرها، وتوطيد الطريق إليها، وتمرين النفوس لها. فيثيبهم بحزنهم واستيائهم؛ لتلك الفاجعة المؤلمة! فبكاه آدم والخليل وموسى، ولعن عيسى قاتله، وأمر بني اسرائيل بلعنه، وقال: «مَن أدرك أيامه، فليقاتل معه، فإنه كالشهيد مع الأنبياء، مقبلاً غير مدبر. وكأني أنظر إلى بقعته، وما من نبيٍّ إلا وزارها، وقال: إنك لبقعة كثيرة الخير، فيك يُدفن القمر الزاهر»[٢].

وشاء إسماعيل - صادق الوعد - الأسوة به؛ لمّا انُبأَ بشهادته، فيكون الآخذ بثأره الإمامُ المنتظر عجل الله فرجه[٣].

---

(١) في مقاييس اللغة لابن فارس ١ / ١٣٣ قال الخليل: الألوك الرسالة، وهي المألكة على مفعلة. وإنما سميت الرسالة ألوكا؛ لانها تؤلك في الفم، مشتق من قول العرب للفرس: تألك اللجام، وتعلكه اذا مضغت الحديد. ويجوز تذكير المألكة.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه، المتوفى سنة (٣٦٧) ص ٦٧.

(٣) كامل الزيارات ص ٦٥.

واختـــار يحيـــى أن يُطـــاف برأســـه ولـــه التّـــأسّي بالحســـين يكـــون

وحديث مقتل الحسين عليه السلام أبكى الرسول الأقدس وأشجاه[١] وهو حيٌّ، فكيف به لو رآه صريعاً بكربلاء في عصابة من آله كأنهم مصابيح الدّجى، وقد حلّؤوه ومَن معه عن الورد المباح لعامة الحيوانات؟!.

نعم، شهد نبي الرحمة صلى الله عليه وآله فلذة كبده بتلك الحالة التي تنفطر لها السموات، ورأى ذلك الجمع المغمور بالاضاليل، متألباً على استئصال آله من جديد الأرض، فشاهده بعض مَن حضر ـ ينظر الجمع مرة والسماء أُخرى، مسلّماً للقضاء[٢].

ولما مرَّ أمير المؤمنين عليه السلام بكربلاء في مسيره إلى صفين، نزل فيها واومأ بيده إلى موضع منها، فقال: «ههنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم»، ثم أشار إلى موضع آخر وقال: «ههنا مهراق دمائهم. ثقلٌ لآل محمّد ينزل ههنا»، ثم قال: «واهاً لك يا تربة! ليحشرنَّ منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب»[٣] وأرسل عبرته، وبكى مَن معه؛ لبكائه. وأعلم الخواص من صحبه، بأن ولده الحسين عليه السلام يقتل

---

(١) خصائص السيوطي ٢/ ١٢٥ من حديث ام الفضل وانس. ورواه الماوردي في أعلام النبوة ص٨٣ من حديث عائشة أنها قالت: وكان في المجلس علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبوذر. ورواه ابن حجر في مجمع الزوائد ٩/ ١٨٨ عن عائشة. ورواه زكريا الانصاري في فتح الباقي شرح ألفية العراقي، المطبوع في ذيل الألفية ١/ ٢٥.

(٢) كامل الزيارات.

(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ١٥٧ - ١٥٩.

ههنا في عصابة من أهل بيته وصحبه، هم سادة الشهداء، لا يسبقهم سابق، ولا يلحقهم لاحق[١].

وفي حديثه الآخر، بعد الإخبار بأن في موضع كربلاء تقتل فتية من آل محمد صلى الله عليه وآله، قال: «تبكي عليهم السماء والأرض[٢]. بأبي مَن لا ناصر له إلا الله»[٣]. ثم قال: «**لا يزال** بنو أُميّة يمعنون في سجل ضلالتهم حتّى يهريقوا الدم الحرام في الشهر الحرام، ولكأني أنظر إلى غرنوقاً من قريش يتشحط في دمه، فإذا فعلوا ذلك، لم يبق لهم في الأرض عاذر، ولم يبقَ ملك لهم»[٤].

ومرّ سلمان الفارسي بكربلاء حين مجيئه إلى المدائن، فقال: هذه مصارع إخواني، وهذا موضع مناخهم، ومهراق دمائهم. يقتل بها ابن خير الأولين والآخرين[٥]. ومرّ عيسى بن مريم عليه السلام بأرض كربلاء، فرأى ظباءً ترعى هناك، فكلمته بأنها ترعى هنا؛ شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك، فرخ الرسول أحمد صلى الله عليه وآله، وأنّها آمنة في هذه الأرض. ثم أخذ المسيح عليه السلام من أبعارها وشمّه، وقال: «**اللهم، أبقه حتّى يشمّها أبوه، فتكون له عزاءً وسلوة**». فبقيت الأبعار إلى مجيء أمير

---

(١) كامل الزيارات ص ٢٧.

(٢) دلائل النبوة ٣ / ٢١١.

(٣) أُسد الغابة ٤ / ١٦٩.

(٤) شرح نهج البلاغة ٤ / ٣٦٣ ط ١ مصر.

(٥) رجال الكشي / ١٣ ط الهند.

المؤمنين عليه السلام بكربلاء، وقد اصفرّت؛ لطول المدّة. فأخذها وشمّها وبكى، ثم دفعها إلى ابن عبّاس، وقال: «**إحتفظ بها، فاذا رأيتها تفور دماً، فاعلم إن الحسين قد قُتل**». وفي يوم عاشوراء بعد الظهر رآها تفور دماً[1].

الإقدام على القتل

تمهيد:

من الضروري احتياج المجتمع البشري إلى مُصلح يسد خلته، ويسدد زلته، ويكمل اعوازه، ويقوّم إوده لتوفر دواعي الفساد فيه. فلو لم يكن في الأُمّة مَن يكبح جماح النفوس الشريرة؛ للعبت الأهواء بهم، وفرقتهم أيدي سبأً، وبات حميم لا يأمن حميه، وأصبحت أفراد البشر ضحايا المطامع. وهذا المصلح يختاره المولى سبحانه من بين عباده؛ لأنه العارف بطهارة النفوس ونزاهتها عمّا لا يرضى به رب العالمين. ويكون الواجب، عصمته ممّا في العباد من الرذائل والسجايا الذميمة حتّى لا يشاركهم فيها، فيزداد الطين بلّة، ويفوته التعريف والإرشاد إلى مناهج الاصلاح ومساقط الهلكة وقد برّأ الله تعالى ذات النبي الأعظم صلى الله عليه وآله من نور قُدسه، وحباه بأكمل الصفات الحميدة حتّى بذّ العالمَ، وفاق مَن في الوجود،

---

(١) إكمال الدين للصدوق / ٢٩٥.

فكان محلاً للتجليات الإلهية، وممنوحاً بالوحي العزيز. وإنّ اليراع ليقف متردداً عن تحديد تلك الشخصية الفذة، التي أنبأ عنها النبي صلى الله عليه وآله بقوله لأمير المؤمنين عليه السلام: «**لا يعرف الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت، ولا يعرفك إلا الله وأنا**»(١).

وحيث إن عمر النبي صلى الله عليه وآله غير باق إلى الأبد؛ لأنه لم يخرج عمّا عليه الناس في مدة الاجل. وجملة من تعاليمه لا تخلو من أن تكون كليات لم تأت أزمنة تطبيقها على الخارج، كان الواجب في شريعة الحقِّ الداعية إلى إصلاح الأُمّة: إقامة خليفة مقامه، يحذو حذوه في نفسياته واخلاصه وعصمته؛ لأن السرائر الكامنة بين الجوانح لا يعلمها إلا خالقها. ولو اوكل معرفتها إلى الأُمّة لتعذر عليها التمييز؛ لعدم الاهتداء إلى تلك المزايا الخاصة في الإمام! فتحصل الفوضى، وينتشر الفساد، ويعود النزاع والتخاصم. وهو خلاف اللطف الواجب على المولى سبحانه **﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾**(٢) **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾**(٣).

---

(١) المحتضر / ١٦٥ لمؤلّفه الحسن بن سليمان الحلّي، أحد تلامذة الشهيد الأول، والذي كان حيّاً سنة ٨٠٢ هـ، ومختصر البصائر / ١٢٥ للمؤلّف نفسه.

(٢) سورة القصص / آية ٦٨.

(٣) سورة الأحزاب / آية ٣٦.

فالخلافة منصب إلهي يقيّض الله تعالى رجلاً ينوؤ بأثقال النبوة، فيبلّغ الدعوة لمن تبلغه، ويدعو إلى تفاصيل الشريعة التي جاء بها المنقذ الأكبر صلى الله عليه وآله، فيرشد الجاهل، وينبّه الغافل، ويؤدب المتعدي، ويبين ما أجمله النبي صلى الله عليه وآله؛ لضرب من المصلحة أو أهمله لعدم السعة في زمانه بعد انقضاء أمد الرسالة.

في شخصية أمير المؤمنين ثم ابنه الحسن، وبعده أخوه سيد الشهداء الحسين، فابنه زين العابدين علي، ثم ابنه الباقر محمّد، فابنه الصادق جعفر، فابنه الكاظم موسى، فابنه الرضا علي، فابنه الجواد محمّد، فابنه الهادي علي، فابنه الحسن العسكري، ثم ابنه المنتظر أبو القاسم محمّد عجل الله فرجه.

كما أفاد المتواتر من الاحاديث: بأنّ الله عز شأنه اودع في الإمام المنصوب - حجّة العباد، ومنار يهتدي به الضالون - قوةً قدسية نورية، يتمكن بوساطتها من استعلام الكائنات، وما يقع في الوجود من حوادث وملاحم. فيقول الحديث الصحيح: «**اذا ولد المولود منّا، رُفع له عمود نور يرى به أعمال العباد، وما يحدث في البلدان**»[1].

والتعبير بذلك، إشارة إلى القوة القدسية المفاضة من ساحة (الحقِّ) سبحانه؛ ليكتشف بها جميع الحقائق على ما هي عليه؛ من قول او عمل او غيرهما من اجزاء الكيان الملكي والملكوتي. وبتلك القوة القدسية يرتفع سدول الجهل واستتار

---

(١) بصائر الدرجات للصفار ٩ / ١٢٨، ملحق بنفس الرحمن للنوري قدس سره.

الغفلة، فلا تدع لهم شيئاً إلا وهو حاضر بذاته عند ذواتهم القدسية، كما أن النور يجلو ما اسدلته غياهب الظلمة، فيجد المبصر ـ ما حجبه الحلك الدامس نصب عينيه، وقد انبأ أبو عبد الله الصادق عليه السلام عمّا حباهم به المولى جلَّ شأنه من الوقوف على أمر الاولين والآخرين، وما في السماوات والارضين، وما كان ويكون حتّى كأن الأشياء كلَّها حاضرة لديهم[١].

ثم يسجل التدليل عليه بقوله: «**كلمّا كان لرسول الله صلى الله عليه وآله فلنا مثله، إلا النبوّة والأزواج**»[٢].

ولا غلوّ في ذلك بعد قابلية تلك الذوات المطهرة بنصّ الذكر الحميد: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[٣]، لتحمل الفيض الأقدس وعدم الشحِّ في (المبدأ الأعلى) تعالت آلاؤه.

والمغالاة[٤] في شخص عبارة عن إثبات صفة له، إمّا أن يحملها العقل، أو

---

(١) مختصر البصائر ص ١٠١.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠.

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٣.

(٤) من الغلو ما قاله أحمد بن يحيى البلاذري في المستعين:

ولو أن برد المصطفى إذ لبسته ... يظن لظن البرد أنك صاحبه

وقال وقد اعطيته ولبسته ... نعم هذه اعطافه ومناكبه

الآثار النبوية لاحمد تيمور باشا / ١٣.

لعدم القابلية لها، والعقل لا يمنع الكرم الالهي. كيف والجليل عزَّ لطفه يدرُّ النعم على المتمادين في الطغيان، المتمردين على قدس جلاله حتّى كأن المنّة لهم عليه! فلم يمنعه ذلك من الرحمة بهم والإحسان إليهم والتفضل عليهم، لا تنفذ خزائنه ولا يفوته من طلبه، وهذا من القضايا التي قياساتها معها.

وإذا كان حال المهيمن سبحانه كما وصفناه مع اولئك الطغاة، فكيف به عزَّ وجل مع مَن اشتقّهم من الحقيقة الأحمدية التي هي من (الشعاع الأقدس) جلَّ شأنه، فالتقى مبدأ فيّاض، وذوات قابلة للافاضة؟ فلا بدع في كل ما ورد في حقّهم عليهم السلام من علم الغيب، والوقوف على أعمال العباد، وما يحدث في البلدان ممّا كان ويكون.

فالغيب المدّعى فيهم عليهم السلام، غير المختص بالباري تعالى؛ ليستحيل في حقّهم عليهم السلام، فإنه فيه - تعالى شأنه - ذاتي، وأمّا في الأئمة عليهم السلام، فمجعول من الله سبحانه وتعالى. فبوساطة فيضه ولطفه، كانوا يتمكنون من استعلام خواص الطبائع والحوادث.

فاذاً الغيب على قسمين: منه ما هو عين واجب الوجود؛ بحيث لم يكن صادراً عن علّة غير ذات فاطر السماوات والأرضين، ومنه ما كان صادراً عن علّة، ومتوقفاً على وجود الفيض الالهي، وهو ما كان موجوداً في الأنبياء والاوصياء عليهم السلام. وإلى هذا الذي قررناه تنبّه العلامة الآلوسي المفسّر، فإنّه عند

قوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ﴾[١] قال: لعلّ الحقَّ أن يقال: إنّ علم الغيب للنفي عن غيره جلَّ وعلا هو ما كان للشخص بذاته، أي بلا وساطة في ثبوته له. وما وقع للخواصّ ليس من هذا العلم المنفي في شيء، وإنّما هو من الواجب عزّ وجلّ، إفاضة منه عليهم بوجه من الوجوه، فلا يقال: إنّهم علموا الغيب بذلك المعنى، فإنه كفر. بل يقال: إنّهم اظهروا واطّلعوا على الغيب[٢].

ويشهد له ما جاء عن أبي جعفر الجواد عليه السلام، فإنّه لمّا أخبر أُمَّ الفضل بنت المأمون بما فاجأها ممّا يعتري النساء عند العادة، قالت له: لا يعلم الغيب إلا الله، قال عليه السلام: «**وأنا أعلمه من علم الله تعالى**»[٣].

فالائمة عليهم السلام محتاجون في جميع الأوقات إلى الفضل الإلهي؛ بحيث لولا دوام الاتصال وتتابع الفيوضات، لنفد ما عندهم على حدٍّ تعبير الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فإنّه قال: «**لولا أنّا نزداد في كلّ ليلة جمعة، لنفد ما عندنا**»[٤].

ومراده: التعريف

بأنّ علمهم مجعول من الباري تعالى، وأنهم في حاجة إلى استمرار ذلك الفيض الأقدس، وتتابع الرحمات السبحانية.

---

(١) سورة النمل / ٦٥.
(٢) روح المعاني ٢٠ / ١١.
(٣) بحار الانوار ١٢ / ٢٩.
(٤) اصول الكافي على هامش مرآة العقول ١ / ١٨٥.

والتخصيص بليلة الجمعة، هو من جهة بركتها بنزول الألطاف الربانية فيها من أول الليل إلى آخره، على العكس من سائر الليالي. وإلى هذا يرجع قول الامام الرضا عليه السلام: «**يبسط لنا العلم فنعلم، ويقبض عنا فلا نعلم**»(١).

وهل يشك مَن يقرأ في سورة الجن: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾(٢) إن من كان من ربّه قاب قوسين أو أدنى، هو خاتم الأنبياء، الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله؛ لأنه لم يفضّله أحد من الخلق. وكان الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام يقول: «**كان والله محمّد ممن ارتضاه**»(٣)، ولم يبعد الله الخلفاء عن هذه المنزلة بعد اشتقاقهم من النور المحمدي، ويشهد له جواب الرضا عليه السلام لعمرو بن هداب، فإنه لمّا نفى عن الأئمة عليهم السلام علم الغيب محتجاً بهذه الآية، قال له: «**إنّ رسول الله هو المرتضى عند الله، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على غيبه، فعلمنا ما كان ويكون إلى يوم القيامة**»(٤). وكيف لا يكون حبيب الله هو ذلك الرسول المرتضى، وقد شرّفه الباري سبحانه وتعالى بمخاطبته إياه بلا وسيط ملك؟!.

---

(١) مختصر البصائر ص ٦٣.

(٢) سورة الجن الآية ٢٦ - ٢٧.

(٣) بحار الانوار ١٥ / ٧٤، وتحدث عن هذه الآية ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٢٨٤ (كتاب التوحيد).

(٤) بحار الانوار ١٢ / ٢٢ باب وروده البصرة، وكذلك في ١٥ / ٧٤.

روي عن زرارة بن أعين، أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الغشية التي كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله، أهي عند الوحي؟. قال عليه السلام: «**لا، فإنها تعتريه عند مخاطبته الله عزَّ وجل إياه بلا وساطة أحد، وأمّا جبرئيل، فإنه لم يدخل عليه إلا مستأذناً، فاذا دخل، جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله جِلسة العبد**»[١]. واذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله على حال لا ينبغي أن يؤذن له، أقام في مكانه إلى أن يخرج الإذن، والمكان الذي يقف فيه حيال الميزاب[٢].

وقد اذعن بالوحي بلا وساطة ملك: برهان الدين الحلبي[٣]، والسهيلي[٤]، وابن سيد الناس[٥]، والسيوطي[٦]، والزرقاني[٧].

وعلى طبق هذه الأحاديث المعربة عن مقام الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله من المولى تعالت آلاؤه؛ سجل الشيخ الصدوق اعتقاده في الوحي والغشية[٨]، كما لم عنه الشيخ المفيد فيقول: الوحي، منه ما يسمعه النبي صلى الله عليه وآله من غير وساطة، ومنه

---

(١) التوحيد للصدوق ص ١٠٢ باب نفي الرؤية، وعلل الشرائع ص ١٤ باب ٧، وعلم اليقين للفيض الكاشاني ص ٨٦.
(٢) بحار الانوار ١١ / ٢١٦ باب احوال أصحاب الصادق عليه السلام.
(٣) السيرة الحلبية ١ / ٢٩٤ باب بدء الوحي.
(٤) الروض الأُنف ١ / ١٥٤.
(٥) عيون الاثر ١ / ٩٠.
(٦) الخصائص الكبرى ٢ / ١٩٣.
(٧) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١ / ٢٢١ ط ١.
(٨) الاعتقادات للصدوق (ملحق بالباب الحادي عشر للعلامة).

ما يسمعه بوساطة الملائكة[١]. واقتص أثره الحجة الشيخ محمّد تقي الاصفهاني، المعروف بـ (آقا نجفي)، مع زيادة علم النبي ﷺ بالقرآن، وبما حواه من المعارف والفنون، وما اشتمل عليه من أسرار الطبائع وخواص الأشياء قبل أن يوحى به إليه، غاية الأمر عرّفه المولى جلَّ شأنه ألا يفيض هذا العلم قبل أن يوحي به إليه، فقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[٢]، ولولا وقوف النبي ﷺ على ما حواه الكتاب المجيد من الأسرار والمعارف، لما كان للنهي عن بيان ما فيه معنى. فظهر أن علم النبي ﷺ بالحوادث الكائنة والتي كانت وتكون، لم يتوقف على نزول جبرئيل عليه؛ لأن المنحة الالهية المباركة أوقفته على جمع الحقائق قبل خلق جبرئيل.

ومن هنا تتجلى ظاهرة أُخرى لم يدركها من لم يفقه ما تحلّت به هذه الشخصيات من مراتب الجلال والجمال؛ وهي معرفة الرسول الاعظم بالقراءة والكتابة على اختلاف انحاء اللغات،.وتباين الخطوط قبل البعثة وبعدها؛ لبلوغه اسمى درجات الكمال، فلا تفوته هذه الصفة، مع أن اللازم من عدم معرفته بها؛ رجوعه إلى غيره فيما يحتاج اليه من كتابة وقراءة، فيكون مفضولاً بالنسبة اليه، مع أنه الفاضل في المحامد كلها. وبهذا الذي قلناه اذعن المحققون من الاعلام[٣]

---

(١) شرح الاعتقادات / ٢١١ ملحق بمقالات المفيد ط طهران.

(٢) سورة طه / ١١٤، العنايات الرضوية / ٥١.

(٣) نص عليه الشيخ المفيد في المقالات / ١٢٣، والشيخ الطوسي في التبيان ٢ / ٤٢٣، ←

وآية ﴿لاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾[1] لا تنفي معرفته بالكتابة على اطوارها، فإنها غاية ما تثبته عدم كتابته صلى الله عليه وآله، ولا ربط لها بعدم المعرفة للكتابة، فهو صلى الله عليه وآله عارف بالكتابة ولكنه لم يكتب، والعلة في نفي كتابته؛ ارتياب المبطلين كما صرح به القرآن.

والمتحصل مما قررناه: إنّ الله عزَّ وجل منح الائمة من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله جميع ما حبا به جدَّهم الاقدس، من المآثر والفضائل عدا النبوة والازواج؛ لأنه صلوات الله عليه وعلى آله خاتم الأنبياء، وقد اختص في التزويج دائماً بأكثر من أربعة.

والمبسوط، وهو ظاهر كلام الشهيد الأول في غاية المراد، والعلامة في التحرير والقواعد، والسيد المجاهد في المناهل، وصرّح به ابن شهر اشوب في المناقب ١ / ١٦١، والمجلسي في مرآة العقول ١ / ١٤٧، والسيد في الرياض، والفاضل الهندي في كشف اللثام، والمقداد في التنقيح، والحاج ملا علي الكَّني في القضاء، وعبارة السرائر مشعرة بدعوى الاجماع عليه وقد تعرضوا لذلك في مسألة كتابة القاضي من كتاب القضاء. وبه صرح الشهاب الخفاجي في شرح الشفا ٢ / ٣٩٨ في فصل اسمائه من الباب الثالث، وفي ص٥١٤ فصل إعجازه، وفي روح المعاني للالوسي ٢١ / ٤ عند قوله: (ولا تخطه بيمينك)، ذكر جماعة قالوا بمعرفته الكتابة ثم نقل عن صحيح البخاري: انه صلى الله عليه وآله كتب عهد الصلح. وحمل الاستاذ عبد العظيم الزرقاني في مناهل العرفان / ٢٦٠ الاخبار النافية على أوليّات امره، والمثبتة للكتابة على أُخريات امره، وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ٢٤٩ كتب أبو الوليد الباجي رسالة في كتابة النبي صلى الله عليه وآله، وانتصر له أحمد بن محمّد اللخمي وسجعفر بن عبد الجبار مع جماعة آخرين.

(١) سورة العنكبوت / ٨٤.

ومن لم يعرف المراد من علم الغيب المدّعى لهؤلاء الأفذاذ، استعظمه فأنكره. وحَكم من لا يفقه الشرع والشريعة بكفر معتقِده!.

حدّث الشيخ زاده الحنفي: أن قاسم الصفار أفتى بكفر من تزوج على شهادة الله تعالى ورسول الله ﷺ، مدّعياً بأنه يقتضي اعتقاده في علم النبي بالغيب! ولكن صاحب التتارخانية نفى الكفر عنه؛ لأنَّ بعض الاشياء تعرض على روح النبي ﷺ الطاهرة فيعرف بعض الغيب، وقد قال الله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾[1]، وكلاهما لم يفقها معنى الغيب المراد اثباته، ولا ادركا كنه خاتم الأنبياء ﷺ، فقالا بما شاء لهما إدراكهما.

وبعد أن أوضحنا المراد منه، لم يبقَ للقارئ النابه مجال التردد والتشكيك. نعم، لا يُنكر أن للباري سبحانه علماً استأثر به خاصة، ولم يطلع عليه أحداً ومنه العلم بالساعة.

وأمّا ما ورد عنهم عليهم السلام من نفي علمهم بالغيب، كقول أبي عبد الله عليه السلام: «**يا عجباً لأقوام يزعمون إنّا نعلم الغيب! ما يعلم الغيب إلا الله. لقد هممت بضرب جاريتي فهربت مني، ماعلمت في أي بيوت الدار**»[2]، فمحمول على التقية؛ لحضور المجلس داود الرّقي ويحيى البزّاز وأبي بصير، ولم تكن لهم قابلية تحمل غامض علم أهل البيت عليهم السلام، فأراد أبو عبد الله بنفي علم الغيب عنهم؛ تثبيتاً

---

(١) سورة الجن / ٢٦ و ٢٧، مجمع الانهر ١ / ٣٢٠ في الفقه الحنفي.

(٢) بصائر الدرجات ص ٥٧، ٦٢، واصول الكافي على هامش مرآة العقول ١ / ١٨٦.

لعقيدة هؤلاء. ويؤيده أن سديراً الراوي لهذا الحديث، دخل عليه في وقت آخر، وذكر له استغراب ما سمعه منه من نفي علم الغيب، فطمأنه بأنه يعلم ما هو ارقى من ذلك، وهو العلم بالكتاب كلِّه وما حواه من فنون المعارف وأسرارها، على أن هذا الحديث لم يعبأ به المجلسي في مرآة العقول لجهالة رواته. ويحتمل أن يريد بنفي العلم بمكان الجارية، الرؤية البصرية لا الانكشاف الواقعي. فقوله عليه السلام: «**ما علمت**»، أي ما رأيتها بعيني في أي بيت دخلت، وإلا فمن يقول في صفة علمه: «**لم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني**» لا يخفى عليه أمر الجارية!.

ولما طرق (مبشر) الباب على الباقر عليه السلام وخرجت الجارية تفتحه، قبض على كفها، فصاح به أبو جعفر عليه السلام من داخل الدار: «**ادخل، لا أبا لك**»، فدخل مبشر معتذراً بأنه لم يرد السوء، وإنما أراد الازدياد، فقال له الامام عليه السلام: «**لو كانت الجدران تحجبنا كما تحجبكم، لكنّا وانتم سواء**»[1]. وقال الامام عليه السلام لمحمد بن مسلم: «**لو لم نعلم ما انتم فيه وعليه، ما كان لنا على الناس فضل**»، ثم استدل عليه بما وقع في الرَّبَذة بينه وبين زميله في أمر الإمامة[2].

وأمّا الحكاية عن النبي صلى الله عليه وآله: ﴿**لَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ**﴾[3]، فلا تفيد إلا كونه مفتقراً إلى الله تعالى في التعليم، وأنه لم يكن عالماً

---

(١) مناقب آل ابي طالب ٢ / ٢٧٤، وبحار الانوار ١١ / ٧٠ عن أبي الصباح الكناني.
(٢) بحار الانوار ١١ / ٧٢ عن الخرائج.
(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٨.

بالغيب من تلقاء نفسه. وهذا لا ريب فيه، فإنّ المعتقَد: إنّ الله تعالى هو المتلطّف على النبيّ وأبنائه عليهم السلام بالملكة القدسيّة، التي تمكّنوا بواسطتها من استكشاف ما في الكون[1].

وسؤال الامام الصادق عليه السلام عن وجود العين عليهم يوم كان في الحجر ومعه أصحابه، فعرّفوه بعدم العين، فقال: «**ورب هذه البنية - ثلاثاً - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولانبأتهما بما ليس في ايديهما. أنهما أُعطيا علم ما كان ويكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله** صلى الله عليه وآله»[2]. فبعد التسليم بصحة الحديث، وعدم ضعف إبراهيم بن إسحاق الأحمر، نقول: بعدم منافاته لعلمه الواسع؛ لما ورد عنهم أنهم غير مكلفين باظهار ما يعلمونه، بل لابد من العمل بما توجبه التقية ظاهراً. أو لأنه كان يراعي حال بعض أصحابه في ظنّه بوجود العين عليهم، وهذا نظير قوله الآخر: «**إني أعلم ما في السموات والأرضين، وأعلم ما في الجنة والنار، وأعلم ما كان ويكون**»، فلمّا رأى عظم ذلك وخاف على من عنده، قال عليه السلام: «**إني علمت ذلك من كتاب الله، إنّ الله تعالى يقول**: (فيه تبيان كل شيء)»[3]، فالإمام عليه السلام راعى حال أصحابه،

---

(١) في شرح الشفا للخفاجي ٢ / ١٥٠: إنّ المنفي في الآيات هو اطّلاعه على الغيب من غير وساطة، وأمّا علمه بالغيب بإعلام الله تعالى له، فثابت ومتحقق؛ لقوله تعالى: ﴿**فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾.

(٢) أُصول الكافي (في هامش مرآة العقول) ١ / ١٨٩.

(٣) المصدر نفسه ١ / ١٩٠.

فاستدل لهم بما يقنعهم.

وهكذا الأئمة عليهم السلام فيما يعلمونه من المصالح الوقتية، والأحوال الشخصيّة. وقوله عليه السلام في حقِّ موسى والخضر عليهما السلام: «**أنهما أُعطيا علم ما كان**» لا ينافي علم الخضر بمستقبل أمر الغلام، فإنه من القضايا التي أطلعه الله عليها لمصلحة وقتية. وأمّا ما ورد عنهم عليهم السلام: «**إنّ الإمام أذا أراد أن يعلم شيئاً، أعلمه الله**»[1]، فليس فيه دلالة على تحديد علمهم في وقت خاص؛ بل الحديث يدل على أن إعمال تلك القوة القدسية، الثابتة لديهم عند الولادة موقوف على إرادتهم المتوقفة على وجود المصلحة في إبراز الحقائق المستورة، وإظهار ما عندهم من مكنون العلم. على أن هذا المضمون ورد في أحاديث ثلاثة ردّها المجلسي في مرآة العقول بضعف بعضها، وجهالة الآخرين.

فالمتحصّل من جميع ما ذكرناه: إنَّ الله تعالى أفاض على خلفائه الأطهار ملكة نوريّة، تمكّنوا بوساطتها من استعلام ما يقع من الحوادث، وما في الكائنات من خواص الطبائع، وأسرار الموجودات، وما يحدث في الكون من خير وشر. ولا غلوّ فيه بعد قابلية ذواتهم لهذا الفيض الأقدس، وعدم الشّح في عطاء الربِّ سبحانه؛ فإنه يهب ما يشاء لمن يشاء. وصارح الأئمة عليهم السلام بهذه الحبوة الإلهية، وأنهم في جميع الآنات محتاجون إلى تتابع الآلاء منه جلَّ شأنه، ولولاها لنفد ما

---

(١) المصدر نفسه ١ / ١٨٧.

عندهم من مواد العلم. وهذا غير بعيد فيمن تجرد لطاعة الله تعالى، وعُجنت طينته بماء النزاهة من الأولياء والصديقين، فضلاً عمّن قيّضهم الباري تعالى أُمناء شرعه. وقد صادق على ذلك المحققون من الأعلام، كما حكاه الشيخ المفيد في المقالات ص ٧٧، والمجلسي- في مرآة العقول ج ١ ص ١٨٧، ومشى على ضوئهم المحقق الآشتياني في حاشيته على رسائل الشيخ الأنصاري ج ٢ ص ٦٠.

وقال ابن حجر الهيثمي: لا منافاة بين قوله تعالى: ﴿**قُل لا يَعلمُ مَن فِي السَّمواتِ وَالارضِ الغَيبَ إلا اللهُ**﴾[1]، وقوله: ﴿**عالِمُ الغَيبِ فلا يُظهِرُ على غَيبِهِ أَحدا**﴾[2]، وبين علم الأنبياء والاولياء بجزئيات من الغيب، فإنّ علمهم: إنما هو بإعلام من الله تعالى، وهذا غير علمه الذي تفرد به تعالى شأنه من صفاته القديمة الأزلية، الدائمة الأبدية، المنزّهة عن التغيير، وهذا العلم الذاتي هو الذي تمدّح به، وأخبر في الآيتين بأنه لا يشاركه أحدٌ فيه. وأمّا مَن سواه، فإنما يعلم بجزئيات الغيب، فبإعلامه تعالى وإعلامه للأنبياء والأولياء ببعض الغيوب، ممكن لا يستلزم محالاً بوجه، فإنكار وقوعه عناد. ومن البداهة أنه لا يؤدي إلى مشاركتهم له تعالى فيما تفرد به من العلم الذي تمدّح به، واتصف به من الأزل، وعلى هذا مشى النووي في فتاواه[3].

---

(١) سورة النمل / ٦٥.

(٢) سورة الجن / ٢٦.

(٣) الفتاوى الحديثة / ٢٢٢.

فاتضح بهذا البيان، أن ابن حجر لم يتباعد عن القول بعلم الأولياء بالغيب، وإنما لم يوافق الشيعة على ما يعتقدونه في أئمتهم عليهم السلام من قدرتهم على العلم بالحوادث الكائنة، والتي تكون إلى يوم القيامة؛ لاعتقاده أن هذه السعة مختصة بالباري جلَّ شأنه. ولكن الملاك الذي قرره لمعرفة الأولياء ببعض الغيب - وهو تمكين المولى سبحانه لهم من الوقوف على الغيب - يقيّد ما تعتقده الشيعة، فإن الميزان للوقوف على المغيّبات إذا كان بإقدار الله تعالى، وجعله الملكة النورية في هذه الذوات الخاصة من آل الرسول صلى الله عليه وآله، فمن الممكن أن تكون تلك القوة بالغة اقصى مداها، فلا يتوقف من أُفيضت عليه عن جميع المغيبات حتّى كأن الأشياء كلَّها حاضرة لديه على حدٍّ تعبير الإمام الصادق عليه السلام، اللهم إلا الأشياء التي استأثر بها الله تعالى وحده، فلا وقوف لأحد عليها مهما ترقّى إلى فوق ذروة الكمال.

وعلى هذا الذي قرره ابن حجر سجّل اعتقاده النيسابوري صاحب التفسير فقال: إن امتناع الكرامة من الأولياء، إمّا لأن الله ليس أهلاً لأن يعطي المؤمن ما يريد، وإمّا لأن المؤمن ليس أهلاً لذلك، وكل منهما بعيد. فإن توفيق المؤمن لمعرفته لمن أشرف المواهب منه تعالى لعبده، فاذا لم يبخل الفيّاض بالأشرف، فلأن لا يبخل بالدون أولى[1]. وقال ابن أبي الحديد: إنا لا ننكر أن يكون في نوع من البشر أشخاص يخبرون عن الغيوب، وكلّه مستند إلى الباري جلَّ شأنه

---

(١) النور السافر في أعيان القرن العاشر / ٨٥ لعبد القادر العيدروسي.

بإقداره، وتمكينه، وتهيئة أسبابه[١]. وقال لا منافاة بين قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[٢]، وبين علمه صلى الله عليه وآله بفتح مكة، وما سيكون من قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فإن الآية غاية ما تدل عليه: هو نفي العلم بما يكون في الغد. وأمّا إذا كان بإعلام الله عز وجل، فلا؛ لأنه يجوز أن يُعلم الله نبيه بما يكون[٣].

آية التهلكة

ممّا قررناه تجلّى لنا: أنه لم يعزب عن الأئمة عليهم السلام العلم بالشهادة على يد من تكون، وفي أي وقت تقع، وفي أي شيء؛ إقداراً من الله تعالى لهم بما أودعه فيهم من مواد العلم التي بها استكشفوا الحوادث، مضافاً إلى ما يقرؤونه في الصحيفة النازلة من السماء على جدّهم المنقذ الاكبر صلى الله عليه وآله.

وليس في إقدامهم على الشهادة إعانة على إزهاق نفوسهم القدسيّة، وإلقاؤها في التهلكة الممنوع منها بنص الذكر المجيد، فإنّ الإبقاء على النفس، والحذر عن إيرادها مورد الهلكة، إنّما يجب إذا كان مقدوراً لصاحبها، أو لم يقابل بمصلحة

---

(١) شرح نهج البلاغة ١ / ٤٢٧ ط ١ مصر.
(٢) سورة لقمان / ٣٤.
(٣) المصدر نفسه ٢ / ٣٦٢.

أهم من حفظها، وأمّا إذا وجدت هنالك مصلحة تكافئ تعريض النفس للهلاك - كما في الجهاد، والدفاع عن النفس مع العلم بتسرب القتل إلى شرذمة من المجاهدين، وقد أمر الله الأنبياء والمرسلين والمؤمنين فمشوا إليه قدماً، موطّنين أنفسهم على القتل، وكم فيهم سعداء، وكم من نبي قتل في سبيل دعوته، ولم يبارح قوله دعوته حتّى أزهقت نفسه الطاهرة. وقد تعبّد الله طائفة من بني اسرائيل بقتل أنفسهم، فقال جلّ شأنه: ﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾[1]. على أن الاقتصار على ما يقتضيه السياق يخرج الآية عمّا نحن فيه من ورودها للتحذير عمّا فيه الهلكة، فإنها أعقبت آية الاعتداء في الأشهر الحُرم على المسلمين. قال الله تعالى ﴿**الشَّهرُ الحرامُ بالشَّهرِ الحَرامِ وَالحُرُمَاتُ قِصاصٌ فمَنِ اعتدَى عَليكُمْ فاعتدوا عَليه بمثلِ ما اعتدَى عَليكُمْ وَاتَّقوا اللهّ واعلموا أَنَّ اللهّ مَع المُتَّقِينَ وأَنفقُوا في سبيلِ اللهّ ولا تُلقُوا بأَيديكُمْ إلى التَّهلُكَة وأَحسِنُوَا إِنَّ اللهّ**

---

(١) البقرة الآية ٥٤، ذكر المفسرون: إن عَبَدة العجل من بني إسرائيل لمّا ندموا على ما فرّطوا في جنب الله تعالى؛ أعلمهم موسى عليه السلام بما أوحى إليه من توقف قبول توبتهم على الإغتسال، ولبس الأكفان، والقيام صَفّين، ثم يهجم عليهم هارون ومعه مَن لم يعبد العجل، ويضعون السيوف فيهم. ولمّا نظر الرجل إلى ولده وأخيه وأبيه وحميمه، لم تطاوعه نفسه على القتل، وكلّموا موسى عليه السلام في ذلك، فناجى ربه سبحانه وتعالى في ذلك، فعرفه المولى بأنه سيرسل ظلمة لا يبصر الرجل جليسه، وأمر عَبَدة العجل بالجلوس في فناء بيوتهم، محتبين لا يتّقون بيد ولا رجل، ولا يرفعون طرفاً، ولا يحلّون حبوة! وعلامة الرضا عنهم، كشف الظلمة، وسقوط السيوف؛ فعندها يغفر الله لمن قُتل، ويقبل توبة مَن بقي. ففعل هارون بهم حتّى قُتِل سبعون ألفاً.

يُحبُّ المُحسنين﴾[١]. فيكون النهي عن الإلقاء في التهلكة خاصاً بما إذا اعتدى المشركون على المسلمين في الأشهر الحرم، ولم تكن للمسلمين قوة على مقاتلتهم. والألتزام بعموم النهي لكل ما فيه هلكة، لا يجعل حرمة إيراد النفس مورد الهلكة من المستقلات العقلية التي لا تقبل التخصيص، بل هي من الأحكام المختصة بما إذا لم توجد مصلحة أقوى من مفسدة الإقدام على التلف، ومع وجود المصلحة اللازمة لا يتأتّى الحكم بالحرمة أصلاً، كما في الدفاع عن بيضة الإسلام.

وقد أثنى سبحانه وتعالى على المؤمنين في إقدامهم على القتل، والمجاهدة في سبيل تأييد الدعوة الإلهية، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اشترَى منَ المُؤمنينَ أَنفُسَهُمْ وأَموالَهُمْ بأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلُونَ في سبيلِ اللهِ فَيَقتُلُونَ ويُقتَلُون**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**ولا تَحسَبنَّ الَّذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ اللهِ أَمواتاً بَلْ أَحياء عندَ ربِّهِمْ يُرزقُون**﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿**ومِنَ النَّاسِ مَن يَشرِي نَفسَهُ ابتِغَاء مَرضَاتِ اللهِ**﴾[٤]. وبمثل هذا صارح الرسول ﷺ في تعاليمه الثمينة أُمته، فقال ﷺ: «**أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل تكلم بكلمة حقٍّ عند سلطان جائر فقتله**»[٥].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٤ - ١٩٥.
(٢) سورة التوبة الآية ١١١.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٩.
(٤) سورة البقرة / آية ٢٠٧.
(٥) أحكام القرآن للجصاص ١ / ٣٠٩، آية التهلكة.

ولم يتباعد عن هذه التعاليم محمّد بن الحسن الشيباني، فينفي البأس عن رجل يحمل على الألف مع النجاة او النكاية، ثم قال: ولا بأس بمن يفقد النجاة أو النكاية إذا كان إقدامه على الألف مما يرهب العدو، ويقلق الجيش، معللاً: بأن هذا الأقدام أفضل من النكاية؛ لأن فيه منفعةً للمسلمين[١].

ويقول ابن العربي المالكي: جوّز بعض العلماء أن يحمل الرجل على الجيش العظيم طالباً للشهادة، ولا يكون هذا من الإلقاء بالتهلكة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿مَن يَشرِي نَفسَهُ ابتِغَاء مَرضَاتِ اللهِ﴾، خصوصاً إذا أوجب الأقدام، تأكد عزم المسلمين حين يرون واحداً منهم قابلَ الألُوف[٢].

لقد اختص الله سبحانه أُمناء شرعه، والخلفاء على الأُمّة من أبناء نبيه الكريم صلى الله عليه وآله بأحكام ناشئة عن مصالح خاصة بهم، لا تدرك أكثرهم أحلام البشر، وتنحسر عن كنهها العقول. وفي جملتها، الزامهم بالتضحية في سبيل مرضاته عزّ وجل، وبذل كل ما يحوونه من مال وجاه وحرمات، فتراهم في أعماق السجون طوراً، وفي خلل المنفى تارة، وفي ربقة التسفير آونة، وفي مقاساة الخوف والشدائد ردحاً، والاصاخة إلى قوارص الكلم أُويقات حتّى شارفوا مناياهم. والمسوغ لهم في كل ذلك، ما علموه من جدّهم الأعظم صلى الله عليه وآله، المخبر عن وحي السماء من المزايا والمصالح التي تحفظ بها الجامعة الإسلامية، بحيث لولا التوطين على هذا الإقدام لذهب الدين إدراج المنكرات والأضاليل، ولا سبيل

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الاحكام لابن العربي ١ / ٤٩، آية التهلكة، ط ١ سنة ١٣٣١هـ.

إلى معارضتهم فيما اطلعهم الله عليه من السر المكنون، وعرفهم تلك الأهمية الملحوظة لديه عزّ شأنه، على اختلاف فيهم. فمنهم من أمره بالصبر دون الحرب والجهاد، ومنهم من أمره بالقتل، ومنهم من أمره بتناول السمّ، وكان السرُّ في هذا الإختلاف في التكليف ما يراه المولى سبحانه من المصالح، حسب الوقت والزمان.

فلم يكن إقدامهم على القتل، وتناول السمِّ جهلاً منهم بما صنعه سلطان الجور وقدّمه إليهم، بل هم على يقين من ذلك، فلم يَفُتهم العلم بالقاتل، وما يُقتلون به، واليوم والساعة؛ طاعة منهم لامر بارئهم تعالى، وانقياداً للحكم الإلهي الخاص بهم. وليسوا في هذا الحال إلا كحالهم في أمتثال جميع أوامر المولى سبحانه وتعالى، الموجهة إليهم من واجبات ومستحبات، والعقل حاكم بلزوم انقياد العبيد لأوامر المولى، والإنزجار عن نهيه من دون إلزامٍ بمعرفة المصلحة، أو المفسدة الباعثة على الحكم. وأمّا إذا كان المولى حكيماً في أفعاله ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[1]، فبالأحرى يكون الخضوع له من دون فحص عن أسباب أحكامه.

والى هذا الذي ارتأيناه، نظر المحققون من العلماء الاعلام، وإن خبط الباحثون في قضية إقدام أهل البيت عليهم السلام على ما فيه من إزهاق نفوسهم المقدسة؛ فأخذوا ذات اليمين والشمال، فلم يأتوا بما فيه نجعة المرتاد، ولا نهلة الصادي؛

---

(١) سورة الانبياء / ٢٣.

لكونها تخيلات لا تتفق مع القواعد والطريقة المثلى.

لقد دلت الأحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام على أنهم إذا عرفوا من أعدائهم العزم على الفتك بهم، أو اشتد عليهم ألم القيود، ووضح لديهم تأخُر القضاء، عملوا كلَّ وسيلة من دعاء غير مردود، أو شكوى إلى جدِّهم النبي صلى الله عليه وآله؛ ليدفع عنهم هذه الأضرار والحوادث. فيقول أبو جعفر الباقر عليه السلام: «**نحن أهل بيت، إذا أكرَبَنَا أمرٌ، وتخوّفنا من شرِّ السلطان، قلنا: يا كائناً قبل كلِّ شيء، ويا ملكوت كلِّ شيء، صل على محمّد وأهل بيته وافعل بي كذا وكذا**»(١).

ولما احتدم المنصور على أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وعزم على الفتك به، دعا ربه تعالى أن يفرج عنه؛ فانجلت بسببه غمائم الفتك به حتّى إذا وقع نظره على الصادق عليه السلام، قام إليه فرحاً مستبشراً وعانقه. وكان المنصور يحدّث بعد ذلك عن سبب نقض عزمه: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تمثّل له باسطاً كفّيه، حاسراً عن ذراعيه، وقد عبس وقطب حتّى حال بينه وبين الإمام عليه السلام، مشيراً إليه أن لو أساء إلى أبي عبد الله عليه السلام أهلكه. فلم ير المنصور بدّاً من العفو والإكبار لجلال الإمامة. ثم سيّره إلى مدينة جدّه صلى الله عليه وآله مبجّلا(٢).

ولما طال الحبس بموسى بن جعفر عليه السلام، وضاق صدره ممّا كان يلاقيه، توسل إلى الله تعالى في الخلاص منه، وقال في دعائه: «**يا مخلّص الشجر من بين رمل**

---

(١) مهج الدعوات لابن طاووس / ٣٦٥، طبعة بمبي.
(٢) مهج الدعوات / ٢٩٩.

وماء، ويا مخلّص اللبن من بين فرث ودم، ويا مخلّص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مخلّص النار من بين الحديد والحجر، ويا مخلّص الروح من بين الأحشاء والأمعاء، خلِّصني من يد هارون»[١]، فنجا ببركة هذا الدعا من ظلمات الحبس وألم القيود.

ولمّا قدَّم إليه الرشيد الرُّطب المسموم، إنتقى غير المسموم فأكله وألقى المسموم إلى كلبة الرشيد فماتت[٢]. ولم يقصد بقتلها إلا إعلام الطاغية بأن ما يدور في خلده من اغتياله، والفتك به في هذا الحين لم يقرب وقته. ولذا لما دنا الأجل، ودعاه الله تعالى إليه أكل الرطب المسموم الذي قدّمه إليه الرشيد مع العلم به، ورفع يديه بالدعاء قائلاً: «يا ربّ، إنك تعلم أني لو أكلت قبل اليوم لكنت قد أعنت على نفسي»، فأكل منه وجرى القضاء[٣].

وعلى هذا الأساس يأمر الإمام أبو الحسن علي الهادي عليه السلام أبا هاشم الجعفري أن يبعث رجلاً إلى (الحائر الحسيني) الأطهر؛ يدعو له بالشفاء مما نزل به من المرض، وعلّله: بأن الله تعالى أحب أن يُدعى في هذا المكان[٤]. فإنَّ غرضه، التعريف بأنه لم يجب في شريعة التكوين إلا جري الأُمور على مجاريها العادية

---

(١) أمالي الصدوق / ٢٢٧ المجلس الستّون.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ٩٤، ط بيروت / ١٩٨٤.

(٣) مرآة العقول ١ / ١٨٨، وروضة الواعظين / ١٨٥.

(٤) كامل الزيارات / ٢٢٣.

وأسبابها الطبيعية، أو إنه أراد التنبيه على فوائد الابتهال إلى الله حينما تتوارد الكوارث على العبد، وتحيط به المحن. كما يرشد إليه احتفاظ الربيع - مولى المنصور الدوانيقي - بالكنز المذخور، الذي دعا به الإمام الصادق عليه السلام يوم دخل على المنصور وقد سخط عليه وأراد التنكيل به، فشاهد الربيع احتفاء المنصور بالإمام وتكريمه[١].

وعلى هذا كان الإمام المجتبى، الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام يستشفي بتربة جدّه تارة، ويعمل بقول الطبيب أُخرى، ويأخذ بقول أهل التجربة ثالثة[٢]، مع علمه بأن ذلك المرض لا يقضي عليه، وللأجل حدٌّ معلوم. ولكنه أراد إرشاد الناس إلى أن مكافحة العلل تكون بالأسباب العادية، فلا غناء عنها حتّى يساير هذه الاسباب. لكنه لمّا حان الأجل المحتوم، لم يعمل شيئاً؛ تسليماً للقضاء، وذلك عندما قدّمت إليه جعدة بنت الأشعث اللبن المسموم، وكان الوقت حاراً، والحسن صائماً[٣]، فرفع رأسه إلى السماء قائلاً: «**إنا لله وإنا إليه راجعون. الحمد لله على لقاء محمّد سيّد المرسلين، وأبي سيّد الوصيين، وأُمّي سيّدة نساء العالمين، وعمّي جعفر الطيار في الجنة، وحمزة سيّد الشهداء**»[٤] ثم شرب اللبن

---

(١) مهج الدعوات.

(٢) الكامل للبهائي / ٤٥٣ - ٤٥٦ بالفارسيّة، ومؤلّفه هو الحسن بن علي بن محمّد الطبري المازندراني، عالم جليل في الطائفة، من علماء القرن السابع الهجري.

(٣) الخرائج / ٢٢ ط الهند.

(٤) بحار الأنوار ١٠ / ١٣٣ عن عيون المعجزات.

وقال لها: «**لقد غرّكِ، وسخر منكِ، فالله يخزيك ويخزيه**»[١] وهي تضطرب كالسعفة.

وقد أعلم الرضا عليه السلام أصحابه بأنّ منيّته تكون على يد المأمون، ولابدّ من الصبر حتّى يبلغ الكتاب أجله[٢]. وقال أبو جعفر الجواد عليه السلام لاسماعيل بن مهران لمّا رآه قلقاً من إشخاص المأمون له: «إنّه لمْ يكن صاحبي، وسأعود من هذه السفرة»، ولمّا أشخصه المرّة الثانية، قال عليه السلام لاسماعيل بن مهران: «**في هذه الدفعة يجري القضاء المحتوم**»، وأمره بالرجوع إلى ابنه الهادي، فإنّه إمام الأُمّة بعده[٣].

ولمّا دفعت إليه أُمّ الفضل المنديل المسموم، لم يمتنع من استعماله؛ تسليماً للقضاء، وطاعة لأمر المولى سبحانه، نعم قال لها: «**إبتلاك الله بعقر لا ينجبر، وبلاء لا ينستر**»، فاصيبت بعلة في أغمض الجوارح من بدنها.

وإخبار أمير المؤمنين عليه السلام بأنّ ابن ملجم قاتله، لم يختلف فيه اثنان. ولما أتى ابن ملجم يبايع أمير المؤمنين، وولّى، قال عليه السلام: «**مَن أراد أن ينظر إلى قاتلي، فلينظر إلى هذا**»، فقيل له: ألا تقتله؟ قال: «**وآعجبا! تريدون أن اقتل قاتلي**»[٤]، يشير بذلك

---

(١) الارشاد للمفيد والخرائج.

(٢) كتابنا في الإمام الرضا ص٤٥.

(٣) الارشاد، وإعلام الورى / ٢٠٥.

(٤) بصائر الدرجات للصفار ص ٣٤، ورسالة ابن بدرون ص ١٥٦، شرح قصيدة ابن ←

إلى: أنّ قتله - لمّا كان أمراً مبرماً، وقضاء محتوماً، وأنّ قاتله ابن ملجم - قضاءٌ لا خلف فيه، فكيف يقدر أن ينقض الإرادة الإلهية، ويحلّ ما أُبرم من التقدير؟!.

وإلى هذا يشير الصادق عليه السلام بقوله لعقبة الاسدي: «**لو أن الأئمة (عليهم السلام) ألحّوا على الله في هلاك الطواغيت؛ لأجابهم سبحانه وتعالى، وكان عليه أهونَ من سلكٍ فيه خرزٌ إنقطع فذهب، ولكن لا نريد غير ما أراده الله تعالى**»[1].

الخلاصة:

لقد ارتفع بتلك البراهين القويمة، الستر المرخى على الحقيقة، فظهرت بأجلى مظاهرها، وبرزت للباحث النيقد، محفوفة بصدق ويقين، فهو اذاً جدٌّ عليم بأن أئمة الهدى كانوا على علم بمجاري القدر النازل، والقضاء الذي لا يُرد بما انتابهم من الكوارث؛ لإنهم قيد إشارة المولى الجليل عز شأنه، بكل ما يستقبلهم من سرّاء وضرّاء. ولم يبارحهم هذا العلم المفاض عليهم من (مبدأ الوجود) جلّت آلاؤه أولاً، وإعلام النبي صلى الله عليه وآله به ثانياً، ووقوفهم على (الصحيفة النازلة) على جدّهم ثالثاً. وحيث إن الله تعالى أعدّ لهم منازل، وشرفاً خالداً لا ينالونه إلا بالشهادة، وازهاق تلك النفوس المقدسة؛ لذلك ضحوا بحياتهم الثمينة، بخوعاً لأمر الله تعالى، وجرياً مع المصالح الواقعية التي لا تدركها أحلام البشر، ولا

عبدون.

(١) أصول الكافي - باب إن الأئمة يعلمون متى يموتون، والخرايج ص ١٤٣ ط الهند.

يعرف دقيقها غير علام الغيوب. ولا يلزمنا معرفة وجه الصلاح والفساد في جميع التكاليف الشرعية، وانما الذي يوجبه العقل، طاعة المولى الجليل عز شأنه في أوامره ونواهيه.

وإنّي لأعجب ممّن أصاخ لهتاف الأحاديث الصحيحة مسلماً مذعناً: بأنّ الأئمة من آل محمّدﷺ يعلمون ما كان ويكون، وعندهم علم المنايا والبلايا، كيف خفي عليه ضوء الكثير من الأحاديث المصرّحة، بأن ما صدر منهم من كلام أو سكوت أو قيام أو قعود، إنما هو أمر موجّه إليهم خاصة من الله سبحانه على لسان رسوله الأمين على الوحي الإلهي، ولم يعزب عنهم صغير ولا كبير، ولم يجهلوا شيئاً من ذلك حتّى ساعة الموت، وممّا يشهد لذلك قول الإمام أبي جعفر الباقرعليه السلام:

«إنّي لأعجب من قوم يتولونا ويجعلونا أئمّة، ويصفون أنّ طاعتنا مفترضة كطاعة رسول اللهﷺ، ثم يكسرون حجّتهم! ويخصّون أنفسهم؛ لضعف قلوبهم، فينقصونا حقّنا! ويعيبون ذلك على مَن أعطاه الله برهان حقِّ معرفتنا والتسليم لأمرنا! أترون الله تعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يُخفي عليهم أخبار السّماء، ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم؟!». فقال له حمران: يابن رسول الله، أرأيت ما كان من قيام أمير المؤمنين والحسن والحسينعليهم السلام، وخروجهم وقيامهم وما أُصيبوا به من قبل الطواغيت والظفر بهم حتّى قتلوا وغلبوا؟.

فقال له أبو جعفرعليه السلام: **«يا حمران، إنّ الله تبارك وتعالى قدَّر ذلك عليهم،**

وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار، ثم أجراه عليهم. فبتقدم علم إليهم من رسول الله قام علي والحسن والحسين، ويعلم منه صمت مَن صمت منّا، ولو أرادوا أن يدفع الله تعالى عنهم، وألحوا عليه في إزالة ملك الطواغيت؛ لكان ذلك أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد! وما أصابهم ليس لذنب اقترفوه، ولا لمعصية خالفوا الله فيها؛ ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغهم إيّاها، فلا تذهبن بك المذاهب يا حمران!»[1].

ومن إشعاعات هذا الحديث الشريف تظهر أسرار غامضة، وحكم إلهيّة اختصّ الله بها أولياءه، خزّان وحيه، وبها ميّزهم عن سائر البشر، وهي:

أ - علمهم بكلّ شيء، وعدم انقطاع أخبار السّماء عنهم. وعمومه شامل للموضوعات بأسرها.

ب - إنّ ما جرى عليهم من الأخطار، وقهر أرباب الجور ناشئٌ عن مصالح لا يعلمها إلا المهيمن جلّ شأنه.

ج - إنّ ما صدر منهم؛ من الحرب والجهاد، والقتل في سبيل الدعوة الإلهيّة، والسّكوت عمّا يفعله أئمّة الضلال، ومشاهدتهم تمادي الأُمّة في الطغيان، وإقدامهم على ما فيه استئصال حياتهم القدسيّة؛ طاعة لأوامر المولى الخاصّة بهم،

---

(١) الكافي (في هامش مرآة العقول) ١ / ١٩٠ باب انهم يعلمون ما كان، وبصائر الدرجات ص ٣٣، والخرائج ص ١٤٣، طبعة الهند.

وانقياداً لتكليفه بلا إلجاء من الله لهم في شيء من ذلك، وإنّما هم مختارون فيه، كاختيار غيرهم في جميع التكاليف.

د - التسليم للقضاء المحتوم والأجل المبرم، وعدم التوسّل إلى الباري تعالى في إزاحة العلّة؛ لينالوا بالشهادة - التي هي أشرف الموت - الدرجات الرفيعة، والمنازل العالية التي لا تحصل إلا بهذا النوع من إزهاق النفس.

وفي نفس هذه العلّة أجاب أبو الحسن الرضا عليه السلام مَن سأله عن جواز تعريض أمير المؤمنين عليه السلام نفسه للقتل، مع علمه بالسّاعة والقاتل، فقال عليه السلام: «**لقد كان كلّ ذلك، ولكنّه خير تلك الليلة؛ لتمضي المقادير**»[1]، فدلّنا هذا وأمثاله على أنّ إقدام أهل البيت عليهم السلام على ما فيه التهلكة، إنّما هو من باب الطاعة، وامتثال التكليف الموجّه إليهم خاصّة، فلا يتطرّق إلى ساحة علمهم نقص. ولا أنّ إقدامهم على ما فيه الهلكة ممّا يأباه العقل. وإليه ذهب المحققون من أعلام الإماميّة.

فيقول الشيخ المفيد في جواب المسائل العكبريّة: لسنا نمنع أن يعلم الإمام أعيان ما يحدث على التفصيل والتمييز، ويكون بإعلام الله تعالى. كما لا نمنع أن يتعبّد الله أميرَ المؤمنين بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل؛ فيبلغه بذلك علوّ الدرجة ما لا يبلغه إلا به، فيطيعه في ذلك طاعة لو كلّفها سواه لم يردها. ولا

---

(١) أصول الكافي على هامش مرآة العقول ١ / ١٨٨.

يكون أمير المؤمنين ملقياً بيده إلى التهلكة، ولا معيناً على نفسه معونة تستقبح في العقول، ولا يلزم فيه ما يظنّه المعترّضون. كما لا نمنع أن يكون الحسين عليه السلام عالماً بموضع الماء وأنّه قريب منه بقدر ذراع، فلو حفر لنبع له الماء. فامتناعه من الحفر لا يكون فيه إعانة على نفسه؛ بعد أن يكون متعبّداً بترك السّعي في طلب الماء حيث يكون ممنوعاً منه، ولا يستبعد العقل ذلك ولا يقبّحه. وكذلك في علم الحسن عليه السلام بعاقبة موادعة معاوية، فقد جاء الخبر بعلمه به، وكان شاهد الحال يقضي به، غير أنّه دفع به عن تعجيل قتله وتسليم أصحابه إلى معاوية؛ وكان في ذلك لطف في بقائه إلى حال مضيه، ولطف لبقاء كثير من شيعته وأهله وولده. ودفعُ فسادٍ في الدين أعظم من الفساد الذي حصل عند هدنته. وكان عليه السلام عالماً بما صنع، ولكن الله تعالى تعبده بذلك[1] .

ويقول العلامة الحلي في جواب مَن سأله عن تعريض أمير المؤمنين نفسه للقتل: بأنه يُحتمل أن يكون قد أُخبر بوقوع القتل في تلك الليلة وفي أي مكان يقتل، وأن تكليفه مغاير لتكليفنا، فجاز أن يكون بذلُ مهجته في ذات الله واجباً، كما يجب الثبات على المجاهد وإن كان ثباته يُفضي إلى القتل[2].

ويقول الشيخ الجليل يوسف البحراني: إنّ رضاهم بما ينزل بهم من القتل بالسّيف أو السمِّ، وكذا ما يقع بهم من الهوان على أيدي أعدائهم الظالمين، مع

---

(١) المسائل العكبريّة – المسألة العشرون.

(٢) حكاه عنه المجلسي في مرآة العقول ١ / ١٨٩، وبحار الانوار ٩ / ٦٦٣.

كونهم عالمين قادرين على دفعه، إنّما هو لما علموه من كونه مرضياً له سبحانه وتعالى، ومختاراً بالنسبة إليهم، وموجباً للقرب من حضرة قدسه. فلا يكون من قبيل الإلقاء باليد إلى التهلكة الذي حرّمته الآية، إذ هو ما اقتُرن بالنهي من الشارع نهي تحريم، وهذا ممّا عُلم رضاه به واختياره له، فهو على النقيض من ذلك. إلا أنّه ربّما ينزل بهم شيء من تلك المحذورات قبل الوقت المعدود والأجل المحدود، فلا يصل إليهم منه شيء من الضر ولا يتعقبه المحذور والخطر. فربّما امتنعوا منه ظاهراً، وربّما احتجبوا منه باطناً، وربّما دعوا الله في رفعه عنهم حيث علموا أنّه غير مراد الله سبحانه في حقّهم ولا مقدّر عليهم حتماً. وبالجملة: أنّهم عليهم السلام يدورون مدار ما علموه من الأقضية والأقدار، وما اختاره لهم القادر القهّار المختار[1]. وعلى هذا مشى العلامة المجلسي. والمحقق الكركي والحسن بن سليمان الحلّي من تلامذة الشهيد الأول وغيرهم.

علم الحسين بالشهادة

لقد تجلّى بما بيّناه تحبيذ العقل والشرع الإقدام على الهلكة إذا تحققت هناك مصلحة تقاوم مفسدة الهلكة؛ من إبقاء دين وشريعة أو إبراز حقيقة لا تظهر إلا به كما في أمر الحسين عليه السلام يوم وقف ذلك الموقف المدهش، فتلا على الملأ صحيفة بيضاء رتّلتها الحقب والأعوام.

---

(١) الدرر النجفية / ٨٥.

فلقد عرَّف صلوات الله عليه بنهضته المقدّسة الأُمم الحاضرة والمتعاقبة أعمال الأُمويين، ومَن سنّ لهم خرق نواميس الشريعة والتعدي على قداسة قوانينها، وقد استفادت الأُمم من إقدام أبي الضيم عليه السلام على الموت، وبذله كلّ ما لديه - من جاه وحرمات في سبيل تأييد الدعوة المحمديّة - دروساً عالية، وعرفوا كيفية الثبات على المبدأ، وأنّه يستهان في تحرير النفوس عن الجور، وانقاذها من مخالب الظلم كلُّ غال ورخيص.

وإذا كان محمّد بن الحسن الشيباني ينفي البأس عن رجل يحمل على الألف، مع فقد احتمال النجاة أو النكاية بالعدو، ولا يكون هذا الإقدام منه إلقاءً بالتهلكة؛ لأنّ فيه نفع المسلمين، وتقوية عزائمهم، وبعث روح النشاط للدفاع عن المبدأ والموت تحت راية العز[1]، فأبو عبد الله الحسين عليه السلام يفضل كلَّ أحد. فإنّه بإقدامه على أولئك الجمع المغمور بالاضاليل وإن أزهق نفسه المقدّسة ونفوس الأزكياء من أهل بيته وصحبه، وعرَّض حرم رسول الله صلى الله عليه وآله للسلب والأسر، إلا أنّه سجّل أسطراً نوريّة على جبهة الدهر في أحقيّة نهضته، وبطلان تمويهات عدوّه الحائد عن سنن الحقِّ المتمرد في الطغيان، فهو الفاتح المنصور، وإنّ المتجهر عليه راسب في بحر الضلال، هاتك لحرمات الله تعالى، متعدٍّ على نظم الإسلام التي قرّرها صاحب الدعوة الإلهية.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ١ / ٣٠٩.

وإنّي لأعجب ممَّن يذهب إلى أن الحسين عليه السلام كان يظنّ موافقة الكوفيين له وقد تخلّف ظنّه!، فإنّا لو تنزّلنا وقلنا: بأنّ الحسين عليه السلام لمْ يكن عنده العلم العام لِما كان ويكون وما هو كائن، ولكن أين يذهب عنه العلم بما يقع من الحوادث بواسطة إخبار جدّه وأبيه الوصي، بأنّه مقتول بأرض كربلاء، ممنوع من الورود ومعه ذووه وصحبه قضاءً محتوماً؟. أليس هو الذي أعلم أُمَّ سلمة بقتله - حين أبدت له خوفها من سفره هذا؛ لأنّ الصادق المصدّق الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله أعلمها بقتله - بأرض كربلاء ممنوعاً عن الورود؟.

وفيما قال لها: «**إنّي أعلم اليوم الذي أُقتل فيه، والسّاعة التي أُقتل فيها، وأعلم مَن يُقتل من أهل بيتي وأصحابي. أتظنّين أنّكِ علمت ما لمْ أعلمه؟ وهل من الموت بدٌّ! فإنْ لمْ أذهب اليوم ذهبتُ غداً**».

وقال لأخيه عمر الأطرف: «**إنّ أبي أخبرني بأنّ تربتي تكون إلى جنب تربته، أتظنّ أنّك تعلم ما لمْ أعلمه؟**». وقال لأخيه محمّد بن الحنفيّة: «**شاء الله أن يراني قتيلاً، ويرى النساء سبايا**».

وقال لابن الزبير: «**لو كنتُ في جُحر هامة من هذه الهوام لا ستخرجوني حتّى يقضوا فيَّ حاجتهم**». وقال لعبد الله بن جعفر: «**إنّي رأيت رسول الله في المنام، وأمرني بأمر أنا ماضٍ له**». وفي بطن العقبة قال لِمَن معه: «**ما أراني إلا مقتولاً، فإنّي رأيت في المنام كلاباً تنهشني، وأشدّها عليَّ كلبٌ أبقع**». ولمّا أشار عليه عمرو بن لوذان بالإنصراف عن الكوفة إلى أنْ ينظر ما يكون عليه حال الناس، قال عليه السلام: «**ليس يُخفى عليَّ الرأي، ولكن لا يُغلب على أمر الله. وإنّهم لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي**».

إلى غير ذلك من تصريحاته وتلويحاته في المدينة ومكّة والطريق إلى الكوفة – كما ستقرؤها بتمامها – فإنّها شاهدة على أنّه عليه السلام كان على علم ويقين بأنّه مقتول في اليوم الموعود به بأرض كربلاء. ثم هل يتردّد أحد في هذا وهو يقرأ خطبته بمكّة حين أراد السّفر منها إلى العراق، التي يقول فيها: «**كأنّي بأوصالي هذه تُقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا، فيملأن منّي أكراشاً جوفا، وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم**»؟.

فدلّت هذه الأجوبة من الحسين عليه السلام – لِمَن طلب منه التريّث في السّفر أو الذهاب في أرض الله العريضة – على وقوف سيّد الشهداء على أمره، ولمْ تخفَ عليه نوايا الكوفيّين. ولكنّه سرٌّ إلهي تعلق به خاصة؛ ولأجل إلقاء الحُجّة على هذا الخلق المتعوس كانت استغاثاته وانتصاراته يوم الطّف قبل نشوب الحرب وبعده.

وإنّما لمْ يصارح بما عنده من العلم لكلّ مَن رغب في إعراضه عن السّفر إلى الكوفة؛ لعلمه بأنّ الحقائق لا تفاض لأيّ متطلب بعد اختلاف الأوعية، سعةً وضيقاً، وتباين المرامي قرباً وبُعداً؛ فلذلك كان عليه السلام يجيب كلّ أحد بما يسعه ظرفه، وتتحمّله معرفته وعقليّته. فإنّ علم أهل البيت عليهم السلام صعب مستصعب، لا يتحمّله إلا نبي مرسل، أو ملك مقرّب، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان.

الحسين فاتح

كان الحسين عليه السلام يعتقد في نهضته أنّه فاتح منصور؛ لِما في شهادته من إحياء دين رسول الله صلى الله عليه وآله، وإماتة البدعة، وتفظيع أعمال المناوئين، وتفهيم الأُمّة أنّهم أحقّ

بالخلافة من غيرهم. وإليه يشير في كتابه إلى بني هاشم: «**مَن لَحِقَ بنا منكم استشهد، ومَن تخلّف لمْ يبلغ الفتح**»(١).

فإنّه لمْ يرد بالفتح إلا ما يترتب على نهضته وتضحيته من نقض دعائم الضلال، وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهّرة، وإقامة أركان العدل والتوحيد، وأنّ الواجب على الأُمّة القيام في وجه المنكر.

وهذا معنى كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام لإبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، لمّا قال له حين رجوعه إلى المدينة: مَن الغالب؟ فقال السّجاد عليه السلام: «**إذا دخل وقت الصلاة، فأذِّن وأقِم، تعرف الغالب**»(٢).

فإنّه يشير إلى تحقّق الغاية التي ضحّى سيّد الشهداء عليه السلام بنفسه القدسيّة لأجلها، وفشل يزيد بما سعى له من إطفاء نور الله تعالى، وما أراده أبوه من نقض مساعي الرسول صلى الله عليه وآله، وإماتة الشهادة له بالرسالة بعد أنْ كان الواجب على الأُمّة في الأوقات الخمس الإعلان بالشهادة لنبيّ الإسلام؛ ذلك الذي هدم صروح الشرك، وأبطل العبادة للاصنام. كما وجب على الأُمّة الصلاة على النبيِّ وآله الطاهرين في التّشهُدَين، وأنّ الصلاة عليه بدون الصلاة على آله، بتراء(٣).

---

(١) كامل الزيارات / ٧٥، بصائر الدرجات ١٠ / ١٤١.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي / ٦٦.

(٣) الصواعق المحرقة / ٨٧، كشف الغمّة ١ / ١٩٤، ولاحظ كتابنا (زين العابدين) ص٣٧١.

كما أنّ العقيلة ابنة أمير المؤمنين عليه السلام، أشارت إلى هذا الفتح بقولها ليزيد: فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا يرحض عنك عارها وشنارها.

إنّ المتأمل في حادثة الطفّ يتجلّى له؛ أنّ هذه الشهادة أعظم من يوم بدر، وإنْ كان هو أول فتح إسلامي؛ لأنّ المسلمين يومئذ خاضوا غمرات الموت تحت راية النبوّة، وقد احتفّ بهم ثلاثة آلاف من الملائكة مسوّمين، وهتاف النبي صلى الله عليه وآله بالنصر والظهور على العدوّ ملء مسامعهم، فقابلوا طواغيت قريش مطمئنين بالغلبة.

وأمّا مشهد الطفِّ، فالمقاسات فيه أصعب، والكرب أشدّ. وقد التطمت فيه أمواج الحتوف، وكشّرت الحرب عن نابها، وأخذ بنو أُميّة على سبط النبيِّ أقطار الأرض، وآفاق السّماء.

عشية أنهضها بغيُها ... فجاءته تركبُ طغيانَها

بجمع من الأرض سدَّ الفروج ... وغطّى النجود وغيطانَها

وطا الوحش إذ لم يجد مهرباً ... ولا زمت الطير أوكانَه

لكن عصبة الحقِّ لمْ يثن من عزمهم شيء، فقابلوا تلك الأخطار من غير مدد يأملونه، أو نصرة يرقبونها. وقد انقطعت عنهم خطوط الوسائل الحيويّة حتّى الماء الذي هو أوفر الأشياء، والناس فيه شرع سواء، وضوضاء الحرم من الشر المقبل، وصراخ الأطفال من الاوام المبرح في مسامعهم، إلا أنّهم تلقّوا جبال الحديد بكلّ صدر رحيب، وجنان طامن. ولم تسلُ تلك النفوس الطاهرة إلا على

فتل أُميّة المنقوض، ولا أُريقت دماؤهم الزاكية إلا على حبلهم المنتكث؛ فكان ملك آل حرب كلعقة الكلب أنفه حتّى اكتسحت معرّتهم عن أديم الأرض.

ولقد أجاد شاعر أهل البيت عليهم السلام بقوله:

لَو لَمْ تكن جُمعت كلُّ العُلا فينا ... لكان ما كان يوم الطفِّ يكفينا

يومٌ نهضنا كأمثال الأُسود به ... وأقبلت كالدبا زحفاً أعادينا

جاؤوا بسبعين ألفاً سَلْ بقيتَهم ... هل قابلونا وقد جئنا بسبعينا[1]

فيوم الطفّ فتح أسلامي بعد الجاهليّة المستردة من جرّاء أعمال الأُمويِّين، ولفيفهم الذين لمْ يستضيئوا بذلك الألق السّاطع؛ نور التوحيد وشعاع النبوّة.

إنّ الحسين لمْ يكن قاصداً في خروجه محضَّ السلطنة، والرئاسة، وخفقان الرايات. فإنّه لو كان هذا غرضه؛ لاتّخذ الوسائل الموصلة إليه وهو أعرف بها، ولمْ يذع إلى مَن كان معه من الأعراب قتله، وهلاك مَن معه، واستسلام عائلته للأسر؛ فيتفرّق جيشه، وتتضاءل قواه الصوريّة. لكن نفسه المقدّسة - وهكذا الأحرار - أبت كتمان الأمر وإيهام الحال حتّى أختبرهم بالإذن في المفارقة، فذهب عنه مَن كان همُّه الطمع، وأبى أولئك الصفوة إلا مواساته ونصرته. فلا الجبن يطرق ساحتهم، ولا الانكسار يبين في مجاليهم؛ لأنّ ذلك شأن الآيس من غايته، والقوم كانوا على يقين من الظفر بالأمنية، كما تنم عنه كلماتهم التي أجابوا

---

(١) شعراء الغري ١ / ٣٨٧، والشاعر هو السيّد باقر الهندي نوّر الله ضريحه.

الحسين عليه السلام بها لمّا أنبأهم - ليلة عاشوراء - بحراجة الموقف، ورفع عنهم البيعة، وخلّى لهم السبيل، فقالوا: الحمد لله الذي شرّفنا بالقتل معك. ولو كانت الدنيا باقية، وكنّا فيها مخلَّدين؛ لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها. فوجدهم عليه السلام متفانين في الجهاد معه، والذبِّ عن قدس الشريعة. وتلا على الملأ سطراً من صحيفتهم البيضاء بقوله: «**إنّي لا أجد أصحاباً أوفى من أصحابي، ولا أهل بيت أبرَّ وأوصل من أهل بيتي**»[1].

وإنّي لأعجب من الرواة وحملة التاريخ، حيث توسّعوا في النقل، فقذفوا أُولئك الأطهار بما يندى منه وجه الإنسانيّة، ويأباه الوجدان الصادق، فقيل: كان القوم بحالة ترتعد فرائصهم، وتتغير ألوانهم كلّما اشتد الحال إلا الحسين، فإنّ أسرّة وجهه تشرق كالبدر المنير!![2].

وهذا بعد أن أعوزتهم الوقيعة في شهيد العزّ والإباء، فلمْ يجدوا للغمز فيه نصيباً؛ فمالوا على صحبه وأهل بيته! وليس هذا إلا من الداء الدفين، بين أضالع قوم دافوا السمَّ في الدسم إلى سذّجٍ حسبوه حقيقة راهنة، فشوّهوا وجه التاريخ.

غير أنّ البصير النّاقد لا تخفى عليه نفسيّة القوم، ولا ما جاؤوا به.

---

(١) الكامل في التاريخ ٤ / ٢٤.

(٢) نَفَس المهموم ص ١٣٥ عن معاني الأخبار، وبحار الانوار٣ / ١٣٤ باب سكرات الموت، وكذلك في البحار ١٠ / ١٦٧ عن معاني الأخبار.

وأعجب من ذلك، قول زجر بن قيس الجعفي ليزيد: إنّا أحطنا بهم، وهم يلوذون عنّا بالآكام والحفر، لواذ الحمام من الصقر!![1]. بفيك الكثكث أيّها القائل، كأنّك لمْ تشاهد ذلك الموقف الرهيب، فترى ما للقوم من بسالة وإقدام، ومفاداة دون الدِّين الحنيف حتّى أغفل يومهم مع ابن المصطفى أيّام صِفين وما شاكلها من حروب دامية، وحتّى أخذت أندية الكوفة لا تتحدّث إلا بشجاعتهم.

أجل، إنّ تلك الأحوال أدهشتك فلمْ تدرِ ما تقول! أو أنّ الشقّة بعدت عليك فنسيت ما كان. ولكن هل غاب عن سمعك صراخ الأيتام، وعويل الأيامى في دور الكوفة حتّى طبق أرجاءها من جرّاء ما أوقعه أولئك الصفوة بأعداء الله وأعداء رسوله بسيوفهم الماضية؟!. والعذر لك إنّك أدركت ساعة العافية، فطفقت تشوّه مقامهم المشكور؛ طلباً لمرضاة (يزيد الخمور).

ولقد صرّح عن صدق نيّاتهم عدوّهم الألد، عمرو بن الحجّاج، محرّضاً قومه: أتدرون مَن تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر، وقوماً مستميتين لا يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوه على قلتهم. والله لو لمْ ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم[2].

---

(١) العقد الفريد ٢ / ٣١٣.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٧.

وقيل لرجل شهد الطفّ مع ابن سعد: ويحك أقتلتم ذريّة الرسول؟! فقال: عضضت بالجندل، إنّك لو شهدت ما شهدنا؛ لفعلت ما فعلنا. ثارت علينا عصابة، أيديها على مقابض سيوفها كالأُسود الضارية، تحطّم الفرسان يميناً وشمالا، تلقي نفسها على الموت، لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين المنية أو الاستيلاء على الملك. فلو كففنا عنها رويداً؛ لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنّا فاعلين لا أُمّ لك؟![1].

وشهد لهم بذلك كعب بن جابر، فانه لمّا قتل بريراً؛ عتبت عليه زوجته وقالت: أعنت على ابن فاطمة! وقتلت سيّد القرّاء! لقد أتيت عظيماً من الأمر! والله لا أُكلّمك من رأسي كلمة واحدة. فقال يخاطبها من أبيات.

ولــمْ تــرَ عينـي مـثلهم في زمـانهم ... ولا قــبلهم في النــاس إذ أنــا يــافعُ

أشــدَّ قراعـاً بالسّيوف لـدى الـوغى ... ألا كــلّ مَــن يحمـي الـذمار مقـارعُ

وقد صبروا للضرـب والطعن حسّرـا ... وقــد نــازلوا لــو أنّ ذلـك نـافعُ[2]

ثمّ أي فرد منهم أقلقه الحال حتّى ارتعدت فرائصه؟ أهو زهير بن القين الذي وضع يده على منكب الحسين، وقال مستأذناً:

أقــدم هــديت هاديــاً مهــديا ... فــاليوم ألقــى جــدَّك النبيــا

---

(١) شرح نهج البلاغة ١ / ٣٠٧.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٧.

أم ابن عوسجة الذي يوصي حبيب بن مظاهر بنصرة الحسين عليه السلام، وهو في آخر رمق من الحياة، فكأنّه لم يقنعه في المفاداة، كلّ ما لاقاه من جهد وبلاء؟.

أم أبو ثمامة الصائدي الذي لم يهمّه في سبيل السّير إلى ربّه تعالى، كلّ ما هنالك من فوادح وآلام، إلا الصلاة التي دنا وقتها؟.

أم سعيد الحنفي الذي استُهدف لهم عند الصلاة حتّى سقط؛ لكثرة نزف الدم، فيقول للحسين عليه السلام: أوفيتُ يابن رسول الله؟.

أم ابن شبيب الشاكري الذي يلقي جميع لامته؛ لتقرب منه الرجال فيموت، في حين نرى الكماة الأبطال المعروفين بالشجاعة والإقدام، يتدرعون للحرب؛ كيلا يخلص إليهم ما يزهق نفوسهم؟.

أم جون الذي يأذن له الحسين عليه السلام في الإنصراف، فيقع على قدميه يقبّلهما، وهو يبكي ويقول: إنّ لوني لأسود، وحسبي لئيم، وريحي منتن، فتنّفس عليَّ بالجنة؛ ليبيضَّ لوني، ويشرف حسبي، ويطيب ريحي؟.

وإذا تأملنا قول أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**إنَّ أصحاب جدّي الحسين لم يجدوا ألم مسّ الحديد**»[1].

وضّح ما عليه أولئك الأطايب من الثبات، وأنّهم غير مكترثين بما لاقوه من ألم الجراح؛ ولعاً منهم بالغاية، وشوقاً إلى جوار المصطفى صلى الله عليه وآله.

---

(١) الخرائج للراوندي / ١٣٨.

ولا تستغرب هذا، فمَن يعرف حالة العاشق، وأنّه عند توجّه مشاعره نحو المحبوب لا يشعر بما يلاقيه من عناء ونكد. ولقد حكى المؤرّخون: أنّ كثيّراً الشاعر[١] كان في خبائة يبري سهاماً له، فلمّا دخلت عليه عَزّة ونظر إليها أدهشه الحال، فأخذ يبري أصابعه، وسالت الدماء وهو لا يحسّ بالألم[٢].

ويتحدّث الرواة: أنّ شاباً من الأنصار استقبل امرأة فأعجبته فأتبعها النظر؛ فدخلت في زقاق وهو خلفها ينظر إليها، فاعترضت وجهه زجاجة في حائط؛ فشقت وجهه وهو لا يشعر، فلمّا مضت المرأة رأى الدماء تسيل على ثوبه وصدره، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وحكى له، فنزل قوله تعالى: ﴿**قُل لِّلمُؤمنينَ يَغُضُّوا من أَبصَارِهِمْ**﴾[٣].

ويحدّث النبي صلى الله عليه وآله، بأنّ الشهيد المقتول في سبيل الدعوة الإلهيّة لا يجد من مسّ القتل، إلا كما يجد الإنسان من مسّ القرصة[٤].

---

(١) الاغاني ٢ / ٣٧.

(٢) في الموشح للمرزباني / ١٤٤ عند ذكر الشاعر كثيّر عزّة، عن أبي عبيدة، أنّ محمّد بن علي عليه السلام قال لكثيّر: «**تزعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان؟!**» فقال: إنّما أسخر منهم، وأجعلهم حيات وعقارب وآخذ أموالهم.

(٣) الكافي ٣ / ٥١١ باب ١٦٠ ما يحل النظر إليه من المرأة عن الباقر عليه السلام، وعنه في تفسير البرهان ٣ / ٧٣١ في تفسير الآية ٣٠ من سورة النور.

(٤) تيسير الوصول لابن الديبع ١ / ١٢٩، وكنز العمال ٢ / ٢٧٨ فضل الشهادة.

وأمّا رشيد الهجري[١]، فإنّه لمّا دعاه ابن زياد، وسأله عمّا أخبره أمير المؤمنين عليعليه السلام، قال: بلى، دخلت عليه يوماً وعنده أصحابه، وكان في بستان، فدعا برطب من نخلة، فقلت له: يا أمير المؤمنين أطيّب هذا الرطب؟ فعرّفهعليه السلام بأنّ الدّعيَّ عبيد الله سيحمله على البراءة منه؛ وإلا فيقطع يدَيه ورجلَيه ولسانه ويصلبه على جذع من هذه النخلة. فقال رشيد: آخر ذلك إلى الجنة؟ قالعليه السلام: «أنت معي في الدنيا والآخرة»، قال: إذاً والله لا أتبرّأ منك.

فكان رشيد يختلف إلى تلك النّخلة في النّهار ويسقيها الماء، ويقول: لك غذيت ولي نبت! وما دارت الأيّام حتّى تولّى ابن زياد الكوفة؛ فدعاه وسأله عمّا

---

(١) في الخلاصة للعلامة الحلّي: رشيد بضم الراء المهملة، وفي رجال أبي داود: الهجري بفتحتين، ومثله السيوطي في لب اللباب / ٢٧٧ باب الهاء، وفي أنساب السمعاني: هجري بفتح الهاء والجيم وكسر الراء وفي اخره ياء، النسبة إلى هجر: بلاد باليمن من أقصاها. والمشهور بهذه النسبة جماعة ذكرهم ومنهم: رشيد من أهل الكوفة يروي عن أبيه. وفي تاريخ البخاري ج١ القسم الثاني ص٣٠٥: يروي عن أبيه عن عبد الله، وأنّهم تكلّموا فيه. وفي اللباب لابن الاثير ٣ / ٢٨٥: رشيد الهجري، نسبة إلى بلد معروف باليمن. وأمّا هجر التي قرب المدينة، فذكر ابن القيسراني في الأنساب المتفقة / ٢٢٣، وتاج العروس، ولسان العرب مادّة هجر، وابن الاثير في النهاية، واختلف في القلتين المنسوبة إلى هجر؛ ففي وفاء الوفاء للسمهودي ٢ / ٣٨٦ عن النووي: أنها هجر قرب المدينة، ومثله في مصباح المنير، ولسان العرب، وتاج العروس، ونهاية ابن الاثير. وفي آثار البلاد لزكريا بن محمود القزويني / ٢٨٠: نسب إلى هجر التي بالبحرين، وسعتها خمسمئة. وحكاه الزركشي عن الأزهري كما في وفاء الوفاء مادة هجر.

أخبره به أمير المؤمنين، قال: أخبرني خليلي أنّك تدعوني إلى البراءة منه فلا أبرأ أبداً؛ فتقطع يدي ورجلي ولساني. قال ابن زياد: لأكذبنّ قوله. ثم أمر به فقطعوا يدَيه ورجلَيه وتركوا لسانه، وحُمل إلى أهله؛ فاجتمع عليه الناس وهو يحدّثهم بما أطلعه أمير المؤمنين من علم المنايا والبلايا وفضل أهل البيت، ثمّ قال: أيّها الناس، سلوني إنّ للقوم عندي طِلبة لمْ يقضوها. فأسرع رجل إلى ابن زياد وقال: ما صنعت! قطعت يدَيه ورجلَيه وهو يحدّث الناس بالعظائم! فأمر به بأن يقطع لسانه؛ فمات من ليلته، ثم صُلب[١] على باب دار عمرو بن حُريث[٢].

تقول ابنته قنواء: سألت أبي عمّا يجده من الآلام، فقال: يا بنيّة، لا أجد إلا كالزحام بين النّاس[٣]. واستفاد رشيد الهجري من صحبة أمير المؤمنين عليه السلام علم المنايا والبلايا[٤]، وكان يخبر الرجل بما يجري عليه؛ فسمّاه أمير المؤمنين عليه السلام راشداً[٥].

---

(١) رجال الكشي / ٥١.

(٢) ميزان الاعتدال ٢ / ٣٣٩، لسان الميزان ٢ / ٤٦١.

(٣) رجال الكشي / ٥١، بشارة المصطفى / ١١٣، أمالي الطوسي / ١٠٣ مجلس ٦، وقد سُمّيت في هذين الأخيرين (أمة الله).

(٤) بصائر الدرجات ٦ / ٧٣ باب إن الأئمة يعرفون حال شيعتهم، وعنه في بحار الانوار ١١ / ٢٤٦ في أحوال الامام موسى بن جعفر - ط كمباني.

(٥) أمالي الطوسي / ١٠٤ المجلس السادس - الطبعة الحجرية الأُولى.

وهذا الحال يفيد المتأمّل بصيرة؛ بأنّ كلّ من اتجهت مشاعره نحو المولى سبحانه وتعالى، وتجلّت له المظاهر الربوبيّة، وشاهد ما أعدَّ له من النّعيم الخالد في سبيل دعوة الدِّين؛ هان عليه ألم الجراح. ويؤكّد ما قلنا من ذهول العاشق عندما يشاهد محبوبه عن كلّ ما يرد عليه من الأذى؛ غفلة النّسوة عن ألم قطع المدية أيديهنّ؛ لمحض مشاهدة جمال الصدّيق يوسف عليه السلام كما حكاه جلّ شأنه ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1].

وإذا لمْ تشعر النّسوة[2] بمضض الجراح، فليس من الغريب ألا يجد أصحاب الحسين عليه السلام - وهم زبدة العالم كلّه - ألم مس الحديد عند نهاية عشقهم لمظاهر الجمال الإلهي، ونزوع أنفسهم إلى الغاية القصوى من القداسة بعد التكهرب بولاء سيّد الشهداء عليه السلام:

بأبي أُفدي وجوهاً منهمُ ... صافحوا في كربلا فيها الصِفاحا

أوجهاً يشرقن بشراً كلّما ... كلح العامُ ويقطرن سماحا

تتجلّى تحت ظلماء الوغى ... كالمصابيح إلتماعاً وإلتماحا

---

(١) سورة يوسف الآية ٣١.

(٢) في ديوان الصبابة (في هامش تزيين الاسواق) / ٣٩: بلغ عدد اللائي قطعن أيديهم أربعين امرأة، منهن تسع شوقاً ووجداً.

أرخصوا دون ابن بنت المصطفى أنفساً تاقت إلى الله رواحا

فقضوا صبراً ومن أعطافهمْ أرجُ العزِّ بثوب الدهر فاحا

لم تذقْ ماءاً سوى منبعثٍ من دم القلب به غصت جراحا

أنهلتْ من دمها لو أنه كان من ظامي الحشا يطفى التياحا

أُعريت فهي على أن ترتدي بنسيج التّرب تمتاح الرياحا[1]

---

(١) من قصيدة في الحسين عليه السلام للسيّد عبد المطّلب الحلّي ذُكرت بتمامها في شعراء الحلة ٣ / ٢١٤.

الحسين مع أصحابه

تمهيد:

إنّ الشريعة المقدّسة أوجبت على النّاس النّهضة؛ لسدّ باب المنكر، والردع عن الفساد. وألزمت الأُمّة بمتابعة الإمام في ردِّ عادية الباغين على الخليفة المنصوب علماً للعباد؛ بعد أنْ يدعوهم إلى التوبة عمّا هم فيه من معاندة الحقّ، والرجوع إلى ساحة الشرع الأعظم، كما في قوله تعالى:

﴿وإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤمِنِينَ اقتَتَلُوا فَأَصلِحُوا بَينَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحدَاهُمَا عَلَى الأُخرَى فَقَاتِلُوا التِي تَبغِي حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمرِ اللهِ﴾[1]، وقد نهض أمير المؤمنين عليه السلام أيّام خلافته؛ للدفاع عن قدس الشريعة، وتنبيه الأُمّة عن رقدة الجهل. وكان الواجب على الناس الفيء إليه؛ لأنّه إمام الحقِّ، المفروضة طاعته. وقد اعترف جمهور المسلمين بتماميّة البيعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وحكموا بأنّ قتاله لمن خرج عليه حقٌّ، وهذه كلماتهم التي سجّلوها في صحفهم، شواهد متقنة على هذه الدعوى المدعومة بالعقل والنّقل.

فهذا أبو حنيفة يقول: ما قاتل أحد علياً إلا وعلي أولى بالحقِّ منه. ولولا ما سار علي عليه السلام فيهم، لما علم أحد كيف السّيرة في المسلمين. ولا شكّ أنّ عليّاً عليه السلام

---

(١) الحجرات آية ٩.

إنّما قاتل طلحة والزبير بعد أن بايعاه وخالفاه، وفي يوم الجمل سار عليّ عليه السلام فيهم بالعدل وهو أعلم المسلمين، فكانت السُنّة في قتال أهل البغي[١].

واقتفاه تلميذه محمّد بن الحسن الشيباني، المتوفى سنة (١٨٧) فقال: لو لمْ يقاتل معاوية علياً عليه السلام ظالماً له متعدياً باغياً؛ كنّا لا نهتدي لقتال أهل البغي[٢].

وقال سفيان الثوري: ما قاتل عليّ عليه السلام أحداً إلا كان عليّ أولى بالحقّ منه[٣].

وقال الشافعي: السّكوت عن قتلى صفّين حَسَنٌ؛ وإنْ كان عليّ عليه السلام أولى بالحقّ من كلّ مَن قاتله[٤].

وقال أبو بكر أحمد بن عليّ الرازي الجصّاص، المتوفى سنة (٣٧٠): كان عليّ محقّاً في قتال الفئة الباغية، لمْ يخالف فيه أحد. وكان معه من كبراء الصحابة وأهل بدر مَن قد علم مكانهم[٥].

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي، المتوفى سنة (٥٤٦): كان عليّ إماماً؛ لأنّهم اجتمعوا عليه. ولمْ يمكنه ترك النّاس؛ لأنّه أحقّهم بالبيعة، فقبِلَها حوطة على الأُمّة أنْ لا تُسفك دماؤها بالتهارج فيتخرّق الأمر. وربّما تغيّر الدِّين، وانقضّ

---

(١) مناقب أبي حنيفة للخوارزمي ٢ / ٨٣ - ٨٤ ط حيدر آباد.
(٢) الجواهر المضيئة ٢ / ٢٦.
(٣) حلية الأولياء ٧ / ٣١.
(٤) أدب الشافعي ومناقبه / ٣١٤.
(٥) أحكام القرآن ٣ / ٤٩٢.

عمود الإسلام، وطلب أهل الشام منه التمكين من قتلة عثمان، فقال لهم عليّ عليه السلام: «**ادخلوا في البيعة، واطلبوا الحقَّ تصلوا إليه**». وكان عليّ عليه السلام أسدَّهم رأياً وأصوبهم قولاً، لأنّه لو تعاطى القوَد؛ لتعصبتْ لهم قبائلهم فتكون حرباً ثالثةً، فانتظر بهم أن يستوثق الأمر وتنعقد البيعة العامّة، ثم ينظر في مجلس الحكم ويجري القضاء. ولا خلاف بين الأُمّة: أنّه يجوز للإمام تأخير القصاص، إذا أدّى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة.

وحينئذ فكلُّ مَن خرج على عليّ عليه السلام فهو باغ، وقتالُ الباغي واجب حتّى يفيء إلى الحقِّ وينقاد إلى الصلح. وإنّ قتاله لأهل الشام الذين أبوا الدخول في البيعة، وأهل الجمل والنّهروان الذين خلعوا بيعته حقٌّ، وكان حقُّ الجميع أنْ يصلوا إليه، ويجلسوا بين يدَيه ويطالبوه بما رأوا، فلمّا تركوا ذلك بأجمعهم، صاروا بغاة، فتناولهم قوله تعالى: ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حتّى تَفِيءَ إلى أَمْرِ اللهِ**﴾[1].

---

(١) سورة الحجرات / ٩.

ولقد عتب معاوية على سعد بن أبي وقّاص[١]، بعدم مشاركته في قتال علي عليه السلام؛ فردّ عليه سعد: بأنّي ندمت على تأخيري عن قتال الفئة الباغية، يعني معاوية ومَن تابعه[٢].

وقال أبو بكر محمّد الباقلاني، المتوفى سنة (٤٠٣) هـ بعد ذكر جملة من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ علياً يصلح للخلافة ببعض هذه الخصال، ودون هذه

---

(١) في كامل ابن الأثير ٣ / ٧٤ عند ذكر البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام قال: لم يبايع سعد بن أبي وقّاص، وعبد الله بن عمر، وحسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومَسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن حديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، وعبد الله بن سلام، وصهيب بن سنان، وسلمة بن سلامة بن وقش، وأُسامة بن زيد، وقدامة بن مظعون، والمغيرة بن شعبة. وتعرّض لهم أبو منصور عبد القاهر البغدادي في أُصول الدين / ٢٩٠، والباقلاني في التمهيد / ٢٣٣، وابن تيمية في الفتاوى المصريّة ٤ / ٢٢٦، والطبري في تاريخه ٣ / ١٥٣. وتعرّض لاعتزال سعد بن أبي وقّاص الذهبي في سير أعلام النبلاء ١ / ٧٩ - ٨٣، وذكر اعتذاره غير المقبول عند الله وعند رسوله، وهو عدم اتباعه أحداً إلا أن يعطيه سيفاً له لسان وعينان يعرف بهما المؤمن من الكافر! وفي ترجمته من الاستيعاب: إنّ معاوية كتب إليه شعراً يستميله إليه؛ فردّ عليه بأبيات يقول فيها:

أتطمع في الذي أعطى علياً ... على ما قد طمعت به العفاءُ

ليومٌ منه خير منك حياً ... وميتاً أنت للمرء الفداءُ

فأمّا أمر عثمان فدعهُ ... فإنّ الرأي أذهبه البلاءُ

(٢) أحكام القرآن ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥ ط مصر / ١٣٣١هـ.

الفضائل، ويستحقّ الإمامة. فهو حقيق بما نظر فيه وتولاه؛ فوجب الإنقياد له بعقدِ مَن عقدها له من وجوه المهاجرين والأنصار، عشيّة اليوم الثالث من مقتل عثمان بعد إمتناعه عليهم وإصرارهم عليه؛ لأنّه أعلم مَن بقي، وأفضلهم وأولاهم بهذا الأمر. وناشدوه الله تعالى في حفظ بقيّة الأُمّة، وصيانة دار الهجرة، فبايعوه قبل حضور طلحة والزبير ومبايعتهما له؛ تبعاً لغيرهما بعد وجوبها عليهما، ولو تأخّرا عن الإنقياد لكانا مأثومَين. وقولهما له: بايعناك مكرَهين[1] لا يضرّ بإمامة عليّ عليه السلام؛ لأنّ البيعة له تمّت قبل مبايعتهما، وطلبهما منه قَتْلَ قتلة عثمان خطأً، لأنّ عقد الإمامة لرجل على أنْ يَقتل الجماعة بالواحد لا يصح؛ بعد أنْ كان الإمام متعبّداً باجتهاده، فقد يؤدّي إلى أنّه لا يجوز قَتْل الجماعة بالواحد، وإنْ أدّى إليه اجتهاده فقد يجتهد ثانياً إلى عدمه، ولو ثبت أنّ علياً عليه السلام يرى جواز قتْل الجماعة بالواحد، لمْ يجز أنْ يقتل جميع قتلة عثمان؛ إلا بعد أنْ تقوم البيّنة على القتلة بأعيانهم، وأنْ يحضر أولياء الدَّم مجلسه ويطالبون بدم أبيهم ووليّهم، وأنْ لا يؤدّي القتل إلى هَرج عظيمٍ وفساد شديد، قد يكون مثل قتلة عثمان أو أعظم منه. وتأخير إقامة الحدِّ إلى وقت إمكانه أولى وأصلح للأُمّة وأنفى للفساد[2].

وقال أبو عبد الله محمّد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، المتوفى سنة (٤٠٥): الأخبار الواردة في بيعة أمير المؤمنين كلُّها صحيحة مجمع عليها، وفيها

---

(١) في مستدرك الحاكم ٣ / ١١٤: أول من بايعه طلحة فقال: هذه بيعة تُنكث.
(٢) التمهيد / ٢٢٩ - ٢٣٢.

يقول خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر:

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا ... أبو حسن ممّا نخاف من الفتنْ

وجدناه أولى الناس بالناس إنه ... أطبُّ قريش بالكتاب وبالسُّننْ

وإنّ قريشاً ما تشق غبارَه ... إذا ما جرى يوماً على الضمر البدنْ

وفيه الذي فيهم من الخير كلِّه ... وما فيهمُ كلُّ الذي فيه من حَسنْ

وساق الذهبي جميعه في تلخيص المستدرك ولم يتعقّبه[1]، ثم حكى الحاكم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنّه قال: ما وجدت في نفسي من شيء من أمر هذه الآية: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[2] إلا أنّي لمْ أُقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله تعالى[3].

---

(١) المستدرك ٣ / ١١٥، وقد زاد عليها السيد المرتضى في الفصول المختارة ٢ / ٦٧ أبياتاً أربعة، هي:

وصيُّ رسول الله من دون أهلِهِ ... وفارسُهُ قد كان في سالف الزمنْ

وأوّلُ مَن صلّى من الناس كلِّهم ... سوى خيرة النسوان والله ذو المننْ

وصاحبُ كبش القوم في كل وقعةٍ ... يكون لها نفس الشجاع لدى الذقنْ

فذاك الذي تُثنى الخناصر باسمه ... إمامُهم حتّى أُغيب في الكفنْ

(٢) سورة الحجرات الآية ٩.

(٣) المستدرك ٢ / ٤٦٣.

وحكى الحاكم النيسابوري عن أبي بكر محمّد بن إسحاق بن خزيمة، أنّه قال: عهدت مشايخنا يقولون: إنّا نشهد بأنّ كلَّ مَن نازع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في خلافته، فهو باغ. وبه قال ابن ادريس[١].

وقال أبو منصور عبد القاهر البغدادي، المتوفى سنة (٤٢٩): أجمع أهل الحقِّ على صحّة إمامة عليّ عليه السلام وقت انتصابه لها بعد قتْل عثمان، وأنّه كان محقّاً مصيباً في التحكيم، وفي قتال أصحاب الجمل، وأصحاب معاوية بصفّين[٢].

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي الفيروز آبادي، المتوفى سنة (٤٧٦): إذا خرجتْ على الإمام طائفةٌ من المسلمين، ورأت خلعه بتأويل، أو منعت حقّاً توجّه عليها بتأويل، وخرجتْ عن قبضة الإمام، وامتنعتْ عليه بمنعة، قاتلها الإمام؛ لقوله عزّ وجلّ: ﴿**فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**﴾[٣]؛ ولأنّ أبا بكر قاتل مانعي الزكاة، وقاتل عليّ أهل البصرة يوم الجمل، وقاتل معاوية بصفّين، وقاتل الخوارج بالنهروان[٤]. وظاهره أنّ قتال علي عليه السلام لهؤلاء بحقٍّ؛ لأنّه إمام حقٍّ وجبت بيعته في أعناقهم، وخروجهم عن طاعته - وإن كان بتأويل - لا يبرّر عملهم.

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ٨٤.

(٢) أُصول الدين ص ٢٨٦ - ٢٩٢.

(٣) سورة الحجرات الآية ٩.

(٤) المهذّب في الفقه الشافعي ٢ / ٢٣٤ ط مصر سنة ١٣٤٣هـ.

وقال إمام الحرمين الجويني، المتوفى سنة (٤٧٨): كان علي بن أبي طالب إماماً حقّاً في توليته، ومقاتلوه بغاة[١].

وقال علاء الدِّين الكاساني الحنفي، المتوفى سنة (٥٨٧): قاتل سيّدنا عليٌّ أهل حروراء بالنّهروان بحضرة الصحابة؛ تصديقاً لقوله صلى الله عليه وآله لسيّدنا علي عليه السلام: «**إنّك تقاتل على التأويل كما تقاتل على التنزيل**»، والقتال على التأويل هو القتال مع الخوارج. ودلّ الحديث على إمامة سيّدنا عليّ؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله شبّه قتال سيّدنا عليّ بقتاله على التنزيل، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله محقّاً في قتاله على التنزيل، فلزم أنْ يكون سيّدنا عليٌّ محقاً في قتاله بالتأويل. فلو لمْ يكن إمام حقٍّ لَمَا كان محقّاً في قتاله إيّاهم؛ لأنّ الدعوة قد بلغتهم لكونهم في دار الإسلام ومن المسلمين، ويجب على كلِّ مَن دعاه إلى قتالهم أنْ يجيبه إلى ذلك، ولا يسعه التخلّف إذا كان عنده غنىً وقدرة؛ لأنّ طاعة الإمام فيما ليس بمعصية فرض، فكيف فيما هو طاعة؟ وما روي عن أبي حنيفة: إذا وقعت الفتنة بين المسلمين، فينبغي للرجل أن يلزم بيته، محمول على وقت خاص؛ وهو ألا يكون إمام يدعوه إلى قتال، وأمّا إذا كان، فدعاؤه يفترض عليه الإجابة لِما ذكرنا[٢].

وقال يحيى بن شرف النووي الشافعي، المتوفّى سنة (٦٧٧): كان عليّ هو المُحقُّ المصيب في تلك الحروب. وقال معظم الصحابة والتابعين وعامّة علماء

---

(١) الإرشاد في أُصول الإعتقاد ص ٤٣٣.

(٢) بدائع الصنائع ٧ / ١٤٠ أحكام المرتدين.

الإسلام: يجب نصر المحقِّ في الفتن، والقيام معه بمقاتلة الباغين. قال الله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبغِي﴾، وهذا هو الصحيح[١].

وقال ابن همام الحنفي، المتوفى سنة (٦٨١): كان عليّ عليه السلام على الحقِّ في قتال الجمل وقتال معاوية بصفّين، وقول النبي صلى الله عليه وآله لعمّار: «**تقتلك الفئة الباغية**» وقد قتله أصحاب معاوية، صريح بأنّهم بغاة. ولقد أظهرت عائشة النّدم - كما ذكره أبو عمرو في الإستيعاب - وقالت لعبد الله بن عمر: يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟ قال لها: رأيت رجلاً قد غلبك، يعني ابن الزبير. فقالت: أما لو نهيتني، ما خرجتُ[٢].

وقال ابن تيمية، المتوفّى سنة (٧٢٨): لمّا قُتل عثمان، بايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو أحقُّ بالخلافة حينئذ وأفضل مَن بقي، لكن كانت القلوب متفرّقة، ونار الفتنة موقدة؛ فلمْ تتّفق الكلمة ولمْ تنتظم الجماعة، ولم يتمكّن الخليفة وخيار الأُمّة من كلّ ما يرون من الخير، إلى أنْ ظهرت الحروريّة المارقة، فقاتلوا أمير المؤمنين علياً ومَن معه، فقتلهم بأمر الله تعالى ورسول

---

(١) شرح صحيح مسلم (في هامش إرشاد الساري) ١٠ / ٣٣٦، ٣٣٨.

(٢) فتح القدير ٥ / ٤٦١ كتاب القضاء - أدب القاضي، وفي تاريخ الطبري ٥ / ٢٢١ قالت عائشة: وددت أني متُّ قبل يوم الجمل بعشرين سنة. وفي العقد الفريد ٢ / ٢٨٨ عند ذكر أصحاب الجمل، ومعارف ابن قتيبة ص ٥٩ قيل لعائشة: ندفنك مع رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: لا.

الله صلى الله عليه وآله؛ طاعةً لقول النّبي صلى الله عليه وآله: إنّ الطائفة المارقة يقتلها أدنى الطائفتين إلى الحقِّ، فكان علي بن أبي طالب ومَن معه هم الذين قاتلوهم؛ فدلَّ كلام النبي صلى الله عليه وآله على أنّهم أدنى إلى الحقِّ من معاوية ومَن معه[1].

وقال: كلّ فرقة من المتشيّعين مُقرّة بأنّ معاوية ليس كفؤاً لعليّ عليه السلام بالخلافة، ولا يجوز أنْ يكون خليفة مع إمكان استخلاف عليّ عليه السلام؛ فإنّ فضل عليّ وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله، كانت عنده ظاهرة معروفة، ولمْ يكن بقي من أهل الشورى غيره وغير سعد، وقد ترك سعد هذا الأمر، وتوفّي عثمان فلمْ يبقَ لها معين إلا عليّ[2].

وقال الزيلعي، المتوفّى سنة (٧٦٢): كان الحقُّ بيد عليّ عليه السلام في نوبته، فالدليل عليه؛ قول النّبي صلى الله عليه وآله لعمّار: «**تقتلك الفئة الباغية**»، ولا خلاف أنّه كان مع علي عليه السلام وقتَله أصحاب معاوية. ثمّ قال: أجمعوا على أنّ علياً كان مصيباً في قتال أهل الجمل؛ وهم طلحة والزبير وعائشة ومَن معهم، وأهل صفّين؛ وهم معاوية وعسكره. ثمّ قال: لمّا ولي عليّ عليه السلام الخلافة، وكان معاوية بالشام قال: لا ألي له شيئاً، ولا أُبايعه، ولا أقدِم عليه[3].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢ / ٢٥١.

(٢) المصدر نفسه ٤ / ٢٢٤.

(٣) نصب الراية ٤ / ٦٩ في تخريج أحاديث الهداية - كتاب أدب القاضي.

وقال ابن القيّم الجوزيّة، المتوفّى سنة (٧٥١): كان عليّ في وقته سابق الأُمّة وأفضلها، ولمْ يكن فيهم حين وليها أولى بها منه[١].

وقال أبو عبد الله بن محمّد بن مفلح الحنبلي، المتوفّى سنة (٧٦٣): كان عليّ عليه السلام أقرب إلى الحقِّ من معاوية، وأكثر المنصفين في قتال أهل البغي يرى القتال من ناحية علي عليه السلام، ومنهم من يرى الإمساك. وقال ابن هبيرة في حديث أبي بكرة في ترك القتال في الفتنة، أي في قتل عثمان: فأمّا ما جرى بعده، فلمْ يكن لأحد من المسلمين التخلّف عن عليّ عليه السلام، ولمّا تخلّف عنه سعد وابن عمر وأُسامة ومحمد ابن مسلمة ومسروق والأحنف ندموا. وكان عبد الله بن عمر يقول عند الموت: إنّي أخرج من الدنيا وليس في قلبي حسرة، إلا تخلّفي عن عليّ عليه السلام. وكذا روي عن مسروق وغيره؛ بسبب تخلفهم[٢] وقال ابن حجر العسقلاني، المتوفّى سنة (٨٥٢): كان الإمام علي بن أبي طالب على الحقِّ والصواب في قتال مَن قاتله في حروبه: الجمل وصفّين وغيرهما[٣].

ويحكي محمود العيني، المتوفّى سنة (٨٥٥) عن الجمهور: أنّهم صرّحوا بأنّ علياً عليه السلام وأشياعه كانوا مصيبين؛ إذ كان عليّ عليه السلام أحقَّ الناس بالخلافة، وأفضل مَن على وجه الدنيا حينئذ[٤].

---

(١) بدائع الفوائد ٣ / ٢٠٨ لابن القيّم الجوزية.
(٢) الفروع ٣ / ٥٤٢ - ٥٤٣.
(٣) فتح الباري ١٢ / ٢٤٤ كتاب استتابة المرتدّين - باب ترك قتال الخوارج.
(٤) عمدة القاري ١١ / ٣٤٦ كتاب الفتن.

وقال ابن حجر الهيثمي، المتوفّى سنة (٩٧٤): إنّ أهل الجمل وصفّين رموا علياً عليه السلام بالمواطاة مع قتلة عثمان، وهو بريء من ذلك وحاشاه[1]. ثمّ قال:

---

(١) في الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٤٠، كان محمّد بن سيرين يقول: ما علمت أن علياً اتُّهم في قتْل عثمان حتّى بويع، إتّهمه الناس. وفي التمهيد للباقلاني ص٢٣٥ كان علي عليه السلام يقول بالبصرة: «والله ما قتلت عثمان، ولا مالأت على قتله، ولكنّ الله قتله وأنا معه» فظنّ قوم أنه أخبر عن نفسه بالقتل بقوله: «وأنا معه» وإنّما أراد الله أن أماته ويميتني معه؛ لأنّه حلف وهو الصادق: أنّه ما قتله ولا مالأ عليه. وفي العقد الفريد ٢ / ٢٧٤ في باب براءة علي من دم عثمان: كان علي عليه السلام في الكوفة يقول: «ولئن شاءت بنو أُمية لأُباهلنّهم عند الكعبة خمسين يميناً ما بدأت في حقِّ عثمان بشيء». وفي مجموع الفتاوى المصريّة لابن تيمية ٤ / ٢٢٤ كان علي عليه السلام يحلف وهو البار الصادق بلا يمين: أنه لم يقتل عثمان، ولا رضي بقتله. وفي تاج العروس ٨ / ١٤١ مادة (نفل)، النفل: الحلف، ومنه حديث علي عليه السلام: «لوددت أن بني أُمية رضوا، ونفلنا خمسين من بني هاشم يحلفون ما قتلنا عثمان، ولا نعلم له قاتلاً»، أي: حلفنا لهم خمسين يميناً على البراءة. وفي إصلاح المنطق لابن السكيت ص١٧٠ باب ما يُهمز وترك العامة همزه، في مادة (ملأ): يروى عن علي بن أبي طالب أنه قال: «والله ما قتلت عثمان، ولا مالأت على قتله»، والتمالؤ: الإجتماع على الأمر. وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص٦٠، قُتل المغيرة بن الأخنس يوم الدار مع عثمان، فقال ابنه شعراً يعذر علياً عن الإشتراك مع القوم، فقال من أبيات:

فأمّا علي فاستغاث ببيته ... فلا آمرٌ فيها ولم يك ناهيا

ولابن أبي الحديد كلمة في شرح النهج ١ / ١١٢ تدل على فقهه بالحوادث فقال: كان معاوية شديد الإنحراف عن علي عليه السلام؛ لأنه يوم بدر قتل أخاه حنظلة، وخاله الوليد، وشرك في جدِّه عتبة أو عمّه شيبة، وقتل من أعيان بني عبد شمس وأمثالهم نفراً كثيراً؛ فمن هناك أشاع نسبة قتل عثمان إليه أو انضواء القتلة إليه. وفي الكامل للمبرد ٢ / ٢٤٠ كان عروة بن الزبير يقول: كان علي عليه السلام أتقى لله من أن يعين على قتل عثمان.

ويجب على الإمام قتال البغاة؛ لإجماع الصحابة عليه، ولا يقاتلهم حتّى يبعث إليهم أميناً عدلاً فطناً ناصحاً يسألهم عمّا ينقمونه على الإمام؛ تأسّياً بعليّ عليه السلام في بعثه ابن عبّاس إلى الخوارج بالنهروان فرجع بعضهم إلى الطاعة[١].

وحديث مناظرة ابن عبّاس مع الخوارج مذكور في آخر خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٤٨.

وقال الشهاب الخفاجي، المتوفّى سنة (١١٠٠) هـ: حديث النّبي صلى الله عليه وآله: «تقتل عمّار الفئة الباغية»، وقد قتله أصحاب معاوية وكان مع عليّ عليه السلام بصفّين، وهو صريح في أنّ الخليفة هو عليّ عليه السلام، وأنّ معاوية مخطئ في اجتهاده. والباغية من البغي: وهو الخروج بغير حقّ على الإمام. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله: «إذا اختلف الناس، كان ابن سميّة مع الحقّ». وابن سميّة: هو عمّار، كان مع علي عليه السلام. وهذا هو الذي ندين الله به، وهو أنّ علياً كرّم الله وجهه على الحقّ، ومجتهد مصيب في عدم تسليم قتلة عثمان[٢].

وقال الشوكاني، المتوفى سنة (١٢٥٥) هـ: في حديث أبي سعيد عن النّبي صلى الله عليه وآله: «**تكون أُمّتي فرقتين، يخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهما بالحقّ**» دلالة على أنّ علياً عليه السلام ومَن معه هم المحقّون، ومعاوية ومَن معه هم المبطلون[٣].

---

(١) تحفة المحتاج ٤ / ١١٠، ١١٢.
(٢) شرح الشفا ٢ / ١٦٦ ط سنة / ١٣٢٦.
(٣) نيل الاوطار للشوكاني ٧ / ١٣٨.

وحكى أبو الثناء الآلوسي المفسّر عن بعض الحنابلة: التصريح بوجوب قتال الباغين؛ لأنّ علياً عليه السلام اشتغل في زمان خلافته بقتال الباغين دون الجهاد، فهو إذاً أفضل من الجهاد. ثمّ ذكر ندم عبد الله بن عمر على تركه المشاركة مع علي عليه السلام في قتال الباغين، ولمْ يتعقّبه الآلوسي بشيء[١]. وقال محمّد كرد علي: ما خالف علي في البراءة من قتلة عثمان، وقد كان قتلته من أكثر القبائل، وكانوا عدداً ضخماً لا طاقة لعليّ عليهم. ومن المتعذّر عليه أن يسلّمهم أو بعضهم؛ وهم عضده ولو كان يعرفهم بأعيانهم. وقد وقعت المسألة على غير رضاه، وليس من مصلحته أن يستهدف لغضب عشائر كثيرة تقوم بنصرته اليوم. وكان علي عليه السلام يحلف بالله أن بني أُميّة لو أرادوا منه أن يأتيهم بخمسين غلاماً من بني هاشم يحلفون بالله أنّه ما قتل عثمان ولا مالأ عليه[٢].

هذه نصوص علماء السنّة في أحقية علي عليه السلام بالخلافة من غيره، وأن الخارج عليه باغ يستحق القتال حتّى يثوب إلى الحقِّ؛ ولذا كان خيار الصحابة والتابعين معه، ومنهم أُويس القرني، فإنّه كان في الرجّالة يوم صفين[٣].

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: ما وجدت في نفسي من شيءٍ؛ مثل ما وجدت أني لم أُقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله تعالى. وكان يحدّث بما أخبر

---

(١) روح المعاني ٢٦ / ١٥١ ط مصر.
(٢) الاسلام والحضارة العربية ٢ / ٣٨٠.
(٣) عمدة القارئ للعيني ١١ / ٣٤٦.

به النبي ﷺ: أن أبن سميّة عمّاراً تقتله الفئة الباغية، وأن البُغاة على الإمام علي عليه السلام هم: معاوية وأصحابه. ولمّا سئل عن المشاركة مع علي بن أبي طالب يوم صفين؛ اعتذر بما لا يجديه يوم فصل الخطاب، فقال: إني لم أضرب بالسيف، ولم أطعن بالرمح، ولكن رسول الله ﷺ قال: «أطع أباك» فأطعته[١].

هذا هو التمويه والخداع! كيف يسوّغ التذرع عن مخالفة الحقِّ بحمل كلام النبي ﷺ على غير حقيقته؟ أتجوّز الشريعة حمل الحديث على وجوب طاعة الأب حتّى إذا استلزمت ترك الفرائض، أو ارتكاب المحرمات؟ كلا، إن طاعة الإمام الذي تمّت له البيعة، كانت مفروضة في أعناق المسلمين، لا مناص للامّة حينئذ إلا الخضوع له، ووجوب امتثال أمره فيما يدعوهم إليه. ولا طاعة للأبوين في قبال طاعة الإمام عليه السلام؛ ولعل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾[٢] شامل لذلك، فإن المراد من الشرك المنهي عنه: الكناية عن ترك الإنقياد لله سبحانه، ويدخل فيه الإعراض عن طاعة النبي ﷺ والإمام الذي تمت له البيعة في أعناق المسلمين؛ ولذلك كانت عائشة تتم في سفرها إلى البصرة في قتال علي عليه السلام، فإن القصر عندها إنما يكون في سفر طاعة[٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة لقمان / ١٥.

(٣) نيل الاوطار ٢ / ١٧٩ صلاة المسافر - باب من اجتاز في بلد فتزوّج فيها.

إنّ الشريعة المقدسة أوجبت على إمام الأُمّة إقامة الحُجّة على كلِّ مَن عانده، وخرج عن طاعته، بتذكير آلاء الله تعالى المتتابعة على العباد مع ما هم عليه من التمرد والطغيان.

ثمّ يعرّفهم بأن الدنيا الزائلة لا تعود على المنهمك فيها إلا بالخسران، إذ لعل بالمواعظ القدسية، وتلاوة الآيات المحكمة، يستنير من أعمته الشهوات؛ فيبصر سبيل الرشاد، ويلمس الحقيقة الناصعة.

ولقد سار أمير المؤمنين عليه السلام على هذه الخطّة التي سنّها قانون الإسلام في أيامه الثلاثة، بعد الهتاف بأصحابه ألا يتعدوا مقررات الشريعة، ومنها: عدم الأستعجال في القتال حتّى تكون الفرقة المقابلة لهم هي العادية بقتال المؤمنين؛ لتثبت الحُجّة على البادي بالظلم[1].

وقد أكثر سلام الله عليه وعلى أبنائه المعصومين، من وعظ أهل الجمل وصفين والنهروان؛ كي لا يبقى لأحد عذر يوم نشر الصحف، وتُدحض حجة كلِّ مَن بلغته دعوته وأصر على الخلاف والعناد، فاستضاء بأنوار إرشاداته مَن هداه الله إلى الإيمان، وضلّ مَن ضلّ عن سبيل الحقِّ.

---

(١) نهج البلاغة ٣ / ٣٠٤ في وصاياه عليه السلام.

الحسين يوم الطفّ

وعلى هذه السنن مشى أبو عبد الله الحسين عليه السلام يوم الطفّ، فلم يبدأ القوم بقتال مهما رأى من أعدائه التكاتف على الضلال، والمقابلة له بكلِّ ما لديهم من حول وطول حتّى منعوه وعياله وصحبه من الماء، الذي لم يزل صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله يجاهر بأنّ الناس في الماء والكلأ شرع سواء؛ لأنّه عليه السلام أراد إقامة الحُجّة عليهم. فوقف في ذلك الملأ المغمور بالأضاليل، ونادى بحيث يعي الجماهير حُجّته، فعرَّفهم أولاً، خسارة هذه الدنيا الفانية لَمن تقلّب فيها، فلا تعود عليهم إلا بالخيبة. ثمّ تراجع ثانية إلى التعريف بمنزلته من نبيّ الإسلام، وشهادته له ولأخيه المجتبى عليهما السلام بأنهما سيّدا شباب أهل الجنة. وناهيك بشهادة مَن لا ينطق عن الهوى، وكان محبوّاً بالوحي الإلهي أنْ تؤخذ ميزاناً للتمييز بين الحقِّ والباطل. وفي الثالثة، عرَّفهم أنّه يؤدّي كلَّ ما لهم عنده من مال وحرمات. وفي الرابعة، نشر المصحف الكريم على رأسه، ودعاهم إلى حُكمه. وحتّى إذا لم تجدِ هذه النصائح القيّمة فيهم، ووضح لديه إصرارهم على الغيِّ والعناد لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله، كشف السّتار عن الإباء العلوي، الذي انحنت عليه أضالعه، ورفع الحجاب عن الأنفة التي كان أبناء علي عليه السلام يتدارسونها ليلاً ونهاراً، وتلهج بباب أنديتهم، فقال صلوات الله عليه: «**ألا وإنّ الدعيَّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين؛ بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة. يأبي الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجورٌ طابت وطهرت، وأُنوف حميّة، ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على**

مصارع الكرام. ألا وإنّي زاحف بهذه الأُسرة على قلّة العدد، وخذلان الناصر».

كـيف يـلوي عـلى الدنيـة جِيـدا ... لـسوى الله مـا لـواه الخضـوعُ

ولـديه جـأش أردُّ مـن الـدرع ... لـظمأى الـقنا وهـنَّ شروعُ

وبـه يـرجع الـحفاظ لصـدرٍ ... ضـاقت الأرض وهـي فيـه تضـيعُ

فـأبى أن يـعيش إلا عـزيزا ... أو تجـلّى الكفـاح وهـو صريـعُ[1]

هذه وصايا الشريعة المطهّرة، وأحكامها الباتّة في الدعوة إلى الحقِّ، والنّهضة لسدِّ باب الباطل. وكما ألزمت جهاد المضلّين المشركين أباحت ترك الجهاد للصبي، والمقعد، والأعمى، والشيخ الكبير، والمرأة، والبالغ الذي لم يأذن له أبواه. لكن مشهد (الطفِّ) خرق ناموسها الأكبر، وجاز تلك المقررات جرياً على المصالح والأسرار التي قصرت عنها أحلام البشر، وقد تلقّاها أبيّ الضَيم عليه السلام من جدّه المنقذ الأكبر، وأبيه الوصي المقدَّم.

فالحسين عليه السلام لم يشرِّع سُنّة أُخرى في الجهاد، وإنّما هو درسٌ إلهيّ أثبته اللوح الأقدس في عالم الإبداع، محدد الظرف والمكان، تلقّاه الأمين جبرئيل عليه السلام وأفاضه على حبيب الله وصفيه محمّد صلى الله عليه وآله، فأودعه صاحب الدعوة الإلهية عند ولده سيد الشهداء عليه السلام.

---

(١) من قصيدة في الحسين عليه السلام للسيد حيدر الحلّي رحمه الله.

فكلُّ ما يُشاهَد في ذلك المشهد الدامي من الغرائب التي تنحسر عن الوصول إلى كنهها عقول الرجال؛ فهو ممّا آثر المولى سبحانه به وليّه وحجّته أبا عبد الله الحسين عليه السلام.

وعلى هذه السُّنن مشى شهيد الكوفة مسلم بن عقيل، المُميّز في العلم والعمل، ووفور العقل، والملكات القدسية، كما يقتضيها تأهّله للولاية والنّيابة عن الإمام الحُجّة عليه السلام. وقد كابد من شدّة الظمأ ما يجوِّز له شرب النجس، ولكن ابن عقيل كقمر الهاشميين رضيعا لبن واحد، وخريجا مدرسة الإمامة والعصمة، فحازا أرقى شهادة في الإخلاص بالمفاداة دون الدِّين الحنيف، من أئمّة معصومين جعلتهما القدوة في الأعمال الصالحة. فكما أنّ مسلماً لم يذق الماء حتّى لفظ نفسه الأخير، لم تسمح نفس أبي الفضل في الورود، حين زلزل الصفوف عن مراكزها حتّى ملك الماء وحده، وقد علم بعطش سيّد الشهداء عليه السلام، وحرائر المصطفى صلى الله عليه وآله، والصبية الفاطميّة. فلم تجوّز له الشريعة التي تلقّاها من أبيه الوصي، وأخويه الإمامين «**إن قاما وإن قعدا**»[1] على حدّ تعبير النبي صلى الله عليه وآله، الريَّ من ذلك المعين؛ تداركاً لنفس حجّة الوقت ولو في آن يسير. غير أنّ المحتوم عاقه عن بلوغ الأُمنية:

لم يذُق الفرات أُسوة به ... مُيمماً بمائه نحو الخِبا

---

(١) كشف الغمة للأربلي ص ١٥٩ في أحوال الحسين عليه السلام.

لـــم يـــرَ فـــي الـــدين يـــبلّ غلّـــة ... وصـــنوه فـــيه الـــظّما قـــد ألهبـــا

لـــــذاك قـــــد أسنـــــده لـــــدينه ... وعـــــن يـــــقينٍ فـــيه لـــن يضـــطربا

هـــذا مـــن الـــشرع يـــرى فعلتَـــه ... ومـــن صـــراط أحـــمدٍ مـــا ارتكبـــا

ومـــثله الـــحسين لـــمّا مـــلك ال ... مـــاءَ فـــقيل رحـــله قـــد نُـــهبا

أمَّ الخـــــيام نافـــــضاً لـمـــــائه ... إذ عـــظم الأمـــر بـــه واعصوصـــبا

فكـــان لـــلعبّاس فـــيه أُســـوةٌ ... إذ فـاض شـهماً غـير مفلـول الشبا[1]

لقد نهض أبو عبد الله الحسين عليه السلام بذلك الجمع النزر، المؤلّف من شيوخ وصبية ورضّع ونساء، مع العلم بأن مقابليه لا يرقبون فيه إلاً ولا ذمة. قادمين على استئصال شأفة النبي صلى الله عليه وآله في أهله وذويه، لكن سياسة (شهيد الطفّ) - التي لا يُدرك مداها، وتنحسر العقول عن تفسير مغزاها - عرَّفت الأجيال الواقفين على هذه الملحمة - التي لم يأت الدهر بمثلها - بأعمال هؤلاء الجبابرة، الذين لم يُسلم أسلافهم حين أظهروه إلا فرقاً من سيف الإسلام.

وقد أصاب أبو عبد الله عليه السلام شاكلة الغرض يوم تقشّعت سحب الأوهام بأنوار نهضته الوضيئة، وهتاف حرمه الذي بلبل الأفكار، وأقلق الأدمغة حتّى راحت الأندية تلهج بما احتقبه هؤلاء الطغاة ومَن قبلهم، من الشنار والعار.

---

(١) للحجة الميرز محمّد علي الغروي الأردوبادي.

الرخصة في المفارقة

وعلى هذا النّهج القويم تكون مصارحة سيّد الشهداء بكلمته الثمينة، البعيدة المغزى، الحكيمة الأساس، المتضمنة تجويزه لأهل بيته وصحبته بمفارقته.

ونص ما يتحدث به المؤرخون عن ذلك؛ قوله عليه السلام لأهل بيته وصحبه عشيّة التاسع من المحرم: «**إنّي لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرَّ وأوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً. ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء غداً، وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً في حلٍّ ليس عليكم مني ذمام. وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كلُّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً. وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم؛ فإن القوم إنما يطلبوني، ولو أصابوني لذُهلوا عن طلب غيري**»[1]. ما أجلّ مغزاك يا أبيَّ الضيم! وما أسمى ما ترمي إليه يا سيّد الشهداء! وما أحكم أقوالك وأفعالك يا روح النبوّة! بلى إنّ هذه الجملة الذهبيّة كتبت بأحرف نوريّة على جبهة الدهر: إنّ أُولئك الصفوة الميامين - الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنّهم سادة الشهداء،

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٣٨، الكامل في التاريخ ٤ / ٢٤، البداية و النهاية ٨ / ١٧٨ وقد ذكر اذنه بالمفارقة، وإصرار أصحابه وأهل بيته على المفاداة. ورواه الفضل بن شاذان النيسابوري في (اثبات الرجعة) عن أبي جعفر عليه السلام، ورواه الشيخ المفيد في الإرشاد، والطبرسي في إعلام الورى، والفتّال النيسابوري في روضة الواعظين، وذكره الخوارزمي في المقتل ١ / ٢٤٦.

وأنّهم لم يسبقهم سابق، ولا يلحقهم لاحق[١] - زبدة العالم، ونخبة الكون. وقد استضأنا من تلك الإشعاعات طوايا نيّاتهم؛ من الحزم والثبات، والإخلاص في المفاداة، والتضحية القدسيّة، وفي كلّ ذلك دروس راقية لَمن يريد اقتصاص أثر أُولئك الأُباة في الترفّع عن الدنايا، والموت تحت راية العزم، وعدم الخضوع للسّلطة الغاشمة، إمّا ظفر بالأمنية، أو فوز بالشهادة والسّعادة.

ولولا تلك الرخصة بالمفارقة الصادرة من أمين الشرع والشريعة، وتلك الكلمات التي أباحتها نفوسهم الطاهرة، لما أمكن للأجيال معرفة مبلغهم من العلم واليقين، وتفاضلهم في الملكات، وطموحهم إلى أبعد الغايات السامية، والثبات على المبدأ بإخلاص وبصيرة.

فسيّد الشهداء أراد بذلك اختبار نفوسهم - والإختبار من الحكيم العالم بما كان ويكون، لا يحطُّ من علمه ووقوفه على الخفايا بعد أن كانت الغاية الملحوظة له ثمينة، والمقصد سام. وهو الذي أشرنا إليه من التعريف بملكات أصحابه، وأهل بيته عليهم السلام - ولا غرابة في هذا الإختيار بعد أن صدر مثله من (فاطر الأكوان) جلّ شأنه، الذي لا يغادر علمه صغيراً ولا كبيراً؛ فيأمر خليله إبراهيم بذبح ولده إسماعيل وهو لا يريده، مع العلم بطاعة رسوله الخليل، وثبات نبيّه إسماعيل، لولا المصلحة التي يعلمها ربّ العالمين وإن انحسرت عن إدراكها العقول.

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه / ٩٧٠ - ٩٩٩.

وقصّة الأقرع، والأبرص، والأعمى تشهد بأنّ الله تعالى إنّما أراد بالإنعام عليهم؛ التعريف لمن يقف على قصّتهم بلزوم الشكر على الإنعام، وإنّ الكفران عاقبته الخسران[1].

وأبو عبد الله عليه السلام أراد بهذا الإختبار؛ تعريف الأجيال مبوّأ أهل بيته وصحبه من الشرف، والعزّ، وطهارة أعراقهم، وخضوعهم لما فيه مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ العلم بمبلغ أي رجل في العالم من الطهارة، والثبات على المبدأ، والطاعة للأصلح المرضي للمولى تعالى، لا يحصل إلا بأقواله المشفوعة بالعمل الصحيح، أو بشهادة مَن له الوقوف على حركاته وسكناته. ولم يخفَ على كلّ أحد قصور التأريخ الذي بأيدينا، عن كثير من أعمال الرجال الصالحين، الذين بذلوا كلَّ ما لديهم من جاه وحرمات في سبيل تأييد الشريعة الحقّة، ولم يحمل التأريخ شيئاً من أعمال أُولئك الصفوة (شهداء كربلاء)؛ لنتشوَّف منه قداسة ضمائرهم، وخلوص نيّاتهم، وتزكية تفوسهم، غير ذلك المشهد الدامي. ولولا تلك الأقوال التي صارح بها أصحابُ الحسين عليه السلام وأهل بيته، حينما أبدى لهم الرخصة في مفارقته، وأباح لهم تخليهم عنه مع القوم الذين تجمهروا عليه، لما عرفنا تفاضلهم في الملكات، وتفاوتهم في النظرات البعيدة الغور، والفضيلة التي لمْ يستوفها البشر.

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأنبياء - باب الأقرع والأبرص ٤ / ١٤٦ و فتح الباري ٦ / ٣٢٣ في هذا الباب.

والعلم نور يقذفه الله تعالى في قلب مَن يشاء من عباده، مع التفاوت شدّةً وضعفاً.

فهذا مسلم بن عوسجة الأسدي، لم يكشف التأريخ عن أعماله الخالدة، ومزاياه الصالحة بقليل ولا كثير، غير كلمة شبث بن ربعي: أنّه غزا مع المسلمين (آذربيجان) وقتل ستّة من المشركين قبل تتام خيول المسلمين. وما عسى أن يعرف منها القارئ إلا مدى ولائه الأكيد لخلفاء النّبي صلى الله عليه وآله، وعدم تغيّره بتطوّر الزمن وملابسات الأحوال، ولكنّ قوله للحسين عليه السلام: أنحن نخليّ عنك ولمّا نعذر إلى الله تعالى في أداء حقّك؟ أما والله لا أُفارقك حتّى أكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن معي سلاح أُقابلهم به لقذفتهم بالحجارة حتّى أموت معك. أفادنا بصيرة بثبات الرجل على المبدأ في آخر مرحلة من مراحل الوجود، وأنّه لا يهمه في سبيل مرضاة الله تعالى ورسوله كلّ ما يلاقيه من آلام وجروح دامية. وقد شفّع هذا القول بالجهود في العمل حين استقبل السيوف والرماح بصدره ونحره، كما لم يقتنع بهذا حتّى أوصى حبيب بن مظاهر الأسدي - ذلك الذي استفاد علم المنايا والملاحم من أمير المؤمنين عليه السلام - بنصرة الحسين عليه السلام؛ ولأنّه لا يعذر عند رسول الله صلى الله عليه وآله بالتقصير في حقّه وهو في آخر رمق من الحياة، وفاضت نفسه الغالية على هذه العقيدة والطاعة[1].

---

(١) يذكرني هذا التفاني دون ابن بنت المصطفى اعتذار سعد بن أبي وقّاص لمّا طلب منه أمير المؤمنين عليه السلام نصرته، فقال: إني أكره الخروج في هذه الحرب فاصيب مؤمناً إلا أن تعطيني سيفاً يعرف المؤمن من الكافر!!. كتاب الجمل للشيخ المفيد / ٥٩ ط ٢.

وتابعه في إخلاص الولاء والمفاداة سعيد بن عبد الله الحنفي، إذ يقول: والله لا نخلِّيك حتّى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك، والله لو علمت أنّي أُقتل ثمّ أُحيا ثمّ أُحرق حيّاً ثمّ أُذرَّى، يُفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك. فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة، ثمّ الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً؟!.

فوقف دون أبي عبد الله عليه السلام، ونصح في الذّب عنه، ولمْ يقنعه ما أصابه من الجروح الدامية، حين استُهدف لأعداء الله تعالى دون الحسين عليه السلام وهو يصلّي الظهر في حومة الميدان حتّى استفهم من أبيٍّ الضيم: أنّه أدّى أجر الرسالة، ووفي بما أوجبه الله عليه؛ فيموت جذلاً برضى الربِّ تعالى، أم هو التقصير فالخيبة والخسران؟ فطمأنه أبو عبد الله عليه السلام بنيل السّعادة بالشهادة، ولقاء الرسول ﷺ قبله.

وما إن فرغ من خطابه حتّى قام زهير بن القين البجلي، يتلو على مسامع الأجيال تعاليم راقيةً في الدعوة إلى الدين، أعقبت له الخلود إلى الأبد. فيقول للحسين عليه السلام: والله لوددت أنّي قُتلت، ثمّ نُشرت، ثمّ قتلت حتّى أُقتل على هذه ألف مرّة، وإنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

لا شك قي قبول الطاعة من العبد لو كان ما يأتي به من الأعمال بلحاظ الربح يوم الخلود، ولكن هناك ما هو أبعد غوراً وأسمى قصداً، وهو طاعة أهل اليقين الذين لا يهمهم في أداء ما وجب عليهم؛ إلا كون المولى سبحانه أهلاً للعبادة.

وزهير هذا هو وعاء اليقين والإيمان الخالص، أقرأنا في هذا الموقف نظراته البعيدة، وعقائده الحقّة، وغاياته السّامية من حفظ شخص الإمامة الواجبة من قبل الله تعالى، والنّفوس العزيزة لرسول الله صلى الله عليه وآله. وإنّه لا يريد بعبادته لله تعالى في جهاد أعدائه، ثواب الآخرة، والمجازات على الجهود يوم تقسّم الأُجور على الصالحات، وإنّما أراد بهذه العبادة دفع اليد العادية عمّا يسوء شخص الرسالة الممتزجة بشخصيّة حُجّة الوقت على حدّ تعبير النّبي صلى الله عليه وآله عنها:

«**حسين منّي، وأنا من حسين**»[1]. فإنّ صاحب الشريعة لم يرد بهذا التعبير تعريف الأُمّة بكون شهيد الطفِّ بضعة منه؛ لما فيه من الركاكة التي يأباها كلام سيّد البلغاء، لإنّ كلّ ولد بضعة من أبيه فلا امتياز للحسين عليه السلام، ولكنه أراد صلى الله عليه وآله بهذه الجملة الذهبيّة، الإشارة إلى ما ينوء به سيّد الشهداء من توطيد أُسس الإسلام، وكسح أشواك الباطل عن صراط شريعة العدل، وتنبيه الأُمم على جرائم أعمال مَن يعبث بقداسة الدِّين. فكما أنّ النّبي صلى الله عليه وآله أول ناهض لنشر الدعوة الإلهيّة، يكون الحسين آخر ناهض لتثبيت دعامتها:

قد أصبح الدينُ منه شاكياً سقماً ... وما إلى أحدٍ غيرِ الحسين شكا

---

(١) رواه من الامامية السيد المرتضى في أماليه ١ / ١٥٧ المجلس الخامس عشر، وابن قولويه في كامل الزيارات / ٥٣. ومن أهل السنة الترمذي في جامعه في مناقب الحسين عليه السلام، والحاكم في المستدرك ٣ / ١٧٧، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٤ / ١٤٩، وابن حجر في مجمع الزوائد ٩ / ١٨١، والهيثمي في الصواعق المحرقة / ١١٥ حديث ٢٣، والبخاري في الأدب المفرد، والمتقي الهندي في كنز العمال ٧ / ١٠٧ وغيرهم الكثير.

فما رأى السبط للدين الحنيف شفا إلا إذا دمه في كربلا سُفكا

وما سمعنا عليلاً لا دواء له إلا بنفس مداويه إذا هلكا

بقتله فاح للإسلام نشرُ هدىً فكلّما ذكرته المسلمون ذكا[1]

ولولا هذه المصارحة من (ابن القين)، لَما أمكننا استطلاع ما اختبأ بين جوانحه من الولاء الأكيد لِمَن وجبت لهم العصمة من المهيمن سبحانه، وقيّضهم أعلاماً لعباده وحفظة لشرعه، مع أنّ التاريخ لم يسجّل له غير الموالاة (لعثمان بن عفّان)، ومقت ابن الرسول الأطهر عليه السلام.

أمّا موقف عابس بن أبي شبيب الشاكري يوم البيعة لمسلم بن عقيل بالكوفة، ويوم الطفِّ، فيفسِّر فضله الكثير، وعقيدته الراسخة بمحبّة أهل البيت عليهم السلام، وإنّه لا يهمّه في سبيل حفظ الإمام عليه السلام - ولو في بعض الأناة - إزهاق نفسه، وبذل كلِّ ما لديه من نفيس. فيقول لمسلم بن عقيل حينما شاهد تلك النفوس الخائنة متداكة على البيعة له: إني لا أُخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في نفوسهم وما أغرّك منهم. ووالله إني أُحدثك عمّا أنا موطّن نفسي عليه؛ والله لأجيبنّكم إذا دعوتم، ولأُقاتلنّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفي دونكم حتّى ألقى الله، لا أُريد بذلك إلا ما عند الله[2].

---

(١) من قصيدة في الحسين عليه السلام للسيد جعفر الحلي طبعت في ديوانه.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ١٩٩.

ففسّر بهذه الكلمة الموجزة نوايا القوم وخور عزائمهم، وأنّهم مجبولون على الغدر والنّفاق ومتابعة الأهواء، وأنّهم لم يرقهم المكاشفة في الميل عنه؛ لئلا يعود ذلك فتّاً في عضد البيعة الواهية، ومثاراً للإحن. فأجملوا القول وهم ينتظرون نواجم العاقبة، وإلا فلم لم يحصل لمسلم بن عقيل الواحد من هؤلاء الآلاف مَن يدلّه على الطريق يوم اظلمت عليه الآفاق، فلم يدرِ إلى أين يتوجّه؟!.

ثمّ يقول ابن أبي شبيب للحسين عليه السلام يوم الطفِّ: ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ علي منك، ولو قدرت أن أدفع الضيم عنك بشيء أعزّ عليَّ من نفسي لفعلت[1].

بلى يابن أبي شبيب، إنّ الرجال المخلصين لله تعالى، المتفانين في خدمته لا يرون الوجود إلا متلاشي الأطراف، والبقاء الأبدي بنصرة الإمام علّة الكائنات ومدار الموجودات.

ثمّ يقوم نافع بن هلال فيقول: والله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربّنا، إنّا على نيّاتنا وبصائرنا؛ نوالي من والاك ونعادي من عاداك. ويتكلّم أصحابه بما يشبه ذلك.

ولمّا أذِن عليه السلام لأهل بيته بالإنصراف قالوا بأجمعهم بصوت واحد: أنفعل ذلك لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبداً، ثمّ التفت إلى بني عقيل وقال: «حسبكم من

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٤.

القتل بمسلم، قد أذِنتُ لكم». فانطلقت ألسنتهم تعبّر عمّا أضمر في جوانحهم من النصرة للدِّين، والذبِّ عن شخص الإمام الحُجّة عليه السلام، فقالوا: إذَن ما نقول للناس؟! إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولمْ نرمِ معهم بسهم، ولمْ نطعن برمح، ولمْ نضرب بسيف؟ لا والله لا نفعل، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا؛ نقاتل معك حتّى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك.

إنّ هذه المفاداة في ذلك المأزق الحرج، الذي تقطّعت فيه خطوط المدد، وسدّ دونهم باب الورود المباح للحيوانات، تكشف عن بلوغهم أسمى صفات الكمال، وتجرّدهم عن عوارض الدنيا الفانية. ولو كانوا يحملون أقلّ شيء من الرغبة في البقاء والتبلغ في هذا الوجود؛ لاتّخذوا الإذن بالمفارقة ذريعة يتذرّعون بها يوم الحساب، ولكنّ هذه النّفوس التي فطرها ربّ العالمين من طينة القداسة، وامتزجت بنور اليقين لا ترغب في البقاء إلا أن تحقّ الحقّ، أو تبطل الباطل. وهل تستمرئ العيش وهي تعلم ما يلاقيه فلذة كبد الرسول صلى الله عليه وآله، ومهجة الإسلام من الجروح الدامية، والأوام المبرح؟:

نفوس أبتْ إلا ترات أبيهُمُ ... فهم بين موتور لذاك وواترِ

لقد ألفت أرواحُهمْ حومة الوغى ... كما أنِست أقدامهم بالمنابر[1]

وفي هذا الحين أُنهيَ إلى محمّد بن بشير الحضرمي خبر أسر ابنه بثغر الرّي، فقال: عند الله أحتسبه ونفسي، ما أُحبّ أنْ يؤسر وأبقى بعده. فلمّا سمع

---

(١) مثير الأحزان لابن نما / ٣٨.

الحسين عليه السلام هذا منه أذِن له بالمفارقة، وحلّ عقد البيعة؛ ليعمل في فكاك ابنه. فلمّا سمع ذلك من سيّد الشهداء ثارت به حمية الدين، وحفّزه الولاء الصادق إلى إظهار عقيدته الراسخة في التفاني دون شخص الإمام عليه السلام، فقال: يا أبا عبد الله، أكلتني السّباع حياً إن فارقتك.

إنّ الإيمان الثابت، والطاعة لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وآله يرفعان مَن تمكّنا فيه إلى أوج العظمة، وفوق مستوى الفضيلة. ولو كان ابن بشير متزلزل العقيدة؛ لاغتنم فرصة الإذْن بالإنصراف عذراً عند المولى سبحانه وعند الناس.

إنّ (الشهامة الحسينيّة) لم تترك لصاحبها منتدحاً دون المجاهرة بالإفراج عن العبد الأسود (جون مولى أبي ذر الغفاري)؛ لئلا يقيّده الحياء عن الفرار. ولكن سيّد الشهداء عليه السلام، بعد أن عرف صبره، وثباته عند الهزاهز أراد بامتحانه؛ تعريف المتجمهرين عليه، ومَن يأتي من الأُمم نفسيّة هذا العبد الأسود، ومبلغ موقفه في الذبِّ عن الشريعة - التي تلاعبت بها أيدي الخائنين - مهما تفاقم الخطب، وتراكمت الأهوال. فأباح له حلَّ العهد والنّجاة بنفسه، فقال له: «**يا جون، إنّما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقتنا**». فعندها تسابقت دموعه؛ خوفاً من عدم التوفيق لنيل السّعادة الخالدة، وقد مزجها بقوله الذي لمْ يزل رجع صداه في مسامع الأجيال، معرفاً بنجاح الصابر عند الهزاهز (وإنّما الراحة بعد العنا). فقال: أنا في الرخاء ألحَس قصاعكم، وفي الشدّة أخذلكم! إن ريحي لنتن،

وحسبي لئيم، ولوني أسود فتنفس عليَّ بالجنة؛ ليطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيضّ لوني. لا والله لا أُفارقكم حتّى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم[1].

ولولا هذه المصارحة من الحسين عليه السلام، لما تسنّى لكلّ أحد الوقوف على طهارة ضمير هذا العبد ونواياه الحسنة. وإنَّ ثباته على القتل، بعد الإفراج والإذن بالمفارقة يخبر عن عقيدة راسخة.

الخلاصة:

إنّ حفظ شخص الإمام عليه السلام كحفظ شخص النّبي صلى الله عليه وآله مما يلزم به العقل والشرع، ولا يسع كلّ أحد التخلّف عنه وتركه ومَن يريد استئصاله، بل الواجب بذل النّفس والنّفيس دونه؛ ليدرأ بذلك العدوان عن نفس الإمام الذي هو حياة الوجود وبقاء الكون. كما يجب على الإمام عليه السلام الدعوة إلى نصرته والدفاع عنه، مع العلم بأنّ الموافق له قادم على إزهاق نفسه القدسيّة، وأنّه لا ندحة له عن دفع الموت، فيجوز له عدم إلزام أي أحد بالدفاع عنه؛ لخلوّه عن الفائدة.

والحسين عليه السلام كان عالماً بما يجري عليه من أعدائه، وعدٌ لا خلف فيه، وقضاء غير مردود، كما أنبأ أُمّ سلمة بقوله: «**إنْ لمْ أخرج اليوم خرجتُ في غد، وإنْ لمْ أخرج في غد فبعد غد. وهل من الموت بُدّ! أتظنين أنّك تعلمين ما لمْ أعلمه؟**».

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف / ٦١ ط صيدا.

إذاً فلا يجب عليه إلزام الغير بالدفاع عنه. نعم، لا يسقط التكليف عمّن فقد العلم بالمقدّرات الإلهيّة من البشر في القيام بالدفاع عن شخص الإمام الحُجّة، ولا يُعذر مَن يبصر حصار القوم لَمن أهَّله الله تعالى خليفة على العباد، وقطعهم خطوط المدد عنه، وسدّ باب الورود عليه، فلم ينهض لردِّ العادية عنه؛ كي لا يخلص إليه ما يزهق نفسه القدسيّة. ولا يقبل الله تعالى حجّة مَن ينظر هذا الحال، ثمّ يتقاعس عن النّصرة وإنْ اعصوصب الأمر وتفاقم الخطب، أللهم إلا أنْ يأذن حُجّة الزمن بمفارقته، وتخليته مع أعدائه؛ لكونه العالم بالمصالح تعليماً من لدن حكيم عليم، تعالى شأنه. وحينئذ لا يلزم العقل، ولا الشرع بالبقاء معه والدفاع عنه، ولا يكون مَن يفارقه متعدياً على مقررات الشريعة، ويصحّ له العذر - يوم نشر الصحف - بترخيص الإمام عليه السلام في ترك نصرته. ولا يكون الإمام مجازفاً لو أباح للغير إفراده وأعداءه، وحلّ عقدة العهد، بعد التسليم بأنّه لا يتخطّى المصالح الواقعيّة قيد شعرة. هذا ما يقتضيه تكليف الإمام وأمّا تكليف المأذون بالإنصراف، فإنّه إذا لم يشاهد استغاثة الإمام واستنصاره، فلا تبعة عليه ولا مسؤوليّة. وأمّا مع مشاهدته حيرة الإمام، وتتابع استغاثته، فلا يسوغ له ترك النّصرة؛ للقطع بأنّه في هذا الحال بحاجة ماسّة إلى الذبّ عنه، فلا يُقبل منه العذر يوم الحساب.

وإن كلمة أبي عبد الله عليه السلام لعبيد الله بن الحرّ الجعفي، يوم اجتمع معه في قصر بني مقاتل لمّا استنصره فأبى عليه، قال له الحسين عليه السلام: «**إنّي أنصحك إنْ استطعت أنْ لا تسمع واعيتنا وصراخنا، ولا تشهد وقعتنا فافعل؛ فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلا أكبّه الله على منخريه في نار جهنّم**»، تؤيّد ما سجّلناه

من دحض حُجّة مَن يسمع استغاثة الإمام ثمّ لا ينصره. وأمّا مَن لمْ يسمع الواعية، وقد أباح له المفارقة، فهو معذور.

فالضحّاك بن عبد الله المشرقي لا يُعذر يوم الحساب؛ لأنّ استنصار الحسين عليه السلام في مسامعه، ويراه مكثوراً، فالواجب عليه الدفاع إلى آخر نفس يلفظه. وهذا الرجل جاء إلى الحسين عليه السلام قبل اشتباك الحرب، وقال له: إني أُقاتل معك ما رأيت معك مقاتلاً، فإذا لم أرَ أحداً، فأنا في حلّ؟. فقال له الحسين عليه السلام: «**نعم**». فخبّأ فرسه في بعض الأبنية لمّا رأى خيل أصحاب الحسين عليه السلام تُعقر، وصار يقاتل راجلاً. ولمّا بقي الحسين عليه السلام وحده قال له الضحّاك: إني على الشرط؟، قال: «**نعم، أنت في حلٍّ إن قدرت على النجاة**». فأخرج فرسه من الفسطاط وركبها وغار على القوم فأفرجوا له، وتبعه خمسة عشر رجلاً، فانتهى إلى (شفية)[1]، ولحقه القوم وعرفه أيوب بن مشرح الخيواني، وكثيّر بن عبد الله الشعبي، وقيس بن عبد الله الصائدي، وقالوا لإخوانهم: هذا ابن عمّنا، ننشدكم الله لما كففتم عنه، فنجا منهم[2].

وقول الحسين عليه السلام: «**أنت في حلٍّ**» لا يكون عذراً له يوم الحساب؛ لأنّ أبا عبد الله عليه السلام لا يسعه أنْ يقول له: إصبر على القتل، وهو يعرف مقام الإصرار على الذهاب. والمولى سبحانه لا يعذره يوم الحشر؛ لأنّه يسمع استنصار (أبيِّ الضيم)، ومَن يسمع الاستغاثة ولا ينصره، أكبّه الله على وجهه في النّار.

---

(١) قرية قريبة من شاطئ الفرات.
(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٥.

بقاء الشريعة بالحسين

لقد كانت نهضة الحسين عليه السلام الجزء الأخير من العلّة التامّة لاستحكام عروش الدِّين؛ حيث إنّها فرّقت بين دعوة الحقِّ والباطل، وميّزت أحد الفريقين عن الآخر حتّى قيل: إنّ الإسلام بدؤه محمديّ وبقاءه حسينيّ؛ ولذلك لمْ يجد أئمّة الهدى وسيلة لنشر أمرهم في الإصلاح، ونفوذ كلمتهم في إحياء شرع جدّهم الأقدس صلى الله عليه وآله إلا لفت الأنظار إلى هذه النّهضة الكريمة، لمّا اشتملت عليه من فجائع تفطر الصخر الأصم، ويشيب لها فود الطفل، ويذوب الفؤاد. فطفقوا عليهم السلام يحثّون الأُمّة على تأييدها، والقيام بذكر ما لاقاه شهيد الإصلاح من القسوة والإضطهاد، وإعلام الأُمّة بما حدث في تلكم المشاهد الدمويّة من مظلوميّة الحسين وأهله وذويه عليهم السلام؛ لأنّهم صلوات الله عليهم علموا أن في إظهار مظلوميّته مجلبة للعواطف، واسترقاقاً للأفئدة. فبطبع الحال، يتحرّى السامع لتلكم الفجائع الوقوف على مكانة هذا المضطهد، وأسباب ما ارتُكب منه من أعمال قاسية.

وطبعاً يعلم أن سبط النبوّة إمام عدل لم يرضخ للدنايا، ولم يصخ إلى دعوة المبطلين، وأن إمامته موروثة له من جدّه صلى الله عليه وآله وأبيه (الوصي) عليه السلام، وأنّ من ناواه لا يملك من منصّة الخلافة موضع قدمه، وكذا كلّ مَن حذا حذوه وذهب على شاكلته.

وإذا عرف السّامع هذا، وعلِم أنّ الحقَّ كلَّه في جانب الحسين ومن خلفه من أئمّة الدِّين عليهم السلام، لمْ تدع له عقليته إلا السّير معهم، واعتناق طريقتهم المثلى؛

وبذلك تتوطد أُسس السّلام والوئام.

لقد أقعدت السّلطة الغاشمة من بني أُميّة وبني العبّاس أهل البيت عليهم السلام في دورهم، وأوصدت عليهم أبواب الإجتماع بشيعتهم، فلاقوا منهم ضروب الأذى والتنكيل؛ فآثروا العزلة على الخروج بالسّيف في وجه دعاة الباطل، مع ما يشاهدونه من تمادي أُولئك في الطغيان، وظلم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه، وتتبعهم تحت كلّ حجر ومدر، وإبادتهم العلويين من جديد الأرض. وكان بمرأى منهم بناء المنصوروالرشيد الإسطوانات على ذريّة فاطمة عليها السلام، ظلماً وعدوانا[1].

ولكن لم يفُتْهم الجهاد الأكبر بتحريض شيعتهم على عقد المحافل[2] لذكر حادثة الطفِّ الخالدة وتواصل الإستياء؛ لِما هنالك من فجائع ومصائب، وإسبال

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ١٠٢.

(٢) عقد المحافل للتذكير بتلك الفاجعة المؤلمة لا يقتصر فيه على ذكرها في البيوت فقط، فإنه خلاف إطلاق الأخبار. ففي أمالي الصدوق ص ١٣١ عن الرضا عليه السلام: «مَن ذكّر بمصابنا فبكى وأبكى، لم تبك عينه يوم تعمي العيون». وفي قرب الإسناد ص ٢٦ عن أبي عبد الله عليه السلام: «مَن ذكرنا أو ذُكرنا عنده، فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله ذنوبه». وفي كامل الزيارات ص ١٠٠ عن أبي هارون المكفوف عن أبي عبد الله عليه السلام وفيه: = «مَن ذُكر الحسين عليه السلام عنده، فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح الذباب، كان ثوابه على الله، ولم يرضَ له بدون الجنة». وهذه الأخبار ونظائرها الكثير تحث بعمومها على كل وسيلة يتذكر بها مصاب الحسين، أو مصاب أهل البيت عليهم السلام، سواء في ذلك عقد المأتم، أو بذل المال لأجله، أو نظم الشعر، أو كتابة تلك الفوادح أو تدوينها أو إنشاد ما جرى عليهم، أو تصوير تلك الفاجعة أمام الناس بكل مظهر من مظاهره، فإن الجامع لهذه الانحاء قوله عليه السلام «مَن ذكّر بمصابنا».

الدموع لكارثتها المؤلمة. وأكثروا من بيان فضل ذلك إلى حدٍّ بعيد؛ لأنّهم علموا أنّ هذا هو العامل القوي في إبقاء الرابطة الدينيّة، التي لأجلها لاقى أمير المؤمنين عليه السلام ما لاقاه، وأصاب ولده الحسن عليه السلام ما أصابه. ومصاب الحسين عليه السلام يدكدك الجبال الرواسي.

فكان أهل البيت عليهم السلام يتحرون أساليب مختلفة من البيان، توجب توجيه النّفوس نحو التذكارات الحسينيّة؛ لِما لها من العلاقة التامّة لحفظ المذهب عن الإندراس، فعبّروا عنها بالعموم تارة، وبالخصوص أُخرى. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكرا في أمرنا، فإنّ ثالثهما ملك يستغفر لهما. وما اجتمع إثنان على ذكرنا إلا باهى الله بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم احياءنا، وخير النّاس من بعدنا مَن ذاكر بأمرنا، ودعا إلى ذكرنا**»[١].

ويقول عليه السلام للفضيل بن يسار: «**تجلسون وتحدثون؟**» قال: نعم، جعلت فداك. قال عليه السلام: «**إنّ تلك المجالس أُحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا**»[٢]. ويقول عليه السلام أيضاً «**مَن جلس مجلساً يحيا فيه أمرنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب**»[٣].

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي / ٢٢٤.
(٢) قرب الإسناد / ٣٦.
(٣) أمالي الشيخ الصدوق / ١٣١.

فالأئمّة عليهم السلام أرادوا بهذا النّحو من البيان حمل الأُمّة على الإعتقاد بإمامتهم، وما أوجبه المولى سبحانه من عصمتهم، وما أهّلهم له من الفضائل والفواضل، وأنّ الدعوة إليهم ملازمة لاعتقاد خلافتهم دون من اغتصب ذلك المنصب الإلهي.

إنّ التذكارات الحسينيّة على اختلاف صورها؛ من عقد العزاء والمآتم[1] واللطم[2] في الدور والشوارع أوجبت تقدّم الطائفة، وكان عمل الشبيه أوضح المصاديق والحجج على القساوة التي جاء بها الأُمويّون ولفيفهم من تلاوة الشعر. وإنّ ذكر المصاب؛ لتسرب ذلك بوضوح إلى أدمغة الأطفال والعامّة، الذين لا يفهمون ما يشتمل عليه القريض والكتب من دقائق الحادثة، هو أحكم وآكد في تأثّر النّفوس، واحتدام القلوب في حفظ الروابط المذهبيّة بين الأئمّة عليهم السلام ومواليهم، وله نصيب وافر في رسوخ العقيدة.

---

(١) في مصباح المجتهد ص ٧٧٢، وكامل الزيارات ص ١٧٤ عن مالك الجهني: إن الامام الباقر عليه السلام كان يقول في يوم عاشوراء «... ثمّ لينـدب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر مَن في داره - ممّن لا يتّقيه - بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة باظهار الجزع عليه، وليعزِّ بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين عليه السلام، وأنا الضامن على الله لهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم ثواب ألفي ألف حجة وعمرة وغزوة مع رسول الله والأئمة الراشدين عليهم السلام». **بتصرّف.**

(٢) روى الشيخ الطوسي في التهذيب ٢ / ٢٨٣ عن الصادق عليه السلام أنه قال: «ولقد شققن الفاطميات الجيوب، ولطمن الخدود على الحسين بن علي، وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب». وذكره الشهيد في كتابه (الذكرى)، في البحث الرابع من المطلب الثالث من أحكام الأموات.

ولقد قلّد الشيعة في تمثيل فاجعة الطفِّ غيرهم من الهنود وبعض فرق الإسلام، وهم في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلاميّة[١].

فكان لفت الأنظار نحو هذه التذكارات، والإعتناق بها أمسّ في إحياء أمر المعصومين عليهم السلام، المحبوب لديهم التحدّث والتذاكر فيه. ولعلّ جملة من هذه الفوائد لا تفهم الأُمّة منها النكتة المهمّة، بل غاية ما يتصوّرون من فائدة عملهم، هو الثواب عليه في الآخرة فقط، ولكنّ الواقف على أسرار أهل البيت عليهم السلام، والمستشرف لمغازي أقوالهم وأفعالهم يتجلّى له ما ألمعوا إليه من هذه النّوادي والمجتمعات، وحثّوا شيعتهم عليه بمزيد لطفهم وواسع علمهم.

البكاء على الحسين

من تلك الفوائد، ما ورد من الحثِّ الكثير البالغ حدِّ التواتر على البكاء لما أصاب سيّد الشهداء عليه السلام حتّى جاء في ثواب مَن خرج من عينه كجناح ذبابة، أنّه يطفئ حَرّ جهنّم. فإنّ الغرض ليس إلا أنّ الدمعة لا تفاض إلا عند انفعال النّفس، وتأثّرها ممّا يصيبها، أو يصيب مَن تمتُّ به بنحو من أسباب الصلة. ولا شكّ إنّا نرى النّفس عند تأثّرها بذلك تكون متأثّرة بشيء آخر، وهو العداء

---

(١) ذكر الدكتور (جوزف) الفرنسي في كتابه (الإسلام والمسلمون)، الذي نشرت جريدة (الحبل المتين) منه فصلاً بالفارسية في العدد ٢٨ من سنتها ١٧: إن التمثيل والشبيه تداولا بين الشيعة من زمن الصفوية، الذين نالوا السلطة بقوّة المذهب؛ بفضل مساعدة علمائهم الروحانيين.

والبغض لكلّ مَن أوقع الفوادح والآلام. فالأئمّة، حيث إنّهم أعرف النّاس بمقتضيات الأحوال والملابسات التي تؤكّد دعوتهم، كانوا يتحرّون التوصّل إلى أغراضهم بكلّ صورة، وكان من الوسائل التي توجب انحراف الأُمّة عن أعداء الله ورسوله ﷺ أمرهم بالبكاء على مصاب الحسين عليه السلام؛ لِما فيه من استلزام تذكّر تلك القساوة انفعال النفس وانقباضها عمّا لا يلائم خطّتهم، وهذا هو المغزى لقول الحسين عليه السلام: «**أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلا استعبر**»(١).

فالمؤمن حيث يمتُّ إلى الحسين عليه السلام بالولاء والمشايعة، كان ذلك موجباً لتأثّر نفسه، واحتدام قلبه على كلّ مَن يوجّه إليه الأضرار والأخطار، ويشتدّ هذا التأثّر عند تناهي تلك الفوادح.

وكيف كان، فإنّ سيّد الشهداء عليه السلام لمْ يقصد بـ «**أنا قتيل العبرة**» خصوص التعريف بأنّ قتله كان لأجل أنْ يُبكى عليه؛ فيستحقّ به الأجر في الآخرة، بحيث لا يكون هناك أثر آخر يترتّب عليه قتله سوى البكاء عليه. كيف؟ وهنالك آثار أُخرى، أهمّها: إحياء شريعة الحقّ، وتقويم ما اعوجّ من علم الهداية، ونشر الإصلاح بين الأُمّة، وتعريف الملأ ما عليه أُمراء الجَور من السّير وراء المطامع.

ولكنّ الوجه في هذه الإضافة هو تأكّد الصلة بين ذكر مقتله، وبين البكاء عليه، فإنّ لوعة المصاب به لا تطفأ، ومضض الإستياء له لا تنفد؛ لاجتماع

---

(١) كامل الزيارات / ١٠٨.

الكوارث عليه، وملاقاته لها بصدر رحيب، وصبر تعجبت منه ملائكة السّماء. فأول ما يتأثر به السّامع لها أنْ تستدر دموعه، فلا يذكر الحسين عليه السلام إلا والعبرة تسبق الذكر، أضف إلى ذلك المودّة الكامنة له في قلوب أحبّائه؛ بحيث إذا انضمّت إلى تلك، كانت أدعى لتأكّد الصلة بين ذكره، وبين البكاء عليه. فمن هنا استحقّ إضافة القتل إليه، فقال: «**أنا قتيل العبرة**».

وعلى هذا سار العرب في كلامهم، فإنّهم إذا رأوا بين الإنسان، وبين بعض حالاته وصفاته صلة أكيدة، أضافوه إلى ذلك الحال، فقالوا: (مضر الحمراء)، و (ربيعة الخيل)، و (زيد النّار)، و (صبية النّار)، و (مُسمّة الأزواج)؛ فإنّ ربيعة ومضر لم يتخلّيا عن كلّ صفة حميدة سوى اللواء والخيل، ولا زيد ابن الامام موسى بن جعفر عليه السلام لم يتّصف بشيءٍ حسن، أو قبيح إلا حرقه دور بني العبّاس بالبصرة، ولا أنّ أولاد ابن أبي معيط لم يحصلوا على نعت من نعوت الإنسانيّة إلا النّار، التي أضافها لهم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أمر بقتل عقبة بن أبي معيط، وكان كافراً، فقال: ي محمّد، مَن للصبية؟. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لهم النّار». ولا أنّ جعدة بنت الأشعث لم تتصف بالرذائل إلا السمّ، الذي ناولته أب محمّد الحسن السّبط عليه السلام، ولكن لمّا كانت هذه الآثار هي الظاهرة بين النّاس؛ قيل لمضر: (الحمراء)، ولربيعة (الخيل)، ولزيد (النّار)، ولجعدة (مُسمّة الأزواج).

فقول الحسين عليه السلام: «أنا قتيل العبرة»، وقول الصادق عليه السلام: «بأبي قتيل العبرة» من هذا القبيل، وهو ما ذكرناه من تأكّد الصلة بين ذكر مقتله، وبين استدرار الدموع.

التباكي

لقد راق أئمّة الهدى عليهم السلام أنْ تبقى تلك الذكريات الخالدة مدى الدهر، تتحدّث بها الأجيال المتعاقبة؛ علماً منهم ببقاء الدِّين غضّاً طرياً، ما دامت الأُمّة تتذاكر تلك الفاجعة العظمى. ولم يقتصروا على لازمها، وهو البكاء حتّى رغّبوا إلى التباكي، وهو: التشبيه بالباكي من دون أن يخرج منه دمع. فيقول الإمام الصادق: «**من تباكى، فله الجنة**»(١).

ومعلوم أنّ التباكي إنّما يتصوّر فيمن تتعسّر عليه الدمعة، لكنّه لم يفقد التأثّر لأجل المصاب، كما يشاهد في كثير من النّاس. فالتأثّر النّفساني بتصوّر ما ورد على المحبوب من آلام وفوادح، يستلزم قهراً النفرة عمّن أورد ذلك العدوان.

وفي الحديث عن النّبي صلى الله عليه وآله، أنه قرأ آخر الزمر: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا**﴾(٢) على جماعة من الأنصار، فبكوا إلا شاباً منهم، قال: لم تقطر من عيني قطرة، وإنّي تباكيت. قال صلى الله عليه وآله: «**مَن تباكى، فله الجنة**»(٣).

وروى جرير عنه، أنّه صلى الله عليه وآله قال: «**إنّي قارئ علكيم ﴿ألهاكم التكاثر﴾، مَن بكى فله الجنة، ومَن تباكى فله الجنة**»(٤).

---

(١) أمالي الصدوق / ٨٦، المجلس التاسع والعشرون.
(٢) سورة الزمر / ٧١.
(٣) كنز العمال ١ / ١٤٧.
(٤) كنز العمال ١ / ١٤٨.

وحدّث أبو ذر الغفاري عن النّبي صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «**إذا استطاع أحدكم أن يبكي، فليبكِ، ومَن لم يستطع، فليستشعر قلبه الحزن وليتباكَ، فإنّ القلب القاسي بعيد من الله**»(١).

وهذه الأحاديث تدلّنا على أنّ التباكي منبعث عن حزن القلب، وتأثّر النّفس كالبكاء، لكن في باب الرهبة منه سبحانه وتعالى يكون الحزن والتأثّر؛ لأجل تصوّر ما يترتّب على مخالفة المولى من الخزي في الآخرة، فيتباعد عنه، ويعمل ما يقرّبه من المولى زلفة. وفي باب تذكّر مصائب آل الرسول صلى الله عليه وآله، يستوجب بغض مَن ناوأهم، وأوقع بهم، وأساء إليهم.

ولعلّ ما أشرنا إليه، هو مراد الشيخ محمّد عبده، فإنّه قال: التباكي: تكلّف البكاء لا عن رياء(٢). ويقول الشريف الجرجاني: باب التفاعل أكثره إظهار صفة غير موجودة، كالتغافل والتجاهل والتواجد. وقد أنكره قوم؛ لِما فيه من التكلّف والتصنّع، وأجازه قوم لِمن يقصد به تحصيل الصفة. والأصل فيه، قوله صلى الله عليه وآله: «**إن لم تبكوا فتباكَوا**»، أراد به: التباكي ممّن هو مستعدّ للبكاء، لا تباكي الغافل اللاهي(٣).

---

(١) اللؤلؤ والمرجان للنوري ص ٤٧، ومجموعة شيخ ورام ص ٢٧٢.
(٢) تفسير المنار ٨ / ٣٠١.
(٣) التعريفات ص ٤٨.

فالباكي والمتباكي مشتركان في احتراق القلب، وتأثّر النّفس؛ لأجل تصوّر ما ورد من الظلم على أهل البيت عليهم السلام، ومشتركان في لازمه، وهو النفرة والتباعد عن كلّ مَن دفعهم عن مقامهم. ومَن لا يفقه مغازي كلام المعصومين عليهم السلام، يحكم بالرياء على المتباكي. وبعدما أوضحنا من السّر تعرف قيمة البلاغة وقدر البلغاء.

وكم لأهل البيت عليهم السلام من أسرار غامضة، لا يقف عليها إلا من مارس كلامهم، ودرس مقتضيات الأحوال، فإنّهم لمْ يزالوا يتحرّون الوسائل الدقيقة لتوجيه النّفوس نحوهم، وتعريف ما لهم من حقّ مغصوب.

فمن ذلك ما أوصى به الإمام الباقر عليه السلام باعطاء ثمانمئة درهم لنوّادب يندبنه بمنى أيّام الموسم[1].

فإنّك إذا عرفت أنّ النّاس من مختلف الأقطار والمذاهب يجتمعون في منى أيّام الحجّ، وقد أحلّوا من كلّ ما حُرّم عليهم إلا النّساء، وأنّها أيّام عيد وتزاور، فتعقد هنالك حفلات المسرّة ونوادي التهاني، تعرف النكتة الدقيقة التي لاحظها الإمام عليه السلام باختياره أيام منى على عرفات والمشعر؛ لاشتغال النّاس بالعبادة والإبتهال إلى المولى سبحانه في هذين الموقفين مع قصر الزمان.

نعم، في أيام منى حيث إنّها ثلاثة: وهي أيام عيد وفرح وسرور، لا حزن

---

(١) التهذيب للشيخ الطوسي ٢ / ١٠٨ كتاب المكاسب، والمنتهى للعلامة الحلي ٢ / ١١٢، والذكرى للشهيد الأول - المبحث الرابع من أحكام الاموات. وفي كتاب من لا يحضره الفقيه / ٣٦: أنه عليه السلام أوصى بثمانمئة درهم لمأتمه، وأن يندب في المواسم عشر سنين.

وبكاء، وطبعاً أنّ السامع للبكاء في أيام المسرّات، يستفزّ إلى الأسباب الموجبة له، ويتساءل عمّن يندبنه، وما هي دعوته وأعماله، ويسأل عمّن ناوأه ودافعه عن حقّه، وبهذا الفحص يتجلّى له الحقُّ والطريقة المثلى؛ لأنّ نور الله لا يطفى، والدعوة إليه جليّة البرهان. وهذا النبأ يتناقله النّاس إلى مَن كان نائياً عن هذه المواقف عند الإياب إلى مقرّهم، فيصل إلى الغائبين بهذا الطريق، وبه تتم الحُجّة، فلا يسع كلّ أحد أن يتذرّع بعذر عدم الوصول إلى المدينة، التي هي موطن (حُجّة الله عليه السلام)، ولا من أبلغه خبره، ولا عرفت دعوة الإمام وضلال مناوئه، فلا يبقى حينئذ جاهل قاصر على الأغلب.

ومن هنا نفهم السّبب في إعراض الإمام عليه السلام عن الوصيّة للنوادب يندبنه بمكّة، أو في المدينة أيام الحجّ؛ فإنّه في البلدين لا تكون الندبة إلا في الدور، فمن أين يقف الرجال عليهن؟ وكيف يكون هذا البكاء مشعراً بالغرض المطلوب؟.

ودعوى كون صوت المرأة عورة، ويحرم على الأجانب سماعه مردودة، بما رواه الكليني في الكافي: أنّ أُمّ خالد دخلت على الإمام الصادق عليه السلام، وكانت عاقلة عارفة، وعنده أبو بصير. فقال عليه السلام لأبي بصير: «**أتحبّ أنْ تسمع كلامها؟**»، ثمّ أجلسها معه على الطنفسة، وتكلّمت أُمّ خالد فإذا هي امرأة بليغة عاقلة[1]، فلو كان سماع صوت المرأة محرماً على الأجانب، لَمَا أجاز الإمام ذلك لأبي بصير.

---

(١) الوسائل للحر العاملي ٣/ ٢٥ باب ١٠٦، حكم سماع صوت الأجنبية، وكذلك في روضة الكافي - الحديث ٣١٩.

على أنّ وصيّة الإمام الباقر عليه السلام بالمال للنوادب بمنى تفيد الجواز؛ لأنّ سماع الرجال أصواتهن لا ينكر، وإلا لأمر بالبكاء عليه في دور المدينة ومكّة، بل النكتة الملحوظة للإمام عليه السلام لا تحصل إلا بسماع الرجال أصواتهن، وما يدعونَّ إليه.

وفي حديث حمّاد الكوفي، أن الصادق عليه السلام قال له: «**بلغني أن أُناساً من أهل الكوفة يأتون قبر أبي عبد الله عليه السلام في النصف من شعبان**»، فبيّن مَن يقرأ ويقص إلى أنْ قال: «ونساء يندبنه»، قال حمّاد: قد شهدت بعض ما تصف، فقال: «**الحمد لله الذي جعل في شيعتنا مَن يفد إلينا، ويمدحنا ويرثي لنا**»[1]. ولا ينكر أن ندبة النّساء عند القبر يلزمها سماع الأجانب أصواتهن، ولو كان محرماً، لما استحسنه الإمام الحُجّة، ودعا لهم بالرحمة.

وأمّا كون صوت المرأة عورة، فلم تشهد به رواية. وما ورد من منع الرجال محادثة الأجنبية، أو المبيت معها في بيت واحد، فليس من جهة كون صوتها عورة؛ بل للحذر عن الوقوع فيما لا يُحمد عقباه. وما ذكره العلامة الحلّي في كتابه التحرير، أول النّكاح، المسألة التاسعة: لا يجوز للأعمى سماع صوت الأجنبيّة، فلعلّه لذلك، لا لأنّه عورة. نعم، صرّح في كتابه التذكرة، أول النكاح: إنّ صوتها عورة، يحرم استماعه مع خوف الفتنة لا بدونه. وللشافعيّة قولان، في كونه عورة أو لا. وردّ صاحب الجواهر على المحقق بالسيرة المتواترة في الأعصار، فقد كانت النّساء تخاطب الأئمّة عليهم السلام، وخطبة الزهراء عليها السلام وبناتها معلومة.

---

(١) كامل الزيارات / ٣٢٥ باب ١٠٨، اول النوادر.

والفقه السنّي لم يمنع منه، ففي الفقه على المذاهب الأربعة ١ / ١٦٧، صوت المرأة ليس بعورة، لأنّ نساء النّبي صلى الله عليه وآله كنّ يتكلّمن مع الصحابة ويستمعون منهنّ أحكام الدِّين. وقال الشيباني الحنبلي: صوت المرأة لم يكن عورة ولكن يحرم التلذذ بصوتها[1]. وهو مختار ابن حجر في كف الرعاع على هامش الزواجر ١ / ٢٧. نعم، ذهب بعض أهل السنّة إلى كونه عورة، ولم يستصحّه ابن حجر. وفي البحر الرائق لابن نجيم الحنفي ١ / ٢٧٠، ذكر المصنّف في الكافي: إنّ المرأة لا تلبّي جهراً؛ لأنّ صوتها عورة. وعليه صاحب المحيط في باب الأذان. وفي فتح القدير على هذا، لو قيل: إذا جهرتْ في الصلاة، فسدت كان متّجهاً. وفي شرح المنية: الأشبه أنّ صوتها ليس بعورة، وإنّما يؤدّي إلى الفتنة. كما علّل به صاحب الهداية وغيره في مسألة التلبية. وفي النّوازل: نغمة المرأة عورة. وبنى عليه تعلّمها القرآن من المرأة أحبّ من تعلّمها من الأعمى. انتهى البحر الرائق. وقال ابن نجيم في أحكام الخنثى: صوتها عورة في قول[2]. وفي الفروع لابن مفلح الحنبلي ٣ / ١٢، قال: لا يحرم سماع صوتها على الأصحّ؛ لأنّه ليس بعورة. وفي عمدة القاري للعيني على شرح البخاري ٤ / ١٢، آخر باب الأمر باتباع الجنائز: يجب على المرأة ردّ سلام الرجل، ولا ترفع صوتها؛ لأنّه عورة. وفي طرح التثريب لزين الدِّين العراقي ١ / ٢٥٠: عند ابن عبد البر في الاستذكار عدم كونه عورة، وهو الصحيح عند الشافعيّة. وفي المصدر نفسه ٧ / ٤٥ في النّكاح: صوتها ليس

---

(١) نيل المآرب ٢ / ١٢٧.

(٢) الاشباه والنظائر / ٢٠٠.

بعورة. وفي شرح المجموع للنووي ٧ / ٢٤٩ ط ٢، صرح الدارمي والقاضي أبو الطيب: إنّ رفع صوتها بالتلبية غير حرام. وفي نيل الأوطار للشوكاني ٤ / ٢٧٤ باب التلبية: عند الروياني وابن الرفعة: لا يحرم رفع صوتها بالتلبية؛ لأنّه ليس بعورة.

السّجود على التربة

من الأساليب التي اتخذها الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام للتعريف بمظلوميّة الحسين عليه السلام، وابتعاد من ناوأه عن سنن الحقّ، وأنّ نهضته أحكمت دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وعبّدت الطريق إليها، أمرهم بالسّجود على التربة. فإنّ من أهمّ أسرارها تذكّر المصلّي في أوقاته الخمسة حينما يضع جبهته عليها، تضحية (روح النبي صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته البهاليل، وصحبه المناجيد في سبيل تركيز المبدأ الصحيح، وما قاساه سيّد الشهداء عليه السلام من فجائع الصخر الأصم، وقابلها بالصبر الذي تعجّبت منه ملائكة السّماوات كما جاء في زيارته، ثمّ يتذكّر أنّ هذه التربة امتزج بها (دم المظلوم عليه السلام)، ودماء الأزكياء من أهل بيته وصحبه عليهم السلام، الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بـ «**أنّهم سادة الشهداء، لا يسبقهم سابق، ولا يلحقهم لاحق**»[1].

وبالطبع يحتدم قلب الموالي لهم، وتهمل عينه، ويحترق فؤاده، ويتباعد عن كلّ من أورد عليهم العدوان، ومَن سار على إثره ومَن أسس له. ويتجلّى له أنّ هذه

---

(١) كامل الزيارات / ٢٧٠ الباب ٨٨.

النّهضة الجبّارة حطّمت هياكل الجور. كما عرّفت الأجيال المتعاقبة استهانة أهمّ الذخائر، وأعزّ الأنفس في تأييد العقيدة. ومثل الأمر بالسّجود على التربة الحسينيّة أمرهم عليهم السلام بالتسبيح في خرز معمولة منها؛ تحقيقاً لتلك الغاية الثمينة، وهذه الغايات ألمع إليها أهل البيت عليهم السلام وإنْ لم تفهم الأُمّة أسرارها الدقيقة.

وتجاهلُ غيرنا علينا بالابتداع والضلال ناشئ عن الجهل بهذه الأسرار الحكيمة، وعدم فهم حديث وحي السّماء «**جُعلتْ ليَ الأرضُ مَسجداً وطهُورا**». وهذه القطعة المُعدّة للسجود عليها ترابٌ مزج بالماء فجمد، فهي من مصاديق الحديث المتّفق عليه.

تشريع الزيارة

إنّ مجتمعات الزيارة كمواسم جاء الحثّ عليها؛ حيث إنّ المَزور دعامة من دعائم الدِّين ومنار هداه، ومنه تؤخذ التعاليم، وتُدرس المعارف. فإذا ازدلف الزائرون إلى قبره من شتّى النّواحي، وتعرّف كلٌّ بالآخر، وشاهد كلٌّ منهم ذلك الزحام المعجب، والتهافت المتواصل، والتهالك دون ذلك المقصد الشريف بما أنّ صاحب المشهد صاحب دعوة إلهيّة، وداعية إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحَسنة.

عظم في عينه الشخص المزور ونزعته ودعوته، وثلج صدره بذلك المنظر المبهج، ورقّ له قلبه، وثبت به يقينه. وبطبع الحال ينجذب إلى تتبع تعاليمه، ودرس أحواله، واقتصاص أثره، وتعرّف مظلوميّته، إلى ما هنالك من فوائد لا تحصى. وهناك معنى آخر، وهو أنّ الزيارة تحكم رابطة الاخوّة بين المؤمنين، التي

دعا إليها الكتاب المجيد ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١]، فإنّ الزائرين باجتماعهم عند القبر، وفي الطريق إليه يتبادلون المعروف والمكافاة عليه، ويتفاهمون في التوجيه نحو الدِّين الصحيح؛ فينكشف الخطأ في اعتقاد الطوائف الأُخرى وشذوذها، وتصبح الرابطة بينهما حكيمة الأساس.

هذه هي الحقيقة في زيارة أئمّة الهدى أجمع، فإنّهم الطريق المهيع، والسّبيل الجديد إلى كلّ هدى متبع، وناموس مصلح، وطقس مهذّب، ورشد هاد، ومعرفة كاملة. كما أنّه يجب أنْ يعتقد فيهم ذلك بعد الوقوف على فضلهم الظاهر، وعلومهم الجمّة، وورعهم الموصوف، ومعاجزهم الخارجة عن حدِّ الاحصاء. ولا شكّ أنّ في المثول حول مشاهدهم المقدّسة بداعي الزلفى للمولى سبحانه، مزيداً لهاتيك العقيدة ورسوخها. هذا هو السّبب الوحيد لتشريع الزيارة.

أمّا تخصيص سيّد الشهداء بزيارات خاصّة في أيّام السّنة - زائداً على ما جاء في الحثّ المتأكد على زيارته المطلقة دون سائر الأئمة، بل لم يخصّص سيّد المرسلين ﷺ بزيارة خاصّة - فيتصور لذلك علل وأسباب:

أهمّها: إنّ النّزعة الأُمويّة لم تزل تنجم وتخبو في الفينة بعد الفينة، تتعاوى بها ذوو أغراض مستهدفة وإن أصبح الأُمويون رمماً بالية، ولم يبقَ منهم إلا شية

---

(١) سورة الحُجُرات / من الآية ١٠.

العار، وسبّة عند كل ذكر. لكن بما أنها إلحادية يتحراها لفيفهم، ومن انضوى إليهم من كل الأجيال، فكان همُّ أهل البيت عليهم السلام إخمادها، ولفت الأنظار إلى ما فيها من المروق عمّا جاء به المنقذ الأكبر صلى الله عليه وآله، الذي لاقى المتاعب في سبيل نشر دعوته واحيائها. ومن الطرق الموجبة لتوجيه النّفوس نحوها، وتعريف مظلوميّتهم، ودفعهم عن الحقّ الإلهي المجعول لهم من المشرّع الأعظم ذِكرُ قضيّة سيّد الشهداء عليه السلام؛ لاحتفافها بمصائب يرقّ لها قلب العدوّ الألد، فضلاً عن الموالي المشايع لهم، المعترف بما لهم من خلافة مغتصبة.

فأراد الأئمّة عليهم السلام أن تكون شيعتهم على طول السّنة، ومرّ الأيام غير غافلين عمّا عليه السّلطة الغاشمة من الإبتعاد عن النّهج القويم؛ فحمّلوهم على المثول حول مرقد سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام في مواسم خاصّة وغيرها، فإنّ طبع الحال قاضٍ بأنّهم في هذا المجتمع يتذاكرون تلك القساوة التي استعملها الأُمويّون؛ من ذبح الأطفال، وتسفير حرم الرسالة من بلد لآخر:

مغلولة الأيدي إلى الأعناقِ تُسبى على عجف من النياقِ

حاسرة الوجه بغير برقع لا سترَ غير ساعدٍ وأذرعِ[1]

وإنّ الحميّة والشهامة تأبى لكلّ أحد أن يخضع لمن أتى بهذا الفعل الشنيع مع كلّ أحد، فضلاً عن آل الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله؛ فتحتدم إذ ذاك النّفوس، وتثور

---

(١) من أُرجوزة للحُجّة الشيخ هادي كاشف الغطاء قدس سره.

العاطفة، ويحكم على هؤلاء الأرجاس بالمروق عن دين الإسلام. وطبعاً هذا الداعي في سيّد الشهداء عليه السلام ألزم من غيره من الأئمّة عليهم السلام؛ لاشتمال قضيّته على ما يرقق القلوب، ومن هنا اتخذه المعصومون عليهم السلام حُجّة يصولون بها على أعدائهم، فأمروا شيعتهم بالبكاء تارة، والإحتفال بأمره - بأيّ نوع كان - تارة أُخرى، وزيارته ثالثة، إلى غير ذلك؛ ممّا ترك الأُمّة حسينيّة الذكر كما أنّها حسينيّة المبدأ، ولا تلفظ نفسها الأخير إلا وهي حسينيّة المنتهى.

وإنّ دعاء الإمام الصادق عليه السلام في سجوده، الذي يرويه معاوية بن وهب ممّا يبعث إلى القلوب نوراً، وللعقيدة رسوخاً، وللنفوس ارتياحاً، ويوقفنا على أسرار غامضة ممّا تأتي بها الأُمّة من هذه الأعمال.

قال عليه السلام وهو ساجد:

«اللهمّ، يا من خصَّنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصّنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني وزوّار قبر جدّي الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم رغبةً في بِرنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا؛ أرادوا بذلك رضاك فكافئهم عنّا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنّهار، وأخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، وأصحبهم، واكفِهم شرَّ كلِّ جبّار عنيد، وكلّ ضعيف من خلقك وشديد، وشرّ شياطين الإنس والجنّ.

وأعطهم أفضل ما أملوه في غربتهم عن أوطانهم.

وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهمّ، إنّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم إلينا، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا؛ خلافاً منهم على ما خالفنا.

اللهم، ارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس.

وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبد الله الحسين.

وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا.

وارحم تلك القلوب التي جزعت، واحترقت لنا.

وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا.

اللهمّ، إنّي استودعك تلك الأنفس والأبدان حتّى توفيهم على الحوض يوم العطش الأكبر».

ولما استكثر معاوية بن وهب هذا لزوّار الحسين، قال له الإمام الصادق عليه السلام: **«إنّ مَن يدعو لزوّار الحسين في السّماء، أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض»**[1].

وهذا الدعاء من إمام الأُمّة اشتمل على أحكام جليلة، ومزايا لا يقف عليها إلا من استضاء بنورهم، واعتصم بحبل ولايتهم. فمن ذلك؛ رجحان البكاء، والجزع والصراخ لِما أصاب المعصومين من أهل البيت عليهم السلام. والصرخة كما نص

---

(١) رواه الكليني في الكافي ٤ / ٥٨٢ - ٥٨٣، وابن قولويه في كامل الزيارات / ١١٦، والصدوق في ثواب الأعمال / ٥٤.

عليها علماء اللغة: هي الصيحة الشديدة عند الفزع والمصيبة[١]. وحيث لم تخص في الدعاء بها إذا وقعت في الدور، كان الاطلاق شاملاً لمحبوبيتها في كلّ حال؛ سواء وقعت في الشوارع، أو المشاهد، أو غيرهما من رجال أو نساء.

ومنها مسح الخدود على القبر الأطهر، ولا يقتضي ـ التخصيص بقبر الحسين عليه السلام، فإن رواية الشيخ الطوسي في التهذيب ج ١ ص ٢٠٠ في الصلاة على القبور، عن محمّد بن عبد الله الحميري قال: كتبت إلى الفقيه أسأله عن الرجل يزور القبور، إلى أن قال في التوقيع: أمّا السّجود على القبر، فلا يجوز في نافلة ولا فريضة، بل يضع خدّه الأيمن على القبر. وعمومه شامل لرجحان وضع الخدّ عند كل قبر من قبور المعصومين عليهم السلام.

إيثارهم عليهم السلام

وممّا أرشدنا إليه هذا الدعاء، محبوبيّة ما تفعله الشيعة من بذل الأموال؛ لإحياء أمر أئمّتهم عليهم السلام في العزاء والمواليد وغيرهما، وإيثارهم بذلك على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

وغير بعيد عنك معنى الإيثار، فإنّه: ترجيح الغير على النّفس، إمّا بسد خلّته، أو لتأييده في بلوغ أُمنيته، أو لتكريمه. وهو من الخصال الحميدة المنبعثة عن كرم الطباع، ودماثة الأخلاق، وطيب العنصر. وقد مدح سبحانه وتعالى المتّصفين به،

---

(١) تاج العروس ٣ / ٦٦، مادة صرخ.

فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١]، وهي الحاجة والفقر وسوء الحال[٢].

ولا إشكال في أنّ مَن أُريد إيثاره، إذا كان جامعاً لموجباته يكون الإيثار فيه آكد، وأنت إذا أمعنت البصيرة في ذوي الفضائل، لا تجد من هو أحقّ بالإيثار من (عترة الوحي)؛ لِما منحهم الباري سبحانه من المرتبة الفاضلة، ومبوَّءاً من الرفعة لا يسامى، وأيادٍ على الأُمّة لابدّ أن تكافأ، وحقوقاً واجبة لا محيص عن أدائها.

فأيّ مُوالٍ لهم لا يؤثرهم على نفسه وأهله وقرباه، وهو يذعن بأنّ الأئمّة أسباب الفيوض الإلهيّة، وهم المعلّمون بالشريعة، وكلّ ما في السّعادة للإنسان، وفوزه بالرقي من أخلاق فاضلة، وسياسة حقّه، وأحكام اجتماعيّة، وتعاليم كافلة للنجاح، مع ما لأئمّة الدِّين من جهود جبّارة، دون انتشال الأُمّة إلى ساحل النّجاة، وإنقاذها من غمرات الهلكة حتّى أنّهم عليهم السلام آثروا ذلك بالحياة السّعيدة، فضحّوا بنفوسهم؛ لتقف الأُمّة على المحجّة، أو ليدرأ عنها العذاب.

---

(١) سورة الحشر / ٩.

(٢) تاج العروس ٤ / ٣٨٧.

كما في حديث الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنّه وقى بنفسه دون شيعته[١] مع حبّهم المتواصل لشيعتهم حتّى كانوا يترحمون عليهم كلّ صباح ومساء، ويفرحون عند فرحهم، كما يحزنون عند حزنهم، لأنّهم من فاضل طينتهم، وهم أوراق تلك الدوحة الطيبة، التي أصلها ثابت وفرعها في السّماء.

وقد ورد في دعاء الحُجّة عجّل الله فرجه: «**اللهمّ، إنّ شيعتنا خلقوا من شعاع أنوارنا، وبقيّة طينتنا، وقد فعلوا ذنوباً كثيرة؛ إتكالاً على حبّنا وولايتنا. فإنْ كانت ذنوبهم فيما بينك وبينهم، فاصفح عنهم، فقد رضينا. وما كان منها فيما بينهم، فاصلح بينهم، وقاص بها عن خمسنا، وأدخلهم الجنة، وزحزحهم عن النّار، ولا تجمع بينهم وبين أعدائنا في سخطك**»[٢].

---

(١) الحديث في أصول الكافي بهامش مرآة العقول ١ / ١٨٩، ونصه: «**قال موسى بن جعفر عليه السلام: إنّ الله غضب على الشيعة فخيّرني نفسي- أو هم، فوقيتهم والله بنفسي-**». قال المجلسي رحمه‌الله: «لعل الغضب إنما هو لأجل تركهم التقية حتّى انتشر- أمر إمامته، فتردد الامر بين أن يقتلهم الرشيد، أو يحبس الإمام ويقتله، فاختار البلاء لنفسه، ووقى بذلك شيعته». == ولا غرابة فيه بعد أن حمّل الله النبي صلى الله عليه وآله ذنوب شيعة علي عليه السلام، ثمّ غفرها لهم، كما في معاني الاخبار للصدوق / ١٠٠، وبحار الانوار٦ / ٢٥٠، باب المصافحة. وفي الروضة / ١٣٥ (ملحقة بعلل الشرايع): لم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يدعو الله في غفران ذنوب شيعته. وفي بشارة المصطفى / ٢٧٤: كان الامام الصادق عليه السلام يقول: «**إنّ حقوق شيعتنا علينا كثيرة**». وفي كامل الزيارات: «**نحن نترحّم عليهم كلّ صباح ومساء**». وفي عيون المعجزات / ٧٦: قال الامام السجاد عليه السلام لام فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر: «**إنّي لأدعو لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة مئة مرّة؛ لأنّا نصبر على ما نعلم، ويصبرون على مالا يعلمون**».

(٢) جنة المأوى للنوري / ٢٨١، ملحق بالجزء الثاني عشر من البحار.

وإني لا أراك - والحالة هذه - تجد في شريعة الحقوق، أو يلتاح لك في منهج الوفاء، أو يجوز لك دافع المروءة أنْ تتقاعس عن مواساة آل الرسالة بإيثارهم على نفسك وأهلك في كلّ غالٍ ورخيص، إلا أنّ تسف إلى هوة الضِعة، وتدعها رمية لنبال اللوم من ناحية العقل مرّة، ومن صوب الشريعة أُخرى، ومن جهة الشهامة ثالثة.

ولا ريب في رغبة الإمام الصادق عليه السلام بالإيثار؛ لإحياء أمرهم أجمع. نعرف ذلك من الالتفات الذي استعمله الإمام في الدعاء، فإنّه بعد أنْ دعا لزوّار الحسين عليه السلام بعطاء أفضل ما يأملونه، قال عليه السلام: «وما آثرونا به». فلو أراد الإيثار في خصوص زيارة سيّد الشهداء، لقال: وما آثروه، فحيث عدل عن المفرد إلى الجمع، عُلم أنّ مراده بيان محبوبيّة الإيثار فيما يعود إليهم أجمع وإنْ كان الإيثار لزيارة قبر المظلوم عليه السلام أشمل؛ لِما فيه من التذكير بهاتيك النّهضة المقدّسة. فكأنّ الماثل أمام الضريح الأطهر يشاهد نفسه واقعاً بين الصفّين؛ جحفل القداسة (حسين الهداية ورهطه)، وخميس الظلال (يزيد وأشياعه)، فيبصر موقف هؤلاء من الحقّ والنّزاهة، ومبوأ أُولئك من الباطل والرجاسة، فتحتدم بين أضالعه الخصلتان: الولاية والبراءة.

وغير خافٍ على البصير النيقد المراد من قول أبي عبد الله في دعائه المتقدم: «**اللهمّ، إنّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم إلينا، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا؛ خلافاً منهم على مَن خالفنا**». فإنّه عليه السلام أراد تنشيط الشيعة في الدأب على مواساتهم؛ بتعظيم شعائرهم، وإقامة آثارهم، ونشر مآثرهم. وإنّ ما يقاسونه في هذا السّبيل من الأرزاء كلّه بعين الله تعالى، ورضا أوليائه الأطهار، وما يضرّهم

- وهم على الحقّ - هزء المستهزئين. ولقد سخر اليهود بالأذان، كما سخر المشركون بالسّجود، فلم يثن من عزم المسلمين شيئاً، فمشوا على ذلك النّهج القويم، غير مبالين بعثرات غيرهم.

وما يضر المزدلفين إلى قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام، والمتزاحمين على إقامة الشعائر الحسينيّة سخريّة الجاهلين، الذين يقول فيهم الإمام الصادق عليه السلام: «**والله، لحظهم أخطؤوا، وعن ثواب الله زاغوا، وعن جوار محمّد تباعدوا**».

ولما قال له ذريح المحاربي: إنّي إذا ذكرت فضل زيارة أبي عبد الله عليه السلام، هزأ بي ولدي وأقاربي. قال عليه السلام: «**يا ذريح، دع النّاس يذهبون حيث شاؤوا، وكن معنا**»[1].

وقال عليه السلام لحمّاد: «**بلغني أنّ أُناساً من أهل الكوفة، وقوماً آخرين من نواحيها يأتون قبر أبي عبد الله في النّصف من شعبان، فبين قارئ يقرأ القرآن، وقاصٍّ يقص، ومادح لنا، ونساء يندبنه**».

فقال حمّاد: قد شهدتُ بعض ما تصف.

فقال عليه السلام: «**الحمد لله الذي جعل في النّاس مَن يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنا يطعن عليهم، ويقبّحون ما يصنعون**»[2].

---

(١) كامل الزيارات ص ١٤٣، الباب ٥١.

(٢) مزار البحار ص ١٢٤، كامل الزيارات ص ٣٢٥، الباب ١٠٨ الطبعة الأولى.

إذاً فسخريّة المتباعدين عن أهل البيت عليهم السلام، المائلين عن إقامة هذه الشعائر لا يحطُّ من كرامة الآثار الموجبة لإحياء أمر الأئمة عليهم السلام، المحبوبة لهم. وقد استفادت منها الأُمّة آثاراً دنيويّة وأُخرويّة.

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ حثالة من الناس يعيِّرون زوار قبوركم كما تُعيّر الزانية بزناها، أُولئك شرار أُمّتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة**»(١).

قول الشعر فيهم

من الواضح الذي لا يرتاب فيه، إنّ نظم الشعر في أيّ أحدٍ تعريف به، وإحياء لذكره، وإقامة لأمره. فإنّ آثار الرجال مهما كبرت في النّفوس، وعظم أمرها قد يخمل ذكرها بمرور الزمن وتباعد العهد؛ فيغفل عن تلك المآثر، ويتناسى ما لها من أهميّة كبرى. ولمّا كان القول المنظوم أسرع تأثيراً في الإصاخة؛ لرغبة الطباع إليه، فتسير به الناس، وتلوكه الألسنة، وتتحفّظ به القلوب، وتتلقاه جيلاً بعد جيل، وتأخذه أُمّة بعد أُمّة، حفظ الأدب العربي كثيراً من قضايا الأُمم وسيرها وحروبها في الجاهليّة والإسلام.

فممّا قاله دعبل الخزاعي في بقاء الشعر مدى الأزمان:

---

(١) فرحة الغري لابن طاووس ص ٣١.

إنّي إذا قلت بيتاً مات قائلُهُ ومَن يُقال له والبيت لم يمتِ

وقال عروة بن أُذينة:

نُبِّئْتُ أنَّ رجالاً خاف بعضهُم شتمي وما كنت للأقوام شتّاما

فإن يكونوا براءً لا تطفْ بهم منه شكاةٌ ولا أسمعْهمُ ذاما

وإن يجيئوا أقل قولاً له أثرٌ باقٍ يعنّى قراطيساً وأقلاما[1]

وبما أنّ ذكرى أهل البيت عليهم السلام قوام الدِّين، وروح الإصلاح، وبها تُدرس تعاليمهم، ويقتفى أثرهم، طفق الأئمّة المعصومون عليهم السلام يحثّون مواليهم بنشر ما لهم من فضل كثير، وما جرى عليهم من المصائب، ولا قوه في سبيل إحياء الدِّين من كوارث ومحن؛ لأنَّ فيه حياة أمرهم. ورحم الله من أحيا أمرهم، ودعا إلى ذكرهم.

وقد تواتر الحثّ من الأئمّة عليهم السلام على نظم الشعر فيهم، مدحاً ورثاء؛ بحيث عُدّ من أفضل الطاعات. وفي ذلك قالوا عليهم السلام: «مَن قال فينا بيتاً من الشعر، بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة». وفي آخر: «**حتّى يؤيد بروح القُدُس**». وفي ثالث: «**بنى الله له في الجنة مدينة، يزوره فيها كلُّ ملك مقرب، ونبيّ مرسل**»[2].

---

(١) الموشح للمرزباني ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام / ٥.

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام للكميت لمّا أنشده قصيدته: (مَن لقلب متيم مستهام): «**لا تزال مؤيداً بروح القُدُس**»[١].

واستأذن الكميت على الامام الصادق عليه السلام في أيام التشريق ينشده قصيدته، فكبر على الإمام أنْ يتذاكروا الشعر في الأيام العظام، ولمّا قال له الكميت: إنّها فيكم، أنس أبو عبد الله عليه السلام، حيث إنّه من الذكر اللازم؛ لأنّ فيه إحياء أمرهم. ثمّ دعا بعض أهله فقرب، ثمّ أنشده الكميت فكثر البكاء، ولمّا أتى على قوله:

يُصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغيّ أولُ رفع الإمام الصادق عليه السلام يديه، وقال: «**اللهمّ، اغفر للكميت ما قدّم وأخّر، وما أسرّ وأعلن، واعطه حتّى يرضى**»[٢].

وأذن أبو جعفر الجواد عليه السلام لعبد الله بن الصلت أنْ يندبه، ويندب أباه الرضا عليه السلام.

وكتب إليه أبو طالب أبياتاً يستأذنه فيها في رثاء أبيه الرضا عليه السلام، فقطع أبو جعفر عليه السلام الأبيات عنده، وكتب إليه: «**أحسنت، وجزاك الله خيراً**»[٣]. وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام لسفيان بن مصعب: «**أنشدني في الحسين**». وأمر بتقريب أُمّ فروة وعياله، فلمّا حضرن، قال سفيان: (فرو جودي بدمعك المسكوب)

---

(١) رجال الكشي / ١٣٦.
(٢) الأغاني ١٥ / ١١٨، معاهد التنصيص ٢ / ٢٧.
(٣) رجال الكشي / ٣٥٠.

فصاحت أُمّ فروة وصِحنَ النساء. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «الباب الباب». واجتمع أهل المدينة، فأرسل إليهم أبو عبد الله صبياً غشي عليه![1]. وهذا من محاسن التورية، فلقد غشي على أطفالهم يوم الطفّ، وما أدري مَن عنى بالصبي!؟ أهو عبد الله الرضيع؟ أم عبد الله الأصغر ابن الإمام الحسين عليه السلام، المذبوح بالسهم في حجر الحسين عليه السلام؟ أم محمّد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب؟.

ودخل جعفر بن عفان[2] على الامام الصادق عليه السلام، فقال له: «**إنك تقول الشعر في الحسين وتجيده؟**». قال: «**نعم**». فاستنشده، فلمّا قرأ عليه، بكى حتّى جرت دموعه على خديه ولحيته، وقال له: «لقد شهدت ملائكة الله المقربون قولك في الحسين، وإنهم بكوا كما بكينا، ولقد اوجب الله لك الجنة». ثمّ قال عليه السلام: «**مَن قال في الحسين شعراً، فبكى وأبكى غفر الله له، ووجبت له الجنة**»[3].

وجعفر هذا من رجال الشيعة المخلصين، أطراه علماء الرجال ووثقوه، وهو الذي ردّ على مروان بن أبي حفصة، القائل:

خلّوا الطريق لمعشر عاداتُهم ... حطم المناكب كلَّ يوم زحامِ

---

(١) روضة الكافي - الحديث ٢٦٣.

(٢) في الأغاني ٧ / ٨، وكذلك أيضاً في ٩ / ٤٥ أنه طائي.

(٣) رجال الكشي ص ١٨٧، وذكر له الخوارزمي في المقتل ٢ / ١٤٤ فصل ١٣ مقطوعتين في رثاء الحسين.

أُرضوا بما قسم الأله لكم به ... ودعوا وراثة كلَّ أصيد حامِ
أنّى يكون وليس ذاك بكائن ... لبني البنات وراثة الأعمامِ[١]

فقال جعفر بن عفان:

لم لا يكون وأنّ ذاك لكائنٌ ... لبني البنات وراثة الأعمامِ
للبنت نصفٌ كاملٌ من ماله ... والعمُّ متروكٌ بغير سهام
ما للطليق وللتراث وإنما ... صلّى الطليقُ مخافة الصمصامِ[٢]

ودخل جماعة على الإمام الرضا عليه السلام فرأوه متغيّراً، فسألوه عن ذلك. قال: «بتّ ليلتي ساهراً متفكّراً في قول مروان بن أبي حفصة»، وذكر البيت المتقدّم.

قال: «ثمّ نمتُ فإذا أنا بقائل قد أخذ بعضادة الباب وهو يقول»:

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ ... للمشركين دعائمُ الإسلامِ
لبني البنات نصيبهم من جَدِّهمْ ... والعمُّ متروكٌ بغير سهامِ
ما للطليق وللتراث وإنما ... سجد الطليقُ مخالفة الصمصامِ
قد كان أخبرك القرانُ بفضلهِ ... فمضى القضاءُ به من الحكّامِ
إنَّ ابنَ فاطمة المنوَّهُ باسمهِ ... حاز الوراثةَ عن بني الأعمامِ

---

(١) الأغاني: ١٢/ ١٧.
(٢) الأغاني: ٩/ ٤٥ طبعة ساسي.

وبقـــى ابـــنُ نثلـــة واقفـــاً مـــتردِّدا يبكـــي ويُســـعده ذوو الأرحـــام[١]

ومروان سرق المعنى ممّا قاله مولى لتمّام بن معبد بن العبّاس بن عبد المطّلب، معرّضاً بعبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه أتى الحسن بن علي عليه السلام، وقال: أنا مولاك. وكان قديماً يكتب لعلي بن أبي طالب عليه السلام، فقال مولى تمّام:

جحـدت بنـي العبّـاس حـقَّ أبـيهمُ فما كنت في الدعوى كريمَ العواقب

متـــى كـــان أولاد النّبـــي كـــوارثٍ يحـوز ويُـدعى والـداً في المناسـبِ[٢]

ومروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة كان يهودياً، أسلم على يد مروان بن الحكم. وقيل: من سبي اصطخر، اشتراه عثمان بن عفان، وولاؤه لمروان. شهد يوم الدار مع مروان، ولمّا أُصيب مروان بن الحكم، حمله مولاه ابن أبي حفصة على عاتقه، وهو يجره ومروان يتأوه، فيقول له: اسكت، إن علموا بك قتلت. فأدخله بيت امرأة من عنزة، وداواه حتّى برئ، فأعتقه مروان، وشهد معه يوم الجمل، ومَرج راهط[٣].

وغضب صالح بن عطية الأضجم من بيت مروان (أنّى يكون وليس ذاك بكائن)، فاتصل به يخدمه مدّة حتّى أنس به هو وأهله. حتّى إذا مرض ابن أبي حفصة، كان صالح ممرّضاً له، فلمّا خفّ مَن عنده، وبقي صالح وحده، وضع

---

(١) عيون أخبار الرضا/ ٣٠٥، وذكر الطبرسي في الاحتجاج/ ٢١٤ في أحوال موسى بن جعفر عليه السلام: أنه الذي سمع الهاتف.

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز/ ١٥ نسخة التصوير.

(٣) الاغاني ٩ / ٣٤.

يده على حلقه فخنقه حتّى مات ومضى عنه، ولم يشكّ أهله به[١].

وحسب الشاعر أنّ تترتّب على عمله البار هاتيك المثوبات الجزيلة، التي تشفُّ عن أنّ ما يصفه بعين الله سبحانه حتّى يبوئه لجليل سبحانه من الخلد حيث يشاء، وتزدان به غرف الجنان، ولا بُدعَ، فإنّه بهتافه هذا معدود من أهل الدعوة الإلهيّة، المعلنين بكلمة الحقّ وتأييد الدِّين؛ فهو بقوله الحقّ يرفع دعامة الأصلاح، وتُشيّد مبانيه، ويطأ نزعة الباطل بأخمص الهدى، ويقلع أشواكه المتكدّسة أمام سير المذهب، ويُلحِب طريقه الواضح.

ولم يعهد من الأئمّة عليهم السلام - مع تحفّظهم على التقيّة، وإلزام شيعتهم بها - تثبيط الشعراء عن المكاشفة في حقّهم، وإظهار باطل المناوئين مع أنّ في الشعراء مَن لا يقرّ له قرار، ولا يؤويه مكان؛ فرقاً من أعداء أهل البيت عليهم السلام لمحض مجاهرتهم بالولاء، والدعوة إلى طريقة آل الرسول صلى الله عليه وآله؛ كالكميت ودعبل الخزاعي ونظرائهما، بل كانوا عليهم السلام يؤكّدون ذلك بالتحبيذ، وإدرار المال عليهم، وإجزال الهبات لهم، وذكر المثوبات على عملهم هذا. وليس ذاك؛ إلا لعلمهم بأنّ المكاشفة في أمرهم أدخل في توطيد أُسس الولاية، وعامل قوي لنشر الخلافة الإلهيّة حتّى لا يبقى سمع إلا وقد طرقه الحقّ الصراح، ثمّ تتلقاه الأجيال الآتية، كلّ ذلك؛ حفظاً للدين عن الإندراس؛ ولئلا تذهب تضحية أُمناء الوحي في سبيله إدراج التمويهات.

---

(١) المصدر نفسه / ٤٦.

ولولا نهضة أُولئك الأفذاذ من رجالات الشيعة للذبّ عن قدس الدِّين بتعريض أنفسهم للقتل؛ كحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، وميثم التمّار، وأمثالهم بما نال أهل البيت من أعدائهم، لَما عرفت الأجيال المتعاقبة موقف الأئمّة عليهم السلام من الدِّين، ولا ما قصده أعداؤهم من نشر الجور والضلال.

﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلى الحَقّ أَحَقّ أَن يُتّبَعَ أَمْ مَن لاَ يَهِدّي إِلا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

مشكلة الخروج بالعيال

إنّ الكلمة الناضجة في وجه حمل الحسين عليه السلام عياله إلى العراق، مع علمه بما يقدم عليه ومَن معه على القتل، هي: أنّه عليه السلام لمّا علم بأنّ قتلتَه سوف تذهب ضياعاً لو لم يتعقبها لسان ذرب، وجنان ثابت يعرِّفان الأُمّة ضلال ابن ميسون، وطغيان ابن مرجانة باعتدائهما على الذريّة الطاهرة، الثائرة في وجه المنكر، ودحض ما ابتدعوه في الشريعة المقدّسة.

كما عرف (أبيّ الضيم) خوف رجال الدِّين من التظاهر بالإنكار، وخضوع الكلِّ للسلطة الغاشمة، ورسوف الكثير منهم بقيود الجور؛ بحيث لا يمكن لأكبر رجل الإعلان بفظاعة أعمالهم. وما جرى على ابن عفيف الأزدي، يؤكّد هذه الدعوى المدعومة بالوجدان الصحيح.

---

(١) سورة يونس / ٣٥.

وعرف سيّد الشهداء من حرائر الرسالة الصبر على المكاره، وملاقاة الخطوب والدواهي بقلوب أرسى من الجبال؛ فلا يفوتهن تعريف الملأ، المغمور بالترهات والأضاليل نتائج أعمال هؤلاء المضلين، وما يقصدونه من هدم الدِّين، وأنّ الشهداء أرادوا بنهضتهم مع إمامهم عليه السلام - قتيل الحنيفيّة - إحياء شريعة جدّه صلى الله عليه وآله.

والعقائل من آل الرسول صلى الله عليه وآله، وإنْ استعرت أكبادهن بنار المصاب، وتفاقم الخطب عليهن، وأشجاهنّ الأسى، لكنهنّ على جانب عظيم من الأخذ بالثأر، والدفاع عن قدس الدِّين.

وفيهنّ (العقيلة) ابنة أمير المؤمنين سلام الله عليها، التي لم يرعها الأسر وذلّ المنفى، وفقد الأعزاء وشماتة العدوّ، وعويل الأيامى وصراخ الأطفال وأنين المريض، فكانت تلقي خواطرها بين تلك المحتشدات الرهيبة، أو فقل بين المخلب والنّاب غير متلعثمة، وتقذفها كالصواعق على مجتمع خصومها. فوقفت أمام ابن مرجانة، ذلك الألد، وهي امرأة عزلاء ليس معها من حماتها حمي، ولا من رجالها ولي غير الإمام الذي أنهكته العلّة، ونسوة مكتنفة بها، بين شاكية وباكية، وطفل كظّه العطش، إلى أُخرى أقلقها الوجل، وأمامها رأس علّة الكائنات ورؤوس صحبه وذويه، وقد تركت تلك الأشلاء المقطّعة في البيداء تصهرها الشمس، والواحدة من هذه تهدّ القوى، وتبلبل الفكر.

لكن (ابنة حيدرة) كانت على جانب عظيم من الثبات والطمأنينة، فأفرغت عن لسان أبيها بكلام أنفذ من السّهم، وألقمت ابن مرجانة حَجراً، إذ قالت له:

«هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل؛ فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّ وتخاصم، فانظر لِمَن الفلج. ثكلتك أُمّك يابن مرجانة!».

وأوضحت للملأ المتغافل خبثه ولؤمه، وأنّه لن يرحض عنه عارها وشنارها، كما أنّها أدهشت العقول وحيّرت الفكر في خطبتها بكُناسة الكوفة، والنّاس يومئذ حيارى يبكون، لا يدرون ما يصنعون، وأنّى يرحض عنهم العار بقتلهم سليل النبوة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنة؟ وقد خاب السّعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وباؤوا بغضب من الله وخزي في الآخرة، ولعذاب الله أكبر لو كانوا يعلمون.

وبعد أنْ فرغت من خطابها اندفعت فاطمة ابنة الحسين عليه السلام بالقول الجزل، مع ثبات جأش وهدوء بال، فكان خطابها كوخز السّنان في القلوب، ولم يتمالك النّاس دون أنْ ارتفعت أصواتهم بالبكاء، وعرفوا عظيم الجناية والشقاء، فقالوا لها: حسبك يا ابنة الطاهرين، فقد احرقت قلوبنا وانضجعت نحورنا.

وما سكتت حتّى ابتدرت أُمّ كلثوم، زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، فعرّفت الحاضرين عظيم ما اقترفوه، فولول الجمع وكثر الصراخ، ولم يرَ إذ ذاك أكثر باك وباكية[1].

فهل يا ترى يمكنك الجزم بأنّ أحداً يستطيع في ذلك الموقف الرهيب، الذي

---

(١) إقرأ الخطب الثلاثة في الأُمور المتأخرة عن الشهادة من هذا الكتاب.

تحفّه سيوف الجور أن يتكلّم بكلمة واحدة مهما بلغ من المنعة في عشيرته؟ وهل يقدر أحد أنْ يعلن بموبقات ابن هند وابن مرجانة غير بنات أمير المؤمنين عليه السلام؟ كلا. إنّ على الألسن أوكية، والأيدي مغلولة، والقلوب مشفقة.

على أنّ هذا، إنّما يقبّح ويستهجن إذا لمْ يترتّب عليه إلا فوائد دنيويّة مثارها رغبات النّفس الأمّارة، وأمّا إذا ترتّبت عليه فوائد دينيّة، أهمّها: تنزيه دين الرسول صلى الله عليه وآله عمّا ألصقوه بساحته من الباطل، فلا قبح فيه عقلاً، ولا يستهجنه العرف، ويساعد عليه الشرع.

والمرأة، وإنْ وضع الله عنها الجهاد ومكافحة الأعداء، وأمرها سبحانه وتعالى أنْ تقرّ في بيتها؛ فذاك فيما إذا قام بتلك المكافحة غيرها من الرجال. وأمّا إذا توقّف إقامة الحقّ عليها فقط؛ بحيث لولا قيامها لدرست أُسس الشريعة، وذهبت تضحية أُولئك الصفوة دونه أدراج التمويهات، كان الواجب عليها القيام به.

ولذلك نهضت سيّدة نساء العالمين الزهراء عليها السلام للدفاع عن خلافة الله الكبرى؛ حين أُخذ العهد على سيّد الأوصياء بالقعود، فخطبت في مسجد النّبي صلى الله عليه وآله الخطبة البليغة في محتشد من المهاجرين والأنصار.

على أنّ الحسين عليه السلام كان على علم بإخبار جدّه الأمين صلى الله عليه وآله؛ بأنّ القوم وإنْ بلغوا الغاية، وتناهوا في الخروج عن سبيل الحميّة، لا يمدّون إلى النّساء يد السّوء، كما أنبأ عنه سلام الله عليه بقوله لهنّ ساعة الوداع الأخيرة: «**البسوا أزركم، واستعدّوا للبلاء، واعلموا أنّ الله حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شرّ**

الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب أعاديكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البليّة بأنواع النّعم والكرامة. فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم».

هذا كلّه لو لم نقل بالإمامة لسيّد الشهداء عليه السلام. وأمّا مع الخضوع لناموس علم الإمام الشامل لِما كان ويكون، وسيره حسب المصالح الواقعيّة، وعصمته في أقواله وأفعاله، كما هو الحقّ الذي لا محيص عنه، فكان المحتّم علينا الإذعان بأنّ ما صدر منه ناشئ عن حِكَمٍ ربانيّة، ومصالح إلهيّة لا يتطرّق إليها الشكّ، وليس الواجب علينا إلا التصديق بجميع أفعاله، من دون أن يلزمنا العقل بمعرفة المصالح الباعثة على تلك الأفعال الصادرة منه. وهكذا الحال في كلّ ما وجب على المكلّفين، فإنّه لمْ يجب على العباد إلا التسليم والخضوع للمولى، من دون أنْ تعرف الأغراض الباعثة عليها. وهكذا الحال في العبيد مع مواليهم، فإنّ العقل لا يلزم العبد بأكثر من طاعة سيّده ومولاه حينما يأمره وينهاه.

نهضات العلويّين

لقد كان من نتائج تلك النّهضة المقدّسة ومن ولائد ذلك (الفتح المبين) تطوّر في نظر العلويين نسباً أو مذهباً أو مَن أخذ لدعوته لوناً من الانتماء إلى آل محمّد، وإنْ كان مضمراً غير ما يتظاهر به، وكلٌّ من هؤلاء لمْ يعدم التشييد لدعوة الحقّ، والوهن في دولة الباطل، وتعريف الأُمّة بأنّ لآل محمّد حقّاً مغتصباً، والواجب عليهم النّهوض لقطع اليد العادية.

فكانت تلكم الثورات المتتابعة باعثة إلى الأفئدة دواعي تحفّزها إلى تحرّي الرشد حتّى تقف على صراح الحقيقة.

كانت الأُمّة تعتقد أنّه ليس من المستطاع النّهوض في وجه ا لمستحوذين على أمر الأُمّة وإمرة المسلمين لقوّة سلطانهم، وإنّ القيام أمام السّلطة القاسية لا يعقب إلا فشلا، بل إنّ المحظور في الشريعة القاء النّفس في التهلكة من غير ما جدوى هنالك.

لكن سيّد الإباء والحميّة وسيّد شباب أهل الجنة أوحى إلى الملأ الدِّيني بصرخته في مشهد الطفّ التي لم يزل دويّ صداها في مسامع القرون والأجيال: إنّ الواجب في الشريعة الثورة أمام كلّ باطل، إذا لمْ يكن ما يدحره غيرها.

وإنّ في مستوى اليقين بلوغ الغاية المتوخّاة لِمَن يجعل طلب الحق عنوان نهضته، فإنّه إمّا أنْ يفوز النّاهض بالظفر أو مَن يتلوه في نهضته حتّى تتجسّد الأماني بالفتح المبين.

وهذا ما نراه من تعاقب النّهضات تجاه عبث الأُمويِّين بالشريعة المطهّرة، فكانت دعوة المختار هي ثارات لآل محمّد.

وقام زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وولده يحيى داعيَين إلى الرضا من آل محمّد، وأظهر بقيّة الهاشميِّين التذمّر من خلفاء الجَور ووثبوا لسدّ سَيل الضلال الجارف.

وإنّ التأمّل في سِيَر المعصومين من آل الرسول، وما قيضهم المولى سبحانه له من كسح أشواك المنكر وإرشاد العباد إلى الطريقة المثلى تتجلّى له رغبتهم عليهم السلام في

هاتيك المحتشدات الدامية، لأنّ الغاية المتوخّاة لهم إنّما هي تعريف الأُمّة أحقيّتهم بمنصب الرسول الأقدس، وإنّ الدافع لهم عن هذا الحق المجعول لهم من الباري عزّ اسمه مائل عن النّهج القويم، وهذا المعنى إنّما يتسرّب إلى الأدمغة وتلوكه الأشداق؛ بسبب هاتيك الثورات في مختلف الاصقاع لتتم الحُجّة على الأُمّة، فلا يسع أحداً الاعتذار بالجهل بالإمام المنصوص عليه من النّبي الأعظم.

وإنّما نشاهد من بعض أئمّة الهدى الإنكار والتبرّي من العلويِّين وغيرهم الخارجين على خلفاء الجَور، فإنّما هو للتقيّة من السّلطة الغاشمة؛ كيلا تنسب إليهم الثورة فينالهم مالا يحمد عقباه.

نعم كان في الثائرين أُناس اتّخذوا مظلوميّة أهل البيت فخّاً يصطادون به البسطاء. فابن الزبير الذي كان يشيد بذكر الحسين عليه السلام والظلم الذي جرى عليه، لمّا حسب أنّه ملك الأمر تركه، فكان أشدّ المناوئين لأهل البيت عليهم السلام وأظهر ما انحنت عليه جوانحه.

فترك الصلاة على النّبي صلى الله عليه وآله أربعين جمعة فقيل له في ذلك، قال: إنّ له أهل بيت سوء، إذا ذكرته، اشرأبت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك، فلا أُحبّ أنْ أُقرّ أعينهم[1].

ولقد جرّأه على ذلك معاوية بن أبي سفيان الذي يقول لمّا سمع المؤذّن يشهد

---

(١) المقاتل لأبي الفرج ص١٦٥ ط ايران.

بالرسالة: (... وإنّ أخا هاشم يصرخ باسمه في كلّ يوم خمس مرّات: أشهد أنَّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، فأيّ عمل يبقى مع هذا لا أُمّ لك، والله إلا دفناً دفنا)[١].

ولمّا سمع المأمون بهذا الحديث كتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر فأعظم النّاس ذلك وأكبروه واضطربت العامّة فأُشير عليه بالترك فأعرض عمّا كان عليه[٢].

وأعطف عليه بني العبّاس الذين ملأوا الجَوّ هتافاً بالاستياء لِما أصاب آل محمّد يوم الطفّ، ولمّا حصلوا على الأُمنية، قلبوا لهم ظهر المجن وأبادوهم عن جديد الأرض، وكان موسى بن عيسى العباسي، صاحب الوقعة (بفخ) يقول: لو نازعنا النّبي صلى الله عليه وآله هذا الأمر لضربنا خيشومه بالسّيف[٣].

فهؤلاء إلى أمثالهم برئت منهم الذمّة وانقطعت العصمة وإن استفادت الأُمّة بنهضتهم من ناحية استئصال شأفة أعدائها من آل حرب وأُميّة:

طمعت ابناء حرب ان ترى ... فيه للضيم انعطافاً وانكسارا
حاولت تصطاد منه اجدلا ... نفض الذلَّ على الوكر وطارا
ورجت للخسف أن تجذبه ... ارقماً قد ألف العزّ وجارا
كيف يعطى بيد الهون إلى ... طاعة الرجس عن الموت حذارا

---

(١) شرح النهج الحديدي ج٢ ص٥٣٧.
(٢) مروج الذهب ج٢ ص٣٤٣ آخر أخبار المأمون.
(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص١٥٨ ط ايران.

فأبـــى إلا التـــى إن ذكـــرت هـــزَّت الـــكون انـــدهاشاً وانـــذعارا
فـــأتى مـــن بـــأسه فـــى جـــحفل زحـــفه ســـدَّ عـــلى الباغى القفـــارا
ولـــيوث مـــن بـــنى عـــمرو العـــلى لـــبسوا الـــصبر عـــلى الطعـــن دثـــارا
أشعـــروا ضـــرباً بـــهيجاء غـــدا لـــهم فـــى ضـــنكها المـــوت شـــعارا
فـــقضوا حـــقّ الـــمعالي ومـــضوا طـــاهري الأعـــراض لم يـــدنس عـــارا
بـذلوهـــــا أنفســـــاً غـالـــــية كـبرت بـالعزِّ أن تـرضى الصـغارا[1]

(١) من قصيدة للسيد عبد المطلب الحلي، ذكرت بتمامها بترجمة من شعراء الحلة للخاقاني.

حديث كربلاء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنَّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»

(مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢١٧)

هلَّ المحرم

هــلَّ الــمحرَّم فــاستهل مــكبِّراً ... وانــثر بــه درر الــدموع عــلى الثــرى

وانــظر بــغرته الهــلال إذا انجــلى ... مســترجعاً مُتــفجِّعاً مُــتفكِّراً

واخلـع شـعار الصـبر منـك وزرَّ مـن ... خــلع الــسّقام عــليك ثوبــاً أصــفرا

فــثياب ذي الأشــجان ألــقيها بــه ... مــا كــان مــن حُمـر الثيـاب مـزررا

شــهر بــحكم الــدهر فيــه تحكَّمــت ... شـر الكـلاب السّـود في أُسـد الشرى

للّــه أي مصــيبة نــزلت بــه ... بــكت الــسّماء لــه نجيعــاً أحمــرا

خَـطبٌ دهـى الإسـلام عنـد وقوعـه ... لــبست عــليه حــدادها (أُمّ القــرى)

أو مـا تـرى الحـرم الشـريف تكـاد مـن ... زفــراته الــجمرات أن تــتسعَّرا

(وأبــا قبـيس) في حشـاه تصـاعدت ... قــبسات وجـد حرهـا يصـلي (حـرا)

عَـلِمَ (الـحطيمُ) بـه فحطَّمـه الأسـى ... ودرى (الــصفا) بــمصابه فتكــدَّرا

واســتشعرت مــنه المشــاعر بــالبلا ... وعــفا (مــحسرها) جــوىً وتحسَّــرا

قُــتل الــحسين فــيا لهــا مــن نكبــة ... أضحى لها الإسلام منهدم الذرى[1]

---

(١) ديوان معتوق بن شهاب الموسوي ط مصر سنة ١٣٣٠هـ.

شهر المحرّم

مُحـــرَّمٌ فـــيه الـــهنا مُـــحرَّمُ ... والـــحزن فـــرضٌ والبكـــا مُحـــتَّمُ

شـــهرٌ بـــه الإيـــمان ثَـــل عرشـــه ... والـــكفر بـــالإسلام بـــان بطشـــه

هـــلاله قـــوس رمـــى قلـــب الهـــدى ... والـــدِّين في ســـهم الحتـــوف والـــردى

قـــد كـــان عنـــد الكفـــر والإســـلام ... فيـــه الـــقتال أعـــظم الآثـــام

وآل حـــرب حـــاربوا ربَّ السّـــما ... فـــيه وحـــلَّلوا الـــدم المحرَّمـــا

وانتهكـــوا حرمـــة ســـادات الحـــرم ... وارتكبـــوا مـــا أمطـــر السّـــماء دم

يـــا آل حـــرب لا لقيـــتم سَـــلَماً ... ولا وقـــيتم مـــن لـــسان ذمـــا

لُـــــعنتُمُ في الأرض والسّـــــماء ... عـــلى لـــسان جملـــة الأحيـــاء

بـــشراكُمُ بـــالويل والـــثبون ... وبـــالعذاب يـــوم نَفـــخ الصـــور

كـــم حـــرة للمصـــطفى هتكـــتُمُ ... وكـــم دم لِولـــده ســـفكتُمُ

يـــا امـــة الخـــذلان والكفـــران ... وعـــصبة الضـــلال والشـــيطان

بـــأي عـــين تبصـــرون جَـــده ... وقـــد فـــعلتم مـــا فعلـــتم بعـــده

جـــزرتُمُ جـــزر الأضـــاحي نســـله ... وســـقتُمُ ســـوق الامـــاء أهلـــه

نـــسيتُمُ احـــسان يـــوم الفـــتح ... نـــسيتُمُ فـــيه جميـــل الصـــفح

قد كنتُمُ لولا بدور هاشم سراً يضيع في ضلوع كاتم

بهم تسنمتم ذرى المنابر كما علوتم صهوة المفاخر[١]

يزيد بعد معاوية

لمّا هلك معاوية بدمشق للنصف من رجب سنة ستين هجرية، كان ابنه يزيد في حوران، فأخذ الضحّاك بن قيس أكفانه ورقى المنبر، فقال بعد الحمد لله والثناء عليه: كان معاوية سور العرب وعونهم وجدّهم، قطع الله به الفتنة وملّكه على العباد وفتح به البلاد، إلا أنّه قد مات وهذه أكفانه فنحن مدرجوه فيها، ومدخلوه قبره ومخلّون بينه وبين عمله، ثمّ هو البرزخ إلى يوم القيامة، فمَن كان منكم يريد أنْ يشهد فليحضر.

ثمّ صلّى عليه الضحّاك، ودفنه بمقابر باب الصغير وأرسل البريد إلى يزيد يعزّيه بأبيه، والإسراع في القدوم؛ ليأخذ بيعةً مجددةً من النّاس[٢]، وكتب في أسفل الكتاب[٣] :

مضى ابن أبي سفيان فرداً لشأنه وخلفت فانظر بعده كيف تصنع

---

(١) المقبولة الحسينية ص٩ للحجة آية الله الشيخ هادي كاشف الغطاء تدظله.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ١٤٣.

(٣) مقتل الخوارزمي ج١ ص١٧٨.

أقمنا على المنهاج واركب محجة ... سداداً فأنت المرتجى حين نفزع

فلما قرأ يزيد الكتاب أنشأ يقول[١]:

جاء البريد بقرطاس يخبُّ به ... فأوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا لك الويل ماذا في صحيفتكم ... قال الخليفة أمسى مثقلا وجعا

مادت بنا الأرض أو كادت تميد بنا ... كأن ما عزَّ من أركانها انقلعا

من لم تزل نفسه توفي على وجل ... توشك مقادير تلك النفس أن تقعا

لما وردت وباب القصر منطبق ... لصوت رملة هُدَّ القلب فانصدعا

وسار إلى دمشق، فوصلها بعد ثلاثة أيام من دفن معاوية[٢]، وخرج الضحّاك في جماعة لاستقباله، فلمّا وافاهم يزيد جاء به الضحّاك أولاً إلى قبر أبيه، فصلّى عند القبر.

ثمّ دخل البلد ورقى المنبر، وقال: أيّها النّاس، كان معاوية عبداً من عبيد الله، أنعم الله عليه ثمّ قبضه إليه. وهو خير من بعده ودون من قبله. ولا أزكّيه على الله عزّ وجلّ؛ فإنّه أعلم به، إن عفا عنه فبرحمته، وإن عاقبه فبذنبه. وقد ولِّيتُ الأمر

---

(١) الاغاني ج١٦ ص٣٤ طبعة دي ساسي.

(٢) مقتل الخوارزمي ج١ ص١٧٨ وفي الاستيعاب على هامش الاصابة بترجمة معاوية عن الشافعي: أن معاوية لما ثقل كتب إلى يزيد وكان غائباً يخبره بحاله فأنشأ يزيد يقول وذكر أربع أبيات الاول والثالث واثنان لم يذكرا هنا.

من بعده، ولستُ آسى على طلب، ولا أعتذر من تفريط، وإذا أراد الله شيئاً كان. ولقد كان معاوية يغزو بكم في البحر، وإنّي لستُ حاملاً أحداً من المسلمين في البحر. وكان يشتيكم بأرض الروم، ولستُ مشتياً أحداً بأرض الروم. وكان يخرج عطاءكم أثلاثاً، وأنا أجمعه كلّه لكم[1].

فلم يقدم أحد على تعزيته حتّى دخل عليه عبد الله بن همام السّلولي، فقال: يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرزيّة، وبارك لك في العطيّة، وأعانك على الرعيّة، فقد رزئت عظيماً وأُعطيت جسيماً، فاشكر الله على ما أُعطيت، واصبر على ما رزئت. فقد فقدتَّ خليفة الله وأُعطيت خلافة الله، ففارقت جليلاً ووهبت جزيلاً، إذ قضى معاوية نحبه، وولِّيت الرياسة وأُعطيت السّياسة، فاورده الله موارد السّرور ووفقك لصالح الامور، ثمّ أنشأ:

إصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاك

لا رزء أصبح في الأقوام قد علموا ... كما رزئت ولا عقبى كعقباك

أصبحت راعي أهل الدين كلهُمُ ... فأنت ترعاهُمُ والله يرعاك

وفي معاوية الباقي لنا خلف ... إذا نعيت ولا نسمع بمنعاك

---

(١) البداية لابن كثير ج٨ ص١٤٣.

فانفتح بذلك للخطباء[١]، وقال له رجل من ثقيف: السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، إنّك قد فُجعت بخير الآباء، وأُعطيت جميع الأشياء، فاصبر على الرزيّة، واحمد الله على حُسن العطيّة، فلا أحد أُعطي كما أُعطيت ولا رزئ كما رزئت.

وأقبل الناس عليه يهنّئونه ويعزّونه فقال يزيد: نحن أنصار الحقّ وأنصار الدِّين، وأبشروا يا أهل الشام، فإنّ الخير لم يزل فيكم وستكون بيني وبين أهل العراق ملحمة؛ وذلك إنّي رأيت في منامي منذ ثلاث ليال كأنّ بيني وبين أهل العراق نهراً يطّرد بالدم جرياً شديداً، وجعلتُ أجهد نفسي لأجوزه فلم أقدر حتّى جازه بين يدي عبيد الله بن زياد وأنا أنظر إليه!.

فصاح أهل الشام إمض بنا حيث شئت، معك سيوفنا التي عرفها أهل العراق في صفّين، فجزاهم خيراً وفرّق فيهم أموالاً جزيلة.

وكتب إلى العمّال في البلدان يخبرهم بهلاك أبيه، وأقرّهم على عملهم، وضمّ العراقَين إلى عبيد الله بن زياد - بعد أن أشار عليه بذلك سرجون مولى معاوية - ، وكتب إلى الوليد بن عتبة وكان على المدينة:

أمّا بعد: «**فإنّ معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه واستخلصه ومكّن له، ثمّ**

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ١٠٩، ط ٢، باب وصية معاوية، وكامل المبرد ٣ / ٣٠٠، والعمدة لابن رشيق ٢ / ١٤٨، باب الرثاء (وبينهم اختلاف يسير)، والعقد الفريد لابن عبد ربّه ٢ / ٣٠٩، باب طلب معاوية البيعة ليزيد.

قبضه إلى روحه و ريحانه ورحمته وعقابه، عاش بقدر ومات بأجل، وقد كان عَهَدَ إليَّ وأوصاني بالحذر من آل أبي تراب؛ لجرأتهم على سفك الدماء، وقد علمتَ يا وليد أنّ الله تبارك وتعالى منتقم للمظلوم عثمان بآل أبي سفيان؛ لأنّهم أنصار الحقّ وطلاب العدل، فإذا ورد عليك كتابي هذا، فخذ البيعة على أهل المدينة».

ثمّ أرفق الكتاب بصحيفة صغيرة فيها: خُذ الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً، ومَن أبى فاضربْ عنقه، وابعث إليَّ برأسه![1].

وقام العامل بهذه المهمّة، فبعث على الحسين وابن الزبير نصف الليل، رجاء أنْ يغتنم الفرصة بمبايعتهما قبل النّاس، فوجدهما رسوله عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان بن عفّان[2] في مسجد النّبي صلى الله عليه وآله، فارتاب ابن الزبير من هذه الدعوة التي لم تكن في الوقت الذي يجلس فيه للناس[3]، لكن حُجّة الوقت (حسين الإصلاح) أوقفه على أمر غيبي، وهو هلاك معاوية، وأنّه يطلب منهم البيعة ليزيد وأيّده عليه السلام بما رآه في المنام من اشتعال النّيران في دار معاوية، وإنّ منبره منكوس[4].

---

(١) مقتل الخوارزمي ١ / ١٧٨ - ١٨٠، طبع النجف، وقد أشرنا في المقدّمة إلى السرّ في إنشاء هذا الكتاب الصغير فاقرأه.

(٢) ابن عساكر ٤ / ٣٢٧.

(٣) الطبري ٦ / ١٨٩.

(٤) مثير الاحزان لابن نما / ١٠، ومقتل الخوارزمي ١ / ١٨٢ الفصل الثامن. ولا يخفى أنّ ←

ورام ابـن ميسـون عـلى الـدين امـرة ... فـعاثت بـدين الله جهـراً جرائمـه
فـقام مغيثـاً شرعـة الـدِّين شـبل مَـنْ ... بـصمصامه بـدءاً اقيمـت دعائمـه
وحـفَّ بـه (إذ محـصَّ النـاسَ) معشر ... نـمته إلى اوج الـمعالي مكارمـه
فـمن اشـوس ينميه للطعـن (حيـدر) ... وينميه جـد في قـرى الطـير (هاشـمه)
ورهـط تفـانى في حمـى الـدين لم تهـن ... لـقـلته بـين الـجموع عـزائمه
إلى أن قضـوا دون الشـريعة صرَّعـاً ... كـما صرعـت دون العـرين ضراغمـه
أراد ابـن هنـد خـاب مسـعاه أن يـرى ... (حسينا) بأيدي الضيم تلوى شكائمه
ولـكن أبـى المجـد المؤثـل والإبـا ... لـه الـذلُّ ثـوباً والحسـام ينادمـه
أبـوه عـلي وابـنة الـطُّهر أُمّـه ... وطـه لـه جَـدٌّ وجـبريل خادمـه
إلـى ابـن سـمي وابـن ميسـون ينثني ... يـمدُّ يـداً والـسّيف في اليـد قائمـه
فصـال عليهم صـولة الليـث مغضـباً ... وعسـا لـه خصـم النفـوس وصـارمه

رؤيا الإمام عليه السلام مشاهدة لحقيقة الحال، إبصار بنور الإمامة الذي لا تمنعه الحواجز عن ادراك ما في الكون، ولا بدع في ذلك ممَّن كوّنه الله تعالى حُجّة على العالمين، فهو عليه السلام في مقام الكناية عن نكوس منبره بانقلاب الأمر من يده وانقطاع شهواته بهلاكه، واشتعال النيران كناية عن احتدام الفتن بمثل فاجعة الطفّ، و واقعة الحرة، وهدم البيت الحرام إلى أمثالها.

فـحكّم فـي أعـناقهم نافـذ القضـا صـقيلاً فـلا يسـتأنف الحكـم حاكمـه

الى أن أعـاد الـدين غضّـاً ولم يكـن بغـير دمـاء السّـبط تسـقى معالمـه[١]

و وضّح لابن الزبير ما عزم عليه الحسين من ملاقاة الوالي في ذلك الوقت، فأشار عليه بالترك حذار الغيلة، فعرّفه الحسين عليه السلام القدرة على الامتناع[٢].

وصار إليه الحسين في ثلاثين[٣] من مواليه وأهل بيته وشيعته، شاكين بالسّلاح، ليكونوا على الباب فيمنعونه إذا علا صوته[٤] وبيده قضيب رسول الله صلى الله عليه وآله. ولمّا استقرّ المجلس بأبي عبد الله عليه السلام، نعى الوليد إليه معاوية، ثم عرض عليه البيعة ليزيد، فقال عليه السلام: «**مثلي لا يبايع سرّاً، فإذا دعوتَ النّاس إلى البيعة دعوتنا معهم، فكان أمراً واحداً**»[٥].

فاقتنع الوليد منه، لكن مروان ابتدر قائلاً: إن فارقك السّاعة ولم يبايع، لم تقدر منه على مثلها حتّى تكثر القتلى بينكم، ولكن احبس الرجل حتّى يبايع أو تضرب عنقه.

---

(١) من قصيدة للعلامة الشيخ محمّد تقي آل صاحب الجواهر.

(٢) ابن الأثير ٤ / ٦.

(٣) اللهوف للسيّد رضي الدين ابن طاووس.

(٤) مقتل الخوارزمي ١ / ١٨٣ الفصل الثامن.

(٥) الطبري ٦ / ١٨٩.

فقال الحسين: «**يابن الزرقاء**[1] **أنت تقتلني أم هو؟! كذبت وأثمت**»[1].

---

(١) في تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي / ٢٢٩، طبع ايران، والاداب السلطانية للفخري / ٨٨، كانت جدّة مروان من البغايا. وفي كامل ابن الأثير ٤ / ٧٥، كان الناس يعيّرون ولد عبد الله بن مروان بالزرقاء بنت موهب؛ لانّها من المومسات ومن ذوات الرايات. وفي تاريخ ابن عساكر ٧ / ٤٠٧، جرى كلام بين مروان وعبد الله بن الزبير فقال له عبد الله: وإنك لههنا يابن الزرقاء. وفي أنساب الاشراف للبلاذري ٥ / ١٢٩، قال عمرو بن العاص لمروان - في كلام جرى بينهما -: يابن الزرقاء، فقال مروان: إن كانت زرقاء، فقد أنجبت وأدت الشبه إذا لم تؤده غيرها.

وفي تاريخ الطبري ٨ / ١٦، كان مروان بن محمّد بن الأشعث يقول: لم يزل بنو مروان يعيَّرون بالزرقاء وان بني العاص من أهل (صفورية).

غير خفي أنّ أدب الشريعة وإن حرج على المؤمن التنابز بالالقاب والطعن في الأنساب، ومَن تستفاد منه الحكم والآداب الإلهيّة أحرى بالأخذ بها، إلا أنّ إمام الأُمّة والحُجّة على الخليفة العارف بالملابسات لا يتعدّى هذه المقررات، وابتعادنا عن مقتضيات أحوال ذلك الزمن يلزمنا بالتسليم للإمام المعصوم عليه السلام في كلّ ما يصدر منه خصوصاً مع مطابقته للقرآن العزيز الذي هو مصدر الأحكام، والتعيير الصادر من الحسين لمروان صدر مثله من الجليل عزّ شأنه مع الوليد بن المغيرة المخزومي إذ يقول في سورة القلم / ١٣: ﴿**عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ**﴾ والزنيم، في اللغة: الدعي في النسب، اللصيق به.= = و ورد في حديث النّبي صلى الله عليه وآله كما في كنز العمال ١ / ١٥٦: «**العتل الزنيم: الفاحش اللئيم**».

ويروي الآلوسي في روح المعاني ٢٩ / ٢٨: إنّ أباه المغيرة ادّعاه بعد ثمان عشرة سنة من مولده.

فإذا كان (ينبوع الأدب والأسرار) يغمز في حقّ رجل معيّن ويسمّه بالقبيح في كتابه الذي يتلى في المحاريب ليلاً ونهاراً، فلا يستغرب من ابن النبوة إذا رمى مروان بالشائنة، وهو ذلك المتربّص بهم الغوائل.

ثم أقبل عليه السلام على الوليد وقال: «**أيها الأمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم. ويزيد رجل شارب الخمور، وقاتل النّفس المحرَّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة**»[٢].

فأغلظ الوليد في كلامه، وارتفعت الأصوات، فهجم تسعة عشر رجلاً قد انتضوا خناجرهم وأخرجوا الحسين إلى منزله قهراً[٣].

فقال مروان للوليد: عصيتني، فوالله لا يمكّنك على مثلها. قال الوليد: وَبِّخ غيرك يا مروان! اخترت لي ما فيه هلاك ديني، أقتل حسيناً أنْ قال لا أُبايع! والله لا أظن امرءاً يحاسب بدم الحسين إلا خفيف الميزان يوم القيامة[٤]، ولا ينظر الله إليه، ولا يزكّيه، وله عذاب أليم[٥].

وعتبت أسماء بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، امرأة الوليد عليه؛ لمّا جرى منه مع الحسين، فاعتذر بأنّه بدأه بالسّب، قالت: أتسبّه وتسبّ أباه إنْ سبّك! فقال: لا أفعل أبداً[٦].

---

(١) تاريخ الطبري، وابن الأثير، والإرشاد، وإعلام الورى.
(٢) مثير الاحزان لابن نما الحلّي، من أعلام القرن السادس.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب ٢ / ٢٠٨.
(٤) تاريخ الطبري ٦ / ١٩.
(٥) اللهوف / ١٣.
(٦) ابن عساكر ٤ / ٣٢٨.

وفي هذه الليلة زار الحسين قبر جدّه صلى الله عليه وآله، فسطع له نور من القبر[١] فقال: **«السّلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك، وسبطك الذي خلّفتني في أُمّتك، فاشهد عليهم يا نبيّ الله أنّهم خذلوني ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتّى ألقاك»**، ولم يزل راكعاً وساجداً حتّى الصباح[٢].

---

(١) امالي الصدوق / ٩٣ المجلس الثلاثون.

(٢) مقتل العوالم ص ٥٤ والبحار ج ١٠ ص ١٧٢ عن محمد بن أبي طالب إن مسألة وجود الأنبياء والأوصياء في قبورهم أو أنهم مرفوعون إلى السماء محل الخلاف لاختلاف الآثار. ففي كامل الزيارات والتوحيد والمجالس والعيون والخصال للصدوق والخرايجك للراوندي والبصائر ص ١٣٠ أخبار دلت على وجود نبينا صلى الله عليه وآله وعلي والحسين ونوح وشعيب وخالد العبسي ويوشع بن نون وعظام آدم وعظام يوسف وعظم النبي المذكور في خبر الاستسقاء في الأرض وإنها أول ما تنشق عن نبينا صلى الله عليه وآله ولهذه الأخبار اختار السيد محمود بن فتح الله الحسيني الكاظمي في رسالة كتبها في المسألة انهم موجودون في قبورهم، ولكن في كامل الزيارات ص ٣٩٠ باب ١٠٨ وتهذيب الطوسي آخر المزار باب الزيارات ما من نبي أو وصي يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتى ترفع روحه وعظمه إلى السماء، وفي تهذيب الشيخ الطوسي لا يبقى اكثر من أربعين يوماً فيرفع إلى السماء. والاختلاف بينهما أما لبيان الغاية في القلة والكثرة أو للاختلاف في مراتبهم، وفي شرح الأربعين للمجلسي ص ٧٦ جمع آخر بين الخبرين وهو أن بعضهم يرفع بعد الثلاثة وبعضهم بعد الأربعين. واحتمل أن تكون الاخبار واردة لقطع طمع الخوارج عن النبش. وممن وافق على رفع الاجساد الأصلية الشيخ المفيد في المقالات ص ٨٤ والكراجكي في كنز الفوائد ص ٢٥٨ والمجلسي- في مرآة العقول ج ١ ص ٣٧٣ ←

وأرسل الوليد من يتعرّف له خبر الحسين، وحيث لم يصبه الرسول في منزله،

والشيخ يوسف البحراني في الدرة النجفية ص ٢٦٦ والمحدث النوري في دار السلام ج ٢ ص ٣٣١ وذهب الفيض في (الوافي) الى أنهم يرتفعون بالأجساد المثالية وتبقى العنصرية في الأرض، وفي مرآة العقول ج ١ ص ٢٢٧ أن جماعة ذهبوا الى رجوعهم الى ضرائحهم بعد الرفع. ولما سأل ابن الحاجب شيخنا المفيد عن معنى حضور الوافدين الى هذه الضرائح؟ حينئذ أجابه الشيخ المفيد بأنه انما جاء العباد الى محال قبورهم وان لم يكونوا فيها اكباراً لهم وتقديساً للمواضع التي حلوا فيها ثم ارتفعوا عنها وهذا مثل تبعد الله العباد بالسعي الى بيته الحرام مع انه سبحانه لا يحويه مكان وانما ذلك تعظيم له وتجليل لمقامه جل شأنه. وفي الفتاوى الحديثية لابن حجر في ٢١٣ عن ابن العربي ان الأنبياء ترد اليهم أرواحهم في القبور ويؤذن لهم في الخروج والتصرف في الملكوت العلوي أو السفلي فلا مانع من أن يرى النبي ﷺ الكثيرون لانه كالشمس. وفي وفاء الوفاء للسمهودي ج ٢ ص ٤٠٧ الفصل الثاني في بنية المزارات روى عنه انه ﷺ قال: ما من نبي دفن الا وقد رفع بعد ثلاث غيري فاني سألت الله تعالى أن أكون بينكم إلى يوم القيامة وروى عبد الرزاق ان سعيد بن المسيب رأى قوماً يسلمون على النبي ﷺ فقال: ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين... وفي روح المعاني للآلوسي ج ٢ ص ٣٧ سورة الاحزاب آية (ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم) أحاديث عن أنس قال ﷺ ما من نبي يموت فيقيم في قبره إلا أربعين صباحاً. وعن سعيد بن المسيب وأبي المقدم ثابت بن هرمز ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً.. ومن الأخبار ما ذكره امام الحرمين في النهاية والرافعي في الشرح ان النبي قال: أنا أكرم على ربي أن يتركني في قبري بعد ثلاث.. زاد امام الحرمين وروى أكثر من يومين ونقل عن القاضي ابن العربي والروض: ان الأنبياء ترد اليهم أرواحهم بعد ما قبضوا ويؤذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي، ثم ذكر رأيه.

اعتقد أنّه خارج من المدينة، فحمد الله على عدم ابتلائه به.

وعند الصباح لقي مروان أبا عبد الله عليه السلام، فعرفه النصيحة التي يدخرها لأمثاله، وهي البيعة ليزيد؛ فإنّ فيها خير الدِّين والدنيا، فاسترجع الحسين وقال: «على الإسلام السّلام؛ إذا بليت الأُمّة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان[1]، فاذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه، وقد رآه أهل المدينة على المنبر فلم يبقروا فابتلاهم الله بيزيد الفاسق»، وطال الحديث بينهما حتّى انصرف مروان مغضباً[2].

وفي الليلة الثانية جاء الحسين إلى قبر جدّه، وصلّى ركعات ثم قال: «**اللهمّ، إنّ هذا قبر نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله وأنا ابن بنت نبيّك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهمّ إنّي أُحبّ المعروف وأُنكِر المنكر، وأسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومَن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضىً ولرسولك رضىً**»، وبكى.

ولمّا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فغفا، فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يدَيه، فضمّ الحسين إلى صدره وقبَّل ما بين عينيه، وقال: حبيبي يا حسين، كأنّي أراك عن قريب مرمّلاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كربلا بين عصابة من أُمّتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقى، وظمآن لا تروى، وهم بعد ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة!

---

(١) اللهوف / ١٣، ومثير الأحزان / ١٠.

(٢) مقتل الخوارزمي ١ / ١٨٥، الفصل التاسع.

حبيبي يا حسين، إنّ أباك وأُمّك وأخاك قدموا عليَّ وهم مشتاقون إليك. فبكى الحسين وسأل جدّه أنْ يأخذه معه ويدخله في قبره.

ولكن الرسول الأقدس أبى إلا أنْ يمضي ولده على حال أربى في نيل الجزاء وآثر عند الجليل سبحانه يوم الخصام فقال ﷺ: لابد أنْ ترزق الشهادة؛ ليكون لك ما كتب الله فيها من الثواب العظيم، فانّك وأباك وعمّك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتّى تدخلوا الجنّة.

فانتبه الحسين وقصّ رؤياه على أهل بيته فاشتد حزنهم وكثر بكاؤهم[1]

وعلموا قرب الموعد الذي كان رسول الله يخبر به، ولحرصهم على نور النبوّة أنْ لا يحجب عنهم ولا يفقدوا تلك الهبات العلويّة اجتمعوا عليه، وطلبوا منه الموافقة ليزيد أو الابتعاد عن هذه البلاد.

---

(١) مقتل العوام / ٥٤، عن محمّد بن أبي طالب، وهذا التذمّر بيان لمقتضى الحال وتعليم للأُمّة بأنّ في مشاهدة تلكم الأحوال من تداول المنكرات وإزهاق المعروف ممّا يستهان معه الموت، وذلك بقضاء من الشهامة والتعرّق في الدين، ولم يكن هذا من سيّد الشهداء نكوصاً عن الأفضل ولا جزعاً - وحاشاه - ممّا قدّر له ورضى به، وأخذ عليه العهد والمواثيق المؤكّدة وهو جدّ عليم بأنّه لابدّ من وقوع ما جرت به المقادير، لكنّ أبي الضيم حسب أنّ دعاء جدّه ﷺ بغير القضاء فعرفه صاحب الدّعوة الإلهيّة أنّ الله تعالى أجرى قضاءه بإعطائه منازل لا تحصّل إلا مع الشهادة. وفي كلّ حرف من قضيّة السّبط الشهيد دروس راقية، وهل في الأُمّة مَن يعتبر بها أو يدرسها؟

جماعة يتخوّفون على الحسين

١ - رأي عمر الأطرف:

فقال له عمر الأطرف بن أمير المؤمنين[١]: حدّثني أبو محمّد الحسن عن أبيه أمير المؤمنين، أنّك مقتول، فلو بايعت لكان خيراً لك. قال الحسين: «**حدّثني أبي أنّ رسول الله أخبره بقتله وقتلي، وإنّ تربته تكون بالقرب من تربتي، أتظنّ أنّك علمت ما لم أعلمه؟، وإنّي لا أعطي الدنيّة من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة أباها شاكية ممّا لقيت ذريّتها من أُمّته، ولا يدخل الجنة من آذاها في ذريّتها**»[٢].

وجاء عمر بن علي بن أبي طالب إلى المختار - حينما نهض بالكوفة - فقال له المختار: هل معك محمّد بن الحنفيّة؟ فقال: لا. فطرده عنه. فسار إلى مصعب حتّى حضر الوقعة وقُتل فيمَن قُتل من النّاس[٣].

لا بد أن ترد القيامة فاطم ... وقميصها بدم الحسين ملطّخ

ويلٌ لمَن شفعاؤه خصماؤه ... والصور في يوم القيامة ينفخ[٤]

---

(١) ذكرنا ترجمته في هامش كتابنا زيد الشهيد / ١٠٠ الطبعة الثانية.

(٢) اللهوف / ١٥، ط صيدا.

(٣) الاخبار الطوال للدينوري / ٢٩.

(٤) في مناقب ابن شهرآشوب ٢ / ٩١: إنّها لمسعود بن عبد الله القايني.

٢- رأي ابن الحنفية:

وقال محمّد بن الحنفية[١]: يا أخي أنت أحبّ النّاس إليَّ وأعزّهم عليَّ ولستُ أدّخر النّصيحة لأحد من الخلق إلا لك وأنت أحقّ بها، تنحّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث برسلك إلى النّاس، فإنْ بايعوك حمدتَ الله على ذلك، وإنْ اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولم تذهب مروءتك ولا فضلك، وإنّي أخاف عليك أنْ تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف النّاس بينهم فطائفة معك وأُخرى عليك فيقتتلون، فتكون لأول الأسنّة غرضاً، فإذا خيرُ هذه الأُمّة كلّها نفساً وأباً وأُمّاً، أضيعها دماً، وأذلّها أهلاً.

فقال الحسين: «فأين أذهب؟»، قال: تنزل مكّة فإنْ اطمأنّت بك الدار، وإلا لحقت بالرمال وشعب الجبال وخرجت من بلد إلى آخر حتّى تنظر ما يصير إليه أمر النّاس، فإنّك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حتّى تستقبل الأُمور استقبالاً ولا تكون الأمور أبداً أشكل عليك منها حين تستدبرها استدباراً[٢].

---

(١) ذكرنا في كتابنا (قمر بني هاشم / ١٠٤): أنّ له يوم البصرة عشرين سنة، فهو أكبر من العبّاس بعشر سنين، وكانت راية أمير المؤمنين معه في الجمل والنهروان، وذكرنا في كتابنا (زين العابدين / ٣١٦) بعض أحواله. وفي مقتل الخوارزمي ٢ / ٧٩ كتاب يزيد إلى ابن الحنفية بعد قتل الحسين وحضوره عنده؛ وهذا ممّا يحطّ من مقامه، وإنّي أقطع بالافتعال عليه؛ لأنّه لا يعقل صدوره من غيور موتور.

(٢) الطبري ٦ / ١٩١، وكامل ابن الأثير ٤ / ٧.

فقال الحسين: «يا أخي، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لَما بايعت يزيد ابن معاوية».

فقطع محمّد كلامه بالبكاء.

فقال الحسين: «يا أخي، جزاك الله خيراً، لقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم على الخروج إلى مكّة، وقد تهيّأتُ لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي أمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأمّا أنت فلا عليك أنْ تقيم بالمدينة، فتكون لي عيناً عليهم لا تخفي عنّي شيئاً من أُمورهم»[١].

وقام من عند ابن الحنفية ودخل المسجد، وهو ينشد:

لا ذعرت السوام في فلق الصبح ... مغيراً ولا دعيت يزيدا[٢]

يوم أُعطي مخالفة الموت ضيم ... والمنايا يرصدنني أن احيدا[٣]

وسمعه أبو سعيد المقبري فعرف أنّه يريد أمراً عظيماً[٤].

---

(١) مقتل محمّد بن أبي طالب، ولم يذكر أرباب المقاتل هذا العذر، واعتذر العلامة الحلّي في أجوبة مسائل ابن مهنا بالمرض.
في (أخذ الثأر) لابن نما الحلي ص٨١: أصابته قروح من عين نظرت إليه، فلم يتمكّن من الخروج مع الحسين عليه السلام، وجلالة ابن الحنفية ومواقفه المشهودة، واعترافه بإمامة السّجاد عليه السلام لا يدع لنا إلا الاذعان بمشروعيّة تأخيره عن هذا المشهد على الإجمال.

(٢) هو يزيد بن المفرغ.

(٣) في أنساب الاشراف: ٤/ ٦٦، تمثل بهما في مكة.

(٤) الطبري ٦ / ١٩١، والاغاني ١٧ / ٦٨، والمقتل للخوارزمي ١ / ١٨٦ الفصل التاسع، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩.

٣- رأي أُمّ سلمة:

وقالت أُمّ سلمة: لا تحزنني بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت جدّك رسول الله يقول: «**يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلا**»، وعندي تربتك في قارورة دفعها إليَّ النّبي صلى الله عليه وآله.

فقال الحسين: «**يا أُمّاه، وأنا أعلم أنّي مقتول مذبوح ظلماً وعدواناً، وقد شاء عزّ وجلّ أنْ يرى حرمي ورهطي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً**».

قالت أُمّ سلمة: وآعجباً! فأنّى تذهب وأنت مقتول؟!.

قال عليه السلام: «**يا أُمّاه، إنْ لم أذهب اليوم ذهبتُ غداً، وإنْ لم أذهب في غد ذهبت بعد غد، وما من الموت والله بدّ، واني لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه والسّاعة التي أُقتل فيها والحفرة التي أُدفن فيها، كما أعرفك، وأنظر إليها كما أنظر إليك، وإنْ أحببتِ يا أُمّاه أنْ أريك مضجعي ومكان أصحابي**»، فطلبت منه ذلك، فأراها تربة أصحابه[1]، ثمّ أعطاها من تلك التربة، وأمرها أنْ تحتفظ بها في قارورة، فإذا رأتها تفور دماً تيقّنت قتله. وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت إلى القارورتين فإذا هما يفوران دماً[2].

---

(١) مدينة المعاجز / ٢٤٤، عن ثاقب المناقب لمؤلّفه الجليل أبي جعفر محمّد بن علي بن محمّد المشهدي الطوسي، كما في دار السلام للنوري ١ / ١٠٢، وحكى في روضات الجنات / ٥٩٣: نسبة الكتاب إليه عن كامل البهائي، وعلى ما في دار السلام من ذكر روايته عن جعفر بن محمّد الدرويستي الراوي عن المفيد في سنة ٤٠١ يكون من أعلام القرن الخامس.

(٢) الخرايج في باب معجزاته ومقتل العوالم / ٤٧.

الهاشميّات

وكَبُرَ خروجه على نساء بني عبد المطّلب فاجتمعن؛ للنياحة، فمشى إليهنّ الحسين وسكّتهن وقال: «**أُنشدكنّ الله أنْ تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله**»، فقلن: ولِمَن نستبقي النّياحة والبكاء؟! فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله وعلي وفاطمة والحسن وزينب وأُمّ كلثوم، فننشدك الله - جعلنا الله فداك - من الموت يا حبيب الأبرار من أهل القبور. وأخبرته بعض عمّاته أنّها سمعت هاتفاً يقول[1]:

---

(١) في كامل الزيارة ص ٩٦ ذكر بيتين ثم هذا البيت وورد في أربعة أبيات في حماسة أبي تمام كما في شرحها للتبريزي ج ٢ ص ١٤، ومروج الذهب ج ٢ ص ٩٢ نقلاً عن انساب الزبير بن بكار ومناقب ابن شهر اشوب ج ٢ ص ٢٢٨ ومثير الأحزان عن المرزباني وتذكرة الخواص ص ١٢٤ وورد في خمسة أبيات في معجم البلدان ج ٦ ص ٥٢ ومقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري ج ١ ص ١٤٢ وفي ست أبيات في كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٧ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢ ص ٢١٥ وفي سبع أبيات في مقاتل الطالبيين ص ١٩ ط ايران ونسب قريش لمصعب الزبيري ص ٤١ وفي ثمان أبيات في البداية لابن كثير ج ٨ ص ٢١١ ومقتل الخوارزمي ج ٢ ص ١٤٩ ومثير الأحزان لابن نما. وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٤٣. (واختلفوا في قائلها) ففي كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٧ انها للتيمي تيم مرة وكان منقطعاً لبني هاشم، وفي الاصابة ج ٤ ص ٧٤ ومقالات الاسلاميين انها لأبي رمح الخزاعي وهي رواية ابن نما عن المرزباني، وفي شرح التبريزي على الحماسة ج ٣ ص ١٣ انها لأبي رمح الخزاعي بالجيم المعجمة وفي الاستيعاب انها لأبي زميح الخزاعي وسماه البكري في المعجم مما استعجم ج ٣ ص ٨٩١ ←

ابن رمح الخزاعي ولم يذكر الا هذا البيت الذي في روايته (اذل رقاب المسلمين فذلت).
ويذهب الزبير بن بكار في أنساب قريش كما ذكره المسعودي في مروج الذهب انها لسليمان بن قبه بالباء الموحدة وعند ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣٤٢ والذهبي في سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٢١٥ وابي عمرو في الاستيعاب (قنة) بالنون بعد القاف ويضيف ابن شهر اشوب الى ذلك (الهاشمي).
وفي تهذيب كامل المبردج (٢) ص ٢٣٥ واعيان الشيعة ج ٣٥ ص ١٣٦ ونسب قريش لمصعب الزبيري ص ٤١ سليمان بن قته ويضيف اليه ابو تمام في الحماسة (العدوي) وفي شرح التبريزي منسوب الى عدي وفي وفي الحماسة البصرية لصدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين البصري المتوفى سنة ٦٥٩ هـ ج ١ ص ٢٠٠ رقم ١٠ قال سليمان ابن قته العدوي مولى عمر بن عبد الله التيمي:

مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم يوم حلت

وكتب المعلق عليه انها خمسة ولم يذكرها وقال مثلها في الاستيعاب. وفي تذكرة الخواص ص ١٥٤ ط. ايران مر سليمان بن قته فنظر الى مصارع القوم فبكى ثم قال: وان قتيل الطف... الى أربعة أبيات.
وفي مقاتل أبي الفرج ص ٤٩ والبداية لابن كثير ج ٨ ص ٢١١ سليمان بن (قتيبة) بالتاء المثناة من فوق بعد القاف ثم الياء المثناة من تحت بعدها باء موحدة ملحقه بهاء، وفي مثير الاحزان لابن نما ان سليمان بن قتيبة العدوي مولى بني تميم مر بكربلا بعد قتل الحسين بثلاث فنظر الى مصارعهم فاتكأ على قوس له عربية وانشأ الأبيات وفي اللهوف لابن طاووس ص ١١٩ ط صيدا ولقد احسن ابن قتيبة رحمه‌الله، وفي معجم البلدان ج ٦ ص ٥٢ انها لأبي دهبل الجمحي، ووافقه في تاج العروس بمادة الطف مع الاقتصار على نفس البيت (وابو = دهبل) كما في الأغاني ج ٦ ص ١٤٩ وهب بن زمعة بن اسد مادح معاوية وعبد الله بن الزبير والوالي على اليمن من قبله وهذا يضعف كون الشعر له، وفي الاغاني

وإنَّ قتيـل الطـف مـن آل هاشـم أذلَّ رقابـاً مـن قـريش فـذلَّتِ

فصبَّرها الحسين وعرَّفها أنّه أمر جارٍ وقضاء محتوم.

٤ - رأي عبد الله بن عمر:

وطلب منه عبد الله بن عمر بن الخطاب البقاء في المدينة فأبى الحسين وقال: «**يا عبد الله، إنّ من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريّا يُهدى إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل، وأنّ رأسي يُهدى إلى بغي من بغايا بني أُميّة، أما علمت أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الشمس سبعين نبياً ثمّ يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً؟! فلم يُعجّل الله عليهم بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ذي انتقام**»[1].

ج ١٧ ص ١٦٥ دخل مصعب بن الزبير الكوفة وأخذ يسأل عن الحسين وقتله وعروة بن المغيرة يحدثه فقال متمثلا بقول سليمان بن قته:

فـان الأولى بـالطف مـن آل هاشـم تآسـوا فسـنوا للكـرام التآسـيا

وفي طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٣١٤ سليمان بن قتة بفتح القاف والمثناة من فوق المشددة، وقته امه، التيمي مولاهم البصري ثقة عرض على ابن عباس ثلاث عرضات وعرض عليه عاصم الجحدري.

(ويمضي) على الألسن ان التي سمعت الهاتف أم هاني ولا يصح لانها ماتت أما في أيام النبي صلى الله عليه وآله كما في مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١١٠ أو أيام معاوية كما في تقريب التهذيب لابن حجر ص ٦٢٠ ط لكنهو.

(١) ابن نما واللهوف.

ولما عرف ابن عمر من الحسين العزم على مغادرة المدينة والنّهضة في وجه أتباع الضلال وقمع المنكرات وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المقدّسة، قال له: يا أبا عبد الله أكشف لي عن الموضع الذي لم يزل رسول الله ﷺ يقبّله منك، فكشف له عن سرّته، فقبّلها ثلاثاً وبكى[١].

فقال له: «**اتّق الله يا أبا عبد الرحمن، ولا تَدَعَنَّ نصرتي**»[٢].

الوصيّة

وكتب الحسين قبل خروجه من المدينة وصيّةً قال فيها:

«**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي عليه السلام إلى أخيه محمّد بن الحنفيّة، إنّ الحسين يشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله جاء بالحقّ من عنده، وأنّ الجنة حقّ والنّار حقّ، والسّاعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور.**

وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي ﷺ، أُريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب، فمَن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومَن ردّ عليَّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين.

---

(١) أمالي الصدوق مجلس ٣٠ / ٩٣.

(٢) اللهوف / ١٧.

وهذه وصيّتي إليك يا أخي. وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب، ثمّ طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى أخيه محمّد»[1].

رافعٌ رايةَ الهدى بمهجته ... كاشفٌ ظلمة العمى ببهجته

به استقامت هذه الشريعة ... به علت أركانها الرفيعة

بنى المعالي بمعالي همّه ... ما اخضرَّ عود الدين إلا بدمه

بنفسه اشترى حياة الدين ... فيا لها من ثمن ثمين

أحيا معالم الهدى بروحه ... داوى جروح الدين من جروحه

جفت رياض العلم بالسموم ... لم يروها إلا دم المظلوم

فأصبحت مورقة الأشجار ... يانعة زاكية الثمار

أقعد كل قائم بنهضته ... حتّى أقام الدين بعد كبوته

---

(١) مقتل العوام ص ٥٤، والمقتل للخوارزمي ١ / ١٨٨ الفصل التاسع.

وغير خاف مغزى السبط المقدس من هذه الوصية، فإنّه أراد الهتاف بغايته الكريمة من نهضته المقدسة، وتعريف الملأ نفسَه ونفسيته ومبدأ أمره ومنتهاه، ولم يبرح يواصل هذا بأمثاله إلى حين شهادته دحضاً لما كان الأمويّون ولفائفهم يموهون على النّاس بأنّ الحسين خارج على خليفة الوقت يريد شقّ العصا وتفريق الكلمة واستهواء النّاس إلى نفسه؛ لنهمة الحاكمية وشره الرياسة؛ تبريراً لأعمالهم القاسية في استئصال آل الرسول، ولم يزل عليه السلام مترسلاً كذلك في جميع مواقفه هو وآله وصحبه حتّى دحروا تلكم الأُكذوبة، ونالوا أُمنيتهم في مسيرهم ومصير أمرهم.

قـــامت بـــه قـــواعد التوحيـــد ... مـــذ لـــجأت بـــركنها الشـــديد

غـــدت بـــه ســـامية الـــقباب ... معـــاهد السّـــنة والـــكتاب

أفـــاض كـــالحيا عـــلى الـــورّاد ... مـــاء الـــحياة وَهـــوَ ظـــام صـــادي

وكـــظَّه الظـــما وفي طـــيِّ الحشـــا ... ريِّ الـــورى والله يقـــضي مـــا يشـــا

والـــتهبت أحـــشاؤه مـــن الظـــما ... فـــأمطرت ســـحائب القـــدس دمـــا[1]

الخروج من المدينة

وخرج الحسين من المدينة متوجّهاً نحو مكّة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه الحسن وأهل بيته[2]، وهو يقرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[3].

ولزم الطريق الأعظم، فقيل له: لو تنكّبت الطريق كما فعل ابن الزبير؛ كيلا يلحقك الطلب، قال: «لا والله، لا أفارقه حتّى يقضي الله ما هو قاض».

ودخل مكّة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان وهو يقرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[4][5].

---

(١) للعلامة الحجة الشيخ محمّد حسين الاصفهاني قدّس الله سرّه.
(٢) تاريخ الطبري ٦ / ١٩٠.
(٣) سورة القصص الآية ٣١.
(٤) سورة القصص الآية ٢٢.
(٥) إرشاد المفيد.

فنزل دار العبّاس بن عبد المطلب[١] واختلف إليه أهل مكّة ومَن بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وابن الزبير ملازم جانب الكعبة، ويأتي إلى الحسين فيمَن يأتيه وكان ثقيلاً عليه دخول الحسين مكّة؛ لكونه أجلَّ منه وأطوع في النّاس، فلا يبايَع له ما دام الحسين فيها.

وخرج عليه السلام في بعض الأيام إلى زيارة قبر جدّته خديجة، فصلّى هناك وابتهل إلى الله كثيراً[٢].

أفدي الاولى للعلى أسرى بهم ظعن ... وراء حادٍ من الأقدار يزعجه

رَكْبٌ على جنة المأوى معرِّسه ... لكن على محن البلوى معرِّجه

مِثل الحسين تضيق الأرض فيه فلا ... يدري إلى أين مأواه وموجله

ويطلب الأمن بالبطحا وخوف بني ... سفيان يقلقه منها ويخرجه

وهو الذي شَرُفَ البيت الحرام به ... ولاح بعد العمى للناس منهجه

يا حائراً لا وحاشا نور عزمته ... بمن سواك الهدى قد شع مسرجه

وواسع الحلم والدنيا تضيق به ... سواك ان ضاق خطب من يفرِّجه

ويا مليكاً رعاياه عليه طغت ... وبالخلافة باريه متوِّجه[٣]

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٢٨.

(٢) الخصائص الحسينية للشيخ جعفر الشوشتري ص ٣٥ ط تبريز، ومقتل العوالم ص ٢٠.

(٣) لحجّة الإسلام الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء قدس سرّه.

في مكّة

وفي مكّة كتب الحسين عليه السلام نسخة واحدة إلى رؤساء الأخماس بالبصرة وهم؛ مالك بن مسمع البكري[١]، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود[٢]، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد بن معمر. وأرسله مع مولى له يقال له سليمان[٣] وفيه: «**أمّا بعد، فإنّ الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله من خلقه وأكرمه بنبوّته واختاره لرسالته، ثمّ قبضه إليه، وقد نصح لعباده وبلّغ ما أُرسل به صلى الله عليه وآله وكنّا أهله وأولياءه وورثته وأحقّ النّاس بمقامه في النّاس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك**

---

(١) في تاريخ الطبري ٦ / ٦٣ الطبعة الأُولى سنة ٣٨: كان مالك بن مسمع مائلاً إلى بني أمية وإليه لجأ مروان يوم الجمل.

(٢) في الاصابة ٣ / ٤٨٠: كان المنذر بن الجارود مع علي عليه السلام يوم الجمل، وأمّره على اصطخر، وأُمّه أُمامة بنت النعمان، وولاه عبيد الله بن زياد الهند، فمات هناك سنة ٦١، وعند خليفة: ولاه السند فمات به سنة ٦٢.

وفي تاريخ الطبري ٧ / ١٨٣ الطبعة أولى سنة ٧١هـ: أنّ مصعب بن الزبير قال للحكم بن المنذر بن الجارود: كان الجارود علجا بجزيرة (ابن كاوان) فارسياً، فقطع إلى ساحل البحر فانتمى إلى عبد القيس، ولا والله ما أعرف حياً أكثر اشتمالا على سوأة منهم ثم انكح اخته المكعبر الفارسي فلم يصب شرفاً قط.

(٣) هذا في تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٠، وفي اللهوف ص ٢١: يكنّى أبا رزين، وفي مثير الأحزان ص ١٢: أرسله مع ذراع السدوسي.

الحقّ المستحقّ علينا ممَّن تولاه، وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه، فإنّ السُنَّة قد أُميتت والبدعة قد أُحييت، فإنْ تسمعوا قولي أهدكم إلى سبيل الرشاد».

فسلّم المنذر بن الجارود العبدي رسولَ الحسين إلى ابن زياد فصلبه عشيّة الليلة التي خرج في صبيحتها إلى الكوفة؛ ليسبق الحسين إليها[١]. وكانت ابنة المنذر، بحرية زوجة ابن زياد فزعم أنْ يكون الرسول دسيساً من ابن زياد، فأمّا الأحنف فإنّه كتب إلى الحسين عليه السلام: أمّا بعد، فاصبر إنّ وعد الله حقّ ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون[٢].

وأمّا يزيد بن مسعود[٣] فإنّه جمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلمّا حضروا قال: يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟ قالوا: بخ

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٠.

(٢) مثير الاحزان / ١٣.

(٣) هذا في مثير الأحزان، وعند الطبري وابن الأثير: مسعود بن عمرو وقال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب / ٢١٨: كان عبّاد بن مسعود بن خالد بن مالك النهشلي سيداً، وأُخته ليلى بنت مسعود تحت علي بن أبي طالب، ولدت له ابا بكر قُتل مع الحسين، وعبد الله كان مع مصعب بن الزبير في خروجه على المختار وقُتل يوم هزيمة أصحاب المختار، وذكرنا في (زيد الشهيد / ١٠١، الطبعة الثاني) نصوص المؤرّخين في قتله بالمذار من سواد البصرة، ولم يُعلم قاتله، وفي الخرايج للراوندي في معجزات علي عليه السلام: وُجِد مذبوحاً في فسطاطه، ولم يُعلم ذابحه.

بخ! أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً وتقدّمت فيه فرطاً، قال: فإنّي قد جمعتكم لأمر أريد أنْ أُشاوركم فيه وأستعين بكم عليه، فقالوا: إنّا والله نمنحك النصيحة، ونجد لك الرأي، فقل حتّى نسمع. فقال: إنّ معاوية مات فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، إلا وأنّه قد انكسر باب الجَور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وكان قد أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنّه قد أحكمه، وهيهات الذي أراد اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام يزيد - شارب الخمور ورأس الفجور - يدّعي الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم بغير رضىً منهم مع قصر حلم وقلّة علم، لا يعرف من الحقّ موطأ قدَمَيه، فأُقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدِّين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي وابن رسول الله ﷺ ذو الشرف الأصيل والرأي الأثيل له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر؛ لسابقته وسنّه وقِدَمه وقَرابته، يعطف على الصغير ويُحسن إلى الكبير، فأكرم به راعي رعيّة وإمام قوم وجبت لله به الحُجّة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحقّ، ولا تسكعوا في وهد الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ﷺ ونصرته، والله لا يقصّر أحدكم عن نصرته، إلا أورثه الله تعالى الذلّ في ولده والقلّة في عشيرته، وها أنا ذا قد لبستُ للحرب لامتها وادرعتُ لها بدرعها، مَن لَمْ يُقتل يَمت، ومَن يهرب لَمْ يفت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فقالت بنو حنظلة: يا أبا خالد، نحن نبل كنانتك وفرسان عشيرتك، إنْ رميتَ بنا أصبتَ وإنْ غزوتَ بنا فتحتَ، لا تخوض والله غمرةً إلاّ خضناها، ولا تلقى والله شدّة إلاّ لقيناها، ننصرك بأسيافنا ونقيك بأبداننا إذا شئت.

وتكلّمتْ بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد، نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضى إنْ غضبتَ، ولا نبقى إن ظعنتَ، والأمر إليك فادعنا إذا شئت.

وقالت بنو سعد بن زيد: أبا خالد، إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال يوم الجمل، فحمدنا ما أمرنا وبقى عزّنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ونأتيك برأينا. فقال لهم: لئن فعلتموها لا رفع الله السّيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم.

ثمّ كتب إلى الحسين عليه السلام: أمّا بعد، فقد وصل إليَّ كتابك، وفهمتُ ما ندبتني إليه ودعوتني له من الأخذ بحظّي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وإنّ الله لمْ يخل الأرض قط من عامل عليها بخير ودليل على سبيل نجاة، وأنتم حُجّة الله على خلقه ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمديّة هو أصلها وأنتم فرعها، فأقدِم سعدتَ بأسعد طائر، فقد ذللتُ لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشدّ تتابعاً في طاعتك من الإبل الظمّاء لورود الماء يوم خمسها، وقد ذللتُ لك رقاب بني سعد، وغسلتُ درن قلوبها بماء سحاب مزن حين استهلّ برقها فلمع.

فلمّا قرأ الحسين عليه السلام كتابه، قال: «**مالك، آمنك الله من الخوف وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر**».

ولما تجهز ابن مسعود إلى المسير، بلغه قَتْل الحسين عليه السلام فاشتدّ جزعه، وكثر أسفه لفوات الأُمنية من السّعادة بالشهادة[1].

---

(١) مثير الأحزان ص ١٣ واللهوف ص ٢١.

وكانت مارية ابنة سعد أو منقذ أيما، وهي من الشيعة المخلصين، ودارها مألف لهم يتحدّثون فيه فضل أهل البيت، فقال يزيد بن نبيط وهو من عبد القيس لأولاده - وهم عشرة -: أيّكم يخرج معي؟ فانتدب منهم اثنان عبد الله وعبيد الله. وقال له أصحابه - في بيت تلك المرأة -: نخاف عليك أصحاب ابن زياد، قال: والله لو استوت اخفافها بالجدد لهان عليّ طلب من طلبني[1]، وصحبه مولاه عامر وسيف بن مالك والأدهم بن اُميّة[2] فوافوا الحسين بمكّة، وضمّوا رحالهم إلى رحله حتّى وردوا كربلا، وقُتلوا معه.

كتب الكوفيّين

وفي مكّة وافته كتب أهل الكوفة من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة، يسألونه القدوم عليهم؛ لأنّهم بغير إمام، ولم يجتمعوا مع النّعمان بن بشير في جمعة ولا جماعة، وتكاثرت عليه الكتب حتّى ورد عليه في يوم واحد ستمئة كتاب، واجتمع عنده من نوب متفرّقة إثنا عشر ألف كتاب وفي كلّ ذلك يشددون الطلب وهو لا يجيبهم. وآخر كتاب ورد عليه من شبث بن ربعي، وحجّار بن أبجر، ويزيد بن الحارث[3]، وعزرة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج، ومحمد بن

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ١٩٨.

(٢) ذخيرة الدارين ص ٢٢٤.

(٣) في أنساب الاشراف للبلاذري ٥ / ٣٣٨: كان حوشب بن يزيد بن رويم يتبارى في اطعام الطعام مع عكرمة بن ربعي احد بني تيم الله بن ثعلبة فقال مصعب: دعوهما ينفقا من خيانتهما وفجورهما.

عُمَير ابن عطارد وفيه: إنّ النّاس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل يابن رسول الله فقد اخضر الجناب وأينعت الثمار وأعشبت الأرض وأورقت الأشجار. فأقدم إذا شئت، فإنّما تقدم على جند لك مجنّدة[١].

بعثت بزور الكتب سر واقدم إلى ... نحو العراق بمكرها ودهاتها
هذي الخلافة لا وليٌّ لها ولا ... كفؤ وإنّك من خيار كفاتها
فأتى يزجُّ العيملات بمعشر ... كالأسد والاشطان منغاباتها
وحصان ذيل كالأهلة اوجهاً ... بسنائها وبهائها وصفاتها
ما زال يخترق الفلا حتّى أتى ... أرض الطفوف وحلَّ في عرصاتها
وإذا به وقف الجواد فقاليا ... قوم اخبروني عن صدوق رواتها
ما الأرض قالوا ذي معالم كربلا ... ما بال طرفك حادَ عن طرقاتها
قال انزلوا فالحكم في أجدائنا ... ان لا تشق سوى على جنباتها
حطَّ الرحال وقال يصلح عضبه ... الماضي لقطع البيض في قمّاتها
بينا يجيل الطرف إذ دارت به ... زمر يلوح الغدر من راياتها
ما خلت أنَّ بدور تم بالعرا ... تمسي (بنو الزرقاء) من هالاتها[٢]

---

(١) إبن نماص ص ١١. وذكر الخوارزمي ١ / ١٩٣ وما بعدها الفصل العاشر، تفصيل اجتماع الكوفيين وكتبهم إلى الحسين.

(٢) من قصيدة في الحسين للشيخ محمد بن اسماعيل البغدادي الحلّي، الشهير بابن الخلفة المتوفى سنة ١٢٤٧هـ، (شعراء الحلة: ٥/ ١٧٤).

جواب الحسين

ولما اجتمع عند الحسين ما ملأ خرجين، كتب إليهم كتاباً واحداً دفعه إلى هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكانا آخر الرُسُل، وصورته: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين أمّا بعد، فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليَّ بكتبكم - وكانا آخر مَن قدِم عليَّ من رُسُلكم - وقد فهمتُ كلّ الذي قصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام فأقبِل لعلَّ الله يجمعنا بك على الهدى والحقّ، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أنْ يكتب إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإنْ كتب أنّه قد اجتمع رأي ملأكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قَدِمت عليَّ به رُسُلكم وقرأتُ في كتبكم، أقدِم عليكم وشيكاً إنْ شاء الله، فلعَمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحقّ والحابس نفسَه على ذات الله، والسّلام**»[1].

ثمّ دفع الكتاب إلى مسلم بن عقيل، وقال له: «**إنّي موجّهك إلى أهل الكوفة، وسيقضي الله من أمرك ما يُحبّ ويرضى، وأنا أرجو أنْ أكون أنا وأنت في درجة الشهداء فامضِ ببركة الله وعونه، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها**»[2].

---

(١) الطبري ٦ / ١٩٨، والأخبار الطوال / ٢٣٨.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ١٩٦، الفصل العاشر.

سفر مسلم

وبعث مع مسلم بن عقيل عليه السلام قيس بن مسهّر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي وأمره بتقوى الله والنظر فيما اجتمع عليه أهل الكوفة، فإن رأى النّاس مجتمعين مستوثقين عجّل إليه بكتاب[١].

فخرج مسلم من مكّة للنصف من شهر رمضان[٢] على طريق المدينة، فدخلها وصلّى في مسجد النّبي صلى الله عليه وآله وودّع أهله[٣]، ثمّ استأجر رجليَن من قيس ليدلاّه على الطريق، فضلاّ ذات ليلة وأصبحا تائهين، وقد اشتدّ بهما العطش والحَر، فقالا لمسلم عليه السلام - وقد بان لهما سنن الطريق -: عليك بهذا السّمت فالزمه لعلّك تنجو، فتركهما ومضى على الوصف ومات الدليلان عطشاً[٤]، ولم يسعه حملهما؛ لأنّهما على وشك الهلاك، وغاية ما وضح للدليلَين العلائم المفضية إلى الطريق، لا الطريق نفسه. ولَم تكن المسافة بينهم وبين الماء معلومة، وليس لهما طاقة على الركوب بأنفسهما ولا مردفين مع آخر، وبقاء مسلم عليه السلام معهما إلى منتهى الأمر يفضي إلى هلاكه ومَن معه، فكان الواجب الأهم التحفّظ على النّفوس المحترمة بالمسير لإدراك الماء؛ فلذلك تركهما في المكان.

---

(١) إرشاد المفيد.
(٢) مروج الذهب ٢ / ٨٦.
(٣) الطبري ٦ / ١٩٨.
(٤) الأخبار الطوال / ٢٣٢.

ونجا مسلم ومن معه من خدمه بحشاشة الأنفس حتّى أفضوا إلى الطريق و وردوا الماء فأقام فيه.

وكتب إلى الحسين عليه السلام مع رسول استأجره من أهل ذلك الماء يخبره بموت الدليلَين وما لاقاه من الجهد وإنّه مقيم بمنزله، وهو المضيق من بطن الخبت حتّى يعرف ما عنده من الرأي، فسار الرسول ووافى الحسين بمكّة وأعطاه الكتاب.

فكتب الحسين عليه السلام يأمره بالمسير إلى الكوفة ولا يتأخر.

ولما قرأ مسلم الكتاب سار من وقته، ومر بماء لطي فنزل عليه ثم ارتحل، فإذا رجل يرمي ظبياً حين أشرف له فصرعه، فتفأل بقتل عدوّه[١].

دخول الكوفة

ولخمس خلون من شوّال دخل الكوفة[٢]، فنزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي[٣]، وكان شريفاً في قومه، كريماً عالي الهمّة مقداماً مجرّباً قويّ النّفس، شديداً على أعداء أهل البيت عليهم السلام، له عقل وافر ورأي مصيب، خصوصاً بقواعد الحرب والغلبة على العدوّ، كأنّه مارس التجارب فحنكته، أو لابس الخطوب فهذّبته، انقطع إلى آل الرسول الأقدس فاستفاد منهم أدباً جمّاً وأخلاقاً فاضلة، وناصح لهم في السِّر والعلانية.

---

(١) ارشاد المفيد.
(٢) مروج الذهب ٢ / ٨٦.
(٣) الطبري ٦ / ١٩٩.

البيعة

ووافت الشيعة مسلماً في دار المختار بالترحيب وأظهروا له من الطاعة والانقياد ما زاد في سروره وابتهاجه، فعندما قرأ عليهم كتاب الحسين، قام عابس ابن شبيب الشاكري وقال: إنّي لا أخبرك عن النّاس، ولا أعلم ما في نفوسهم، ولا أغرّك بهم، والله إنّي أُحدّثك عمّا أنا موطّن عليه نفسي، والله لأجيبنّكم إذا دعوتم، ولأُقاتلنَّ معكم عدوّكم، ولأضربنَّ بسيفي دونكم حتّى ألقى الله لا أُريد بذلك إلاّ ما عند الله.

وقال حبيب بن مظاهر: قد قضيتَ ما في نفسك بواجز من قولك، وأنا والله الذي لا إله إلاّ هو، على مثل ما أنت عليه.

وقال سعيد بن عبد الله الحنفي مثل قولهما[١].

وأقبلت الشيعة يبايعونه حتّى أحصى ديوانه ثمانية عشر ألفاً[٢]، وقيل بلغ خمساً وعشرين ألفاً[٣]، وفي حديث الشعبي بلغ مَن بايعه أربعين ألفاً[٤]، فكتب مسلم إلى الحسين مع عابس بن شبيب الشاكري، يخبره باجتماع أهل الكوفة على

---

(١) الطبري ٦ / ١٩٩.
(٢) تذكرة الخواص / ١٣٨، وتاريخ الطبري ٦ / ٢١١.
(٣) ابن شهرآشوب ٢ / ٣١٠.
(٤) ابن نما / ١١.

طاعته وانتظارهم لقدومه وفيه يقول: الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابي[١].

وكان ذلك قبل مقتل مسلم بسبع وعشرين ليلة[٢]، وانظم إليه كتاب أهل الكوفة وفيه: عجّل القدوم يابن رسول الله، فانّ لك بالكوفة مئة ألف سيف فلا تتأخر[٣].

فساء هذا جماعة ممَّن لهم هوى في بني أُميّة منهم؛ عمر بن سعد بن أبي وقّاص، وعبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمي، وعمارة بن عقبة بن أبي معيط، فكتبوا إلى يزيد يخبرونه بقدوم مسلم بن عقيل وإقبال أهل الكوفة عليه وأنّ النّعمان بن بشير لا طاقة له على المقاومة[٤].

فأرسل يزيد على سرجون[٥] مولاه يستشيره - وكان كاتبه وأنيسه - فقال

---

(١) الطبري ٦ / ٢١٠.

(٢) الطبري ٦ / ٢٢٤.

(٣) البحار ١٠ / ١٨٥.

(٤) تاريخ الطبري ٦ / ٩٩ إلى ٢٠١.

(٥) في الإسلام والحضارة العربية ٢ / ١٥٨، لمحمد كرد علي: كان سرجون بن منصور من نصارى الشام، استخدمه معاوية في مصالح الدولة، وكان أبوه منصور على المال في الشام من عهد هرقل قبل الفتح، ساعد المسلمين على قتال الروم ومنصور بن سرجون بن منصور: كانت له خدمة في الدولة كأبيه، وكان عمر بن الخطاب يمنع من خدمة النصارى إلاّ إذا أسلموا.

سرجون: عليك بعبيد الله بن زياد، قال: إنّه لا خير عنده، فقال سرجون: لو كان معاوية حيّاً وأشار عليك به أكنت توليه؟ قال: نعم، فقال: هذا عهد معاوية إليه بخاتمه ولم يمنعني أنْ أعلمك به إلا معرفتي ببغضك له، فانفذه إليه. وعزل النّعمان بن بشير، وكتب إليه: أمّا بعد فإنّ الممدوح مسبوب يوماً، وإنّ المسبوب يوما ممدوح، وقد سمي بك إلى غاية أنت فيها كما قال الأول.

رُفِعتَ وجاوزتَ السَّحاب وفوقه فمالَكَ الا مرقبُ الشمسِ مَقعَدُ[1]

وأمره بالاستعجال على الشخوص إلى الكوفة؛ ليطلب ابن عقيل فيوثقه أو يقتله أو ينفيه[2].

فتعجّل ابن زياد المسير إلى الكوفة مع مسلم بن عمرو الباهلي والمنذر بن الجارود وشريك الحارثي وعبد الله بن الحارث بن نوفل في خمسمئة رجل انتخبهم من أهل البصرة، فجدّ في السير وكان لا يلوي على أحد يسقط من أصحابه حتّى أنّ شريك بن الأعور سقط أثناء الطريق، وسقط عبد الله بن الحارث؛ رجاء أنْ يتأخّر ابن زياد من أجلهم فلَم يلتفت ابن زياد إليهم؛ مخافة أنْ يسبقه الحسين إلى الكوفة. ولمّا ورد القادسيّة سقط مولاه مهران فقال له ابن زياد: إنْ أمسكت على هذا الحال فتنظر القصر فلك مئة ألف، فقال: والله لا أستطيع، فتركه عبيد الله ولبس ثياباً يمانيّة وعمامة سوداء وانحدر وحده، وكلّما

---

(١) أنساب الاشراف لابن نما الحلّي.
(٢) الطبري ٦ / ١٩٩.

مرّ بالمحارس ظنّوا أنّه الحسين عليه السلام فقالوا: مرحباً بابن رسول الله، وهو ساكت، فدخل الكوفة ممّا يلي النّجف[١].

واستقبله النّاس بهتاف واحد: مرحباً بابن رسول الله، فساءه هذا الحال وانتهى إلى قصر الامارة، فلم يفتح النّعمان باب القصر، وأشرف عليه من أعلى القصر يقول: ما أنا بمؤد إليك أمانتي يابن رسول الله، فقال له ابن زياد[٢]: افتح

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلّي.

(٢) لم ينص المؤرخون على ولادة ابن زياد على التحقيق، وما ذكروه منه لا يصح، ومنه يصح على وجه التقريب والظن؛ فالأول ما يحكيه ابن كثير في البداية ٨ / ٢٨٣: عن ابن عساكر عن أحمد بن يونس الضبي أن مولد عبيد الله بن زياد سنة تسع وثلاثين، فيكون له يوم الطفّ أواخر سنة (٦٠ هـ) إحدى وعشرون سنة، وله يوم موت أبيه زياد الواقع سنة (٥٣ هـ) أربع عشرة سنة... وهذا لا يتّفق مع ما ذكره ابن جرير في التاريخ ٦ / ١٦٦: أنّ معاوية ولّى عبيد الله بن زياد خراسان سنة (٥٣ هـ) فإنّه يبعد أن يتولّى ابن أربع عشرة سنة بلداً كبيراً مثل خراسان، وما ذكره ابن جرير يكون له وجه على الظن فإنه في ٦ / ١٦٦ من تاريخه يقول: في سنة (٥٣ هـ) ولّى معاوية عبيد الله بن زياد خراسان وله خمس وعشرون سنة؛ وعليه تكون ولادته سنة (٢٨ هـ) وله يوم الطفّ اثنتان وثلاثون سنة، وما ذكره يتّفق مع ما حكاه ابن كثير في البداية ٨ / ٢٨٣: عن الفضل بن ركين إنّ لعبيد الله بن زياد يوم قتل الحسين ٢٨ سنة؛ وعليه تكون ولادته سنة (٣٢هـ) ويوم موت زياد الواقع في سنة (٥٣هـ) له إحدى وعشرون سنة.
وذكر ابن حجر في (تعجيل المنفعة / ٢٧١ طبعة حيدر آباد): أنّ عبيد الله بن زياد ولد سنة ٣٢ (أو سنة ٣٣ هـ) فيكون له يوم الطفّ الواقع أول عام (٦١هـ) سبع وعشرون سنة أو ثمان وعشرون سنة. = وعلى كلّ، كانت أُمّه مرجانة مجوسيّة، وعند ابن كثير في البداية ٨ / ٣٨٣، وعند العيني في (عمدة القاري شرح البخاري ٧ / ٦٥٦ كتاب ←

الفضائل في مناقب الحسنين): أنّها سبيّة من اصفهان وقيل مجوسيّة.
وفي تاريخ الطبري ٧ / ٦: قالت مرجانة - لمّا قُتل الحسين - لعبيد الله: ويلك! ماذا صنعت؟ وماذا ركبت؟. وفي كامل ابن الاثير ٤ / ١٠٣ في مقتل ابن زياد، قالت مرجانة لعبيد الله: يا خبيث، قتلت ابن رسول الله؟! والله لا ترى الجنة أبداً.
وفي سِير أعلام النبلاء للذهبي ٣ / ٣٥٩ قالت له أُمّه مرجانة: قَتلتَ ابن رسول الله! لا ترى الجنة، ونحو هذا.
ويذكر بعض المؤرخين أنّها قالت له: وددتُ أنّك حيظة ولم تأت إلى الحسين ما أتيت.
وفي تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٨، وكامل ابن الاثير ٤ / ٣٤ عليه مروج الذهب قال له أخوه عثمان: وددتُ في أنف كلّ رجل من بني زياد خزامة إلى يوم القيامة وأنّ الحسين لم يُقتل، فلم يرد عليه عبيد الله، وكيف يرد عليه؟! وقد شاهد حيطان قصر الامارة تسيل دماً حينما أُدخل الرأس المقدّس عليه، كما في الصواعق المحرقة / ١١٦، وتاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩.
وفي أنساب الاشراف للبلاذري ٤ / ٧٧: كان عبيد الله بن زياد جميلاً أرقطاً. وفي صفحة ٨١: كان مملوءاً شرّاً، وهو أول من وضع المثالب؛ ليعارض بها النّاس بمثل ما يقولون فيه. وفي صفحة ٨٦: كان أكولاً لا يشبع، يأكل في اليوم أكثر من خمسين أكلة.
وفي المعارف لابن قتيبة / ٢٥٦: كان طويلاً جدّاً لا يرى ماشياً إلاّ ظنوه راكباً.
وفي البيان والتبيين للجاحظ ١ / ٧٥ الطبعة الثانية: كان ألكناً، يقلب الحاء هاءً قال لهارون بن قبيصة: (اهروري) يريد (احروري)، ويقلب القاف كافاً يقول (كلت له) يريد (قلت له)، وفيه ٢ / ١٦٧: جاءته اللكنة من الأساورة؛ فإنّ زياداً تزوّج (مرجانة) من شيرويه الاسواري، وكان عبيد الله معها فنشأ بين الأساورة؛ تغلّبت عليه لغتهم
وفي أنساب الأشراف ٥ / ٨٤: كان ابن زياد إذا غضب على أحد، ألقاه من فوق قصر الامارة واطمار كل مرتفع وفي صفحة ٨٢: تزوّج عبيد الله هنداً بنت أسماء بن خارجة، فعاب عليه محمّد بن عمير بن عطارد ومحمد بن الاشعث وعمرو بن حريث، فتزوّج

فقد طال ليلك! فسمعها رجل وعرفه، فقال للناس: انه ابن زياد وربّ الكعبة[١].

فتفرّقوا إلى منازلهم، وعند الصباح جمع ابن زياد النّاس في الجامع الأعظم، وخطبهم وحذّرهم ومنّاهم العطيّة وقال: أيّما عريف وُجَد عنده أحد من بغية أمير المؤمنين ولَم يرفعه إلينا، صُلِب على باب داره[٢].

موقف مسلم

ولمّا بلغ مسلم بن عقيل خطبة ابن زياد ووعيده وظهر له حال النّاس، خاف أنْ يؤخذ غيلةً، فخرج من دار المختار بعد العتمة إلى دار هاني بن عروة المذحجي، وكان شديد التشيع[٣]، ومن أشراف الكوفة[١]، وقرّائها[٢]، وشيخ

عبيد الله أُمّ النعمان بنت محمّد بن الاشعث، وزوّج أخاه عثمان ابنة عمير بن عطارد، وزوّج أخاه عبد الله ابنة عمرو بن حريث.

وفي النقود القديمة الإسلامية للتبريزي / ٥٠، ضمن مجموعة النقود العربية، جمع انستاس الكرملي: أنّ أول من غشّ الدراهم وضربها زيوفاً عبيد الله بن زياد، حين فرّ من البصرة سنة (٦٤هـ) ثمّ فشت بالأمصار. ومثله جاء في إغاثة الأُمّة بكشف الغمّة للمقريزي / ٦١، والنقود الإسلامية القديمة للمقريزي / ٥٠، وفي مآثر الاناقة للقلقشندي ١ / ١٨٥: في خلافة المهدي انه ردّ نسب زياد بن أبيه إلى عبيد الله الرومي.

(١) الطبري ج٦ ص٢٠١.

(٢) الارشاد.

(٣) كامل ابن الاثير ٤ / ١٠.

مراد وزعيمها، يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، فإذا تلاها أحلافها من كندة ركب في ثلاثين ألفاً[٣]، وكان من خواصّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٤]، حضر حروبه الثلاثة[٥]، وأدرك النّبي صلى الله عليه وآله، وتشرّف بصحبته، وكان له يوم قتله بضع وتسعون سنة[٦].

ونزل مع مسلم بن عقيل شريك[٧] بن عبد الله[٨] الأعور الحارثي

---

(١) الأخبار الطوال / ٢٣٥.

(٢) الأغاني ١٤ / ٩٥.

(٣) مروج الذهب ٢ / ٨٩.

(٤) الاصابة ٣ / ٦١٦ القسم الثالث.

(٥) ذخيرة الدارين / ٢٧٨، وفي كامل ابن الأثير ٤ / ١٠: حارب في صفين مع عمار بن ياسر.

(٦) الاصابة ٣ / ٦١٦ القسم الثالث.

(٧) الاصابة ٣ / ٦١٦ القسم الثالث.

(٨) مقتل الخوارزمي ١ / ٢٠١: لقد اشتبه الأمر على الحجة السيد الامين في التعريف عن شريك (بالهمداني)، والذي أوقعه في الاشتباه كلّ من؛ الخوارزمي في مقتل الحسين، وابن نما في مثير الأحزان، مع ما ذكره ابن جرير في الذيل على تاريخه الملحق بالجزء الثاني عشر من تاريخ الأُمم والملوك. فإنّ سلسلة النسب المذكورة لشريك هي للحارث بن الأعور صاحب أمير المؤمنين؛ ومنشأ الاشتباه قول المؤرخين (شريك بن الأعور الحارثي)، وذهب عليهم أنّ شريكاً مذحجي والحارث الأعور همداني.
وممَّن نصّ على مذحجية شريك ابن دريد في الاشتقاق / ٤٠١، فإنّه قال: من رجال عبد المدان بن الحارث، شريك بن الأعور الذي خاطب معاوية فقال:

الهمداني البصري، وكان من كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة، جليل القدر في أصحابنا[١]، شهد صفّين وقاتل مع عمار بن ياسر[٢]. ولشرفه وجاهه ولاّه عبيد الله بن زياد من قِبَل معاوية كرمان[٣]، وكانت له مواصلة وصحبة مع

↩

أيشتمني معاوية بن حرب وسيفي صارم ومعي لساني

وفي صفحة ٣٩٧ وما بعدها: رجال سعد العشيرة يسمّون مذحجاً، وهو مالك بن أدد، ومن رجالهم عبد المدان، وبيت عبد المدان أحد بيوتات العرب الثلاثة؛ بيت زرارة بن عدس في بني تميم، وبيت خذيفة بن بدر في فزارة، وبيت عبد المدان في بني الحارث، ومن رجالهم شريك بن الأعور الذي خاطب معاوية وله معه حديث.

والمحاورة التي جرت بين معاوية وشريك ذكرها الهمداني في (الاكليل ٢ / ٢٢٩ طبعة مصر سنة ١٣٨٦هـ)، وذكر فيها أربعة أبيات لشريك.

وذكرها الابشيهي في (المستطرف ١ / ٥٥ الباب الثامن) في الأجوبة المسكتة، وذكر ثلاثة أبيات.

وذكرها ابن حجة في (ثمرات الأوراق) على هامش المستطرف ١ / ٤٥، وذكر الأجوبة الهاشمية ولم يذكر الشعر، وذكر ستة أبيات فقط في (الحماسة البصرية ١ / ٧٠). = وفي مادة (عوى) من تاج العروس الاشارة إلى هذه المحاورة.

وفي (ربيع الابرار) للزمخشري باب الأجوبة المسكتة ذكر المحاورة وأبياتاً أربعة.

وممّا يستأنس لمذحجيته، نزوله بالكوفة في [بيت] هاني بن عروة؛ فإنّه من عشيرته ولحمته، ولو كان ابن الحارث همدانياً لنزل في بيت والده، مات الحارث الهمداني سنة (٦٥هـ).

(١) ابن نما / ١٤.

(٢) الطبري ٦ / ٢٠٣.

(٣) النجوم الزاهرة ١ / ١٥٣، وكامل ابن الأثير ٣ / ٢٠٦، والأغاني ١٧ / ٦٠ و ٦٤ و

↩

هاني ابن عروة.

فمرض مرضاً شديداً عاده فيه ابن زياد، وقبل مجيئه قال شريك لمسلم عليه السلام: إنّ غايتك وغاية شيعتك هلاكه، فأقم في الخزانة حتّى إذا اطمأنّ عندي، اخرج إليه واقتله، وأنا أكفيك أمره بالكوفة مع العافية[١].

وبينا هم على هذا إذ قيل الأمير على الباب، فدخل مسلم الخزانة ودخل عبيد الله على شريك، ولما استبطأ شريك خروج مسلم، جعل يأخذ عمامته من على رأسه ويضعها على الأرض ثمّ يضعها على رأسه فعل ذلك مراراً، ونادى بصوت عال - يسمع مسلماً -:

ما تنظرون بسلمى لا تحيوها ... حيوا سليمى وحيوا من يحييها

هل شربة عذبة أسقى على ظمأ ... ولو تلفت وكانت منيتى فيها

وان تخشيت من سلمى مراقبة ... فلست تأمن يوماً من دواهيها

ولم يزل يكرّره وعينه رامقة إلى الخزانة، ثمّ صاح بصوت رفيع - يسمع مسلماً -: اسقونيها ولو كان فيها حتفي[٢]. فالتفت عبيد الله إلى هاني وقال: ابن عمّك

---

٧٠ طبعة ساسي.

(١) ابن نما / ١٤.

(٢) رياض المصائب / ٦٠، وفي تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٤: كان شريك يقول: ما تنظرون بسلمى لا تحيوها، اسقونيها ولو كان فيها حتفي.

يخلط في علّته، فقال هاني: إن شريكاً يهجر منذ وقع في علّته، وانه ليتكلّم بما لا يعلم[١].

فقال شريك لمسلم: ما منعك منه؟ قال خلتان؛ الأُولى: حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن**»[٢].

والثانية: امرأة هاني، فإنّها تعلّقت بي وأقسمت عليَّ بالله أنْ لا أفعل هذا في دارها، وبكت في وجهي فقال هاني: يا ويلها! قتلتني وقتلت نفسها، والذي فرّت منه وقعت فيه[٣].

---

(١) ابن نما / ١٤.

(٢) ابن الأثير ٤ / ١١، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٤٠، وقد تكرر ذكر الحديث في الجوامع، ففي مسند أحمد ١ / ١٦٦، ومنتخب كنز العمّال بهامشه ١ / ٥٧، والجامع الصغير للسيوطي ٤ / ١٢٣، وكنوز الحقايق بهامشه ١ / ٩٥، ومستدرك الحاكم ٤ / ٣٥٢، ومقتل الخوارزمي ١ / ٢٠٢ الفصل العاشر، ومناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٣١٨، والبحار الجزء الحادي عشر ـ في معاجز الصادق عليه السلام، و وقايع الأيام عن الشهاب في الحكم والآداب.

(٣) ابن نما / ١٤: وهذه الكلمة من عالم أهل البيت وخليفة سيّد الشهداء في الأمور الدينية والمدنية تفيد الملأ الديني المقتفي آثارهم فقهاً بشريعة الرسول الأقدس المانعة من الغدر، وأنّ النفوس الطاهرة تأبى للضيف أنْ يدخل بمَن استضافهم ما يكرهون وهذه تعاليم مقدّسة للأُمّة لو كانوا يفقهون. وهناك سرّ دقيق ومغزى آخر نظر إليه (شهيد القصر ـ) لمسناه جوهرة فريدة من قول عمّه أمير المؤمنين في جواب مَن قال له: ألا تقتل ابن ملجم؟ فقال عليه السلام: «**إذن فمَن يقتلني؟**»، ومن قول الحسين لأُمّ سلمة: «**إذا لم أمض إلى كربلا فمن يقتلني؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي؟ وبماذا يختبرون؟!**»، فإنّ مفاد ذلك عدم قدرة أحد على تغيير المقادير الإلهية المحتّمة، وقد أجرى الله القضاء بشهادة أمير المؤمنين والحسين على يد ابن ملجم ويزيد.

ولبث شريك بعد ذلك ثلاثة أيام ومات فصلّى عليه ابن زياد[١]، ودفن بالثوبة، ولمّا وضح لابن زياد أنّ شريكاً كان يحرّض على قتله، قال: والله لا أُصلّي على جنازة عراقي أبداً ولولا أنّ قبر زياد فيهم لنبشتُ شريكاً[٢].

وأخذت اليشعة تختلف إلى مسلم بن عقيل في دار هاني على تستّر واستخفاء من ابن زياد وتواصوا بالكتمان؛ فخفي على ابن زياد موضع مسلم، فدعا معقلاً مولاه، وأعطاه ثلاثة آلاف، وأمره أنْ يلقى الشيعة ويعرّفهم أنّه من أهل الشام مولى لذي الكلاع، وقد أنعم الله عليه بحبِّ أهل بيت رسوله، وبلغه قدوم رجل منهم إلى هذا المصر داعيةً للحسين، وعنده مال يريد أن يلقاه ويوصله

إليه، فدخل معقل الجامع الأعظم ورأى مسلم بن عوسجة الأسدي يصلّي، فلمّا فرغ دنا منه وقصّ عليه حاله، فدعا له مسلم بالخير والتوفيق، وأدخله على ابن عقيل، فدفع إليه المال وبايعه[٣] وسلّمه إلى أبي ثمامة الصائدي، وكان بصيراً

↩

وإذا كان من الجائز أن يطلع أمير المؤمنين الخواص من أصحابه كميثم وحبيب ورشيد وكميل على كيفية قتلهم وعلى يد مَن يكون، فمن القريب جداً أنْ يوقف سيّد الشهداء عليه السلام مسمل بن عقيل على ما يجري عليه حرفاً حرفاً؛ لأنّ ابن عقيل في السنام الأعلى من اليقين والبصيرة النافذة، ولكنّ الظرف لم يساعده على إظهار هذه الأسرار، فإنّ سرّ آل محمّد مستصعب، فأخذ يجمل في البيان، وعليك بمراجعة كتابنا (الشهيد مسلم / ١٣٤) فقد تبسّطنا في إيضاح ذلك تحت عنوان (مسلم لا يغدر).

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ٢٠٢ الفصل العاشر، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٠٢.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٢.

(٣) الأخبار الطوال / ٢٣٧.

شجاعاً ومن وجوه الشيعة عيّنه مسلم لقبض ما يرد عليه من الأموال؛ ليشتري به سلاحاً.

فكان ذلك الرجل يختلف إلى مسلم كلّ يوم فلا يُحجب عنه ويتعرّف الأخبار، ويرفعها إلى ابن زياد عند المساء[١].

موقف هاني

ولما وضح الأمر لابن زياد وعرف أنّ مسلماً مختبئ في دار هاني بن عروة، دعا أسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث وعمرو بن الحَجّاج وسألهم عن انقطاع هاني عنه، قالوا: الشكوى تمنعه، فلم يقتنع ابن زياد بعد أن أخبرته العيون بجلوسه على باب داره كلّ عشيّة، فركب هؤلاء الجماعة إليه وسألوه المسير إلى السّلطان فإنّ الجفاء لا يحتمله وألحّوا عليه، فركب بغلته، ولمّا طلع عليه قال ابن زياد: أتتك بخائن رجلاه[٢]، والتفت إلى شريح القاضي وقال[٣]:

---

(١) الارشاد للمفيد.

(٢) في مجمع الأمثال للميداني ١ / ١٩: قاله الحارث بن جبلة الغساني لمّا ظفر بالحرث بن عفيف العبدي حين هجاه.

(٣) في الاصابة ٢ / ٢٧٤ (بترجمة قيس بن المكشوح): إنّ البيت لعمرو بن معد يكرب من أبيات قالها في ابن أُخته وكانا متباعدين.
وفي الأغاني ١٤ / ٣٢: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام تمثل به لمّا دخل عليه ابن ملجم المرادي يبايعه.
وفي تاريخ اليعقوبي ٣ / ٩٧ المطبة الحيدرية بالنجف: أنّ أبا العبّاس السفاح بلغه تحرك محمّد بن عبد الله بالمدينة، فكتب إلى أبيه عبد الله بذلك وكتب في الكتاب.

أُريـــد حبـــاءه ويريـــد قـــتلي عـــذيرك مـــن خليلـــك مـــن مـــراد

ثمّ التفت إلى هاني وقال: أتيت بابن عقيل إلى دارك، وجمعت له السّلاح؟! فأنكر عليه هاني وإذ كثر الجدال، دعا ابن زياد معقلاً، ففهم هاني أنّ الخبر أتاه من جهته، فقال لابن زياد: إنَّ لأبيك عندي بلاءً حسناً وأنا أُحبّ مكافأته، فهل لك في خير؟ تمضي أنت وأهل بيتك إلى الشام سالمين بأموالكم؛ فإنّه جاء مَن هو أحقّ بالأمر منك ومن صاحبك[1]، فقال ابن زياد: وتحت الرغوة اللبن الصريح[2].

فقال ابن زياد: والله لا تفارقني حتّى تأتيني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فأغلظ له ابن زياد وهدّده بالقتل فقال هاني: إذاً تكثر البارقة حولك، وهو يظنّ أنّ مراداً تمعنه، فأخذ ابن زياد بظفيرتيه وقنع وجهه بالسّيف

↩

أُريـــد حبـــاءه ويريـــد قـــتلي عـــذيرك مـــن خليلـــك مـــن مـــراد

فكتب إليه عبد الله:

وكـــيف يريـــد ذاك وأنـــت منـــه بـــمنزلة الـــنياط مـــن الفـــؤاد

وكـــيف يريـــد ذاك وأنـــت منـــه وزنـــدك حـــين يقـــدح مـــن زنـــادي

وكـــيف يريـــد ذاك وأنـــت منـــه وأنـــت لـــهاشم رأس وهـــاد

(١) مروج الذهب ٢ / ٨٨.

(٢) المستقصى للزمخشري ١ / ١٥ ط حيدر آباد.

حتّى كسر أنفه ونثر لحم خدّيه وجبينه على لحيته وحبسه عنده[١].

وبلغ عمرو بن الحَجّاج أنّ هانياً قُتِل - وكانت أُخته روعة تحت هاني، وهي أُمّ يحيى بن هاني - فأقبل في جمع من مذحج، وأحاط بالقصر. فلمّا علم به ابن زياد، أمر شريح القاضي[٢] أن يدخل على هاني ويعلمهم بحياته، قال شريح: لمّا رآني هاني صاح بصوت رفيع: يا للمسلمين! إنْ دخل عليَّ عشرة أنقذوني. فلو لَمْ يكن معي حميد بن أبي بكر الأحمري وهو شرطي، لأبلغتُ أصحابه مقالته ولكن قلتُ: إنّه حيّ، فحمد الله عمرو بن الحَجّاج وانصرف بقومه[٣].

---

(١) مثير الأحزان لابن نما.

(٢) ذكر خليفة بن عمرو في كتاب الطبقات ١ / ٣٣٠ رقم ١٠٣٧: إنّه من (الأبناء) الذين باليمن وعداده في كندة، مات سنة (٧٦هـ).
وفي التعليق على الطبقات لسهيل زكار ١٦ / ١ قال: الأبناء، هم ولد الفرس الذين أتوا مع سيف بن ذي يزن لمساعدته على طرد الأحباش، والأبناء في اليمن يشكّلون طبقة خاصّة فان آباءهم فرس وأُمهاتهم عربيات.

(٣) الطبري ٦ / ٢٠٦: وعند ابن نما وابن طاووس اسمها رويحة بنت عمرو بن الحجاج.

نهضة مسلم

ولما بلغ مسلماً خبر هاني، خاف أن يؤخذ غيلةً فتعجّل الخروج قبل الأجل الذي بينه وبين النّاس، وأمر عبد الله بن حازم أنْ ينادي في أصحابه، وقد ملأ بهم الدور حوله فاجتمع إليه أربعة آلاف ينادون بشعار المسلمين يوم بدر: (يا منصور أمتْ).

ثمّ عقد لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وقال: سر أمامي على الخيل. وعقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال. وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان. وعقد للعبّاس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة.

وأقبلوا نحو القصر فتحرّز ابن زياد فيه وغلق الأبواب ولَم يستطع المقاومة؛ لأنّه لَم يكن معه إلاّ ثلاثون رجلاً من الشرطة وعشرون رجلاً من الأشراف ومواليه، لكن نفاق الكوفة وما جبلوا عليه من الغدر لم يدع لهم علماً يخفق، فلم يبقَ من الأربعة آلاف إلاّ ثلاثمئة[١].

وقد وصفهم الأحنف بن قيس بالمومسة تريد كلّ يوم بعلاً[٢].

ولمّا صاح مَن في القصر ـ يا أهل الكوفة اتقوا الله ولا توردوا على أنفسكم

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٧.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٣٣٨، وفي الأغاني ١٧ / ١٦٢: وصفهم بذلك إبراهيم بن الأشتر لمصعب لمّا أراد أنْ يمدّه بأهل العراق.

خيول الشام، فقد ذقتموهم وجرّبتموهم، فتفرّق هؤلاء الثلثمئة حتّى أنّ الرجل يأتي ابنه وأخاه وابن عمّه فيقول له: انصرف، والمرأة تأتي زوجها فتتعلق به حتّى يرجع[١].

فصلّى مسلم عليه السلام العشاء بالمسجد ومعه ثلاثون رجلاً ثمّ انصرف نحو كنده[٢] ومعه ثلاثة ولم يمض إلا قليلاً وإذا لم يشاهد مَن يدلّه على الطريق[٣]، فنزل عن فرسه ومشى متلدداً في أزقّة الكوفة لا يدري إلى أين يتوجّه[٤].

ولمّا تفرق الناس عن مسلم وسكن لغطهم ولم يسمع ابن زياد أصوات الرجال، أمَرَ مَن معه في القصر أنْ يشرفوا على ظلال المسجد لينظروا هل كمنوا فيها، فكانوا يدلون القناديل، ويشعلون النّار في القصب ويدلونها بالحبال إلى أنْ تصل إلى صحن الجامع فلم يروا أحداً، فأعلموا ابن زياد، وأمَرَ مناديه أنْ ينادي في النّاس؛ ليجتمعوا في المسجد، ولمّا امتلأ المسجد بهم، رقى المنبر وقال: إنّ ابن عقيل قد أتى ما قد علمتم من الخلاف والشقاق، فبرأت الذمّة من رجل وَجدناه في داره، ومن جاء به فله ديته، فاتقواء الله عباد الله، والزموا طاعتكم وبيعتكم ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

ثمّ أمر صاحب شرطته، الحصين بن تميم أنْ يفتّش الدور والسّكك، وحذّره

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٨.

(٢) الأخبار الطوال / ٢٤٠.

(٣) شرح مقامات الحريري للشريشي ١ / ١٩٢ آخر المقامة العاشرة.

(٤) اللهوف / ٢٩.

بالفتك به إنْ أفلت مسلم وخرج من الكوفة[١].

فوضع الحصين الحرس على أفواه السّكك، وتتبّع الأشراف النّاهضين مع مسلم، فقبض على عبد الأعلى بن يزيد الكلبي وعمارة بن صلخب الأزدي، فحبسهما ثمّ قتلهما، وحبس جماعة من الوجوه؛ استيحاشاً منهم، وفيهم الأصبغ بن نباته، والحارث الأعور الهمداني[٢].

حبس المختار

وكان المختار عند خروج مسلم في قرية له تدعى (خطوانية)[٣]، فجاء بمواليه يحمل راية خضراء، ويحمل عبد الله بن الحارث راية حمراء، وركّز المختار رايةً على باب عمرو بن حريث وقال: أردت أنْ أمنع عمراً[٤]، ووضح لهما قتل مسلم وهاني وأُشير عليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو بن حريث ففعلا وشهد لهما ابن حريث باجتنابهما ابن عقيل، فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أنْ

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٩ و٢١٠.

(٢) في طبقات ابن سعد ٦ / ١٦٩ طبعة صادر: كانت وفاة الحارث الأعور بالكوفة أيام خلافة عبد الله بن الزبير وعامله عليها عبد الله بن يزيد الأنصاري الخطمي، فصلّى على جنازة الحارث بوصيّة منه.

(٣) أنساب الاشراف للبلاذري ٥ / ٢١٤، وفي معجم البلدان ٣ / ٤٤٩: هي ناحية في بابل العراق.

(٤) تاريخ الطبري ٦ / ٢١٥.

شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر عينه[١]، وبقيا في السّجن إلى أنْ قُتل الحسين عليه السلام[٢].

وأمر ابن زياد محمّد بن الأشعث[٣]، وشبث بن ربعي، والقعقاع بن شور الذهلي[٤]، وحَجّار بن أبجر[٥]، وشمر بن ذي الجوشن، وعمرو بن حريث أنْ يرفعوا راية الأمان ويخذِّلوا النّاس[٦]، فأجاب جماعة ممَّن خيَّم عليهم الفرق، وآخرون جرّهم الطمع الموهوم، واختفى الذين طهُرت ظمائرهم وكانوا يترقّبون فتح الأبواب للحملة على صولة الباطل.

مسلم في بيت طوعة

وانتهى بابن عقيل السّير إلى دور بني جبلة من كندة، و وقف على باب امرأة يقال لها طوعة أُمّ ولد كانت للأشعث بن قيس أعتقها، وتزوّجها أسيد الحضرمي

---

(١) في المعارف لابن قتيبة / ٢٥٣ باب ذوي العاهات، والمحبر لابن حبيب / ٣٠٣: ضرب عبيد الله بن زياد وجه المختار بالسوط فذهبت عينه.

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٢١٥.

(٣) في الطبقات لخليفة ١ / ٣٣١ رقم ١٠٤٣: محمّد بن الأشعث بن قيس أُمّه أُم فروة بنت أبي قحافة قتل سنة ٦٧ مع مصعب أيام المختار، الجرح والتعديل ٣ القسم الثاني / ٢٠٦

(٤) في الطبقات لخليفة ١ / ٣٢٨ رقم ١٠٣٢: القعقاع بن شور بن النعمان بن غنال بن حارثة بن عباد ابن امرئ القيس بن عمرو بن شيبان بن ذهل، نزل الكوفة. الجرح والتعديل ٣ القسم الثاني / ١٣٧.

(٥) في تاريخ الطبري ٦ / ٨٤: كان ابجر نصرانياً، مات سنة أربعين.

(٦) كامل ابن الأثير ٤ / ١٢.

فولدت له بلالاً، كان مع النّاس، وأُمّه واقفة على الباب تنتظره، فاستسقاها مسلم فسقته، واستضافها فأضافته، بعد أنْ عرَّفها أنّه ليس له في المصر أهل ولا عشيرة، وأنّه من أهل بيت لهم الشفاعة يوم الحساب، وهو مسلم بن عقيل فأدخلته بيتاً غير الذي ياوي إليه ابنها، وعرضت عليه الطعام فأبى، وأنكر ابنها كثرة الدخول والخروج لذلك البيت، فاستخبرها فلم تخبره إلاّ بعد أنْ حلف لها كتمان الأمر.

وعند الصباح أعلم ابن زياد بمكان مسلم، فأرسل ابن الأشعث في سبعين من قيس ليقبض عليه، ولمّا سمع مسلم وقع حوافر الخيل، عرف أنّه قد أُتي[1] فعجّل دعاءه الذي كان مشغولاً به بعد صلاة الصبح، ثمّ لبس لامته وقال لطوعة: قد أدّيتِ ما عليك من البِرّ، وأخذتِ نصيبك من شفاعة رسول الله، ولقد رأيت البارحة عمّي أمير المؤمنين في المنام وهو يقول لي: أنت معي غداً[2].

وخرج إليهم مصلتاً سيفه، وقد اقتحموا عليه الدار فأخرجهم منها، ثمّ عادوا إليه وأخرجهم وهو يقول:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع ... فأنت بكأس الموت لا شك جارع

فصبراً لأمر الله جلَّ جلاله ... فحكم قضاء الله في الخلق ذايع

---

(١) المقاتل لأبي الفرج، وتاريخ الطبري ٦ / ٢١٠، ومقتل الخوارزمي ١ / ٢٠٨ الفصل العاشر.

(٢) نفس المهموم / ٥٦.

فقتل منهم واحداً وأربعين رجلاً[١]، وكان من قوّته يأخذ الرجل بيده ويرمي به فوق البيت[٢].

وأنفذ ابن الأشعث إلى ابن زياد يستمدّه الرجال، فبعث إليه اللائمة، فأرسل إليه: أتظنّ أنّك أرسلتني إلى بقّال من بقّاليّ الكوفة أو جرمقاني من جرامقة الحيرة[٣] وإنّما أرسلتني إلى سيف من أسياف محمّد بن عبد الله، فمدّه بالعسكر[٤].

واشتدّ القتال فاختلف مسلم وبُكير بن حمران الأحمري بضربتين، ضرب بُكير فَم مسلم فقطع شفته العليا وأسرع السّيف إلى السّفلى ونصلت لها ثنيتان، وضربه مسلم على رأسه ضربةً منكرةً وأُخرى على حبل العاتق حتّى كادت أنْ تطلع إلى جوفه، فمات[٥].

ثمّ أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت يرمونه بالحجارة ويلهبون النّار في أطنان القصب[٦] ويلقونها عليه، فشدّ عليهم يقاتلهم في السّكة، وهو يرتجز بأبيات حمران بن مالك:

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢١٢.
(٢) نفس المهموم / ٥٧.
(٣) في الصحاح: الجرامقة: قوم من العجم صاروا إلى الموصل، وزاد في القاموس (أوائل الإسلام، والواحد جرمقاني)، وفي تاج العروس: إنّه كالاسم الخاص، وفي اللسان: جرامقة الشام: أنباطها، واحدهم جرمقاني (بضمّ الميم والجيم بينهما راء)، وفي جمهرة ابن دريد ٣ / ٣٢٤: وجرمق: غير عربي، والجرامق: جيل من الناس.
(٤) المنتخب / ٢٩٩ الليلة العاشرة.
(٥) مقتل الخوارزمي ١ / ٢١٠ الفصل العاشر.
(٦) في الصحاح والقاموس: الطن (بالضمّ): القصب، والقصبة الواحدة من الحزمة طنة.

أقسمت لا أُقتل إلا حُرّا ... وان رأيت الموت شيئاً نكرا

كلّ امرئ يوماً ملاق شرّا ... ويخلط البارد سخناً مرّا

ردَّ شعاع النفس فاستقر ... اخاف ان أكذب او اغرّا[1]

---

(١)هذه الأبيات ذكرها ابن طاووس في اللهوف / ٣٠ طبعة صيدا، وابن نما في مثير الأحزان بدون الشطر الخامس، وسمّاه يوم (القرم)، وذكرها الخوارزمي في المقتل ١ / ٢٠٩ الفصل العاشر بزيادة شطرين ولم ينسبها، وذكر ابن شهر آشوب في المناقب ٢ / ٢١٢ الطبعة الأُولى ايران ستة أشطر.

وهذا اليوم لم يذكره المؤلفون في أيام العرب الجاهلية، نعم في معجم البلدان ٧ / ٦٤، والمعجم ممّا استعجم للبكري ٣ / ١٠٦٢، وتاج العروس ٩ / ٣١٠: قرن: اسم جبل كانت فيه واقعة على بني عامر، وفي نهاية الارب للقلقشندي / ٣٢١: بنو قرن: بطن من مراد، ومنهم أُويس القرني، وكلّه لا يرشدنا إلى شيء صحيح، نعم ذكر محمّد بن حبيب النسابة في رسالة المغتالين / ٢٤٣ المدرجة في المجموعة السابعة من نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون: أنّ خثعماً قتلت الصميل أخا ذي الجوشن الكلابي؛ فغزاهم ذو الجوشن، وسانده عيينة بن حصن على أن يكون له المغنم، ولقوا خثعما بـ (الفزر)، وهو جبل، فقتلا واثخنا وغنما، قوتل بالجبل حمران بن مالك بن عبد الملك الخثعمي، فأمره أن يستأسر فأنشأ يقول:

أقسمت لا أُقتل إلاّ حرّا ... إنّي رأيت الموت شيئاً نكرا

أكره أن أُخدع أو أُغرا

ثمّ قُتل، و رثته أُخته فقالت:

ويل حمران أخا مظنه ... أوفى على الخير ولم يمنه

والطاعن النجلاء مرثعنه ... عائدها مثل وكيف الشنه

وأثخنته الجراحات، وأعياه نزف الدّم، فاستند إلى جنب تلك الدار، فتحاملوا عليه يرمونه بالسّهام والحجارة، فقال: مالكم ترموني بالحجارة كما ترمى الكفّار، وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار، ألا ترعون حقّ رسول الله في عترته؟

فقال له ابن الأشعث: لا تقتل نفسك وأنت في ذمّتي، قال مسلم: أأُوسر وبي طاقة؟! لا والله لا يكون ذلك أبداً، وحمل على ابن الأشعث فهرب منه، ثمّ حملوا عيه من كلّ جانب وقد اشتد به العطش، فطعنه رجل من خلفه فسقط إلى الأرض وأُسر[١].

وقيل: إنّهم عملوا له حفيرة وستروها بالتراب، ثمّ انكشفوا بين يدَيه حتّى إذا وقع فيها أسروه[٢].

ولمّا انتزعوه سيفه، دمعت عينه فتعجّب عمرو بن عبيد الله السّلمي من بكائه.

مسلم وابن زياد

وجيء به إلى ابن زياد، فرأى على باب القصر ـ قلّة مبرَّدة فقال: اسقوني من هذا الماء، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي[٣]: لا تذوق منها قطرة حتّى تذوق

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢١٢، ومقتل الخوارزمي ١/ ٢٠٩ و٢١٠.
(٢) المنتخب للطريحي / ٢٩٩ المطبعة الحيدرية في النجف، عند ذكر الليلة العاشرة.
(٣) في كامل ابن الأثير ٤ / ١٢٦ حوادث سنة (٧١هـ): مسلم بن عمرو الباهلي، والد قتيبة، وفي تاريخ الطبري ٧ / ١٨٥ الطبعة الأُولى حوادث سنة (٧١هـ): قتل مسلم بن عمرو الباهلي (بدير الجاثليق) وكان مع مصعب بن الزبير لمّا التقى مع جيش عبد الملك..

الحميم في نار جهنّم، قال مسلم عليه السلام: من أنت؟ قال: أنا من عرف الحقّ إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، فقال له ابن عقيل: لأُمّك الثكل، ما أقساك وأفظّك، أنت ابن باهلة أولى بالحميم، ثمّ جلس وتساند إلى حائط القصر[١].

فبعث عمارة بن عقبة بن أبي معيط غلاماً له يُدعى قيساً[٢] فأتاه بالماء، وكلّما أراد أنْ يشرب، امتلأ القدح دماً، وفي الثالثة ذهب ليشرب فامتلأ القدح دماً وسقطت فيه ثناياه فتركه وقال: لو كان من الرّزق المقسوم لشربتُه.

وخرج غلام ابن زياد فأدخله عليه، فلم يسلِّم، فقال له الحرسي: ألا تسلِّم على الأمير؟ قال له: اسكت إنّه ليس لي بأمير[٣]، ويقال أنّه قال: السّلام على من اتبع الهدى وخَشِي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى، فضحك ابن زياد وقال: سلَّمت أو لَمْ تسلِّم إنّك مقتول[٤]، فقال مسلم: إنْ قتلتني فلقد قَتَل مَنْ هو شرّ منك مَنْ هو خيراً منّي، وبعد فإنّك لا تدع سوء القتلة ولا قبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك.

فقال ابن زياد: لقد خرجتَ على إمامك، وشققتَ عصا المسلمين، والقحت الفتنة، قال مسلم: كذبت إنّما شقّ العصا معاوية وابنه يزيد، والفتنة ألقحها

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد.

(٢) الطبري ٦ / ٢١٢: وعند المفيد: أنّ عمرو بن حريث بعث غلامه سليما فأتاه بالماء.

(٣) اللهوف / ٣٠، وتاريخ الطبري ٦ / ٢١٢.

(٤) المنتخب / ٣٠٠.

أبوك، وأنا أرجوا أنْ يرزقني الله الشهادة على يد شرّ بريّته[١].

ثمّ طلب مسلم أنْ يوصي إلى بعض قومه فأذِن له ونظر إلى الجلساء فرأى عمر بن سعد، فقال له: إنّ بيني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، ويجب عليك نجح حاجتي وهي سرّ. فأبى أن يمكّنه من ذكرها، فقال ابن زياد: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمّك، فقام معه بحيث يراهما ابن زياد، فأوصاه مسلم أنْ يقضي من ثمن سيفه ودرعه ديناً استدانه منذ دخل الكوفة يبلغ ستمئة درهم[٢]، وأنْ يستوهب جثّته من ابن زياد ويدفنها، وأنْ يكتب إلى الحسين بخبره. فقام عمر بن سعد إلى ابن زياد وأفشى كلّ ما أسرّه إليه فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن[٣]

---

(١) ابن نما / ١٧، ومقتل الخوارزمي ١ / ٢١١ الفصل العاشر.

(٢) في الأخبار الطوال / ٢٤١: يبلغ ألف درهم.

(٣) الارشاد وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٢١٢ وهذه الجملة التي هي كالمثل وردت في لسان أهل البيت عليهم السلام، ففي الوسائل للحر العاملي ج ٢ ص ٦٤٣ باب ٩ عدم جواز ائتمان الخائن، روى الكليني مسنداً عن معمر بن خلاد قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول كان أبو جعفر عليه السلام يقول: لم يخنك الأمين ولكن ائتمنت الخائن.

ثم انه لم تخف على شهيد القصر مسلم عليه السلام نفسية عمر بن سعد ولم يجهل دنس أصله ولكنه أراد ان يعرف الكوفيين مبلغه من المروءة والحفاظ كي لا يغتر به احد، وهناك سر آخر وهو ارشاد الملأ الكوفي إلى أن أهل البيت عليهم السلام وولاتهم لم يقصدوا الا الاصلاح ونشر الدعوة الإلهيّة وهذا الوالي من قبلهم لم يمد يده الى بيت المال وكان له ان يتصرف فيه كيف شاء غير انه قضى أيامه البالغة أربعاً وستين بالاستدانة وهكذا ينبغي أن تسير ←

ثمّ التفت ابن زياد إلى مسلم وقال: أيهاً يابن عقيل، أتيت النّاس وهم جمع ففرّقتهم، قال: كلاّ، لستُ أتيتُ لذلك، ولكن أهل المصر ـ زعموا أنّ أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ـ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعوا إلى حكم الكتاب.

⮡

الولاة فلا يتخذون مال الفقراء مغنما... ولقد ذكرني هذا (الخائن) بقصة خالد القسري على كتمان السر لأنه من شيم العرب واخلاق الاسلام مع ما يحمله من المباينة لنبي الاسلام صلى الله عليه وآله وشتم سيد الأوصياء على المنابر وقوله فيه ما لا يسوغ للبراع ان يذكره وذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد الحج فعزم جماعة على اغتياله وطلبوا من خالد المشاركة معه فأبى، فقالوا له اكتم علينا، فأتى خالد الوليد وقال له دع الحج هذا العام فاني خائف عليك قال الوليد من الذين تخافهم علي؟ سمّهم لي، فامتنع أن يسمهم وقال: اني نصحتك ولن اسمهم لك فقال اني ابعث بك الى عدوك يوسف بن عمر قال: وان فعلت فلن اسمهم فبعث به الى يوسف فعذبه ولم يسمهم فسجنه ثم وضع على صدره المضرسة فقتل سنة ١٢٦ هـ عن ستين سنة ودفن بناحية، وعقر عامر بن سهل الأشعري فرسه على قبره فضربه يوسف سبعمائة سوط ولم يرثه احد من العرب على كثرة أياديه عندهم الا ابا الشغب العبسي قال:

ألا ان خير الناس حياً وهالكا ... أسير سقيف عندهم في السلاسل

لعمري لقد عمرتم السجن خالداً ... وأوطأتموه وطأة المتثاقل

فان تسجنوا القسري لا تسجنوا ... ولا تسجنوا معروفه في القبائل

تهذيب ابن عساكر ج ٥ ص ٧٩.

قال ابن زياد: ما أنت وذاك أوَ لَمْ نكن نعمل فيهم بالعدل؟ فقال مسلم: إنّ الله لَيعلم إنّك غير صادق، وإنّك لتقتل على الغضب والعداوة وسوء الظنّ، فشمته

ابن زياد وشتم علياً وعقيلاً والحسين[١]، فقال مسلم: أنت وأبوك أحقّ بالشتم، فاقض ما أنت قاض يا عدوّ الله[٢].

فأمر ابن زياد رجلاً شامياً[٣] أنْ يصعد به إلى أعلى القصر ـ ويضرب عنقه، ويرمي رأسه وجسده إلى الأرض، فأصعده إلى أعلى القصر ـ، وهو يسبّح الله ويهلّله ويكبّره[٤] ويقول: اللهمّ احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا وكذبونا، وتوجه نحو المدينة وسلّم على الحسين[٥].

وأشرف به الشامي على موضع الحذائين وضرب عنقه ورمى برأسه وجسده إلى الأرض[٦]، ونزل مذعوراً، فقال له ابن زياد: ما شأنك؟ قال: رأيت ساعة قتله رجلاً أسود سَيِّء الوجه حذائي عاضّاً على إصبعه، ففزعتُ منه فقال ابن زياد: لعلّك دُهشت[٧].

---

(١) كامل ابن الأثير ٤ / ١٤ والطبري ٦ / ٢١٣.
(٢) اللهوف / ٣١.
(٣) مقتل الخوارزمي ١ / ٢١٣.
(٤) تاريخ الطبري ٦ / ٢١٣.
(٥) أسرار الشهادة / ٢٥٩.
(٦) ميثر الأحزان / ١٨.
(٧) مقتل الخوارزمي / ١ / ٣١٢، والملهوف.

ثمّ أخرج هاني إلى مكان من السوق يُباع فيه الغنم وهو مكتوف، فجعل يصيح وآمذحجاه! ولا مذحج لي اليوم، وآمذحجاه! وأين منّي مذحج؟ فلمّا رأى أنّ أحداً لا ينصره جذب يده ونزعها من الكتاف وقال: أما من عصا أو سكين أو حجر أو عظم يدافع رجل عن نفسه؟ ووثبوا عليه وأوثقوه كتافاً وقيل له: مدّ عنقك، فقال: ما أنا بها سخي، وما أنا بمعينكم على نفسي، فضربه بالسّيف مولى لعبيد الله ابن زياد تركي يُقال له رشيد، فلم يصنع فيه شيئاً فقال هاني: إلى الله المعاد اللهمّ إلى رحمتك ورضوانك، ثمّ ضربه أُخرى فقتله. وهذا العبد قتله عبد الرحمن بن الحصين المرادي رآه مع عبيد الله بـ (الخازر[1]).

وأمر ابن زياد بسحب مسلم وهاني بالحبال من أرجلهما في الأسواق[2]

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢١٤.

(٢) المنتخب / ٣٠١، وفي تاريخ الخميس ٢ / ٢٦٦ عند ذكر أولاد أبي بكر: أمر معاوية ابن خديج بسحب محمّد بن أبي بكر في الطريق ويمرّوا على دار عمرو بن العاص؛ لعلمه بكراهيته لقتله، ثمّ أمر بإحراقه، فأُحرقت جثته بعد ان وضع في جوف حمار. == وفي كامل ابن الأثير ١١ / ١٥٣ حوادث سنة ٥٥٥، عليه مروج الذهب: لمّا قتل ظهير الدين ابن العطار أمر فوضعوا حبلاً في مذاكيره وسحبوه في الشوارع، و وضعوا في يده مغرفة فيها عذرة وفي يده الأُخرى وضعوا قلماً وهم يصيحون: وقّع لنا يا مولانا.
وفي مضمار الحقائق لصاحب حماة محمّد بن تقي الدين الأيوبي / ١٢: أنّ بعضهم قطع أُذنه وذلك في ١٥ ذي القعدة سنة (٥٧٥هـ).

وصلبهما بالكناسة منكوسين[١]، وأنفذ الرأسين إلى يزيد، فنصبهما في درب من دمشق[٢].

وكتب إلى يزيد: أمّا بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقّه وكفاه مؤنة عدوّه، أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنّ مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي، وإنّي جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال وكدتهما حتّى استخرجتهما، وأمكن الله منهما فضربتُ أعناقهما، وبعثتُ إليك برأسيهما مع هاني بن أبي حيّة الوادعي الهمداني، والزبير بن الاروح التميمي، وهما من أهل السّمع والطاعة والنصيحة، فليسألهما أمير المؤمنين عمّا أحبّ، فإنّ عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً، والسّلام.

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢١، ومقتل الخوارزمي ١ / ٢١٥: وهذه الفعلة لا يأتي بها إلاّ من خرج عن ربقة الإسلام، ولم يحمل أقلّ شيء من العطف والرقّة، وبمثلها صنع الحَجّاج بعبد الله بن الزبير، كما في أنساب الأشراف للبلاذري ٥ / ٢٦٨، وابن حبيب في المحبر / ٤٨١.
وفي مختصر تاريخ الدول لابن العبري / ١١٦: إن الملك نارون صلب فطرسا وبولسا منكوسين بعد أن قتلهما.
وفي حياة الحيوان مادة الكلب: إنّ ابراهيم الفزاري ضبطت عليه أُمور منكرة من الاستهزاء بالله والأنبياء فأفتى فقهاء القيروان بقتله وصلب منكساً ثم أُنزل وأُحرق بالنّار.
وفي المحبر لمحمد بن حبيب / ٤٨١ طبعة حيدر آباد: صلب الحَجّاج بن يوسف عبدَ الله بن الزبير بمكة منكساً.
(٢) تاريخ أبي الفدا ١ / ١٩٠، والبداية لابن كثير ٨ / ١٥٧.

وكتب يزيد إلى ابن زياد: أمّا بعد، فإنّك لَم تعد أنْ كنتَ كما أُحبّ، عملت عمل الحازم، وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظنّي بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما، فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرتَ فاستوص بهما خيراً، وإنّه قد بلغني أنّ الحسين بن علي قد توجّه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن، وخذ على التهمة[1]، وهذا الحسين قد ابتلي به زمانك من بين الأزمان وبلادك من بين البلدان، وابتليت به من بين العمّال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد[2] فأمّا أنْ تحاربه أو تحمله إليَّ[3].

سقتك دماً يا ابن عم الحسين ... مدامع شيعتك السافحة

ولا برحت هاطلات العيون ... تحييك غادية رائحة

لانك لم ترو من شربة ... ثناياك فيها غدت طائحة

رموك من القصر إذ اوثقوك ... فهل سَلِمَت فيك من جارحة

وسحباً تُجَرُّ بأسواقهم ... ألست أميرهُمُ البارحة

أتقضى ولم تبكك الباكيات ... أمالك في المصر من نائحة

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢١٤.

(٢) مقتل العوالم / ٦٦، وتاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٢.

(٣) مقتل الخوارزمي ١ / ٢١٥.

لـــئنْ تقـــض نحبـــاً فكـــم في زرود عليـــك العشـــية مـــن صـــائحة[١]

السَفر إلى العراق

لمّا بلغ الحسين إنّ يزيد انفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر، وأمَّره على الحاج، و ولاّه أمر المَوسم، وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد[٢]، عزم على الخروج من مكّة قبل إتمام الحج، واقتصر على العمرة؛ كراهية أنْ تستباح به حرمة البيت[٣].

---

(١) للسيّد باقر الهندي رحمه‌الله. لا يخفى أنّ الأقوال في يوم شهادة مسلم ثلاثة؛ الأول: يوم الثالث من ذي الحِجَّة ذكره في (الأخبار الطوال)، ويظهر من ابن طاووس في (اللهوف) موافقته فإنّه قال: توجّه الحسين من مكّة لثلاث مضين من ذي الحِجَّة ثمّ قال بعد ذلك، وكان خروجه من مكّة في اليوم الذي قتل فيه مسلم. الثاني: يوم الثامن من ذي الحِجَّة، ذكره الوطواط في (غرر الخصائص / ٢١٠) وهو الظاهر من (تاريخ أبي الفدا ٢ / ١٩)، و (تذكرة الخواص / ١٣٩) قالا: قتل مسلم لثمان مضين من ذي الحِجَّة (وتذكير العدد يراد منه الليلة). الثالث: يوم عرفة، نصّ عيه المفيد في (الارشاد)، والكفعمي في (المصباح)، وهو الظاهر من ابن نما في (مثير الأحزان)، و (تاريخ الطبري ٦ / ٢١٥)، و (مروج الذهب ٢ / ٩٠) قالوا: وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثامن من ذي الحِجَّة، وقد قتل ثاني يوم خروجه. ويحكي المسعودي في (مروج الذهب) قولاً بخروجه يوم التاسع من ذي الحِجَّة، واذا كان قتله ثاني يوم خروجه تكون شهادته يوم الأضحى.

(٢) المنتخب / ٣٠٤ الليلة العاشرة.

(٣) ابن نما / ٨٩، وتاريخ الطبري ٦ / ١٧٧.

خطبته عليه السلام في مكّة:

وقبل أنْ يخرج قام خطيباً فقال: «**الحمد لله وما شاء الله ولا قوّة إلاّ بالله وصلّى الله على رسوله، خُطَّ الموت على ولد آدم مَخَطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخُيِّر لي مصرعٌ أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلاة بين النّواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفا وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أُجور الصابرين. لنْ تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده. ألا مَن كان فينا باذلاً مهجته موطِّناً على لقاء الله نفسَه فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحاً إنْ شاء الله تعالى**»[1].

وكان خروجه عليه السلام من مكّة لثمان مضَين من ذي الحِجَّة، ومعه أهل بيته ومواليه وشيعته من أهل الحجاز والبصرة والكوفة الذين انضمّوا إليه أيام إقامته بمكّة وأعطى كلّ واحد منهم عشرة دنانير وجملاً يحمل عليه زاده[2].

محاولات لصرفه عن السَفر

وسأله جماعة من أهل بيته وغيرهم التريّث عن هذا السّفر حتّى يستبين له حال النّاس؛ خوفاً من غدر الكوفيّين وانقلاب الأمر عليه، ولكنّ (أبي الضيم)

---

(١) اللهوف / ٣٣، وابن نما / ٢٠.
(٢) نفس المهموم / ٩١.

لمْ تسعه المصارحة بما عنده من العلم بمصير أمره لكلّ من قابله؛ لأنّ الحقائق كما هي لا تفاض لأيّ متطلب بعد تفاوت المراتب واختلاف الأوعية سعةً وضيقاً، فكان عليه السلام يُجيب كلّ واحدٍ بما يسعه ظرفه وتتحمّله معرفته.

فيقول لابن الزبير: «**إنّ أبي حدّثني أنّ بمكّة كبشاً به تستحلّ حرمتها، فما أُحبّ أنْ أكون ذلك الكبش، ولَئن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إليَّ من أنْ أُقتل فيها**[1]، **وأيمَ الله لَو كنتُ في ثقب هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتّى يقضوا فيَّ حاجتهم، والله ليعتدنَّ عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت**».

ولما خرج من عنده ابن الزبير قال الحسين عليه السلام لَمن حضر عنده: «**إنّ هذا ليس شيء من الدنيا أحبّ إليه من أنْ أخرج من الحجاز، وقد عَلِمَ أنّ النّاس لا يعدلونه بي، فودّ أنّي خرجتُ حتّى يخلو له**»[2].

وأتاه محمّد بن الحنفيّة في الليلة التي سار الحسين في صبيحتها إلى العراق وقال: عرفتَ غدر أهل الكوفة بأبيك وأخيك، وإنّي أخاف أنْ يكون حالك حال من مضى، فأقم هنا فإنّك أعزّ مَن في الحرم وأمنعه فقال الحسين عليه السلام: «**أخافُ أنْ يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي تُستباح به حرمة هذا البيت**»، فأشار عليه ابن الحنفيّة بالذهاب إلى اليمن أو بعض نواحي البر، فوعده أبو عبد الله في النّظر في هذا الرأي.

---

(١) في تاريخ مكة للازرقي ٢ / ١٥٠: قال ذلك لابن عبّاس.
(٢) كامل ابن الأثير ٤ / ١٦.

وفي سَحَر تلك الليلة ارتحل الحسين عليه السلام، فأتاه ابن الحنفيّة وأخذ بزمام ناقته وقد ركبها وقال: ألمْ تعدني النّظر فيما سألتك؟ قال: «**بلى، ولكن بعد ما فارقتك أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا حسين اخرج، فإنّ الله تعالى شاء أنْ يراك قتيلاً**»، فاسترجع محمّد، وحينما لَمْ يعرف الوجه في حمل العيال معه، وهو على مثل هذا الحال قال له الحسين عليه السلام: «**قد شاء الله تعالى أنْ يراهنَّ سبايا**»[1].

وكتب إليه عبد الله بن جعفر الطيّار مع ابنَيه عون ومحمّد: أمّا بعد، فإنّي أسألك الله لمّا انصرفت حين تقرأ كتابي هذا، فإنّي مُشفق عليك من هذا الوجه أنْ يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إنْ هلكتَ اليوم، أُطفئ نور الأرض، فإنّك عَلَمُ المهتدين، ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسّير، فإنّي في أثر كتابي، والسّلام.

ثم أخذ عبد الله كتاباً من عامل يزيد على مكّة عمرو بن سعيد بن العاص فيه أمان للحسين وجاء به إلى الحسين ومعه يحيى بن سعيد بن العاص وجهد أنْ يصرف الحسين عن الوجه الذي أراده فلَم يقبل أبو عبد الله عليه السلام وعرَّفه أنّه رأى رسول الله في المنام وأمره بأمر لابدّ من انفاذه، فسأله عن الرؤيا، فقال: «**ما حدّثتُ بها أحداً، وما أنا محدّث بها حتّى ألقى ربّي عزّ وجلّ**»[2].

وقال له ابن عبّاس: يابن العم، إنّي أتصبَّر وما أصبرُ، وأتخوَّفُ عليك في هذا

---

(١) البحار ١٠ / ١٨٤.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢١٩، وكامل ابن الأثير ٤ / ١٧، والبداية لابن كثير ٦ / ١٦٣.

الوجه الهلاك والاستئصال. إنّ أهل العراق قوم غَدرٍ فلا تقربنَّهم. أقم في هذا البلد فإنّك سيّد أهل الحجاز، وأهل العراق إنْ كانوا يريدونك - كما زعموا - فلينفوا عاملهم وعدوّهم ثمّ اقدم عليهم، فإنْ أبيتَ إلاّ أنْ تخرج، فسِر إلى اليمن، فإنّ بها حصوناً وشعاباً وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك فيها شيعة وأنتَ عن النّاس في عزلة، فتكتب إلى النّاس وترسل وتبثّ دعاتك، فإنّي أرجو أنْ يأتيك عند ذلك الذي تحبّ في عافية.

فقال الحسين عليه السلام: «**يابن العم، إنّي والله لأعلم أنّك ناصح مشفق، وقد أزمعتُ على المسير**».

فقال ابن عبّاس: إنْ كنتَ سائراً فلا تسِر بنسائك وصبيتك، فإنّي لخائف أنْ تُقتل وهم ينظرون إليك، فقال الحسين: «**والله، لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جَوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من فرام المرأة**»[1].

---

(١) كامل ابن الأثير ٤ / ١٦، وفي القاموس وتاج العروس: الفرام ككتاب دواء تضيق به المرأة المسلك او حب الزبيب تحتشي به لذلك، وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج لما شكا منه أنس بن مالك: يابن المستفرمة بعجم الزبيب. وكانت في احراح ثقيف سعة يتضيقن بعجم الزبيب.
والفرامة (ككتابة): هي الخرقة تحتشي بها المرأة عند الحيض كالفرام. وفيها يقول الشاعر:
وجدتك فيها كأُمّ الغلام متى ما تجد فارماً تفترم
وفي مقاييس اللغة لابن فارس ٤ / ٤٩٦: أظنها غير عربية، وقال الخليل: ليست من كلام أهل البادية.

توجيه لدواعي السَفر

هذه غاية ما وصل إليه إدراك من رغب في تريّث الحسين عليه السلام عن السّفر إلى العراق، وأبو عبد الله لَمْ تخفَ عليه نفسيّات الكوفيّين وما شيبت به من الغدر والنّفاق، ولكن ماذا يصنع بعد إظهارهم الولاء والانقياد له والطاعة لأمره؟ وهل يعذر أمام الأُمّة في ترك ما يطلبونه من الإرشاد والإنقاذ من مخالب الضلال وتوجيههم إلى الأصلح المرضي لربّ العالمين؟ مع أنّه لَمْ يظهر منهم الشقاق والخلاف، واعتذاره عليه السلام عن المصير إليهم بما جبلوا عليه من الخيانة كما فعلوا مع أبيه وأخيه يُسبّب إثارة اللوم من كلّ مَن يبصر ظواهر الأشياء، والإمام المقيض لهداية البشر أجلّ من أنْ يعمل عملاً يكون للأُمّة الحُجّة عليه، والبلاد التي أشار بها ابن عباس[1] وغيره لا منعة فيها، وما جرى من بسر بن أرطاة مع أهل اليمن

---

(١) هذا شيء يجب أن ننبه له وهو أن ابن عباس لم يكن بالمنزلة العالية ليكون محلاً لتقي العلوم الغريبة كحبيب بن مظاهر ورشيد الهجري وعمر وبن الحمق وحجر بن عدي وكميل بن زياد وميثم التمار، فانهم كانوا على جانب كبير من التبصر في الامور ووصلوا الى حق اليقين، فلم يعبأوا بكل ما يجري عليهم من الفوادح والتنكيل لذلك لم يعدموا من امير المؤمنين عليه السلام الحبوة بايقافهم على الحوادث والملاحم وما تملكه الجبابرة والعلوم الغريبة!! نلمس ذلك من المحاورة الدائرة بين حبيب بن مظاهر وميثم التمار من اخبار كل منهما الآخر بما يجري عليه من القتل ونصرة أهل البيت عليهم السلام، فكذبهما من لم يفقه الأسرار الالهية من بني اسد ولما جاء رشيد الهجري يسأل عنهما قيل له افترقا وكان من امرهما كذا وكذا فقال رحم الله ميثما لقد نسي انه يزداد في عطاء الذي يأتي برأس حبيب ←

مئة درهم ثم ادبر! فقال القوم هذا والله اكذبهم، ولم تذهب الأيام حتى وقع كل ذلك! صلب ميثم بالقرب من دار عمرو بن حريث وقتل حبيب مع الحسين عليه السلام وقطع ابن زياد يدي رشيد الهجري ورجليه ولسانه كما أخبره أمير المؤمنين عليه السلام (راجع رجال الكشتئ ص٥١ وما بعدها طبع الهند). وعلى هذا فابن عباس وغيره أقل رتبة من هؤلاء الافذاذ ومن شهداء الطف، مهما نعترف له بالموالاة الصادقة لأمير المؤمنين وولده الاطهار. فان حديثه مع ميثم التمار يرشدنا الى عدم بلوغه تلكم المنازل العالية التي حواها ميثم وأمثاله... ففي رجال الكشي ص ٥٤ أن ابن عباس اجتمع مع ميثم بالمدنية، فقال ميثم سل يا ابن عباس ما شئت من تفسير القرآن فلقد قرأت تنزيله على امير المؤمنين عليه السلام فعلمني تأويله، فاخذ ابن عباس القرطاس ليكتب فقال له ميثم كيف بك لو رأيتني مصلوباً على خشبة تاسع تسعة أقربهم من المطهرة فتعجب ابن عباس من هذا العبد الاسدود المخبر عن الغيب، فرمى القرطاس وقال انك تكهن عليّ، فقال ميثم يا ابن عباس احتفظ بما سمعت مني فان يكن حقاً امسكته وان يكن باطلاً خرقته فكتب ابن عباس عن ميثم ما وعاه عن أمير المؤمنين من تفسير القرآن.

وعلى هذا فما يتحدث بن ابن الابار في تكملة الصلة ج٢ص٦٠٠ طبع ثاني من أن ابن عباس كان يقول له فسرت (الحمد الله رب العالمين) على كنهم ما حملت ابل الأرض كتب تفسيرها لا نصيب له من الصحة وهو من موضوعات دعاة بني العباس، أرادوا به المقابلة لقول سيد الاوصياء المروي في احياء العلوم للغزالي ج١ ص ٢٦٠ (فصل القرآن الباب الرابع) في التفسير بالرأي، وعلم القلوب لابي طالب المكي ص٧٢ والاتقان للسيوطي ج٢ ص١٨٦ النوع ٢٨ فيما يرجع الى تفسير القرآن، والمحجة البيضاء للفيض الكاشاني ج١ ص٢٥١ في التفسير بالرأي: أن أمير المؤمنين قال لو شئت لا وقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب.

وفي سعد السعود لابن طاووس ص ٢٨٦ نقلا عن العلم اللدني للغزالي: انه عليه السلام قال: لو

تؤكّد وهنهم في المقاومة والضعف عن ردّ الباغي.

وبهذا يصرّح الشيخ الشوشتري أعلى الله مقامه فإنّه قال: كان للحسين تكليفان واقعي وظاهري:

أ - أمّا الواقعي الذي دعاه للإقدام على الموت وتعريض عياله للأسر وأطفاله للذبح مع علمه بذلك، فالوجه فيه: أنّ عتاة بني أُميّة قد اعتقدوا أنّهم على الحقّ وأنّ علياً وأولاده وشيعتهم على الباطل حتّى جعلوا سبّه من أجزاء صلاة الجمعة، وبلغ الحال ببعضهم أنّه نَسِي- اللعن في خطبة الجمعة فذكره وهو في السّفر فقضاه. وبنوا مسجداً سمّوه (مسجد الذكر)، فلو بايع الحسين يزيد وسلّم الأمر إليه، لمْ يبقَ من الحقّ أثر، فإنّ كثيراً من النّاس يعتقد بأنّ المحالفة لبني أُميّة دليل استصواب رأيهم وحُسن سيرتهم، وأمّا بعد محاربة الحسين لهم وتعريض نفسه المقدّسة وعياله وأطفاله للفوادح التي جرت عليهم، فقد تبيّن لأهل زمانه والأجيال المتعاقبة أحقّيته بالأمر وضلال مَن بغى عليه.

ب - وأمّا التكليف الظاهري: فلأنّه عليه السلام سعى في حفظ نفسه وعياله بكلّ

اذن الله لي ورسوله لشرحت ألف الفاتحة حتى يبلغ أربعين جملاً! وحكاه في البحار ج٩ ص٢٧٧ وص٤٦٣ طبع كمبني ولا غرابة ممن هو النقطة تحت باء البسملة! ففي مقدمة تفسير القرآن للشيخ محمد حسين الاصفهاني روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كل ما في القرآن في الحمد وكل ما في الحمد في البسملة وما في البسملة في الباء وما في الباء في النقطة، وانا النقطة تحتها.. وفي العنايات الرضوية تكلم في شرحه ص١١٩..

وجه، فلم يتيسّر له وقد ضيّقوا عليه الأقطار حتّى كتب يزيد إلى عامله على المدينة أنْ يقتله فيها، فخرج منها خائفاً يترقّب فلاذ بحرم الله الذي هو اَمنُ الخائف وكهف المستجير، فجدّوا في إلقاء القبض عليه أو قتله غيلةً ولو وُجِد متعلِّقاً بأستار الكعبة، فالتزم بأنْ يجعل احرامه عمرةً مفردةً وترك التمتّع بالحج، فتوجّه إلى الكوفة؛ لأنّهم كاتبوه وبايعوه وأكّدوا المصير إليهم؛ لإنقاذهم من شرور الأُمويّين، فألزمه التكليف بحسب ظاهر الحال إلى موافقتهم إتماماً للحُجّة عليهم؛ لئلاّ يعتذروا يوم الحساب بأنّهم لجأوا إليه واستغاثوا به من ظلم الجائرين، فاتّهمهم بالشقاق ولم يغثهم، مع أنّه لَو لَم يرجع إليهم فإلى أينَ يتوجه وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت؟ وهو معنى قوله عليه السلام لابن الحنفيّة: «**لَو دخلتُ في جُحر هامة من هذه الهوام، لاستخرجوني حتّى يقتلوني**».

وقال عليه السلام لأبي هرّة الأسدي: «**إنّ بني أُميّة أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت**»[1].

ولمْ يبق بمكّة أحد إلاّ حزن لمسيره، ولمّا أكثروا القول عليه أنشد أبيات أخي الأوس لمّا حذره ابن عمّه من الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

سأمضي ـ فما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وخالف مجرما

---

(١) الخصائص الحسينية / ٣٢ ط تبريز.

ثم قرأ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (١)(٢).

وسامته أن ينقاد للسلم ضارعا ... لديها ويأبى العّز أن يضرع الحرُّ

فقال ردي يا نفس من سورة الرَّدى ... فعند ورود الضَّيم يستعذب المرُّ

وحفت به من آله خير فتية ... لها ينتمى المجد المؤثل والفخر

إذا هى سارت في دجى الليل أزهرت ... وباهت سواري النجم اوجهها الزهر

بكل كميٍّ فوق اجردَ سابح ... يتيه به فى مشيه الدلُّ والكبر

إذا خفَّ فى الهيجاء وقْر بمتنه ... بنجدة بأس فاطمأنَّ له ظهر

ويلطم خدَّ الأرض لكنّ وجهها ... بنضح دم الأعداء لا اللطم يحمرُّ

همُ القوم من عليا لويٍّ وغالب ... بهم تكشف الجلى ويستدفع الضرُّ

يحيون هنديَّ السيوف باوجه ... وحدُّ المواضى باسم الغر يفتر

يلفون آحاد الالوف بمثلها ... تهلِّل من لئلاء طلعتها البشر

بيوم به وجه المنون مُقطَّبٌ ... إذا حل من معقود راياتها نشر

إذا اسودَّ يوم النقع اشرقنَ بابها ... لهم اوجه والشوس ألوانها صفر

---

(١) سورة الأحزاب / ٣٨

(٢) تذكرة الخواص / ١٣٧: وأنشدها لمّا حذّره الحر من مخالفة بني أُمية.

وما وقفوا في الحرب إلا ليعبروا ... إلى الموت والخطيِّ من دونه جسر

يكرون والأبطال نكصاً تقاعست ... من الخوف والآساد شيمتها الكرُّ

الى أن ثَووْا تحت العجاج بمعركٍ ... هو الحشر- لا بل دون موقفه الحشر

وماتوا كراماً تشهد الحرب انَّهم ... أُباة إذا ألوى بهم حادث نكر

عليهم من الهنديِّ بيض عصائب ... تروق ومن وشي الدّما حلل حمر

وعاد أبيُّ الضَّيم بين عداته ... وناصره البتّار والارن المهر

فغبَّر في يوم الكفاح باوجه ... الكتائب والآفاق شاحبة غبر

إذا نظمت حَبَّ القلوب قناتهُ ... فللسيف في أعناق أعدائه نثر

فلا الوتر وتر حين تقترع الظبى ... ولا الشفع شفع حين تشتبك

ولو شاء أن يفنى الاعادي لزلزل ... الوجود بهم لكنما قضى الأمر

وآثر أن يسعى إلى الموت صابرا ... ونفس أبيِّ الضيم شيمتها الصبر

فأضحى على الرمضاء شلواً تناهبت ... حشاه العوالي والمهندة البتر

قضى بين أطراف الأسَّنة ظامياً ... بحَرٍّ حشى من دون غلتها الجمر

فلهفى عليه فوق صالية الثرى ... على جسمه تجري المسومة الضمر

أبا حسن شكوى اليك وانها ... لواعِجُ أشجان يجيش بها الصدر

أتدري بما لاقت من الكرب والبلا ... وما واجهت بالطفَّ أبناؤك الغر

أُعزيك فيهم انهم وردوا الردى ... بأفئدة ما بل غلَّتها قطر

وثاوينَ في حر الهجيرة بالعرا ... عليهم سوافي الريح بالترب تنجرُّ

متى أيها الموتور تبعث غارة ... تعيد العدى والبر من دمهم بحر

أتغضي وأنت المدرك الثار عن دم ... برغم الهدى أضحى وليس له وتر

وتلك بجنب الطَّف فتيان هاشم ... ثَوَتْ تحت أطراف القنا دمها هدر

فلا صبر حتّى ترفعوها ذوابلا ... من الخطِّ لا يلوي بخرصانها كسر

وتقتدحوها بالصوارم جذوة ... من الحرب يصلى جمرها الجحفحل

وتبتعثوها في المغار صوأهلا ... من الخيل مقروناً بأعرافها النصر

فكم نكأت منكم أمية قرحة ... إلى الحشر لا يأتي على جرحها السبر

فمِنْ صبية قد ارضعتها أمية ... ضروع المنايا والدماء لها درُّ

فها هي صرعى والسهام عواطف ... حنواً عليها والرمال لها حجر

ومن حُرَّة بعد المقاصير أصبحت ... بمقفرة كالجمر يوقدها الحرُّ

وزاكية لم تلف في النوح مسعداً ... سوى انها بالسوط يزجرها زجر

ومذعورة أضحت وخفاق قلبها ... تكاد شظاياه يطير بها الذعر

ومذهولة من دهشة الخيل ابرزت ... عشيَّة لا كهف لديها ولا خدر

تجاذبها أيدي العدو خمارها ... فتستر بالايدي اذا أعوز السِّتر

سـرت تتـراماها الـعداة سـوافراً ... يـروح بـها مـصر ويـغدو بها مصر

ربيـبات خـدر أيـن مـنهنَّ خـطّة ... الـموامى ولا يـدرينَ ما السهل والوعر

تـطوف بـها الأعـداء فـى كـل مَهمَهٍ ... فيـجذبها قـفـر ويـقـذفها قـفر[1]

التنعيم

وسار الحسين من مكّة ومرّ بالتنعيم[2]، فلقى عيراً عليها وَرَس وحلل أرسلها إلى يزيد بن معاوية واليه على اليمن، بحير بن يسار الحميري، فأخذها الحسين عليه السلام وقال لأصحاب الإبل: «مَن أحبّ منكم أنْ ينصرف معنا إلى العراق أوفينا كراءه وأحسنّا صحبته، ومَن أحبّ المفارقة أعطيناه من الكراء على ما قطع من الأرض»، ففارقه بعضهم ومضى مَن أحبّ صحبته[3].

---

(١) للحجة السيد محمّد حسين الكيشوان، طبِعت في مثير الأحزان للعلامة الشيخ شريف الجواهري.

(٢) في معجم البلدان ٢ / ٤١٦: التنعيم (بالفتح ثم السكون وكسر العين المهملة وياء ساكنة وميم موضع): بمكة في الحل على فرسخين من مكة؛ وسمى به لأنّ عن يمينه جبل اسمه نعيم، وآخر عن شماله اسمه ناعم، والوادي نعيمان وبه مساجد.
وفي العقد الثمين في فضائل البلد الأمين لأحمد بن محمّد الخضراوي / ٦٠، الفصل الثالث، الطبعة الثانية: التنعيم يبعد عن مكة ثلاثة أو أربعة أميال.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢١٨، ومقتل الخوارزمي ١ / ٢٢٠، والبداية ٨ / ١٦٦، والارشاد للشيخ المفيد، ومثير الاحزان لابن نما / ٢١.

وكان الحسين عليه السلام يرى أنّ هذا ماله الذي جعله الله تعالى له يتصرّف فيه كيف شاء؛ لأنّه إمام على الأُمّة منصوب من المهيمن سبحانه، وقد اغتصب يزيد وأبوه حقّه وحقّ المسلمين، فكان من الواجب عليه أنْ يحتوي على فَيء المسلمين لينعش المحاويج منهم، وقد أفاض على الأعراب الذين صحبوه في الطريق ورفعوا إليه ما مسّهم من مضض الفقر، غير أنّ محتوم القضاء لَم يمكّن سيّد شباب أهل الجنّة من استرداد ما اغتصبه الجائرون من أموال أُمّة النّبي الأعظم صلى الله عليه وآله وإنْ ارتفعت بتضحيته المقدّسة عن البصائر حجب التمويه، وعرفوا ضلال المستعدين على الخلافة الإلهيّة.

الصفاح

وفي الصفاح لَقِي الحسين عليه السلام الفرزدق بن غالب الشاعر، فسأله عن خبر

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٣٢٧ الطبعة الأُولى بمصر: وإنّ هذا المال الذي أخذه الحسين حمل إلى معاوية بن أبي سفيان وإنّ الحسين كتب إلى معاوية: «**أنّ عيراً مرّت بنا من اليمن تحمل مالاً وحللاً وعنبراً إليك لتودعه في خزائن دمشق وتعل بها بعد النهل بني أبيك، وإنّي احتجت إليها فأخذتها**». فكتب إليه معاوية وفيه: إنّك أخذت المال ولَم تكن جديراً به بعد أن نسبته إليّ؛ لأنّ الوالي أحق بالمال، ثمّ عليه الخرج. وأيم الله لو ترك ذلك حتّى صار إليّ لم أبخسك حظّك منه، ولكن في رأسك نزوة، وبودّي أن يكون ذلك في زماني فأعرف قدرك وأتجاوز عنك، ولكنّي والله لأتخوّف أن تبلى بمن لا ينظرك فواق ناقة.

النّاس خلفه، فقال الفرزدق: قلوبهم معك والسيوف مع بني أُميّة، والقضاء ينزل من السماء. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**صدقت لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكلّ يوم ربّنا في شأن، إنْ نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وان حال القضاء دون الرجاء فلم يعتد مَن كان الحقّ نيّته والتقوى سريرته**»، ثمّ سأله الفرزدق عن نذور ومناسك، وافترقا[١].

ويروى عن الفرزدق أنّه قال: خرجت من البصرة أُريد العمرة فرأيتُ عسكراً في البرية، فقلتُ: عسكر من؟ قالوا عسكر حسين بن علي، فقلتُ: لأقضينّ حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله فأتيته وسلّمت عليه، فقال: «**مَن الرجل؟**» قلت: الفرزدق بن غالب، فقال: هذا نسب قصير، قلت: أنت أقصر منّي نسباً أنت ابن بنت رسول الله[٢].

ذات عرق

وسار أبو عبد الله عليه السلام لا يلوي على أحد، فلقي في ذات عرق[٣] بُشْرَ ابن

---

(١) وفي تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٣٣٨: كانت ملاقاة الفرزدق معه بذات عرق.
وفي معجم البلدان: الصفاح: بين حنين وانصاب الحرم بسرة الداخل إلى مكة.
(٢) أنوار الربيع للسيد علي خان، باب التكرار / ٧٠٣.
(٣) في البحر الرائق لابن نجيم الحنفي ٢ / ٣١٧: بين ذات عرق ومكة مرحلتان.
وفي الفروع لابن مفلح ٢ / ٢١٦: بينهما ليلتان، وسمي بجبل صغير فيه، كما في تاج العروس ٧ / ٨، وذات عرق عند أهل السنة ميقات أهل الشرق ومنه العراق وخراسان، و روايات الإمامية تحكي توقيت رسول الله للعراقيين العقيق، واستحسنه

غالب وسأله عن أهل الكوفة قال: السيوف مع بني أُميّة والقلوب معك قال عليه السلام: «**صدقت**»(١).

وحدّث الرياشي عمَّن اجتمع مع الحسين عليه السلام في أثناء الطريق إلى الكوفة يقول الراوي: بعد أنْ حججتُ انطلقتُ أتعسّف الطريق وحدي، فبينا أسير إذ رفعتُ طرفي إلى أخبية وفساطيط فانطلقتُ نحوها فقلتُ: لِمَن هذه الأخبية؟ قالوا: للحسين بن علي، وابن فاطمة عليها السلام وانطلقتُ نحوه فإذا هو متّكئ على باب الفسطاط يقرأ كتاباً بين يدَيه فقلتُ: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي أنت وأُمّي، ما أنزلك في هذه الأرض القفراء التي ليس فيها ريف ولا منعة؟ قال عليه السلام: «**إنّ هؤلاء أخافوني، وهذه كتب أهل الكوفة وهم قاتلي، فإذا فعلوا ذلك ولَم يدعوا لله محرماً إلاّ انتهكوه، بعث الله إليهم من يقتلهم حتّى يكونوا أذلّ من فرام الأمة**»(٢).

الشافعي في الام ٢ / ١١٨؛ لاعتقاده أنّ ذات عرق غير منصوص عليه، وإنّما وقّته عمر، كما في البخاري عن ابن عمر، وفي المغني لابن قدامة ٣ / ٢٥٧: عن ابن عبد البر الاحرام من العقيق أولى، وإنْ كان ذات عرق ميقات أهل الشرق أجمع، وفي فتح الباري ٣ / ٢٥٠: قطع الغزالي والرافعي والنووي والمدونة لمالك: أنّ ذات عرق غير منصوص، وصحح الحنفية والحنابلة وجمهور الشافعية أنّه منصوص.

وفي معجم البلدان ٦ / ١٩٩: يقع العقيق ببطن وادي ذي الحليفة، وهو أقرب منها إلى مكّة، واحتاط فقهاء الإماميّة بترك الاحرام من ذات عرق، وهو آخر العقيق.

(١) مثير الأحزان لابن نما / ٢١.

(٢) وفي البداية ٨ / ١٦٩: «**حتّى يكونوا أذلّ من قرم الأمة**» وفسّر القرم بالمقنعة، ولم أجد هذا التفسير في اللغة، والصحيح كما تقدّم (فرام الأمة) بالفاء الموحّدة: وهو عجم

الحاجر

ولما بلغ الحاجر[١] من بطن الرمة كتب إلى أهل الكوفة جواب كتاب مسلم ابن عقيل وبعثه مع قيس بن مسهّر الصيداوي[٢] وفيه: «**أمّا بعد، فقد ورد عليَّ**

الزبيب، تضيّق به المرآة مسلكها.

(١) في معجم البلدان: الحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادي وفيه ٤ / ٢٩٠: بطن الرمة منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة، وفيه تجتمع أهل الكوفة والبصرة، وفي تاج العروس ٣ / ١٣٦: الحاجر مكان بطريق مكّة، وفي تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ١ / ١٩٥، بترجمة زهير بن أبي سلمى قال: الحاجر جنوب الرياض اليوم من أرض نجد. وفي معجم البلدان ٢ / ٢١٩: بطن الرمة (بتشديد الميم والراء) وادٍ معروف بعالية نجد. ونقل رضا كحالة في هامش كتاب جغرافية شبه جزيرة العرب ص٢٧٤ عن ابن دريد ان الرمة قاع عظيم بنجد تنصب فيه أوديه وعن ابن الاعرابي: الرمة طويلة عريضة تكون مسيرة يوم تنزل أعاليها بنو كلاب ثم تنحدر فتنزل عبس وغيرهم من غطفان ثم تنحدر فتنزل بنو اسد. وقال الاصمعي بطن الرمة واد عظيم يدفع عن يمين فلجع والدثينة حتى يمر بين أبانين الابيض والاسود وبينهما ثلاثة أميال ثم قال: الرمة تحييء من الغور والحجاز فأعلى الرمة لاهل المدينة وبني سليم ووسطها لبني كلاب وغطفان واسفلها لبني أسد وعبس ثم يقع في رمل العيون..

(٢) في روضة الواعظين لعلي بن محمّد الفتال النيسابوري / ١٥٢: يقال بعثه مع عبد الله بن يقطر، ويجوز أنّه أرسل اليهم كتابين أحدهما مع عبد الله بن يقطر والآخر مع قيس بن مسهر. وفي الاصابة ٣ / ٤٩٢ بعد أنْ ذكر نسب قيس قال: وكان مع الحسين لمّا قتل بالطف، وهو اشتباه؛ فإنّ ابن زياد قتله بالكوفة.

كتاب مسلم بن عقيل يخبرني باجتماعكم على نصرنا والطلب بحقّنا، فسألتُ الله أنْ يُحسن لنا الصنع ويثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحِجّة، فإذا قدم عليكم رسولي، فانكمشوا في أمركم، فإنّي قادم في أيّامي هذه».

بعض العيون

وسار من الحاجر، وكان لا يمرّ بماء من مياه العرب إلاّ اتبعوه[١]، فانتهى إلى ماء من مياه العرب عليه عبد الله بن مطيع العدوي، ولمّا عرف أنّ الحسين قاصد للعراق قال له: أُذكّرك الله يابن رسول الله وحرمة الإسلام أنْ تنتهك، أُنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبتَ ما في أيدي بني أُميّة ليقتلوك، ولئن قتلوك لا يهابوا أحداً بعدك. فأبى الحسين إلاّ أنْ يمضي[٢].

الخزيمية

وأقام عليه السلام في الخزيمية[٣] يوماً وليلة فلمّا أصبح أقبلتْ إليه أُخته زينب عليها السلام وقالت: إنّي سمعتُ هاتفاً يقول:

---

(١) البداية لابن كثير ج٨ ص١٦٨.

(٢) ارشاد المفيد.

(٣) بضم اوله وفتح ثانيه نسبة إلى خزيمة بن حازم تقع بعد زرود للذاهب من الكوفة إلى مكة وما نذكره من ترتيب المنازل اخذناه من «معجم البلدان».

ألا يـــا عـــينُ فـــاحتفلي بجهـــد فمـــن يبكـــي عـــلى الشـــهداء بعـــدي

عـــلى قـــوم تـــسوقهُمُ المنايـــا بـــمقدارٍ إلى انـــجاز وعـــدِ

زرود

ولما نزل الحسين في زرود[١] نزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي[٢]، وكان غير مشايع له، ويكره النّزول معه، لكنّ الماء جمعهم في المكان. وبينا زهير وجماعة على طعام صنع لهم إذ أقبل رسول الحسين يدعو زهيراً إلى سيّده أبي عبد الله عليه السلام، فتوقّف زهير عن الإجابة غير أنّ امرأته دلهم بنت عمرو حثّته على المسير إليه وسماع كلامه[٣].

فمشى زهير إلى الحسين عليه السلام، وما أسرع أن عاد إلى أصحابه فرحاً قد أسفر وجهه وأمر بفسطاطه وثقله فحوِّل إلى جهة سيّد شباب أهل الجنّة، وقال

---

(١) في المعجم ممّا استعجم ٢ / ٦٩٦: (بفتح أوله وبالدال المهملة في آخره) وفي معجم البلدان ٤ / ٣٢٧: إنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة، وهي دون الخزيمية بميل وفيها بركة وحوض، وفيها وقعة يقال لها يوم زرود.

(٢) وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم / ٣٦٥، عند ذكر قبائل بجيلة قال: زهير بن القين بن الحارث بن عامر بن سعد بن مالك بن زهير بن عمرو بن يشكر بن علي بن مالك بن سعد بن تُزَين بن قسر بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. وفي صفحة ٣١٠ قال: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

(٣) اللهوف / ٤٠.

لامرأته: الحقي بأهلك، فإنّي لا أُحبّ أنْ يصيبك بسببي إلاّ خير. ثمّ قال لمَن معه: مَن أحبّ منكم نصرة ابن الرسول صلى الله عليه وآله وإلاّ فهو آخر العهد.

ثمّ حدّثهم بما أوعز به سلمان الفارسي من هذه الواقعة فقال: غزونا بَلَنجَر[1] ففتحنا وأصبنا الغنائم، وفرحنا بذلك، ولمّا رأى سلمان الفارسي[2] ما نحن فيه من السرور قال: إذا أدركتم سيّد شباب آل محمّد صلى الله عليه وآله فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم من الغنائم. فأمّا أنا فأستودعكم الله[3].

فقالت زوجته: خار الله لك وأسألك أنْ تذكرني يوم القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام[4].

---

(١) في معجم البلدان والمعجم ممّا استعجم: (بالباء واللام المفتوحتين والنون الساكنة والجيم المفتوحة والراء المهملة) مدينة الخزر عند باب الأبواب فتحت سنة ٣٣ على يد سلمان بن ربيعة الباهلي، ولم أجد فيهما ولا في غيرهما مدينة أُخرى تسمّى بلنجر إلاّ أنّ ابن حجر في الاصابة ٣ / ٢٧٤، القسم الثالث، ترجمة قيس بن فروة بن زرارة بن الأرقم قال: شهد فتوح العراق واستشهد في بلنجر من أرض العراق - ثمّ ذكر ضبطها كما تقدّم - قال: وكان أمير الوقعة سلمان بن ربيعة.

(٢) نصّ عليه الشيخ المفيد في الارشاد، والفتال في روضة الواعظين / ١٥٣، وابن نما في مثير الأحزان / ٢٣، والخوارزمي في المقتل ١ / ٢٢٥ الفصل الحادي عشر، وابن الأثير في الكامل ٤ / ١٧، والبكري في المعجم ممّا استعجم ١ / ٣٧٦، ويؤيّده ما في تاريخ الطبري ٥ / ٧٧، وابن الأثير في الكامل ٣ / ٥٠ من وجود سلمان الفارسي في هذه الغزوة.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٢٤، ومقتل الخوارزمي ١ / ٢٢٢.

(٤) مثير الأحزان لابن نما / ٢٣، واللهوف / ٤٠، و ورد في تاريخ الطبري ٦ / ٢٢٤ الطبعة الأُولى: إنّ زهيراً قال لزوجته: أنت طالق، ألحقي بأهلك، فإنّي لا أُحبّ أنْ ←

وفي زرود أُخبر بقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة، فاسترجع كثيراً وترحم عليهما مراراً[١] وبكى، وبكى معه الهاشميّون وكثر صراخ النّساء حتّى ارتجّ الموضع لقتل مسلم بن عقيل وسالت الدموع كلّ مسيل[٢].

فقال له عبد الله بن سليم والمنذر بن المشمعل الأسديّان: ننشدك الله يابن رسول الله ألاّ انصرفت من مكانك هذا؛ فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر.

فقام آل عقيل وقالوا: لا نبرح حتّى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخونا، فنظر إليهم الحسين وقال: «**لا خير في العيش بعد هؤلاء**»[٣].

فـــيا ابـــن عقيـــل فـــدتك النفـــو ... س لـــــعظم رزيتـــك الفادحـــة

لِـــنَبْكِ لـــها بـــمذاب القلـــو ... ب فـــما قـــدر ادمعنـــا المالحـــة

وكـــم طفلـــة لـــك قـــد اعولـــت ... وجمرتهـــا في الحشـــا قادحـــة

يلحقك بسببي إلا خيرا هـ. ولا أعرف الغاية المقصودة له من هذا الطلاق؟ هل أراد طردها من الميراث؟ أو أنّه أباح لها التزويج بعد انتهاء ثلاثة أشهر؟ أو أنّه لا يرغب في أن تكون زوجة له في الآخرة؟ كما طلّق أمير المؤمنين عليه السلام بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وطلّق الإمام الرضا عليه السلام أُم فروة: زوجة الكاظم عليه السلام؟ مع إنّ هذه الحرّة لها فضل عليه بإرشاده إلى طريق السّعادة بالشهادة، والذي يهون الأمر أن مصدر الحديث (السّدي).

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٩٩٥، وفي البداية لابن كثير ٨ / ١٦٨: استرجع مراراً

(٢) اللهوف / ٤١: ولم أقف على مصدر وثيق ينصّ على أنّ الحسين أخذ بنت مسلم المسمّاة حميدة ومسح على رأسها فأحسّت بالشرّ، إلى آخره.

(٣) كامل ابن الأثير ٤ / ١٧، وسِيَر أعلام النبلاء للذهبي ٢ / ٢٠٨.

يعززها السبط في حجره ... لتغدو في قربه فارحة[١]

تقول: مضى عمٌّ مني أبي ... فمن ليتيمته النائحة[٢]

ثكول تبيت بليل اللسيع ... تعجُّ وعن دارها نازحة

وكم من كميٍّ بأحشائه ... تركت زناد الاسى قادحه

دربت ابن عمك يوم الطفو ... ف نعاك باسرته الناصحة

تحفُّ به منهُمُ فتية ... صباح واحسابهم واضحة

بكاك بماضي الشّبا والوغى ... وجوه المنايا بها كالحة

أقام بضرب الطلى مأتماً ... عليك وبيض الظبى نائحة

ونادى عشيرتك الاقربين ... خذي الثأر يا اسرة الفاتحة

وخاض بهم في غمار الحتو ... ف ولكنَّها بالظبى طائحة

وقال لها: يا نزار النزال ... فحربك في جِدِّها مازحة[٣]

---

(١) من أبيات للشيخ قاسم الملا الحلّي ذُكرت في كتاب الشهيد مسلم / ٢١٠.

(٢) للشيخ محمّد رضا الخزاعي، راجع كتابنا الشهيد مسلم.

(٣) للشيخ محمّد رضا الخزاعي، راجع كتابنا الشهيد مسلم.

الثعلبية

وفي الثعلبيّة أتاه رجل وسأله عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [١] فقال عليه السلام: « **إمام دعا إلى هدى فأجابوا إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوا إليها، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء في النّار، وهو قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾** [٢][٣] ».

وفي هذا المكان اجتمع به رجل من أهل الكوفة فقال له الحسين: «**أما والله، لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل في دارنا ونزوله بالوحي على جدّي. يا أخا أهل الكوفة، من عندنا مستقى العلم، أفَعَلِموا وجهلنا؟! هذا ممّا لا يكون**»[٤].

وحديث بجير من أهل الثعلبية، قال مرّ الحسين بنا وأنا غلام فقال له أخي: يابن بنت رسول الله أراك في قلّة من النّاس، فأشار بالسّوط إلى حقيبة لرجل وقال: «**هذه مملوءة كتباً**»[٥].

---

(١) سورة الاسراء / ٧١.

(٢) سورة الشورى / ٧.

(٣) أمالي الصدوق / ٩٣: الثعلبية (بفتح أوله) سمي باسم رجل اسمه ثعلبة من بني أسد نزل الموضع واستنبط عيناً، وهي بعد الشقوق للذاهب من الكوفة إلى مكة، معجم البلدان.
وفي وفاء الوفاء للسمهودي ٢ / ٣٥: حمّى فيه ماء يقال له الثعلبية. وفي البلدان لليعقوبي / ٣١١ ملحق بالاعلاق النفسيّة لابن رسته، بالافست: الثعلبية مدينة عليها سور.

(٤) بصائر الدرجات للصفار / ٣، وأُصول الكافي باب مستقى العلم من بيت آل محمّد.

(٥) سِيَر أعلام النبلاء للذهبي ٣ / ٢٠٥.

الشقوق

وفي الشقوق[١] رأى الحسين رجلاً[٢] مقبلاً من الكوفة فسأله عن أهل العراق فأخبره أنّهم مجتمعون عليه فقال عليه السلام: «**إنّ الأمر لله، يفعل ما يشاء، وربّنا تبارك هو كلّ يوم في شأن**»، ثمّ أنشد.

فإنْ تكن الدنيا تُعَدُّ نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وانبل

وإنْ تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

وإنْ تكن الأرزاق قَسْماً مقدّراً ... فقلّة حرص المرء في الكسب أجمل

وإنْ تكن الأبدان للموت أُنشئت ... فقتل امرىء بالسيف في الله أفضل

عليكم سلام الله يا آل أحمد ... فإنّي أراني عنكُمُ سوف أرحل[٣]

زبالة

وفي زبالة أُخبر بقتل عبد الله بن يقطر الذي أرسله الحسين من الطريق إلى مسلم بن عقيل، فقبض عليه الحصين بن نمير في القادسيّة وسرّحه إلى عبيد الله

---

(١) ابن شهر آشوب ٢ / ٢١٣: الشقوق (بالضم): منزل بعد زبالة للذاهب من الكوفة إلى مكة، هو لبني أسد فيه قبر العبادي (معجم البلدان).

(٢) سمّاه الخوارزمي في المقتل ١ / ٢٣٣: الفرزدق. وهو اشتباه.

(٣) لم يذكر الخوارزمي في المقتل ١ / ٢٢٣ البيت الخامس، وجعلها من إنشائه عليه السلام.

بن زياد، فأمره أنْ يصعد المنبر ويلعن الكذّاب ابن الكذّاب، ولمّا أشرف على النّاس قال: أيّها النّاس أنا رسول الحسين بن فاطمة؛ لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة، فأمر به عبيد الله فأُلقي من فوق القصر، فتكسّرت عظامه وبقي به رَمَق، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه، فلمّا عيب عليه قال: إنّما أردت أنْ أُريحه، وقيل الذي ذبحه رجل طوال يشبه عبد الملك بن عمير..

فأعلم بذلك النّاس وأذِنَ لهم بالانصراف، فتفرّقوا عنه يميناً وشمالاً، وبقي في أصحابه الذين جاؤا معه من مكّة وإنّما تبعه خلق كثير من الأعراب؛ لظنّهم أنّه يأتي بلداً أطاعه أهله، فكره عليه السلام أن يسيروا معه إلاّ على عِلمٍ بما يقدمون عليه، وقد عَلِم أنّه إذا أذِنَ لهم بالانصراف لَم يصحبه إلاّ مَن يريد مواساته على الموت[1].

بطن العقبة

وسار من زبالة حتّى نزل بطن العقبة وفيها قال لأصحابه: «**ما أراني إلاّ مقتولاً، فإنّي رأيت في المنام كلاباً تنهشني، وأشدّها عليَّ كلب أبقع**»[2].

---

(١) الطبري ٦ / ٢٢٦: (وهي بضمّ الزاي المعجمة) وتقع قبل الشقوق للذاهب من الكوفة إلى مكة فيها حصن وجامع لبني أسد، سمّي الموضع باسم زبالة بنت مسعر امرأة من العمالقة، ويوم زبالة من أيام العرب، ونسب إلى المكان جماعة من المحدّثين (معجم البلدان).

(٢) كامل الزيارات / ٧٥.

وأشار عليه عمرو بن لوذان من بني عكرمة بالرجوع إلى المدينة؛ لِما عليه أهل الكوفة من الغدر والخيانة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**ليس يخفى عليَّ الرأي، وإنَّ الله لا يغلب على أمره**»(١).

ثم قال عليه السلام: «**إنّهم لَن يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جَوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم مَن يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ فِرَق الأُمم**»(٢).

شراف

وسار من بطن العقبة حتّى نزل شراف(٣)، وعند السّحر أمر فتيانه أنْ يستقوا من الماء ويكثروا، وفي نصف النّهار سمع رجلاً من أصحابه يكبّر فقال الحسين: «**لِمَ كبَّرت؟**» قال: رأيت النّخل فأنكر مَن معه أنْ يكون بهذا الموضع نخل، وإنّما هو أسنّة الرماح وآذان الخيل، فقال الحسين: «وأنا أراه ذلك»، ثمّ سألهم عن ملجأ يلجأون إليه، فقالوا: هذا (ذو حسَم(٤) عن يسارك فهو كما تريد، فسبق

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٢٦.

(٢) إرشاد المفيد، ونفس المهموم للمحدّث القمي / ٩٨ وما بعدها الطبعة الأُولى، ايران.

(٣) في معجم البلدان: (بفتح أوله وآخره فاء وثانيه مخفف) سمّي باسم رجل يقال له شراف، استخرج عيناً، ثمّ حدثت آبار كبار كثيرة ماؤها عَذِب، ومن شراف إلى واقصة ميلان، وفي تأريخ الطبري ٤ / ٨٧: لمّا كان سعد بن أبي وقاص بشراف، قدم عليه الأشعث بن قيس بألف وسبعمئة من أهل اليمن، فترك الجموع بشراف ونهض إلى العراق.

(٤) حسم (بضم الحاء المهملة وفتح السين بعدها ميم): جبل كان النعمان بن المنذر يصطاد به، وفيه للنابغة أبيات.

إليه الحسين وضرب أبنيته.

وطلع عليهم الحرّ الرياحي[١] مع ألف فارس بعثه ابن زياد؛ ليحبس الحسين عن الرجوع إلى المدينة أينما يجده أو يقدم به الكوفة، فوقف الحرّ وأصحابه مقابل الحسين في حَر الظهيرة[٢].

فلمّا رأى سيّد الشهداء ما بالقوم من العطش أمر أصحابه أنْ يسقوهم ويرشفوا الخيل، فسقوهم وخيولهم عن آخرهم، ثمّ أخذوا يملأون القصاع والطساس ويدنونها من الفرس فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت، وسقي آخر حتّى سقوا الخيل كلّها[٣].

وكان علي بن الطعّان المحاربي مع الحرّ فجاء آخرهم وقد أضرَّ به العطش فقال الحسين: «**أنخ الراوية**» - وهي الجمل بلغة الحجاز - فلمْ يفهم مراده فقال له: «أنخ الجمل» ولمّا أراد أنْ يشرب جعل الماء يسيل من السّقاء، فقال له ريحانة الرسول: «أخنث السّقاء»، فلم يدرِ ما يصنع لشدّة العطش، فقام عليه السلام بنفسه وعطف السّقاء حتّى ارتوى وسقى فرسه.

---

(١) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم / ٢١٥: الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب الردف بن هرمي بن رياح يربوع، وقيل لعتاب الردف؛ لأنّ الملوك تردفه، وفي صفحة ٢١٣ قال، يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(٢) مقتل الخوارزمي ١ / ٢٣٠ الفصل الحادي عشر.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٢٦، والطساس: جمع طس، طبقات النحويين للنبيذي / ٥٠، قال: وأمّا طست فجمعه طسات.

وهذا لطف وحنان من أبي الضيم على هؤلاء الجمع في تلك البيداء المقفرة التي تعزّ فيها الجرعة الواحدة وهو عالم بحراجة الموقف ونفاد الماء، وإنّ غداً دونه تسيل النّفوس، ولكنّ العنصر النبوي والكرم العلويّ لَمْ يتركا صاحبهما إلاّ أنْ يحوز الفضل.

أحشاشةَ الزهراء بل يا مهجةَ ... الكّرار يا روحَ النبى الهادي

عجباً لهذا الخلق هلا أقبلوا ... كل إليك بروحه لك فادي

لكنّهم ما وازنوك نفاسة ... أنّى يُقاسُ الذر بالاطواد

عجباً لحلم الله جل جلاله ... هتكوا حجابك وَهْوَ بالمرصاد

عجباً لآل الله صاروا مغنماً ... لبنى يزيد هدية وزياد[٣٥]

ثمّ إنّ الحسين استقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**إنّها معذرةً إلى الله عزّ وجلّ وإليكم، وإنّي لَم آتكم حتّى أتتني كتبكم وقَدِمَت بها عليَّ رُسُلكم أنْ اقْدِم علينا فإنّه ليس لنا إمام ولعلّ الله أنْ يجمَعنا بك على الهدى، فإنْ كنتم على ذلك فقد جئتكم، فاعطوني ما أطمئنّ به من عهودكم ومواثيقكم، وإنْ كنتم لَمقدمي كارهين، انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم**». فسكتوا جميعاً.

وأذَّنَ الحَجّاج بن مسروق الجعفي لصلاة الظهر، فقال الحسين للحرّ: «**أتصلّي بأصحابك؟**»، قال: لا، بل نصلّي جميعاً بصلاتك، فصلّى بهم الحسين.

وبعد أنْ فرغ من الصلاة أقبل عليهم فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النّبي محمّد وقال: «**أيّها النّاس إنّكم إنْ تتّقوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم**

والسائرين بالجور والعدوان، وإنْ أبَيتم إلاّ الكراهيّة لنا والجهل بحقّنا وكان رأيكم الآن على غير ما أتتني به كتبكم، انصرفتُ عنكم».

فقال الحرّ: ما أدري ما هذه الكتب التي تذكرها، فأمر الحسين عقبة بن سمعان فأخرج خرجَين مملوأين كتباً.

قال الحرّ: إنّي لستُ من هؤلاء، وإنّي أُمرت أنْ لا أُفارقك إذا لقيتك حتّى أقدمك الكوفة على ابن زياد.

فقال الحسين: «**الموت أدنى إليك من ذلك**»، وأمر أصحابه بالركوب، و ركبت النّساء، فحال بينهم وبين الانصراف إلى المدينة فقال الحسين للحرّ: «**ثكلتك أُمّك ما تريد منا؟**».

قال الحرّ: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل هذا الحال، ما تركتُ ذكر أُمّه بالثكل كائناً من كان، والله ما لي إلى ذكر أُمّك من سبيل إلاّ بأحسن ما نقدر عليه.

ولكن خذ طريقاً نصفاً بيننا لا يدخلك الكوفة ولا يردّك إلى المدينة حتّى أكتب إلى ابن زياد؛ فلعلّ الله أنْ يرزقني العافية، ولا يبتليني بشيء من أمرك. ثمّ قال للحسين: إنّي أُذكرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لَتقتلَنَّ، فقال الحسين: «**أفبالموت تخوفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أنْ تقتلوني، وسأقول ما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله**»[1]:

---

(١) تقدّم استشهاده عليه السلام وتكرّر منه الاستشهاد بها.

سأمضي. وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وخالف مجرما

فان عشت لم اندم وان متُّ لم أُلَمْ كفى بك ذُلاً ان تعيش وتُرْغما

فلمّا سمع الحرّ هذا منه، تنحى عنه فكان الحسين يسير بأصحابه في ناحية والحرّ ومَن معه في ناحية[1].

البيضة

وفي البيضة[2] خطب أصحابَ الحر فقال بعد الحمد لله والثناء عليه: «**أيّها النّاس إنّ رسول الله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قَول، كان حقّاً على الله أنْ يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفَيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ ممَّن غير، وقد أتتني كتبكم وقدمتْ**

---

(١) ارشاد المفيد، وزاد ابن شهر آشوب في المناقب ٢ / ١٩٣ بعد البيت الثاني:

اقدم نفسي لا اريد بقاءها لتلقى خميساً في الهياج عرمرما

تقدّم تمثله عليه السلام بالبيت الأول والثاني وما جرى بين الحر والحسين في الطريق (مقتل الخوارزمي ١ / ٢٣٠ وما بعدها).

(٢) البيضة ما بين واقصة إلى عذيب الهجانات وهي أرض واسعة لبني يربوع بن حنظلة.

عليَّ رُسُلكم ببيعتكم أنّكم لا تسلّموني ولا تخذلوني فإنْ أتممتم عليَّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم ولكم فيَّ أُسوة، وإنْ لَمْ تفعلوا ونَقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلَعَمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم، فالمغرور من اغترّ بكم فحظّكم أخطأتم ونصيبكم ضيّعتم ومَن نكث فإنّما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

الرُهَيمة

وفي الرهيمة[2] لقيه رجل من أهالي الكوفة يقال له أبو هرم فقال: يابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم جدك؟ فقال: **«يا أبا هرم إنّ بني أُميّة شتموا عرضي فصبرت، وأخذوا مالي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيمَ الله ليقتلوني فيلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً ويسلّط عليهم من يذلّهم[3] حتّى يكونوا أذلّ من قوم سبأ، إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم»**[4].

---

(١) الطبري ٦ / ٢٢٩، وكامل ابن الأثير ٤ / ٢١.

(٢) في معجم البلدان: الرهيمة (بالتصغير): عين تبعد عن خفية ثلاثة أميال، وتبعد خفية عن الرحبة مغرباً بضعة عشر ميلاً. وفي وفاء الوفاء لمسهودي ٢ / ٢٣٦: من حمي فيدماء يقال له الرحيمة بالحاء المهملة.

(٣) أمالي الصدوق / ٩٣ المجلس الثلاثون.

(٤) في مقتل الخوارزمي ١ / ٢٢٦، ومثير الأحزان لابن نما، وفيه رواية الحديث بتمامه.

القادسيّة

وفي القادسيّة[١] قبض الحصين بن نمير التميمي على قيس بن مسهّر الصيداوي رسول الحسين إلى أهل الكوفة، وكان ابن زياد أمره أن ينظم الخيل ما بين القادسيّة إلى خفان ومنها إلى القطقطانة[٢]، ولمّا أراد أنْ يفتّشه أخرج قيس الكتاب وخرّقه وجيء به إلى ابن زياد، فقال له: لماذا خرّقت الكتاب؟ قال: لئلاّ تطّلع عليه، فأصرّ ابن زياد على أنْ يُخبره بما فيه، فأبى قيس، فقال: إذاً اصعد المنبر وسبّ الحسين وأباه وأخاه وإلاّ قطّعتك إرباً، فصعد قيس المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النّبي وآله وأكثر من الترحّم على أمير المؤمنين والحسن والحسين، ولعن عبيدَ الله بن زياد وأباه وبني أُميّة، ثم قال: أيّها النّاس أنا رسول الحسين إليكم، وقد خلّفته في موضع كذا، فأجيبوه. فأمر ابن زياد أنْ يُرمى من أعلى القصر، فرمي وتكسّرت عظامه ومات، ويقال كان به رمق فذبحه عبد

---

(١) في معجم البلدان ٣ / ٤٥١: خفان: موضع قرب الكوفة فيه عين عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي. وفيه ٧ / ١٢٥: القطقطانة تبعد عن الرهيمة إلى الكوفة نيفا وعشرين ميلا.

(٢) الارشاد، و روضة الواعظين، والبداية لابن كثير ٨ / ١١٨، وإعلام الورى / ١٣٦ الطبع الأُولى، ايران.

وفي ميزان الاعتدال للذهبي ١ / ١٥١: ولي عبد الملك بن عمير اللخمي قضاء الكوفة بعد الشعبي، وساء حفظه وكان يغلط، وفي تهذيب الأسماء للنووي ١ / ٣٠٩: توفي سنة ١٣٦ وعمره مئة وثلاث سنين.

الملك بن عمَير اللخمي، فعيب عليه قال: أردت أن أُريحه[١].

العذيب

وفي عذيب الهجانات[٢] وافاه أربعة نفر خارجين من الكوفة على رواحلهم ويجنبون فرساً لنافع بن هلال يقال له (الكامل) وهم؛ عمرو بن خالد الصيداوي، وسعد مولاه، ومجمع بن عبد الله المذحجي، ونافع بن هلال، ودليلهم الطرمّاح بن عدي الطائي يقول:

يا ناقتي لا تذعري من زجري ... وشمّري قبل طلوع الفجر

بخير ركبان وخير سفر ... حتّى تحلي بكريم النجر

الماجد الحر رحيب الصدر ... أتى به الله لخير أمر

ثمت أبقاه بقاء الدهر[٣]

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد وروضة الواعظين للفتال.

(٢) العذيب: واد لبني تميم، وهو حد السواد، وفيه مسلحة للفرس بينه وبين القادسية ست أميال، وقيل له عذيب الهجانات؛ لأنّ خيل النعمان ملك الحيرة ترعى فيه.

(٣) في مقتل الخوارزمي ١ / ٢٣: قال الحسين عليه السلام لأصحابه: «هل فيكم مَن يعرف الطريق على غير الجادة؟» فقال الطرمّاح بن عدي الطائي: أنا يابن رسول الله، فقال له: «سِر أمامنا»، فسار أمام الظعن يرتجز بالأبيات.

وعند ابن نما صفحة ٢٤: إنّ الحر سار أمام الحسين يرتجز بها، وفي كامل الزيارات لابن قولويه / ٩٥: عن الرضا عليه السلام: «بينا الحسين يسير في جوف الليل سمع رجلاً يرتجز بها»، ←

فلمّا انتهوا إلى الحسين عليه السلام أنشدوه الأبيات، فقال عليه السلام: «**أما والله، إنّي لأرجوا أنْ يكون خيراً ما أراد الله بنا قُتِلْنا أم ظفرنا**».

وسألهم الحسين عن رأي النّاس، فأخبروه بأنّ الأشراف عظمت رشوتهم وقلوب سائر النّاس معك والسّيوف عليك، ثمّ أخبروه عن قتل قيس بن مسهّر الصيداوي، فقال عليه السلام: ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [1]. **اللهم اجعل لنا ولهم الجنّة، واجمع بيننا وبينهم في مستقرّ من رحمتك ورغائب مذخور ثوابك**».

وقال له الطرمّاح: رأيتُ النّاس قبل خروجي من الكوفة مجتمعين في ظهر الكوفة فسألتُ عنهم، قيل: إنّهم يعرضون ثم يسرّحون إلى الحسين، فانشدك الله أنْ لا تقدم عليهم، فإنّي لا أرى معك أحداً، ولَو لَم يقاتلك إلاّ هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكفى، ولكن سِر معنا لتنزل جبلنا الذي يُدعى (أجا) فقد امتنعنا به من ملوك غسّان وحمير، ومن النعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتّى تأتيك طيء رجالاً وركباناً وأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم إلى أنْ يستبين لك ما أنت صانع.

↩

وفي نفس المهموم / ١٥٣: عن بعض المقاتل أنّ الطرمّاح لمّا وقع نظره على الحسين أنشأها.

(١) سورة الأحزاب / ٢٣.

فجزاه الحسين وقومه خيراً وقال: «إنَّ بيننا وبين القوم عهداً وميثاقاً ولسنا نقدر على الانصراف حتّى تتصرّف بنا وبهم الأُمور في عاقبة».

فاستأذنه الطرمّاح وحده بأن يوصل الميرة إلى أهله، ويعجّل المجيء لنصرته. فأذِن له وصحِبه الباقون.

فأوصل الطرمّاح الميرة إلى أهله ورجع مسرعاً، فلمّا بلغ عذيب الهجانات، بلغه خبر قتل الحسين عليه السلام فرجع إلى أهله[1].

قصر بني مقاتل

وسار من عذيب الهجانات حتّى نزل قصر بني مقاتل[2]، فرأى فسطاطاً مضروباً ورمحاً مركوزاً وفرساً واقفاً، فسأل عنه، فقيل: هو لعبيد الله بن الحرّ الجعفي[3]. فبعث إليه الحَجّاج بن مسروق الجعفي، فسأله ابن الحرّ عمّا وراءه

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٣٠.

(٢) ينسب القصر إلى مقاتل بن حسّان بن ثعلبة، وساق نسبه الحموي في المعجم إلى امرىء القيس بن زيد بن مناة بن تميم، يقع بين عين التمر والقطقطانة والقريات. خربه عيسى بن علي بن عبد الله بن العبّاس ثم جدّده.

(٣) في تاريخ الطبري ج ٧ ص ١٦٨ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٨٥ كان عثماني العقيدة ولأجله خرج إلى معاوية وحارب علياً يوم صفين وفي ص ١٦٩ من تاريخ الطبري ج ٧ طبعة أولى ذكر أحاديث في تمرده على الشريعة بنهبه الأموال وقطعه الطرق وذكر ابن الأثير ج ٤ ص ١١٢ انه لما أبطأ على زوجته في إقامته بالشام زوجها اخوها من ←

عكرمة بن الخبيص ولما بلغه الخبر جاء وخاصم عكرمة الى علي بن أبي طالب فقال له ظاهرت علينا عدونا قال ابن الحر: ايمنعني عدلك من ذلك فقال عليه السلام: لا ثم أخذ أمير المؤمنين المرأة وكانت حبلى فوضعها عند ثقة حتى وضعت فألحق الولد بعكرمة ودفع المرأة الى عبيد الله فعاد الى الشام الى ان قتل علي عليه السلام، والى هذه القصة أشار محمد بن الحسن في المبسوط ج ١٠ ص ١٣٦ باب الخوارج ولم يذكر اسم عبيد الله بن الحر وفي أيام عبد الملك سنة ٦٨ قتل عبيد الله بالقرب من الأنبار وفي أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٩٧ قاتله عبيد الله بن العباس السلمي من قبل القباع ولما اثخن بالجراح ركب سفينة ليعبر الفرات وأراد أصحاب عبيد الله أن يقبضوا السفينة فاتلف نفسه في الماء خوفاً منهم وجراحاته تشخب دماً وفي رسالة المغتالين لابن حبيب ص ٢٦٨ من المجموعة السابعة من نوادر المخطوطات تحقيق هارون عبد السلام ان عبد الملك أرسل عبيد الله بن الحر الجعفي لمحاربة مصعب في جيش كثيف ثم تخلف عنه الجيش حتى قتل من معه وعرض له عبيد الله بن العباس السلمي فقاتله ففر منه ابن الحر وركب معبرة الفرات فصاح عبيد الله السلمي بالملاح لئن عبرت به لاقتلنك فكربه راجعاً فعانقه ابن الحر فغرقا جميعاً فاستخرجوا ابن الحر ونصبوه غرضاً ورموه وهم يقولون امغازلا تجدها حتى قتلوه ويذكر ابن حبيب في (المحبر) ص ٤٩٢ أن مصعب بن الزبير نصب رأس عبيد الله بن الحر الجعفي بالكوفة وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٥٨٣ أن أولاد عبيد الله بن الحر وهم: صدقة وبرة والأشعر شهدوا واقعة الجماجم مع ابن الأشعث. وفي الأخبار الطوال ص ٢٨٩ لما تجرد المختار للاخذ بثأر الحسين كان عبيد الله بن الحر الجعفي في الجبل يغير على اموال الناس فأرسل اليه المختار للمشاركة معه في الطلب بدم الحسين فلم يجبه فهدم المختار داره ونهب جميع ما فيها واخذ امرأته فسجنها بالكوفة اهـ ولو كان صحيح الندم على تأخره عن نصرة المظلوم لناصر المختار على قتلة الحسين وكيف يتوفق للتوبة وقد امتنع عن اجابة سيد الشهداء وقد مشى اليه بنفسه والنور

قال: هديّة إليك وكرامة إنْ قبِلتها، هذا الحسين يدعوك إلى نصرته فإنْ قاتلتَ بين يدَيه أُجِرت، وإنْ قُتلت استشهدت فقال ابن الحرّ: والله، ما خرجتُ من الكوفة؛ إلاّ لكثرة ما رأيته خارجاً لمحاربته وخذلان شيعته، فعلمتُ أنّه مقتول ولا أقدر على نصره، ولست أحب أن يراني وأراه[١].

فأعاد الحَجّاج كلامه على الحسين، فقام صلوات الله عليه ومشى إليه في جماعة من أهل بيته وصحبه، فدخل عليه الفسطاط، فوسّع له عن صدر المجلس، يقول ابن الحرّ: ما رأيت أحداً قط أحسن من الحسين ولا أملأ للعين منه، ولا رققت على أحد قط رقّتي عليه حين رأيته يمشي ـ والصبيان حوله، ونظرت إلى لحيته فرأيتها كأنّها جناح غراب، فقلت له أسواد أم خضاب؟ قال: «**يابن الحرّ عجّل عليَّ الشيب**». فعرفتُ أنّه خضاب[٢]. ولمّا استقرّ المجلس بأبي عبد الله، حمد الله وأثنى عليه وقال: «**يابن الحرّ إنّ أهل مصرـكم كتبوا إليّ أنّهم مجتمعون على نصرتي، وسألوني القدوم عليهم، وليس الأمر على ما زعموا**[٣]**، وإنّ عليك ذنوباً كثيرة، فهل لك من توبة تمحو بها ذنوبك؟**» قال: وما هي يابن رسول الله؟ فقال: «**تنصر ابن بنت نبيّك وتقاتل معه**»[٤]. فقال ابن الحرّ: والله، إنّي لأعلم إنّ من

الالهي يعلوه وصبيانه اقمار الدجى من حوله.

(١) الاخبار الطوال / ٢٤٦.

(٢) خزانة الأدب للبغدادي ١ / ٢٩٨، طبعة بولاق وأنساب الاشراف ٥ / ٢٩١.

(٣) نفس المهموم / ١٠٤.

(٤) أسرار الشهادة / ٢٣٣.

شايعك كان السّعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك، ولَم اخلف لك بالكوفة ناصراً، فانشدك الله أنْ تحمّلني على هذه الخطة، فإنّ نفسي لا تسمح بالموت، ولكن فَرَسي هذه (الملحقة) والله، ما طلبتُ عليها شيئاً قط إلاّ لحقته، ولا طلبني أحد وأنا عليها إلاّ سبقته، فخُذها فهي لك.

قال الحسين: «**أمّا إذا رغبت بنفسك عنّا، فلا حاجة لنا في فَرَسك**[1] **ولا فيك، وما كنتُ متّخذ المضلّين عضداً**[2]، **وإنّي أنصحك كما نصحتني، إن استطعت أنْ لا تسمع صراخنا، ولا تشهد وقعتنا فافعل. فوالله، لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلاّ أكبّه الله في نار جهنّم**»[3].

وندِم ابن الحرّ على ما فاته من نصرة الحسين عليه السلام، فأنشأ:

أيا لك حسرة ما دمت حيّاً ... تردَّد بين صدري والتراقي

غداةَ يقول لي بالقصر قولا ... أتتركنا وتعزم بالفراق

حسين حين يطلب بذل نصري ... على أهل العداوة والشقاق

---

(١) الأخبار الطوال / ٢٤٩.

(٢) أمالي الصدوق / ٩٤ المجلس الثلاثون.

(٣) خزانة الأدب ١ / ٢٩٨.

وفي مسير الحسين بنفسه المقدّسة إلى ابن الحر تعرف الغاية الملحوظة لأبي الضيم، فإنّه عليه السلام بصدد إعلام الناس بما يجب عليهم من النّهوض لسدّ باب المنكر، وإلقاء الحجّة عليهم؛ كيلا يقول أحد: أنه لم يدعُني إلى نصرته.

فلو فلق التَّلهُّف قلب حرٍّ لهمَّ اليوم قلبي بانفلاق

ولو واسيته يوماً بنفسي لنلت كرامةً يوم التَّلاق

مع ابن محمّد تفديه نفسي فودع ثم أسرع بانطلاق

لقد فاز الأولى نصروا حسيناً وخاب الآخرون ذووا النفاق [1]

وفي هذا الموضع اجتمع به عمرو بن قيس المشرقي وابن عمّه فقال لهما الحسين: «**جئتما لنصرتي؟**» قالا له: إنّا كثيروا العيال، وفي أيدينا بضائع للناس ولَم ندرِ ماذا يكون، ونكره أنْ نضيع الأمانة.

فقال لهما عليه السلام: «**انطلقا، فلا تسمعا لي واعية ولا تريا لي سواداً؛ فإنّه من سَمِع واعيتنا أو رأى سوادنا فلَم يجبنا أو يغثنا، كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أنْ يكبّه على منخريه في النّار**»[2].

قرى الطف

ولما كان آخر الليل، أمر فتيانه بالاستقاء والرحيل من قصر بني مقاتل وبينا

---

(١) مقتل الخوارزمي ١ / ٢٢٨، وذكر الدينوري في الأخبار الطوال / ٢٥٨ أربعة منها، وفي رواية للثالث:

فما أنسى غداة يقول حزنا اتتركنا وتزمع لانطلاق

(٢) عقاب الأعمال للصدوق / ٣٥، ورجال الكشي / ٧٤.

يسيرون إذ سُمِعَ الحسين يقول:

«**إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين**» وكرّره. فسأله علي الأكبر عن استرجاعه، فقال:

«**إنّي خفقتُ برأسي، فعنَّ لي فارس وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمتُ أنّها أنفسنا نُعيت إلينا**». فقال علي الأكبر: لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحق؟ قال:

«**بلى والذي إليه مرجع العباد**»، فقال: يا أبت، إذن لا نبالي أنْ نموت محقين. فقال عليه السلام: «**جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده**»[1].

ولم يزل الحسين يتياسر إلى أن انتهى إلى نينوى[2] وإذا راكب على نجيب وعليه السّلاح فانتظروه، وإذا هو رسول ابن زياد إلى الحرّ، معه كتاب يقول فيه:

---

(١) الطبري ٦ / ٢٣١.

وفي مقتل العوالم / ٤٨: إنّ الحسين نام القيلولة بالعذيب فرأى في منامه قائلاً يقول: تسرعون السير والمنايا تسرع بكم إلى الجنة.

وفي مقتل الخوارزمي ١ / ٢٢٦: نزل الحسين الثعلبية، ونام وقت الظهيرة، فانتبه باكياً فسأله ابنه علي الأكبر عن بكائه فقال: «**يا بني إنّها ساعة لا تكذب فيها الرؤيا، وإنّي خفقت برأسي...**».

(٢) في مجلّة المقتبس ج١٠ من المجلد ٧ سنة ١٣٣٠هـ: كانت من قرى الطف الزاهرة بالعلوم، وصادف عمرانها زمن الإمام الصادق عليه السلام، وفي أوائل القرن الثالث لَم يبق لها خبر.

جَعجِع[١] بالحسين حين تقرأ كتابي، ولا تنزله إلا بالعراء على غير ماء وغير حصن.

فقرأ الحرّ الكتاب على الحسين فقال له: «**دعنا ننزل نينوى أو الغاضريات أو شفية**». فقال الحرّ: لا أستطيع فإنّ الرجل عين عليّ[٢].

قال زهير بن القين: يابن رسول الله إنّ قتال هؤلاء أهون علينا من قتال مَن يأتينا من بعدهم، فلَعمري ليأتينا ما لا قِبَل لنا به، فقال الحسين: «**ما كنتُ أبدأهم بقتال**». ثمّ قال زهير: ههنا قرية بالقرب منّا على شطّ الفرات وهي في عاقول حصينة، والفرات يحدق بها إلاّ من وجه واحد قال الحسين: «**ما اسمها؟**» فقال: تسمى (العقر)[٣] فقال عليه السلام: «**نعوذ بالله من العقر**».

---

(١) في مقاييس اللغة لابن فارس ١ / ٤١٦: كتب ابن زياد إلى ابن سعد: أن جَعجِع بالحسين عليه السلام. أراد به الجئه إلى مكان خشن. وقال بعضهم: الجعجعة في هذا الموضع الازعاج. وذكر الأزهري في تهذيب اللغة ١ / ٦٨: مادة (جع) هذا الكتاب وقال: معناه ضيّق عليه. وقال الأصمعي: الجعجعة: الحبس. وأراد ابن زياد بقوله: جَعجِع به أي: احبسه. ومنه قول أوس بن حجر (إذا جعجعوا بين الاناخة الحبس)، وفي هامش ديوانه صدر البيت (كأنّ جلود النمر جيبت عليهم).

(٢) ارشاد المفيد.

(٣) الغاضرية: قرية منسوبة إلى غاضرة من بني أسد. وقيل: تقع في شمالي قبر عون. وفي مناهل الضرب للسيّد جعفر الأعرجي الكاظمي مخطوط في مكتبة الحجّة الشيخ آغا بزرگ الطهراني: هو عون بن عبد الله بن جعفر بن مرعي بن علي بن الحسن البنفسج بن ادريس بن داود بن أحمد المسود بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن المحض بن

والتفت الحسين إلى الحرّ وقال: سِر بنا قليلاً فساروا جميعاً حتّى إذا وصلوا أرض كربلاء وقف الحرّ وأصحابه أمام الحسين عليه السلام ومنعوه عن المسير وقالوا: إنّ هذا المكان قريب من الفرات.

ويقال: بيناهم يسيرون إذ وقف جواد الحسين ولم يتحرّك، كما أوقف الله ناقة النّبي صلى الله عليه وآله عند الحديبيّة[1] فعندها سأل الحسين عن الأرض. قال له زهير: سِر راشداً ولا تسأل عن شيء حتّى يأذن الله بالفرَج، إنّ هذه الأرض تسمّى الطف.

الحسن المثنى بن الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام، سكن الحائر المقدس وله ضيعة على فرسخ من كربلاء، أدركه الموت بها فدفن فيها، وعليه قبة ويقصد بالزيارة والنذور. واشتبه على النّاس أنّه عون بن علي بن أبي طالب، أو عون بن عبد الله بن جعفر الطيّار، فإنّ الأخير دفن في حومة الشهداء بالحائر.

وهناك آثار قلعة تعرف بقلعة بني أسد. وأمّا شفية: فهي بئر لبني أسد. والعقر: كانت به منازل بخت نصر. ويوم العقر: قتل به يزيد بن المهلّب سنة ١٠٢هـ، وهذه قرى متقاربة. وقال البكري في المعجم ممّا استعجم ٣ / ٩٥: كانوا يقولون ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر، يعنون قتل الحسين بكربلاء وقتل يزيد بن المهلب بالعقر. وفي تاريخ الموصل لابن إياس المتوفّى سنة ٣٣٤ ص١٦ قال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي: فتك والله بالكرم يوم فتك بآل المهلّب. وفي ص١٦: أنّ الفرزدق رثى يزيد ابن المهلّب بأبيات منها:

ولا حملت أُنثى ولا وضعت بعد الاغر اصيب بالعقر

(١) منتخب الطريحي / ٣٠٨، المطبعة الحيدرية، سنة ١٣٦٩.

فقال عليه السلام: «فهل لها اسم غيره؟» قال: تُعرف كربلاء. فدمعت عيناه[١] وقال: «اللهمّ، أعوذ بك من الكرب والبلاء[٢]، ههنا محطّ ركابنا وسفك دمائنا ومحلّ قبورنا، بهذا حدّثني جدّي رسول الله»[٣].

تالله لا أنسى وإن نسى الورى ... بالطفّ وقفة مهره المتسرِّع

أجَواده هل قيدتك يد الردى ... حتّى وقفت به وقوف تمنّع

قد كنت أسرع من وميض سحابة ... نزل البلا اسرعت ام لم تسرع

هلا تنكَّبت الطريق وَحِدتَ عن ... ذاك المضيق إلى الفضاء الأوسع

كيف اقتحمت به المهالك لا أبا ... لك كيف ذلك كيف لم تتمنَّع

أعظم بها من وقفة قامت بعر ... صتها قيامة أهل ذاك المجمع

اعظم بها من وقفة قد ضعضعت ... أركان عرش الله أيَّ تضعضع

هي وقفة ليزيدَ منها وقفة ... يوما يقال لأحمدَ: قم واشفع

هي وقفة قد أعقبتها وقعة ... قد جرَّعتنا غصَّة لم تجرع

---

(١) تحفة الأزهار لابن شدقم - مخطوط -، وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ٣ / ٢٠٩: سأل الحسين عن الأرض، فقيل: كربلاء. قال: «كرب وبلاء».

(٢) البحار ١٠ / ١٨٨.

(٣) اللهوف.

هـــى وقـــفة قـــعدت بـــآل محمـــد احـــزانها حتّـــى يقـــوم المـــدَّعى[١]

كربلاء

وكان نزوله في كربلاء في الثاني من المحرّم سنة إحدى وستّين[٢]، فجمع عليه السلام ولده وإخوته وأهل بيته ونظر إليهم وبكى وقال: «**اللهمّ، إنّا عترة نبيّك محمّد قد أُخرِجنا وطُرِدنا وأُزعِجنا عن حرم جدّنا، وتعدّت بنو أُميّة علينا، اللهمّ فخذ لنا بحقّنا وانصرنا على القوم الظالمين**».

وأقبل على أصحابه فقال:

«**النّاس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا مُحِّصوا بالبلاء، قلّ الديانون**»[٣].

---

(١) من قصيدة تبلغ ٩٣ بيتاً للشيخ محمّد بن شريف بن فلاح الكاظمي صاحب القصيدة الكرارية في مدح أمير المؤمنين وقد قرضها ثمانية عشر شاعراً من ادباء عصره والقصيدتان في مكتبة الحجة المحقق الأميني صاحب الغدير.

(٢) نصّ عليه الطبري في التاريخ ٦ / ٢٣٣، وابن الأثير في الكامل ٤ / ٢٠، والمفيد في الارشاد.

(٣) البحار ج ١٠ ص ١٩٨، والمقتل للخوارزمي ج ١ ص ٢٣٧ لا تذهب على القارئ النكتة في سؤال الحسين عليه السلام عن اسم الأرض وكل قضايا سيد الشهداء غامضة الاسرار والإمام عندنا معاشر الامامية عالم بما يجري في الكون من حوادث وملاحم عارف بما اودع الله تعالى في الكائنات من المزايا اقداراً له من مبدع السماوات والأرضين تعالى شأنه ←

ثمّ حمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمّد وآله وقال:

«أمّا بعد، فقد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت، وأدبر معروفها، ولَم يبقَ منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى

وقد ذكرنا في المقدمة ما يشهد له وكان السر في سؤاله عليه السلام عن اسم الأرض التي منعوا من اجتيازها أو ان الله تعالى أوقف الجواد كما أوقف ناقة النبي صلى الله عليه وآله عند (الحديبية) أن يعترف أصحابه بتلك الأرض التي هي محل التضحية الموعودين بها باخبار النبي أو الوصي صلّى الله عليهما لتطمئن القلوب وتمتاز الرجال، وتثبت العزائم، وتصدق المفاداة فتزداد بصيرتهم في الأمر والتأهب للغاية المتوخاة لهم حتى لا يبقى لأحد مجال للتشكيك في موضع كربلا التي هي محل تربته! ولا جزاف في هذا النحو من الأسئلة بعد أن صدر مثله من النبي صلى الله عليه وآله فقد سأل عن اسم الرجلين اللذين قاما لحلب الناقة وعن اسم الجبلين اللذين في طريقه الى (بدر) الم يكن النبي صلى الله عليه وآله عالماً بذلك؟ بلى، كان عالماً ولكن المصالح الخفية علينا دعته إلى السؤال وقد أشرنا اليها في كتاب (الشهيد مسلم) ص ٩٠ في عنوان (مسلم لا يتطير)، وهذا باب من الاسئلة يعرف عند علماء البلاغة (بتجاهل العارف) وإذا كان فاطر الأشياء الذي لا يغادر علمه صغيراً ولا كبيراً يقول لموسى عليه السلام: (وما تلك بيمينك يا موسى) ويقول لعيسى عليه السلام: (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين) لضرب من المصلحة وقال سبحانه للخليل عليه السلام أو لم تؤمن؟ مع انه عالم بايمانه فالامام المنصوب من قبله أميناً على شرعه لا تخفى عليه المصالح.

كما ان سيد الشهداء عليه السلام لم يكن في تعوذه من الكرب والبلاء عندما سمع باسم كربلاء متطيراً، فان المتطير لا يعلم ما يرد عليه وإنما يستكشف ذلك من الاشياء المعروفة عند العرب انها سبب للشر، والحسين عليه السلام على يقين مما ينزل به في أرض الطف من قضاء الله، فهو عالم بالكرب الذي يحل به وباهل بيته وصحبه كما انبأ عنه غير مرة.

الوبيل، ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمَل به وإلى الباطل لا يُتَناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله. فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما»[1].

فقام زهير وقال: سمعنا يابن رسول الله مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلّدين لآثرنا النّهوض معك على الإقامة فيها.

وقال بريد: يابن رسول الله، لقد منّ الله بك علينا؛ أنْ نقاتل بين يدَيك، تُقَطَّع فيك أعضاؤنا، ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة[2].

وقال نافع بن هلال: أنت تعلم أنّ جدّك رسول الله لَم يقدر أنْ يشرب النّاس محبّته، ولا أنْ يرجعوا إلى أمره ما أحبّ، وقد كان منهم منافقون يعِدونه بالنصر ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل ويخلّفونه بأمَرّ من الحنظل حتّى قبضه الله إليه، وإنّ أباك علياً كان في مثل ذلك فقوم قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين حتّى أتاه أجله فمضى- إلى رحمة الله ورضوانه، وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمَن نكث عهده وخلع بيعته فلَن يضرّ- إلاّ

---

(١) هذا في اللهوف، وعند الطبري ج٦ ص٢٢٩: انه خطب به بذي حسم، وفي العقد الفريد ج٢ ص٣١٢ وحلية الأولياء ج٣ ص٣٩ وابن عساكر ج٤ ص٣٣٣ مثل اللهوف، وفي مجمع الزوائد ج١ ص١٩٢ وذخائر العقبى ص١٤٩ والعقد الفريد ج٢ ص٣١٢: يظهر منه انه خطب ذلك يوم عاشوراء وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ج٣ ص٢٠٩: لما نزل عمر بن سعد بالحسين خطب أصحابه.

(٢) اللهوف ص٤٤.

نفسه والله مغن عنه، فسِر بنا راشداً معافى مشرِّقاً إنْ شئت أو مغرِّباً، فوالله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربّنا وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا نوالي مَن والاك ونعادي من عاداك[1].

بأبي مَنْ شروا لقاء الحسين ... بفراق النفوس والأرواح

وقفوا يدرأون سمر العوالي ... عنه والنبل وقفة الأشباح

فوقوه بيض الظُّبى بالنحور الـ ... ـبيض والنبل بالوجوه الصِباح

فئة ان تعاور النقع ليلا ... أطلعوا في سماه شهب الرماح

وإذا غَّنت السّيوف وطافت ... أكؤُس الموت وانتشى كل صاح

باعدوا بين قربهم والمواضي ... وجسوم الأعداء والأرواح

أدركوا بالحسين أكبر عيد ... فغدوا في منى الطفوف أضاحى

لست أنسى من بعدهم طود عزٍّ ... وأعاديه مثل سيل البطاح

وهو يحمى دين النبى بعضب ... بسناه لظلمة الشرك ماحى

فتطير القلوب منه ارتياعاً ... كلما شدَّ راكباً ذا الجناح

ثُمَّ لما نال الظما منه والشمس ... ونزف الدِّما وثقل السلاح

---

(١) مقتل العوالم / ٧٦.

اوقــف الــطَّرف يســتريح قلــيلاً ... فــرماه الــقضا بــسهم مــتاح

فــهوى العــرش للثــرى وادلهمَّــت ... بــرماد المصــاب منهــا النــواحى

حَــرَّ قــلبى لــزينب إذ رأتــه ... تــرب الــجسم مثخنــاً بــالجراح

أخــرسَ الخطــبُ نطقَهــا فدعتــه ... بــدموع بــما تــجن فِــصاح

يــا مــنار الظــلال والليــل داج ... وظــلال الــرميض واليــوم ضــاحى

كــنتَ لِي يــوم كنــت كهفــاً منيعــاً ... ســجسج الــظل خــافق الأرواح

أتــرى الــقوم إذ عليــك مررنــا ... مــنعونا مــن الــبكا والــنياح

إن يــكن هــيناً عــليك هــواني ... واغــترابي مــع العِــدى وانتزاحــى

ومــسيري أســيرةً لــلأعادي ... وركــوبي عــلى النيــاق الطــلاح

فــبرغمى أنّــى أراك مــقيماً ... بــين ســمر القنــا وبــيض الصِــفاح

لــك جســم عــلى الرمــال ورأس ... رفــعوه عــلى رؤوس الرمــاح

بــأبي الــواردون حــوض المنايــا ... يــوم ذيــدوا عــن الفــرات المبــاح

بــأبي الــلابسون حــمر ثيــاب ... طــرزتهُنَّ ســافيات الريــاح[1]

ثمّ إنّه عليه السلام اشترى النّواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضريّة بستّين

---

(١) للعلامة الطاهر السيد رضا ابن آية الله السيد محمّد الهندي رحمه الله.

ألف درهم وتصدّق بها عليهم، واشترط عليهم أنْ يرشدوا إلى قبره ويضيفوا مَن زاره ثلاثة أيام، وكان حرم الحسين عليه السلام الذي اشتراه أربعة أميال في أربعة أميال، فهو حلال لولده ولمواليه وحرام على غيرهم ممن خالفهم وفيه البركة، وفي الحديث عن الصادق عليه السلام: «إنّهم لم يفوا بالشرط»(١).

ولمّا نزل الحسين عليه السلام كربلاء كتب إلى ابن الحنفية وجماعة من بني هاشم: «**أمّا بعد، فكأنّ الدنيا لَمْ تكن وكأنّ الآخرة لَمْ تزل، والسّلام**»(٢).

---

(١) كشكول الشيخ البهائي ٢ / ٩١، طبعة مصر: نقلاً عن كتاب الزيارات لمحمّد بن أحمد بن داود القمي، وحكاه عنه السيد ابن طاووس في مصباح الزائر. والعجب من صاحب مفتاح الكرامة في كتاب المتاجر / ٢٤٥: أنّه أنكر شراء الحسين أربعة أميال من جهات قبره الشريف، مدّعياً عدم وقوفه على ذلك في الأخبار وعلى كلمات العلماء. كما أنّ أمير المؤمنين اشترى من الدهاقين ما بين الخورنق إلى الحيرة وإلى الكوفة بأربعين ألف درهم وقال لِمَن اعترض عليه بأنّها أرض لا تنبت: «**إنّي سمعت رسول الله يقول: كوفان يرد أولها على آخرها، يحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب، واشتهيت أنْ يحشروا في ملكي**» فرحة الغري لابن طاووس / ٢٩، الباب الثاني، المطبعة الحيدرية في النجف.

(٢) كامل الزيارات / ٧٥ الباب الثالث والعشرون، وذكر أبو الفرج في الأغاني ٨ / ١٥١ طبعة ساسي: أنّ الحسن البصري كتب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك لمّا ولّي الخلافة، وفي مروج الذهب: أخبار عمر بن عبد العزيز أنّه كتب إلى أبي حازم المدني الأعرج: اوصني واوجز، فكتب إليه بذلك. وفي موضوعات على القاري أول حرف الكاف، قال السيوطي: لَمْ أقف عليه مرفوعاً وأخرجه أبو نعيم عن عمر بن عبد العزيز.

ابن زياد مع الحسين

وبعث الحرّ إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين في كربلاء فكتب ابن زياد إلى الحسين: أمّا بعد، يا حسين فقد بلغني نزولك كربلاء، وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يزيد أنْ لا أتوسّد الوثير، ولا أشبع من الخمير أو أُلحقك باللطيف الخبير، أو تنزل على حكمي وحكم يزيد، والسّلام.

ولمّا قرأ الحسين الكتاب رماه من يده وقال: «**لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق!**». وطالبه الرسول بالجواب، فقال: «**ما له عندي جواب؛ لأنّه حقّت عليه كلمة العذاب**».

وسامته يركب إحدى اثنتين ... وقد صرّت الحرب أَسنانها
فإما يُرى مذعناً او تموت ... نفس أبيّ العزُّ إذعانها
فقال لها اعتصمي بالابا ... فنفس الأبي وما زانها
إذا لم تجد غير لبس الهوان ... فبالموت تنزع جثمانها
يرى القتل صبراً شعار الكرام ... وفخراً يزين لها شأنها
فشمَّر للحرب عن معرك ... به عَركَ الموتُ فرسانها
وأضرمها لعنان السَّماء ... حمراء تلفح نيرانها
ركين وللأرض تحت الكماة ... رجيف يزلزل ثهلانها[1]

---

(١) للسيد حيدر الحلي رحمه الله.

وأخبر الرسول ابن زياد بما قاله أبو عبد الله عليه السلام فاشتدّ غضبه[١]، وأمر عمر بن سعد بالخروج إلى كربلاء، وكان معسكِراً (بحمام أعين) في أربعة آلاف ليسير بهم إلى دستبى؛ لأنّ الديلم قد غلبوا عليها[٢]، وكتب له ابن زياد عهداً بولاية الري وثغر دستبى والديلم[٣] فاستعفاه ابن سعد، ولمّا استردّ منه العهد استمهله ليلته، وجمع عمر بن سعد نصحاءه فنهوه عن المسير لحرب الحسين، وقال له ابن أُخته حمزة بن المغيرة بن شعبة:

أُنشدك الله أنْ لا تسير لحرب الحسين، فتقطع رحمك وتأثم بربّك، فوالله لئن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّه لو كان لك لكان خيراً لك من أنْ تلقى الله بدم الحسين[٤].

فقال ابن سعد: أفعل إنْ شاء الله. وبات ليلته مفكّراً في أمره وسُمع يقول:

---

(١) البحار ١٠ / ١٨٩، ومقتل العوالم / ٧٦.

(٢) في تجريد الاغاني ١ / ٢٧٧ القسم الأول، لابن واصل الحموي المتوفّى سنة ٦٩٧هـ في أول أخبار حنين قال: عرف هذا الحمام بأعين حاجب بشر بن مروان بن الحكم. وفي معجم البلدان ٣ / ٣٣٤: مادة حمام أعين بالكوفة منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص.

(٣) الطبري ٦ / ٢٣٢.

(٤) الأخبار الطوال / ٢٥١، وفي معجم البلدان ٤ / ٥٨: دستبى (بفتح أوّله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة المقصورة): كورة كبيرة بين همدان والري، فقسم يقال له دستبى الرازي وقسم دستبى همدان، وبسعي أبي مالك حنظلة بن خالد التميمي أُضيفت إلى قزوين.

أأتـرك ملـك الـري والـري رغبتـى أم أرجـــع مـــذموماً بقتـــل حســـين

وفـــى قتلـه النـار التـى لـيس دونهـا حجـاب وملـك الـري قـرة عينـى[1]

وعند الصباح أتى ابن زياد وقال: إنّك ولّيتني هذا العمل وسمع به النّاس، فأنفذني له وابعث إلى الحسين مَن لستُ أغنى في الحرب منه. وسمّى له أُناساً من أشراف الكوفة.

فقال ابن زياد: لستُ استأمرك فيمن أُريد أن أبعث، فإن سرت بجندنا، وإلاّ فابعث إلينا عهدنا، فلمّا رآه ملحّاً قال: إنّي سائر[2]، فأقبل في أربعة آلاف وانضمّ إليه الحرّ فيمن معه. ودعا عمر بن سعد عزرة بن قيس الأحمسي، وأمره أن يلقى الحسين ويسأله عمّا جاء به فاستحيا عزرة؛ لأنّه ممَّن كاتبه، فسأل مَن معه من الرؤساء أنْ يلقوه فأبوا؛ لأنهم كاتبوه.

فقام كُثَير بن عبد الله الشعبي وكان جريئاً فاتكاً وقال: أنا له، وإنْ شئت أنْ

---

(١) في أحسن التقاسيم للمقدسي / ٣٨٥: قال: وهذه المدينة أهلكت عمر بن سعد الشقي حتّى قتل الحسين بن علي، ثمّ اختارها مع النّار حيث يقول أخزاه الله (وذكر البيتين) كما هنا إلاّ قوله (والري رغبتي).

(٢) ابن الأثير ٤ / ٢٢: أقول جاء المثل مَن عافاك أغناك، يتحدّث ابن الجوزي في صفوة الصفوة ٣ / ١٦١: إنّ رجلا بالبصرة من قوّاد ابن زياد سقط من السطح فتكسّرت رجلاه فعاده أبو قلابة وقال: أرجو أن يكون هذا خيراً لك فتحقق قوله حين حمله ابن زياد على الخروج إلى حرب الحسين عليه السلام، فقال للرسول: انظر ما أنا فيه. وبعد سبعة أيام أتاه الخبر بقتل الحسين عليه السلام، فحمد الله على العافية.

أفتك به لفعلت. قال: لا، ولكن سله ما الذي جاء به؟ فأقبل كُثَير وعرفه أبو ثمامة الصائدي فقام في وجهه، وقال: ضع سَيفك وادخل على الحسين، فأبى واستأبى ثمّ انصرف.

فدعا عمر بن سعد قرّة بن قيس الحنظلي ليسأل الحسين، ولمّا أبلغه رسالة ابن سعد: قال أبو عبد الله «**إنّ أهل مصركم كتبوا إليَّ أنْ اقدم علينا، فأمّا إذا كرهتموني انصرفتُ عنكم**».

فرجع بذلك إلى ابن سعد، وكتب إلى ابن زياد بما يقول الحسين، فأتاه جوابه: أمّا بعد، فاعرض على الحسين وأصحابه البيعة ليزيد، فإنْ فعل رأينا رأينا[1].

خطبة ابن زياد

وجمع ابن زياد النّاس في جامع الكوفة فقال: أيّها النّاس إنّكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبّون، وهذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه، حسن السّيرة، محمود الطريقة محسناً إلى الرعيّة، يعطي العطاء في حقّه، وقد أمنت السّبل على عهده وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد يُكرم العباد ويغنيهم بالأموال، وقد زادكم في أرزاقكم مئة مئة، وأمرني أنْ أوفرها عليكم، وأخرجكم إلى حرب عدوّه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا.

---

(١) الطبري ٦ / ٢٣٣ و٢٣٤.

ثمّ نزل و وفّر العطاء، وخرج إلى النخيلة[١] وعسكر فيها. وبعث على الحصين بن نمير التميمي، وحجّار بن أبجر، وشمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي وأمرهم بمعاونة ابن سعد. فاعتلّ شبث بالمرض[٢]، فأرسل إليه: أن رسولي يخبرني بتمارضك وأخاف أنْ تكون من الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزؤن، فإنْ كنت في طاعتنا فأقبل مسرعاً، فأتاه بعد العشاء؛ لئلا ينظر إلى وجهه فلم يجد عليه أثر العلّة، و وافقه على ما يريد[٣].

وجعل عبيد الله بن زياد زجر بن قيس الجعفي على مسلحة في خمسمئة فارس، وأمره أنْ يقيم بجسر الصراة يمنع مَن يخرج من الكوفة يريد الحسين عليه السلام، فمرّ به عامر بن أبي سلامة بن عبد الله بن عرار الدالاني فقال له زجر: قد عرفتُ حيث تريد فارجع، فحمل عليه وعلى أصحابه فهزمهم ومضى، وليس أحد منهم يطمع في الدنوّ منه، فوصل كربلاء ولحق بالحسين عليه السلام حتّى قُتل معه، وكان قد شَهد المشاهد مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[٤].

---

(١) هي العباسية في كلام ابن نما، وتعرف اليوم بالعباسيات، وموقعها قريب من ذي الكفل، وفي اليقين لرضي الدين ابن طاووس / ١٤٧ باب ١٤٦: إنّ النخيلة تبعد عن الكوفة فرسخين.

(٢) الأخبار الطوال / ٢٥٣.

(٣) البحار عن مقتل محمّد بن أبي طالب.

(٤) الاكليل للهمداني ١٠ / ٨٧ و ١٠١: ودالان بطن من همدان منهم بنو عرار بضمّ العين ←

الحسين عند الكوفيين

ولم تزل الكراهية ظاهرة على الناس في قتال الحسين لانه ابن الرسول الأقدس وسيّد شباب أهل الجنّة ولَم تغب عن أذهانهم مصارحات النّبيﷺ وأبيه الوصي فيه وفي أخيه المجتبى، وقد عرفوا فضله يوم أجدبت الكوفة وقحط النّاس، ففزعوا إلى أبي الحسن، فأخرج السّبط الشهيد للاستسقاء، وببركات نفسه القدسيّة ونوره المتكوّن من الحقيقة المحمّديّة استجاب الله تعالى له وأرسل المطر حتّى أعشبت الأرض بعد جدبها. وهو الذي ملك المشرعة يوم صفين فسقى المسلمين بعد أنْ جهدهم العطش[1]، ولنبأ سقيه الحرّ وألف فارس معه في تلك الأرض القاحلة حتّى أرواهم وخيولهم، دوي في أرجاء الكوفة.

فهل يستطيع أحد - والحالة هذه - على مقابلته ومحاربته؟! لولا غلبة الهوى والتناهي في الطغيان وضعف النّفوس؛ ولذلك كان الجمع الكثير يتسلّل إذا وصل كربلاء، ولَم يبقَ إلاّ القليل، فلمّا عرف ابن زياد ذلك بعث سويد بن عبد الرحمن المنقري في خيل وأمره أنْ يطوف في سكك الكوفة وأحياء العرب ويعلن بالخروج إلى حرب الحسين، ومَن تخلّف جاء به إليه، فوجد رجلاً من أهل الشام

وهو عرار ابن رؤاس بن دالان بن جييش بن ماشبح بن وادعه. وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم / ٣٢١ ذكر نسب وادعة.

(١) مقتل العوالم / ١٥ و ٤٥.

قدم الكوفة في طلب ميراث له فقبض عليه وجاء به إلى ابن زياد فأمر بضرب عنقه، فلمّا رأى النّاس الشرّ منه خرجوا جميعاً[١].

الجيوش

فخرج الشمر[٢] في أربعة آلاف، ويزيد بن الركاب في ألفين، والحصين بن نمير التميمي في أربعة آلاف، وشبث بن ربعي في ألف، وكعب بن طلحة في ثلاثة آلاف، وحجّار بن أبجر في ألف، ومضاير بن رهينة المازني في ثلاثة آلاف، ونصر بن حرشة في ألفين[٣]، فتكامل عند ابن سعد لستٍ خلون من المحرم عشرون ألفاً[٤]، ولَم يزل ابن زياد يرسل العساكر إلى ابن سعد حتّى تكامل عنده ثلاثون ألفاً.

روى أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**إنّ الحسين دخل على أخيه الحسن في مرضه الذي استشهد فيه فلمّا رأى ما به بكى، فقال له الحسن: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما صنع بك، فقال الحسن عليه السلام: إنّ الذي أُوتي إليَّ سمّ أُقتل به، ولكن لا**

---

(١) الأخبار الطوال / ٢٥٣.

(٢) في البدء والتاريخ ٦ / ١٠: سمّاه بشر بن ذي الجوشن. وفي عجالة المبتدي في النّسب تأليف الحافظ أبي بكر محمّد بن أبي عثمان الحازمي الهمداني المتوفّى سنة ٥٨٤: اسمه شور بن ذي الجوشن، ولأبيه صحبة ورواية، روى عنه ابنه شور.

(٣) ابن شهر آشوب ٢ / ٢١٥.

(٤) ابن نما واللهوف.

يوم كيومك يا أبا عبد الله وقد ازدلف إليك ثلاثون ألفاً يدَّعون أنّهم من أُمّة جدّنا محمّد وينتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك، فعندها تحلّ ببني أُميّة اللعنة، وتمطر السّماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار»[1].

وكتب ابن زياد إلى ابن سعد: إنّي لَم أجعل لك علّة في كثرة الخيل والرجال، فانظر لا تمسي ولا تصبح إلاّ وخبرك عندي غدوة وعشية. وكان يستحثّه على الحرب لست خلون من المحرم[2].

حشدت كتائبها على ابن محمّد ... بالطَّف حيث تذكَّرت آباءها

الله أكبر يا رواسي هذه الأ ... رض البسيطة زايلي ارجاءها

يلقى ابن منتجع الصلاح كتائباً ... عقد ابن منتجع السّفاح لواءها

ما كان أوقحها صبيحة قابلت ... بالبيض جبهته تريق دماءها

---

(١) أمالي الصدوق / ٧١ المجلس الثلاثون، وفي مطالب السؤول: إنّهم عشرون ألفاً. وفي هامش تذكرة الخواص: أنّهم مئة ألف. وفي تحفة الأزهار لابن شدقم: ثمانون ألفاً. وفي أسرار الشهادة / ٢٣٧: سنة آلاف فارس وألف ألف راجل. ولم يذكر أبو الفدا في تأريخه ٢ / ١٩٠: غير خروج ابن سعد في أربعة آلاف والحر في ألفين. وفي عمدة القارئ للعيني ٧ / ٦٥٦: كتاب المناقب كان جيش ابن زياد ألف فارس رئيسهم الحر، وعلى مقدمتهم الحصين بن نمير.

(٢) تظلّم الزهراء عليها السلام / ١٠١، ومقتل محمّد بن أبي طالب.

المشرعة

ما بلَّ أوجهها الحيا ولو أنّه ... قطع الصفا بلَّ الحيا ملساءها

من أين تنجل أوجهٌ أمويّةٌ ... سكبت بلذّات الفجور حياءها

قهرت بنى الزهراء في سلطانها ... واستأصلت بصفاحها امراءها

ملكت عليها الأمر حتّى حرَّمت ... في الأرض مطرح جنبها وثواءها

ضاقت بها الدنيا فحيث توجَّهت ... رأت الحتوف امامها ووراءها

فاستوطأت ظهر الحِمام وحوَّلت ... للعزِّ عن ظهر الهوان وطاءها

طلعت ثنيّات الحتوف بعصبة ... كان السيوف قضاءها ومضاءها

لقلوبها امتحن الإله بموقف ... محضته فيهِ صبرها وبلاءها

كانت سواعد آل بيت محمّد ... وسيوف نجدتها على من ساءها

كره الحمام لقاءها فى ضنكه ... لكنْ أحبَّ الله فيه لقاءها

فثوت بأفئدة صواد لم تجد ... رياً يبلُّ سوى الردى أحشاءها

وأراك تنشىء يا غمام على الورى ... ظلا وتروي من حياك ظماءها

وقلوب أبناء النبى تفطَّرت ... عطشاً بقفر ارمضت أشلاءها

وامضّ ما جرعت من الغصص التى ... قدحت بجانحة الهدى ايراءها

هتك الطغاة على بنات محمّد ... حجب النبوة خدرها وخباءها

فتنازعت احشاءها حرق الجوى وتجاذبت أيدي العدوُّ رداءها

عجباً لحلم الله وهي بعينه برزت تطيل عويلها وبكاءها

ويرى من الزفرات تجمع قلبها بيد وتدفع في يد اعداءها

ما كان اوجعها لمهجة (أحمد) وامضَّ في كبد (البتولة) داءها[1]

وأنزل ابن سعد الخيل على الفرات فحموا الماء وحالوا بينه وبين سيّد الشهداء، ولَم يجد أصحاب الحسين طريقاً إلى الماء حتّى أضرّ بهم العطش، فأخذ الحسين فأساً وخطا وراء خيمة النّساء تسع عشرة خطوة نحو القبلة وحفر فنبعت له عين ماء عذب، فشربوا ثمّ غارت العين ولَم يرَ لها أثر، فأرسل ابن زياد إلى ابن سعد: بلغني أنّ الحسين يحفر الآبار ويصيب الماء فيشرب هو وأصحابه فانظر إذا ورد عليك كتابي، فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيّق عليهم غاية التضيّيق. فبعث في الوقت عمرو بن الحجّاج في خمسمئة فارس ونزلوا على الشريعة[2]، وذلك قبل مقتل الحسين بثلاثة أيّام[3].

---

(١) من قصيدة للسيّد حيدر الحلّي رضوان الله عليه.

(٢) نفس المهموم للمحدث القمي / ١١٦، ومقتل الخوارزمي ١ / ٢٤٤، ومقتل العوالم / ٧٨.

(٣) الطبري ٦ / ٢٣٤، وإرشاد المفيد، ومقتل الخوارزمي الجزء الأول، وكامل ابن الأثير ٤ / ٢٢.

اليوم السّابع

وفي اليوم السّابع اشتدّ الحصار على سيّد الشهداء ومَن معه، وسُدّ عنهم باب الورود ونفد ما عندهم من الماء، فعاد كلّ واحد يعالج لهب العطش. وبطبع الحال كان العيال بين أنة وحنة وتضور ونشيج ومتطلّب للماء إلى متحر له بما يبلّ غلّته وكلّ ذلك بعين أبي علي والغيارى من آله والأكارم من صحبه، وماعسى أنْ يجدوا لهم شيئاً وبينهم وبين الماء رماح مشرعة وسيوف مرهفة، لكن ساقي العطاشى لَم يتطامن على تحمّل تلك الحالة.

أو تشتكى العطش الفواطم عنده ... وبصدر صعدته الفرات المفعم

ولَو استقى نهر المجرّة لارتقى ... وطويل ذابله إليها سُلَّم

لَو سدَّ ذو القرنين دون وروده ... نسَفَته همَّته بما هو أعظم

فى كفِّه اليسرى السّقاء يقلّه ... وبكفّه اليُمنى الحسام المخذم

مثل السّحابة للفواطم صوبه ... فيصيب حاصبه العدو فيرجم[1]

هنا قيض أخاه العبّاس لهذه المهمّة، في حين أنّ نفسه الكريمة تنازعه إليه قبل المطلب، فأمره أنْ يستقي للحرائر والصبية، وضمّ إليه عشرين راجلاً مع عشرين قربة، وقصدوا الفرات بالليل غير مبالين بمَن وُكِّل بحفظ الشريعة؛ لأنّهم

---

(١) من قصيدة للسيّد جعفر الحلّي نوّر الله ضريحه.

محتفون بأسد آل محمّد وتقدّم نافع بن هلال الجملي باللواء، فصاح عمرو بن الحَجّاج: مَن الرجل؟ قال: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه. فقال: اشرب هنيئاً ولا تحمل إلى الحسين منه. قال نافع: لا والله، لا أشرب منه قطرة والحسين ومَن معه من آله وصحبه عطاشى.

وصاح نافع بأصحابه: املأوا أسقيتكم. فشدّ عليهم أصحاب ابن الحَجّاج فكان بعض القوم يملأ القرب وبعض يقاتل وحاميهم ابن بجدتها المتربّي في حجر البسالة الحيدريّة أبو الفضل، فجاؤا بالماء. وليس في أعدائهم من تحدثه نفسه بالدنوّ منهم فرقاً من ذلك البطل المغوار، فبلت غلة الحرائر والصبية الطيّبة من ذلك الماء[1].

ولكن لا يفوتنا أنّ تلك الكميّة القليلة من الماء ما عسى أن تجدي أُولئك الجمع الذي هو أكثر من مئة وخمسين رجالاً ونساءً وأطفالاً أو أنّهم ينيفون على المئتين، ومن المقطوع به أنّه لَم ترو أكبادهم إلاّ مرّة واحدة فسرعان أنْ عاد إليهم الظما، وإلى الله ورسوله المشتكى.

إذا كان ساقي الحوض في الحشر ... فساقي عطاشى كربلاء أبو الفضل

على أنّ الناس في الحشر قلبه ... مريع وهذا بالظلما قلبه يغلى

---

(١) مقتل محمّد بن أبي طالب. وعلى هذه الرواية يكون طلبهم للماء في السابع، ولعلّه هو المنشأ في تخصيص ذكر العبّاس بيوم السابع. وفي أمالي الصدوق / ٩٥، المجلس الثالث: أرسل الحسين بن علي ولده علياً الأكبر في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ليستقوا الماء.

وقفتُ على ماء الفرات ولَمْ أزل ... أقول له والقول يحسنه مثلي

علامك تجري لا جريت لوارد ... وأدركت يوماً بعض عارك بالغسل

أما نشفت أكباد آل محمّد ... لهيباً ولا ابتلَّت بعلٍّ ولا نهل

من الحقّ أنْ تذوي غصونك ذبّلا ... أسىً وحياء من شفاههمُ الذُبل

فقال استمع للقول إنْ كنت سامعاً ... وكنْ قابلا عذري ولا تكثرنْ عذلي

ألا إنّ ذا دمعي الذي أنت ناظر ... غداى جعلت النوح بعدهُمُ شغلي

برغمي أرى مائي يلذ سواهمُ ... به وهم صرعى على عطش حولي

جزى الله عنهم في المواساة عمَّهم ... أبا الفضل خيراً لو شهدت أبا

لقد كان سيفاً صاغه بيمينه ... علىّ فلم يحتج شباه إلى الصقل

إذا عدَّ ابناء النبيِّ محمّد ... رآه أخاهم من رآه بلا فضل

ولم أرَ ظام٤٣ حوله الماء قبله ... ولَم يرو منه وهو ذو مهجة تغلى

وما خطبه إلاّ الوفاء وقلَّ ما ... يرى هكذا خلا وفيّاً مع الخلِّ

يميناً بيمناك القطيعة والتى ... تسمى شمالاً وهى جامعة الشمل

بصبرك دون ابن النبيِّ بكربلا ... على الهَول امر لا يحيط به عقلى

و وافـــاك لا يـــدري افـــقدك راعـــه أم الـــعرش غـــالته الـــمقادير بـــالثل

أخـى كنـتَ لي درعـاً ونصـلا كلاهمـا فقدتُ فلا درعى لـديَّ ولا نصـلى[1]

غرور ابن سعد

وأرسل الحسين عمرو بن قرظة الأنصاري إلى ابن سعد يطلب الاجتماع معه ليلاً بين المعسكرين، فخرج كلّ منهما في عشرين فارساً، وأمر الحسين مَن معه أنْ يتأخّر إلاّ العبّاس وابنه علياً الأكبر، وفعل ابن سعد كذلك وبقي معه ابنه حفص وغلامه.

فقال الحسين: «**يابن سعد أتقاتلني؟ أما تتقي الله الذي إليه معادك؟! فأنا ابن مَن قد علمتَ! ألا تكون معي وتدع هؤلاء فإنّه أقرب إلى الله تعالى؟**» قال عمر: أخاف أنْ تهدم داري. قال الحسين: «أنا أبنيها لك». فقال: أخاف أنْ تؤخذ ضيعتي. قال عليه السلام: «**أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز**»[2]، ويروى أنّه قال لعمر: «**أعطيك البغيبغة**»، وكانت عظيمة فيها نخل وزرع كثير، دفع معاوية فيها ألف ألف دينار فلَم يبعها منه[3]. فقال ابن سعد: إنّ لي بالكوفة عيالاً وأخاف عليهم من ابن زياد القتل. ولما أيس منه الحسين قام وهو يقول: «**مالك،**

---

(١) للشيخ محسن أبو الحب الحائري رحمه الله.
(٢) مقتل العوالم / ٧٨.
(٣) تظلّم الزهراء عليها السلام / ١٠٣.

ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إنّي لأرجو أنْ لا تأكل من بَرّ العراق إلا يسيراً». قال ابن سعد مستهزءاً: في الشعير كفاية[١].

وأول ما شاهده من غضب الله عليه ذهاب ولاية الري، فإنّه لمّا رجع من كربلاء طالبه ابن زياد بالكتاب الذي كتبه بولاية الري، فادّعى ابن سعد ضياعه، فشدّد عليه باحضاره، فقال له ابن سعد: تركته يقرأ على عجائز قريش اعتذاراً منهن، أما والله لقد نصحتك بالحسين نصيحة لَو نصحتها أبي سعداً كنت قد أديت حقّه. فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق، وددتُ أنّ في أنف كلّ رجل من بني زياد خزامة إلى يوم القيامة وإنّ الحسين لَم يُقتل[٢].

وكان من صنع المختار معه أنّه لمّا أعطاه الأمان، استأجر نساء يبكين على الحسين ويجلسن على باب دار عمر بن سعد، وكان هذا الفعل يلفت نظر المارّة إلى أنّ صاحب هذا الدار قاتل سيّد شباب أهل الجنّة، فضجر ابن سعد من ذلك وكلّم المختار في رفعهن عن باب داره، فقال المختار: ألا يستحقّ الحسين البكاء عليه[٣].

ولمّا أراد أهل الكوفة أنْ يؤمّروا عليهم عمر بن سعد بعد موت يزيد بن معاوية؛ لينظروا في أمرهم، جاءت نساء همدان وربيعة، إلى الجامع الأعظم

---

(١) تظلّم الزهراء عليها السلام / ١٠٣، ومقتل الخوارزمي ١ / ٢٤٥.
(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٨.
(٣) العقد الفريد، باب نهضة المختار.

صارخات يقلن: ما رضي ابن سعد بقتل الحسين حتّى أراد أنْ يتأمّر. فبكى النّاس وأعرضوا عنه[١].

افتراء ابن سعد

وافتعل ابن سعد علي أبي الضيم ما لَم يقله، وكتب إلى ابن زياد زعماً منه أنّ فيه صلاح الأُمّة وجمال النظام فقال في كتابه:

أمّا بعد فإنّ الله أطفأ النّائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأُمّة، وهذا حسين أعطاني أنْ يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أنْ يسير إلى ثغر من الثغور، فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أنْ يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا رضىً لكم وللأُمّة صلاح[٢].

وهيهات أنْ يكون ذلك الأبي ومَن علَّم النّاس الصبر على المكاره وملاقاة الحتوف - طوع ابن مرجانة ومنقاداً لابن آكلة الأكباد! أليس هو القائل لأخيه الأطرف: «**والله لا أعطي الدنيّة من نفسي**». ويقول لابن الحنفيّة: «**لَو لَم يكن ملجأ لما بايعت يزيد**». وقال لزرارة بن صالح: «إنّي أعلم علماً يقيناً أنّ هناك مصرعي ومصارع أصحابي، ولا ينجو منهم إلاّ ولدي علي». وقال لجعفر بن سليمان الضبعي: «**إنّهم لا يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي**».

---

(١) مروج الذهب ٢ / ١٠٥، في أخبار يزيد.

(٢) الاتحاف بحبّ الأشراف / ١٥، وتهذيب التهذيب ٢ / ٢٥٣.

وآخر قوله يوم الطف: «**ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة وهيهات منّا الذلّة، يأبي الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأُنوف حميّة ونفوس أبيّة من أنْ تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**».

وإنّ حديث عقبة بن سمعان يفسّر الحال التي كان عليها أبو عبد الله عليه السلام، قال: صحبت الحسين من المدينة إلى مكّة ومنها إلى مكّة ومنها إلى العراق ولَم أُفارقه حتّى قُتل، وقد سمعت جميع كلامه فما سمعتُ منه ما يتذاكر فيه النّاس من أنْ يضع يده في يد يزيد ولا أنْ يسيره إلى ثغر من الثغور لا في المدينة ولا في مكّة ولا في الطريق ولا في العراق ولا في عسكره إلى حين قتله، نعم سمعته يقول: «**دعوني أذهب إلى هذه الأرض العريضة**»[1].

طغيان الشمر

ولمّا قرأ ابن زياد كتاب ابن سعد قال: هذا كتاب ناصح مشفق على قومه. وأراد أن يجيبه، فقام الشمر[2]، وقال: أتقبل هذا منه بعد أنْ نزل بأرضك؟ والله،

---

(١) الطبري ٦ / ٢٣٥.

(٢) في البداية لابن كثير ج ٨ ص ١٨٨ كان الحسين يحدث أصحابه في كربلا بما قاله جده صلى الله عليه وآله: كأني انظر إلى كلب ابقع يلغ في دماء أهل بيتي ولما رأى الشمر ابرص قال هو الذي يتولى قتلي! وفي الاعلاق النفيسة لابن رسته ص ٢٢٢ كان الشمر بن ذي الجوشن ←

قاتل الحسين ابرص. وفي ميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٤٤٩ كان شمر بن ذي الجوشن احد قتلة الحسين عليه السلام فليس للرواية بأصل ولما قيل له كيف اعنت على ابن فاطمة قال: ان امراءنا امرونا فلو خالفناهم كنا أشد من الحمر الشقاء قال الذهبي وهذا عذر قبيح فانما الطاعة في المعروف. وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٣٠٣ وما بعدها. طبع مصر: كان شمر بن ذي الجوشن مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، وخرج من أصحاب معاوية (أدهم بن محرز) يطلب المبارزة فخرج اليه شمر بن ذي الجوشن واختلفا بضربتين، ضربه أدهم على جبينه فاسرع السيف حتى خالط العظم وضربه شمر فلم يصنع فيه شيئاً، فرجع الشمر الى عسكره يشرب الماء واخذ رمحاً وقال:

(إني زعيم لاخي بأهلة ... بطعنة ان لم امت عاجلة

وضربة تحت الوغى فاصلة ... شبيهة بالقتل أو قاتله)

فحمل على أدهم وهو ثابت فطعنه فوقع عن فرسه وحمله أصحابه فانصرف شمر...

وفي نفح الطيب للمقريزي ج ٢ ص ١٤٣ مطبعة ١ عيسى البابي مطبوعات دار المأمون ان الصميل بن حاتم بن الشمر بن ذي الجوشن كان رأس المضرية متحاملاً على اليمانية (وهذه العبارة واردة في طبعة بيروت ج ١ ص ٢٢٢ تحقيق محمد محيي الدين).

وفي حاشية الكتاب، كان حاتم بن الشمر مع أبيه في الكوفة ولما قتل المختار شمر بن ذي الجوشن هرب ابنه الى قنسرين. وفي ص ١٤٥ ذكر ان الصميل كان والياً على سر قسطة ثم فارقها وتولى على طليطلة. وفي كتاب الحلة السيراء لابن الأبار ج ١ ص ٦٧ لما ظهر المختار بالكوفة فر الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين بن علي الى الشام بأهله وولده، فاقام بها في عز ومنعة، وقيل قتله المختار وفر ولده إلى ان خرج كلثوم بن عياض القشيري غازياً الى المغرب، فكان الصميل ممن ضرب عليه البعث في اشراف أهل الشام ودخل الأندلس في طاعة بلج بن بشر وهو الذي قام بأمر المضرية في الاندلس عندما أظهر أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي العصبية لليمانية ومات الصميل في سجن عبد

لئن رحل من بلادك ولَم يضع يده في يدك ليكونّن أولى بالقوّة وتكون أولى بالضعف والوهن، فاستصوب رأيه وكتب إلى ابن سعد: أمّا بعد، إنّي لَم أبعثك إلى الحسين لتكفّ عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السّلامة ولا لتكون له عندي شفيعاً، أُنظر فإنْ نزل حسين وأصحابه على حكمي، فابعث بهم إليَّ سِلماً. وإنْ أبوا فازحف إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم؛ فإنّهم لذلك مستحقّون، فإنْ قُتل حسين فاوطىء الخيل صدره وظهره، ولستُ أرى أنّه يُضرّ بعد الموت، ولكن على قول قلته: لَو قتلتُه لفعلتُ هذا به. فإنْ أنت مضيتَ لأمرنا فيه جزيناك جزاء السّامع المطيع، وإنْ أبيتَ فاعتزل عملنا وجندنا وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنّا قد أمرناه بذلك[1].

الرحمن بن معاوية سنة ١٤٢ وكان شاعراً. وفي تاريخ علماء الاندلس لابن الفوطي ج ١ ص ٢٣٤ باب الشين، شمر بن ذي الجوشن الكلاعي من أهل الكوفة هو الذي قدم برأس الحسين عليه السلام على يزيد بن معاوية ولما ظهر المختار هرب بعياله منه ثم خرج كلثوم بن عياض غازياً المغرب ودخل الى الاندلس في طالعة بلج، وهو جد الصميل بن حاتم بن شمر القيسي صاحب الفهرى اهـ والاصح ما ذكره الدينوري في الأخبار الطوال ٢٩٦ ان شمر بن ذي الجوشن قتله أصحاب المختار بالمذار وبعث برأسه الى محمد ابن الحنفية وفي الاعلاق النفيسة لابن رسته ص ٢٢٢ كان الشمر بن ذي الجوشن ابرص وفي تاريخ الطبري ج ٧ ص ١٢٢ وكامل ابن الاثير ج ٤ ص ٩٢ حوادث سنة ٦٥ كان الشمر ابرص يرى بياض برصه على كشحه.

(١) ابن الأثير ٤ / ٢٣.

فلمّا جاء الشمر بالكتاب، قال له ابن سعد: ويلك لا قرب الله دارك، وقبّح الله ما جئت به، وإنّي لأظنّ أنّك الذي نهيته وافسدت علينا أمراً رجونا أنْ يصلح، والله لا يستسلم حسين فانّ نفس أبيه بين جنبَيه.

فقال الشمر: أخبرني ما أنت صانع، أتمضي لأمر أميرك؟ وإلاّ فخلّ بيني وبين العسكر. قال له عمر: أنا أتولّى ذلك، ولا كرامة لك، ولكن كن أنت على الرجّالة[1].

الأمان

وصاح الشمر بأعلى صوته: أين بنو أُختنا[2]؟ أين العبّاس وإخوته؟،

---

(١) الطبري ٦ / ٢٣٦.

(٢) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم / ٢٦١ و ٢٦٥ قال: أولاد كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر، أحد عشر ولداً منهم؛ كعب، والضباب. فمن ولد كعب بنو الوحيد الذين منهم أُمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد كانت تحت علي بن أبي طالب فولدت له محمداً الأصغر وعثمان وجعفر والعبّاس، وفي صفحة ٢٧٠ ذكر بني الضباب فقال: منهم الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين واسم ذي الجوشن جميل بن الأعور عمرو بن معاوية وهو الضاب. ومن ولده الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن ساد بالاندس وله بها عقب ونزالتهم بالخشيل من شوذر من عمل جيّان.
وفي العقد الفريد ٢ / ٨٣ عند ذكر مذحج قال: الضباب في بني الحارث بن كعب مفتوحة الضاد وفي بني عامر بن صعصعة مسكورة وحيث أنّ الشمر من بني عامر بن صعصعة يكون الضباب بكسر الضاد.

فأعرضوا عنه، فقال الحسين: «**أجيبوه ولَو كان فاسقاً**»، قالوا: ما شأنك وما تريد؟ قال: يا بني أُختي أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد. فقال العبّاس: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له[١]، وتأمرنا أنْ ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء[٢].

أيظنّ هذا الجلف الجافي أن يستهوي رجل الغيرة والحميّة إلى الخسف والهوان، فيستبدل أبو الفضل الظلمة بالنور، ويدع عَلَم النبوّة وينضوي إلى راية ابن ميسون؟! كلاّ.

ولمّا رجع العبّاس، قام إليه زهير بن القين وقال: أُحدّثك بحديث وعيته؟ قال: بلى، فقال: لمّا أراد أبوك أن يتزوّج، طلب من أخيه عقيل - وكان عارفاً بأنساب العرب - أنْ يختار له امرأةً ولدتها الفحولة من العرب؛ ليتزوّجها فتلد غلاماً شجاعاً ينصر الحسين بكربلاء، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر عن نصرة أخيك وحماية أخواتك. فقال العبّاس: أتشجّعني يا زهير في مثل هذا اليوم؟! والله لأرينّك شيئاً ما رأيتَه[٣]، فجدّل أبطالاً ونكس رايات في حالة لَم يكن من همّه القتال ولا مجالدة الأبطال، بل همّه إيصال الماء إلى عيال أخيه.

يمثل الكرّار في كرّاته ... بل في المعاني الغرّ من صفاته

---

(١) تذكرة الخواص / ١٤٢: حكاه عن جده أبي الفرج في المنتظم وإعلام الورى / ٢٨.
(٢) ابن نما / ٢٨.
(٣) أسرار الشهادة / ٣٨٧.

لـــيس يـــد الله ســـوى أبـــيه وقـــدرة الله تجـــلَّت فـــيه
فـــهو يـــد الله وهـــذا ســـاعده تـــغنيك عـــن إثـــباته مشـــاهده
صـــولته عـــند النـــزال صـــولته لـــولا الغلـــوُّ قلـــت جلـــت قدرتـــه[1]

بنو أسد

واستأذن حبيب بن مظاهر من الحسين أنْ يأتي بني أسد وكانوا نزولاً بالقرب منهم فأذِن له، ولمّا أتاهم وانتسب لهم عرفوه، فطلب منهم نصرة ابن بنت رسول الله فإنّ معه شرف الدنيا والآخرة، فأجابه تسعون رجلاً، وخرج من الحي رجل أخبر ابن سعد بما صاروا إليه، فضمّ إلى الأزرق أربعمئة رجل وعارضوا النّفر في الطريق واقتتلوا، فقُتل جماعة من بني أسد وفرّ مَن سلِم منهم إلى الحي فارتحلوا جميعاً في جَوف الليل خوفاً من ابن سعد أنْ يبغتهم، ورجع حبيب إلى الحسين وأخبره، فقال: «**لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العظيم**»[2].

اليوم التاسع

ونهض ابن سعد عشيّة الخميس لتسع خلون من المحرّم، ونادى في عسكره

---

(١) أسرار الشهادة / ٣٨٧.
(٢) البحار عن مقتل محمّد بن أبي طالب الحائري، ومقتل الخوارزمي ١ / ٢٤٣.

بالزحف نحو الحسين، وكان عليه السلام جالساً أمام بيته محتبياً بسيفه، وخفق برأسه فرأى رسول الله يقول: انّك صائر إلينا عن قريب. وسمعت زينب أصوات الرجال وقالت لأخيها: قد اقترب العدوّ منّا.

فقال لأخيه العبّاس: «**اركب بنفسي أنت**[1] **حتّى تلقاهم، واسألهم عمّا**

---

(١) الطبري ٦ / ١٣٧، وروضة الواعظين / ١٥٧، والارشاد للمفيد، والبداية لابن كثير ٨ / ١٧٦.

غير خاف ما في هذه الكلمة الذهبية من مغزى دقيق، ترى الفكر يسف عن مداه وأنّى له أن يحلق إلى ذروة الحقيقة من ذات طاهرة تُفتدى بنفس الإمام علّة الكائنات والفيض الأقدس للممكنات. نعم، عرفها البصير الناقد بعد أنْ جربها بمحك النزاهة فوجدها مشبوبة بجنسها ثمّ أطلق عليها تلك الكلمة الغالية، ولا يعرف الفضل إلاّ أهله. ولا يذهب بك الوهم أيّها القارئ إلى القول بعدم الأهميّة في هذه الكلمة بعد قول الإمام عليه السلام في زيارة الشهداء من زيارة وارث: «بأبي أنتم وأُمّي، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم»؛ لأنّ الإمام عليه السلام في هذه الزيارة لَم يكن هو المخاطب لهم وانّما هو عليه السلام في مقام تعليم صفوان الجمّال عند زيارتهم أنْ يخاطبهم بذلك، فإنّ الرواية تنصّ كما في مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي أنّ صفوان استأذن الصادق في زيارة الحسين وأنْ يعرّفه ما يقوله ويعمل عليه فقال له: «**يا صفوان، صم قبل خروجك ثلاثة أيّام** - إلى أنْ قال -: **ثمّ إذا أتيت الحائر فقُل: الله أكبر** - **ثمّ ساق الزيارة إلى أنْ قال** -: **ثمّ اخرج من الباب الذي يلي رجلَي علي بن الحسين وتوجّه إلى الشهداء وقُل: السّلام عليكم يا أولياء الله...**» إلى آخرها. فالإمام الصادق عليه السلام في مقام تعليم صفوان أنْ يقول في السّلام على الشهداء ذلك، وليس في الرواية ما يدلّ على أنّه عليه السلام كيف يقول لو أراد السّلام على الشهداء.

جاءهم وما الذي يريدون؟»، فركب العبّاس في عشرين فارساً فيهم زهير وحبيب، وسألهم عن ذلك قالوا: جاء أمر الأمير أنْ نعرض عليكم النّزول على حكمه، أو ننازلكم الحرب.

فانصرف العبّاس عليه السلام يُخبر الحسين بذلك، ووقف أصحابه يعظون القوم. فقال لهم حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً، قوم يقدمون عليه وقد قتلوا ذريّة نبيّه وعترته وأهل بيته وعبّاد أهل هذا المصر المتهجدين بالأسحار الذاكرين الله كثيراً. فقال له عزرة بن قيس: إنّك لتزكّي نفسك ما استطعت. فقال زهير: يا عزرة، إنّ الله قد زكّاها وهداها فاتّق الله يا عزرة، فإنّي لك من النّاصحين، أُنشدك الله يا عزرة أنْ لا تكون ممَّن يعين أهل الضلالة على قتل النّفوس الزكيّة. ثمّ قال عزرة: يا زهير ما كنتَ عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنّما كنتَ على غير رأيهم. قال زهير: أفلستَ تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم، أما والله ما كتبتُ إليه كتاباً قطّ، ولا أرسلت إليه رسولاً، ولا وعدته نصرتي ولكنّ الطريق جمع بيني وبينه، فلمّا رأيته ذكرتُ به رسول الله ومكانه منه، وعرفتُ ما يقدم عليه عدوّه، فرأيت أنْ أنصره وأن أكون من حزبه وأجعل نفسي دون نفسه؛ لما ضيّعتم من حقّ رسوله.

وأعلم العبّاس أخاه أباعبد الله بما عليه القوم فقال عليه السلام: «**ارجع إليهم، واستمهلهم هذه العشيّة إلى غد، لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي أُحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار**».

فرجع العبّاس واستمهلهم العشيّة. فتوقّف ابن سعد وسأل من النّاس فقال

عمرو بن الحَجّاج: سبحان الله! لو كانوا من الديلم وسألوك هذا لكان ينبغي لك أنْ تجيبهم إليه. وقال قيس بن الأشعث: أجبهم إلى ما سألوك، فلَعمري ليستقبلك بالقتال غدوة. فقال ابن سعد: والله لو أعلم أنّه يفعل ما أخّرتهم العشية. ثمّ بعث إلى الحسين: إنّا أجّلناكم إلى غد، فإنْ استسلمتم سرحنا بكم إلى الأمير ابن زياد، وإنْ أبيتم فلسنا تاركيكم[1].

ضلّت أُميّة ماتر ... يد غداة مقترع النصول
رامت تسوق المصعب ... الهدار مستاق الذليل
ويروح طوع يمينها ... قود الجنيب أبو الشبول
رامت لعمرو ابْن النبى ... الطُّهر ممتنع الحصول
وتيمَّمت قصد المحال ... فما رعت غير المحول
ورنت على السغب السرا ... ب بأعين في المجد حول
وغوى بها جهل بها ... والبغي من خلق الجهول[2]

---

(١) الطبري ٦ / ٣٣٧.
(٢) للكعبى رحمه الله.

الضمائر الحرّة

وجمع الحسين أصحابه قرب المساء قبل مقتله[١] فقال: «**أُثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللهمّ إنّي أحمدك على أنْ أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً، ولَم تجعلنا من المشركين. أمّا بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي جميعاً**»[٢].

وقد أخبرني جدّي رسول الله ﷺ بأنّي سأُساق إلى العراق فأنزلُ أرضاً يقال لها عمورا وكربلاء، وفيها أُستشهد. وقد قرب الموعد.

ألا وإنّي أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً. وإنّي قد أذِنت لكم فأنطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم منّي ذمام. وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً! وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم، فإنّ القوم إنّما يطلبونني، ولَو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري»[٣].

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لِمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول العبّاس بن علي وتابعه الهاشميّون.

---

(١) اثبات الرجعة للفضل بن شاذان، هكذا عرفه وهو بالغيبة أنسب فانّه لو يوجد فيه من أخبار الرجعة إلا حديث واحد.

(٢) الطبري ٦ / ٢٣٨ - ٢٣٩، وكامل ابن الأثير ٤ / ٣٤.

(٣) إثبات الرجعة.

والتفت الحسين إلى بني عقيل وقال: «**حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذِنت لكم**». فقالوا: إذاً ما يقول النّاس، وما نقول لهم؟ أنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام؟! ولَمْ نرمِ معهم بسهم ولَمْ نطعن برمح ولَمْ نضرب بسيف، ولا ندري ما صنعوا؟! لا والله لا نفعل، ولكن نفيدك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، نقاتل معك حتّى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك[1].

نفوس أبت إلاّ تراب أبيهم ... فهم بين موتور لذاك وواتر

لقد ألفت أرواحهم حومة الوغى ... كما أنست أقدامهم بالمنابر[2]

وقال مسلم بن عوسجة: أنحن نخلّي عنك؟ وبماذا نعتذر إلى الله في أداء حقّك؟ أما والله، لا أُفارقك حتّى أطعن في صدورهم برمحي وأضرب بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لَمْ يكن معي سلاح أُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة حتّى أموت معك.

وقال سعيد بن عبدالله الحنفي: والله لا نخلّيك حتّى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما و الله لو علمتُ أنّي أُقتل ثمّ أُحيا ثمّ أُحرق حيّاً ثمّ أُذرّى، يُفعل بي ذلك سبعين مرّة، لَمَا فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٣٨، والكامل ٤ / ٢٤، والإرشاد للمفيد، وإعلام الورى / ١٤١، وسِير أعلام النبلاء للذهبي ٣ / ٢٠٢.

(٢) مثير الأحزان لابن نما / ١٧.

ذلك وإنّما هي قتلة واحدة ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً؟!

وقال زهير بن القين: و الله وددتُ أنّي قُتلتُ ثمّ قُتلت حتّى أُقتل كذا ألف مرّة، و إنّ الله عزّ وجلّ يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك.

وتكلّم باقي الأصحاب بما يشبه بعضه بعضاً فجزّاهم الحسين خيرا[١].

وفي هذا الحال قيل لمحمد بن بشير الحضرمي قد أُسِر ابنك بثغر الري فقال: ما أُحبّ أنْ يؤسر و أنا أبقى بعده حيّاً فقال له الحسين: «**أنت في حلّ من بيعتي، فاعمل في فكاك ولدك**»، قال: لا والله لا أفعل ذلك، أكلتني السّباع حيّاً إنْ فارقتك. فقال عليه السلام: «**إذاً اعط ابنك هذه الأثواب الخمسة ليعمل في فكاك أخيه**» - وكان قيمتها ألف دينار- [٢].

وتناديت للذبّ عنه عصبة ... ورثوا المعالي اشيباً وشبابا

من ينتدبهم للكريهة ينتدب ... منهم ضراغمة الاسود غضابا

خفّوا لداعي الحرب حين دعاهم ... ورسوا بعرصة كربلاء هضابا

اسد قد اتخذوا الصوارم حلية ... وتسربلوا حلق الدروع ثيابا

تخذت عيونهم القساطل كحلها ... واكفُّهم فيض النجيع خضابا

---

(١) إرشاد المفيد وتاريخ الطبري ج٦ ص٢٣٩.

(٢) اللهوف ص٥٣.

يـــتمايلون كـــأنّما غـــنى لـــهم وقـــع الـــظّبى وســـقاهم اكوابـــا

برقـــت ســـيوفهم فـــأمطرت الطّـــلى بـــدمائها والـــنقع ثـــار ســـحابا

وكـــأنّهم مـــستقبلون كـــواعباً مســـتقبلين أسنّـــة وكـــعابا

وجـدوا الـردى مـن دون آل محمّـد عـــذباً وبعـــدهم الحيـــاة عـــذابا[1]

ولما عرف الحسين منهم صدق النيّة والإخلاص في المفاداة دونه، أوقفهم على غامض القضاء فقال: «**إنّي غداً أُقتل وكلّكم تقتلون معي ولا يبقى منكم أحد**[2] **حتّى القاسم وعبد الله الرضيع، إلاّ ولدي علياً زين العابدين؛ لأنّ الله لَمْ يقطع نسلي منه وهو أبو أئمّة ثمانية**»[3].

فقالوا بأجمعهم الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرّفنا بالقتل معك، أولا نرضى أنْ نكون معك في درجتك يابن رسول الله؟، فدعا لهم بالخير[4]، وكشف عن أبصارهم فرأوا ما حباهم الله من نعيم الجنان وعرّفهم منازلهم فيها[5]، وليس ذلك في القدرة الإلهيّة بعزيز، ولا في تصرّفات الإمام بغريب، فإنّ سحرة فرعون لمّا آمنوا بموسى عليه السلام وأراد فرعون قتلهم أراهم النّبي موسى منازلهم في الجنّة[6].

---

(١) للعلامة السيد رضا الهندي رحمه الله.
(٢) نفس المهموم ص١٢٢.
(٣) أسرار الشهادة.
(٤) نفس المهموم / ١٢٢.
(٥) الخرايج للراوندي.
(٦) أخبار الزمان للمسعودي / ٢٤٧.

وفي حديث أبي جعفر الباقر عليه السلام قال لأصحابه: «**أبشروا بالجنّة، فوالله إنّا نمكث ماشاء الله بعد ما يجري علينا ثمّ يخرجنا الله وإيّاكم حتّى يظهر قائمنا فينتقم من الظالمين، وأنا وأنتم نشاهدهم في السّلاسل والأغلال وأنواع العذاب**» فقيل له: من قائمكم يابن رسول الله؟ قال: «**السّابع من ولد ابني محمّد بن علي الباقر وهو الحُجّة ابن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي، ابني وهو الذي يغيب مدّة طويلة ثمّ يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً**»[1].

ليلة عاشوراء

كانت ليلة عاشوراء أشدّ ليلة مرّت على أهل بيت الرسالة، حُفّت بالمكاره والمحن وأعقبت الشرّ وآذنت بالخطر وقد قطعت عنهم الحالة القاسية من بني أُميّة وأتباعهم كلّ الوسائل الحيويّة وهناك ولولة النساء وصارخ الاطفال من العطش المبرح والهم المدلهم.

إذاً فما حال رجال المجد من الأصحاب وسروات الشرف من بني هاشم بين هذه الكوارث، فهل أبقت لهم مهجة ينهضون بها أو أنفساً تعالج الحياة والحرب في غد؟!

---

(١) إثبات الرجعة.

نعم كانت ضراغمة آل عبد المطّلب والصفوة من الأصحاب عندئذ في أبهج حالة وأثبت جأش، فرحين بما يلاقونه من نعيم وحبور، وكلّما اشتدّ المأزق الحرج أعقب فيهم انشراحاً بين ابتسامة ومداعبة إلى فرح ونشاط.

ومذ أخذت في نينوى منهم النوى ... ولاح بها للغدر بعض العلائم

غدا ضاحكا هذا وذا متبسّماً ... سروراً وما ثغر المنون بباسم

هازل برير عبد الرحمن الأنصاري، فقال له عبد الرحمن: ما هذه ساعة باطل؟ فقال برير: لقد علم قومي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً، ولكنّي مستبشر بما نحن لا قون، والله ما بيننا وبين الحور العين إلاّ أنْ يميل علينا هؤلاء بأسيافهم، ولوددتُ أنّهم مالوا علينا السّاعة[1].

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك، فقال له يزيد بن الحصين الهمداني: ما هذه ساعة ضحك. قال حبيب: وأي موضع أحقّ بالسرور من هذا؟ ما هو إلاّ أنْ يميل علينا هؤلاء بأسيافهم فنعانق الحور[2].

تجري الطلاقة في بهاء وجوههم ... أنْ قطبت فرقاً وجوه كماتها

وتطلّعت بدجى القتام أهلّة ... لكن ظهور الخيل من هالاتها

فتدافعت مشي النزيف إلى الردى ... حتّى كأنَّ الموت من نشواتها

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤١.

(٢) رجال الكشي / ٥٣، طبعة الهند.

وتعانقت هم والسّيوف وبعد ذا ملكت عناق الحور في جنّاتها[١]

فكأنّهم نشطوا من عقال، بين مباشرة للعبادة، وتأهّب للقتال، لهم دوي كدويّ النّحل، بين قائم وقاعد وراكع وساجد.

قال الضحّاك بن عبد الله المشرقي: مرّت علينا خيل ابن سعد فسمع رجل منهم الحسين عليه السلام يقرأ ﴿**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حتّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ**﴾[٢].

فقال الرجل نحن وربّ الكعبة الطيّبون ميّزنا منكم.

قال له بريـر: يا فاسق، أنت يجعلك الله في الطيّبين؟! هلمّ إلينا وتُب من ذنوبك العظام، فوالله لنحن الطيّبون وأنتم الخبيثون.

فقال الرجل مستهزئاً: وأنا على ذلك من الشاهدين[٣].

ويقال: أنّه في هذه الليلة انضاف إلى أصحاب الحسين من عسكر ابن سعد اثنان وثلاثون رجلاً[٤] حين رأوهم متبتّلين متهجدين عليهم سيماء الطاعة والخضوع لله تعالى.

---

(١) للعلامة السيّد محمّد حسين الكيشوان رحمه الله

(٢) سورة آل عمران / ١٧٨ - ١٧٩.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٠، الطبعة الأُولى.

(٤) اللهوف، وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٧، طبعة النجف، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣ / ٢١٠.

قال علي بن الحسين: «سمعتُ أبي في الليلة التي قُتل في صبيحتها يقول، وهو يصلح سيفه:

يـا دهـر أُفٍّ لـك مـن خليـل ... كـم لـك بـالاشراق والأصـيل

مِـنْ صـاحب وطالـب قتيـل ... والـدهر لا يقنـع بالبـديل

وانّـما الأمـر إلى الجليـل ... وكـلّ حـيٍّ سـالك سـبيل

فأعادها مرّتين أو ثلاثاً، ففهمتُها وعرفتُ ما أراد وخنقتني العبرة، ولزمتُ السكوت وعلمتُ أنّ البلاء قد نزل.

وأمّا عمّتي زينب لمّا سمعتْ ذلك وثبتْ تجرّ ذيلها حتّى انتهت إليه وقالت: وآثكلاه! ليتَ الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت أُمّي فاطمة وأبي عليٌّ وأخي الحسن[1]، يا خليفة الماضي وثمال الباقي! فعزّاها الحسين وصبَّرها وفيما قال: يا أُختاه تعزّي بعزاء الله واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأهل السّماء لا يبقون وكلّ شيء هالك إلاّ وجهه، ولي ولكلّ مسلم برسول الله أُسوة حسنة.

فقالت عليها السلام: افتغصب نفسك اغتصاباً، فذاك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٢٤٠، وكامل ابن الأثير ٤ / ٢٤، ومقتل الخوارزمي ١ / ٢٣٨، الفصل الحادي عشر، ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج / ٤٥، طبعة ايران.

(٢) اللهوف.

وبكت النّسوة معها ولطمن الخدود، وصاحت أُمّ كلثوم: وآ محمداه! وآ علياه! وآ أُمّاه! وآ حسيناه! وآ ضيعتنا بعدك!

فقال الحسين: يا أُختاه يا أُمّ كلثوم، يا فاطمة، يا رباب، انظرْنَ اذا قُتلت فلا تشققن عليَّ جيباً ولا تخمشن وجهاً ولا تقلن هجراً»[1] ثمّ إنّ الحسين أوصى أُخته زينب بأخذ الأحكام من علي بن الحسين عليه السلام وإلقائها إلى الشيعة ستراً عليه. وبذلك يحدِّث أحمد بن إبراهيم قال: دخلتُ على حكيمة بنت محمّد بن علي الرضا، أُخت أبي الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٨٢ بالمدينة، وكلّمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها، فسمّت من تأتمّ بهم، وقالت: فلان بن الحسن. قلت: معاينةً أو خبراً؟ قالت: خبر عن أبي محمّد عليه السلام كتب به إلى أُمّه. قلت لها: أقتدي بمَن وصيّته إلى امرأة؟! قالت: اقتداءً بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنّه أوصى إلى أُخته زينب في الظاهر، فكان ما يخرج من علي بن الحسين عليه السلام من علم ينسب إلى زينب؛ ستراً على علي بن الحسين عليه السلام. ثمّ قالت: إنّكم قوم أخبار، أما رويتم أنّ التاسع من ولد الحسين يقسم ميراثه في الحياة « اكمال الدين للصدوق » ص ٢٧٥ باب ٤٩ طبع حجر أول.

ثمّ إنّه عليه السلام أمر أصحابه أنْ يقاربوا البيوت بعضها من بعض؛ ليستقبلوا القوم من وجه واحد. وأمر بحفر خندق من وراء البيوت يوضع فيه الحطب ويلقى

---

(١) الإرشاد.

عليه النّار إذا قاتلهم العدو؛ كيلا تقتحمه الخيل، فيكون القتال من وجه واحد[١].

وخرج عليه السلام في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقّد التلاع والعقبات، فتبعه نافع بن هلال الجملي، فسأله الحسين عمّا أخرجه قال: يابن رسول الله أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغي، فقال الحسين: «**إنّي خرجت أتفقّد التلاع والروابي؛ مخافة أنْ تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون**». ثمّ رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع ويقول: «**هي هي والله، وعد لا خلف فيه**».

ثمّ قال له: «**ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟**»

فوقع نافع على قدمَيه يقبّلهما ويقول: ثكلتني أُمّي، إنّ سيفي بألف وفرسي مثله، فوالله الذي مَنّ بك عليَّ، لا فارقتك حتّى يكلاّ عن فرّي وجرّي.

ثمّ دخل الحسين عليه السلام خيمة زينب، ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره فسمع زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم؟ فإنّي أخشى أنْ يسلّموك عند الوثبة.

فقال لها: «**والله، لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلاّ الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني استيناس الطفل إلى محالب أُمّه**».

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٠.

قال نافع: فلمّا سمعتُ هذا منه، بكيتُ وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت منه ومن أُخته زينب.

قال حبيب: والله، لو لا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة. قلت: إنّي خلّفته عند أُخته وأظنّ النّساء أفقن وشاركنها في الحسرة، فهل لك أنْ تجمع أصحابك وتواجهوهنّ بكلام يطيّب قلوبهن؟ فقام حبيب ونادى: يا أصحاب الحميّة وليوث الكريهة. فتطالعوا من مضاربهم كالأُسود الضارية، فقال لبني هاشم: ارجعوا إلى مقرّكم لا سهرت عيونكم.

ثمّ التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما شاهده وسمعه نافع، فقالوا بأجمعهم: والله الذي مَنّ علينا هذا الموقف، لو لا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا السّاعة، فطب نفساً وقر عيناً. فجزّاهم خيراً.

وقال هلمّوا معي لنواجه النّسوة ونطيّب خاطرهنّ، فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله، هذه صوارم فتيانكم آلَوا ألاّ يغمدوها إلاّ في رقاب مَن يريد السّوء فيكم، وهذه أسنّة غلمانكم أقسَموا ألاّ يركزوها إلاّ في صدور مَن يفرّق ناديكم.

فخرجن النّساء إليهم ببكاء وعويل وقلن: أيّها الطيّبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين.

فضجّ القوم بالبكاء حتّى كأنّ الأرض تميد بهم[١].

وفي السّحر من هذه الليلة خفق الحسين خفقة ثمّ استيقظ وأخبر أصحابه بأنّه رأى في منامه كلاباً شدّت عليه تنهشه وأشدّها عليه كلب أبقع، وإنّ الذي يتولّى قتله من هؤلاء رجل أبرص.

وإنّه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول له: **«أنت شهيد هذه الأُمّة، وقد استبشر بك أهل السّماوات وأهل الصفيح الأعلى وليكن افطارك عندي الليلة عجّل ولا تؤخّر، فهذا ملك قد نزل من السّماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء»**[٢].

وانصاع حامية الشريعة ظامئاً ... ما بلَّ غلَّته بعذب فراتها

أضحى وقد جعلته آل أُميّة ... شبح السهام رميَّة لرماتها

حتّى قضى ـ عطشاً بمعترك الوغى ... والسمر تصدر منه في نهلاتها

وجرت خيول الشرك فوق ضلوعه ... عدواً تجول عليه في حلباتها

ومخدَّرات من عقائل أحمد ... هجمت عليها الخيل في أبياتها

من ثاكل حرّى الفؤاد مروعة ... أضحت تجاذبها العدى حبراتها

---

(١) الدمعة الساكبة / ٣٢٥، وتكرّر في كلامه (هلال بن نافع) وهو اشتباه فإنّ المضبوط (نافع بن هلال) كما في زيارة الناحية، وتاريخ الطبري، وكامل ابن الأثير.

(٢) نفس المهموم / ١٢٥، عن الصدوق.

ويتمية فزعت لجسم كفيلها ... حسرى القناع تعجُّ في أصواتها

أهوت على جسم الحسين وقلبها ... المصدوع كاد يذوب من حسراتها

وقعت عليه تشمُّ موضع نحره ... وعيونها تنهلُّ في عبراتها

ترتاع من ضرب السّياط فتنثني ... تدعو سرايا قومها وحماتها

أين الحفاظ وفي الطّفوف دماؤكم ... سُفكت بسيف أُميّة وقناتها

أين الحفاظ وهذه أشلاؤكم ... بقيت ثلاثاً في هجير فلاتها

أين الحفاظ وهذه أبناؤكم ... ذُبحت عطاشى في ثرى عرصاتها

أين الحفاظ وهذه فتياتكم ... حُملت على الأقتاب بين عداتها

حملت برغم الدين وهي ثواكل ... عبرى تردّد بالشّجى زفراتها

فمَن المعزِّي بعد أحمد فاطماً ... في قتل أبناها وسبي بناتها[1]

---

(١) للعلامة السيد محمّد حسين الكيشوان ترجمته في شعراء الغري ٨/ ٣.

يوم عاشوراء:

«إنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما»

أبو عبد الله الحسين عليه السلام

يوم عاشوراء

لَـو كـان يـدري يـوم عاشـوراء ... مـا كـان يجـري فيـه مـن بـلاء
مـا لاح فـجره ولا اسـتنارا ... ولا أضـاءت شمسـه نهـارا
سـوّد حـزناً أوجـه الأيـام ... وأوجـه الـشهور والأعـوام
الله مـا أعـظمه مـن يـوم ... أزال صـبري وأطـار نـومى
الـيوم أهـل آيـة التطهـير ... بـين صـريع فيـه أو عفـير
اليـوم قـد مـات الحفـاظ وأُلوفـا ... اليـوم كـاد الـدّين يقـضى أسـفا
الـيوم نامـت أعـين الأعـداء ... وسـهدِّت عيـون ذي الـولاء
وَيـلى وهـل يجـدي حزينـاً ويـل ... لأضـلع تـدوسهنَّ الـخيل
وارؤس عـلى الرمـاح ترفـع ... وجثـث عـلى الصـعيد تُوضَـع
وثـاكل تـبدو مـن الخـدور ... تعـجُّ بـالويل وبـالثبور
ومـرضع ترنـو إلى رضـيع ... عـلى الـتراب فـاحص صريـع
ونـسوة تـسبى عـلى النيـاق ... حـسرى تـعاني ألم الفـراق
أهـمّ شـيء لـذوي الـولاء ... أن يـجلسوا للنـوح و العـزاء

فـــيه تـــقام ســـنن المصـــاب والـــترك للطعـــام والـــشراب[١]

لقد مرّ هذا اليوم على آل محمّد صلى الله عليه وآله وكلّه شجاء مترامي الأطراف، أثّرت فجائعه في القلوب فأذابتها وفي المدامع فأدمتها، فلا تسمع فيه إلاّ صرخة فاقد وزفرة ثاكل وحنة محزون، ولا تبصر إلاّ كلّ أشعث قد أنهكه ألم المصاب، و مغبر يذري على رأسه التراب، إلى لادم صدراً وصاك جبهته وقابض على فؤاد وصافق بيده الأُخرى، وترى النّاس سكارى وما هم بسكارى؛ لكن لوعة المصاب أليمة وكوارثه عظيمة. ولَو يكشف لك عن الملأ الأعلى لسمعت لعالم الملكوت صرخة وحنة، وللحور في غرف الجنان نشيجاً ونحيباً ولأئمّة الهدى بكاءاً وعويلاً.

ولا بدع؛ فالفقيد فيه عبق الرسالة وألق الخلافة وإكليل تاج الإمامة، وهو سبط المصطفى وبضعة فاطمة الزهراء وفلذة كبد الوصي المرتضى وشقيق السّبط المجتبى و حجّة الله على الورى، نعم هو الآية المخزونة والرحمة الموصولة والأمانة المحفوظه والباب المبتلى به النّاس.

فمصابه يقلّ فيه البكاء، ويعز عنه العزاء. فلو تطايرت شظايا القلوب وزهقت النّفوس جزعاً لذلك الحادث الجلل لكان دون واجبه. أو ترى للحياة قيمة والمؤدّى به هو ذلك العنصر الحيوي الزاكي. وما قدر الدمع المراق والموتور ثار الله في الأرض؟ أو يهدأ الكون والذاهب مرساه ومنجاه في مسراه؟ وهل ترقأ

---

(١) المقبولة الحسينية / ٦٢، لحجة الإسلام آية الله الشيخ هادي آل كاشف الغطاء قدس الله سره.

العين وهي ترنو بالبصيرة إلى ضحايا آل محمّد مجزّرين على وجه الصعيد مبضعة أجسادهم بين ضريبة للسيوف ودرية للرماح ورمية للنبال؟ وقد قضوا وهم رواء الكون ظماء على ضفة الفرات الجاري، تلغ فيه الكلاب وتشرب منه وحش الفلا، غير أنّ آل محمد صلى الله عليه وآله محلأون عنه؟ وللمذاكي عقرن فلا يلوى لهنّ لجام، تجوال على تلك الصدور الزواكي ولصدر الحسين حديثه الشجي:

وأعظم خطب أنّ شمراً له على ... جناجن صدر ابْن النبىّ مقاعد

فشُلَّت يداه حين يفري بسيفه ... مقلّد من تلقى إليه المقالد

وأىّ فتى أضحت خيول أُميّة ... تعادى على جثمانه وتطارد

فلهفى له والخيل منهنَّ صادر ... خضيب الحوافي في دماه ووارد[1]

فاللازم على الموالي المتأسّي بالنّبي الأعظم الباكي على ولده بمجرّد تذكّر مصابه[2] أنْ يقيم المأتم على سيّد الشهداء، و يأمر مَن في داره بالبكاء عليه، و ليعزّ بعضهم بعضاً بالحسين، فيقول كما في حديث الباقر عليه السلام:

«عظّم الله أُجورنا و أُجوركم بمصابنا بالحسين، و جعلنا و إيّاكم من الطالبين بثأره مع وليّه المهدي من آل محمّد عليهم السلام»[3].

---

(١) للشيخ جعفر الخطي، كما في الدر النضيد / ٩٣.

(٢) الخصائص للسيوطي ٢ / ١٢٥، وأعلام النبوّة للماوردي / ٨٣.

(٣) كامل الزيارات / ١٧٥، ومصباح المتهجّد للشيخ الطوسي / ٣٩.

دخل عبد الله بن سنان على أبي عبد الله الصادق عليه السلام في يوم عاشوراء، فرآه كاسف اللون ظاهر الحزن و دموعه تنحدر على خدّيه كاللؤلؤ فقال له: مِمَّ بكاؤك يابن رسول الله؟ قال عليه السلام: «**أوَفي غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين أُصيب في هذا اليوم؟**»، ثمّ أمره أنْ يكون كهيئة أرباب المصائب، يحلل

أزراره ويكشف عن ذراعَيه ويكون حاسراً، ولا يصوم يوماً كاملاً، وليكن الافطار بعد العصر بساعة على شربة من ماء؛ ففي ذلك الوقت تجلّت الهيجاء عن آل محمّد. ثم قال عليه السلام: «**لَو كان رسول الله حيّاً لكان هو المعزّى به**»[1].

وأمّا الإمام الكاظم عليه السلام فلَم يرَ ضاحكاً أيّام العشرة وكانت الكآبه غالبة عليه، ويوم العاشر يوم حزنه ومصيبته.

ويقول الرضا عليه السلام: «فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء».

وفي زيارة النّاحية يقول حجّة آل محمّد عجّل الله فرجه: «فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينَّ عليك بدل الدموع دماً».

وبعد هذا فهلاّ يجب علينا أن نخرق ثوب الأُنس ونتجلبب بجلباب الحزن والبكاء ونعرف كيف يجب أن نعظّم شعائر الله بإقامة المأتم للشهيد العطشان في العاشر من المحرّم؟!

---

(١) مزار ابن المشهدي من أعلام القرن السادس.

اليوم دينُ الهدى خرَّت دعائمُه ... وملّة الحقّ جدّت في تداعيها

اليوم ضلّ طريق العرف طالبه ... وسُدّ باب الرجا في وجه راجيها

اليوم عادت بنو الآمال متربةً ... اليوم بان العفا في وجه عافيها

اليوم شقّ عليه المجد حلّته ... اليوم جزَّت له العليا نواصيها

اليوم عقد المعالي أرفض جوهره ... اليوم قد أصبحت عطْلٌ معاليها

اليوم أظلم نادي العزّ من مضر ... اليوم صرْفُ الردى أرسى بواديها

اليوم قامت به الزهراء نادبةً ... اليوم آسية وافت تواسيها

اليوم عادت لدين الكفر دولتُه ... اليوم نالت بنو هند أمانيها

ما عذر ارجاس هند يوم موقفه ... والمصطفى خصمهم والله قاضيها

ما عذرها ودِما ابنائه جعلت ... خضاب أعيادها في راح ناديها[1]

---

(١) مزار ابن المشهدي من أعلام القرن السادس.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسين عليه السلام يوم عاشوراء:

قال ابن قَولويه و المسعودي[1]: لما أصبح الحسين يوم عاشوراء وصلّى بأصحابه صلاة الصبح، قام خطيباً فيهم حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «**إنّ الله تعالى أذِن في قتلكم و قتلي في هذا اليوم، فعليكم بالصبر والقتال**».

ثمّ صفّهم للحرب وكانوا اثنين وثمانين فارساً وراجلاً، فجعل زهير بن القين في المَيمنة، وحبيب بن مظاهر في المَيسرة، وثبت هو عليه السلام وأهل بيته في القلب[2]، وأعطى رايته أخاه العباس[3]؛ لأنّه وجد قمر الهاشميين أكفأ ممَّن معه لحملها، وأحفظهم لذمامه وأرأفهم به، وأدعاهم إلى مبدئه وأوصلهم لرحمه، وأحماهم لجواره وأثبتهم للطعان، وأربطهم جأشاً وأشدّهم مراساً[4].

---

(١) كامل الزيارات / ٧٣، وإثبات الوصيّة / ١٣٩، المطبعة الحيدرية.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٤.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤١، وتذكرة الخواص / ١٤٣ الطبعة الحجريّة.

(٤) اختلف المؤرّخون في عدد أصحاب الحسين؛
الأول: أنّهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد، والطبرسي في إعلام الورى / ١٤٢، والفتال في روضة الواعظين / ١٥٨، وابن جرير في التأريخ ٦

وأقبل عمر بن سعد نحو الحسين عليه السلام في ثلاثين ألفاً وكان رؤساء الأرباع بالكوفة يومئذ: عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي على ربع أهل المدينة، وعبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي على ربع مذحج وأسد، وقيس بن الأشعث على ربع ربيعة وكندة، والحرّ بن يزيد الرياحي على ربع تميم وهمدان[1]، وكلّهم اشتركوا في حرب الحسين إلاّ الحرّ الرياحي.

↩

/ ٢٤١، وابن الأثير في الكامل ٤ / ٢٤، والقرماني في أخبار الدول / ١٠٨، والدينوري في الأخبار الطوال / ٣٥٤.

الثاني: إنّهم إثنان وثمانون راجلاً، نسبه في الدمعة الساكبة / ٣٢٧ إلى الرواية وهو المختار.

الثالث: ستون راجلاً، ذكره الدميري في حياة الحيوان في خلافة يزيد ١ / ٧٣.

الرابع: ثلاثة وسبعون رجلاً، ذكره الشريشي في شرح مقامات الحريري ١ / ١٩٣.

الخامس: خمسة وأربعون فارساً ونحو مئة راجل ذكره ابن عساكر كما في تهذيب تاريخ الشام ٤ / ٣٣٧.

السادس: إثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، ذكره الخوارزمي في المقتل ٢ / ٤.

السابع: واحد وستّون رجلاً، ذكره المسعودي في إثبات الوصيّة / ٣٥، طبع المطبعة الحيدرية.

الثامن: خمسة وأربعون فارساً ومئة راجل ذكره ابن نما في مثير الأحزان / ٢٨، وفي اللهوف / ٥٦: أنّه المروي عن الباقر عليه السلام.

التاسع: إثنان وسبعون رجلاً، ذكره الشبراوي في الإتحاف بحبّ الأشراف / ١٧.

العاشر: ما في مختصر تاريخ دول الإسلام للذهبي ١ / ٣١: أنّه عليه السلام سار في سبعين فارساً من المدينة.

(١) في شرح النّهج لابن أبي الحديد ١ / ٨١، الطبعة المصرية: كانت الكوفة اسباعاً.

وجعل ابنُ سعد على المَيمنة عمرو بن الحَجّاج الزبيدي، وعلى المَيسرة شمر بن ذي الجوشن العامري، وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجّالة شبث بن ربعي، والراية مع مولاه ذويد[١].

وأقبلوا يجولون حول البيوت فيرون النّار تضطرم في الخندق، فنادى شمر بأعلى صوته: يا حسين، تعجّلت بالنّار قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين عليه السلام: «**مَن هذا؟ كأنّه شمر بن ذي الجوشن**»، قيل نعم فقال عليه السلام: «**يابن راعية المعزى، أنت أولى بها منّي صِليّا**». ورام مسلم بن عوسجة أنْ يرميه بسهم، فمنعه الحسين و قال: «**أكره أنْ أبدأهم بقتال**»[٢].

دعاء الحسين

ولما نظر الحسين عليه السلام إلى جمعهم كأنّه السيل، رفع يدَيه بالدعاء وقال: «**اللهمّ، أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدوّ، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبةً منّي إليك عمَّن سواك فكشفته وفرّجته، فأنت ولي كلّ نعمة ومنتهى كلّ رغبة**»[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤١.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٤٢.

(٣) ابن الاثير في الكامل ٤ / ٢٥، وتاريخ ابن عساكر ٤ / ٢٣٣، وذكر الكفعمي في ←

الخطبة الأولى

ثمّ دعا براحلته فركبها، و نادى بصوت عال يسمعه جلّهم:

«أيّها النّاس اسمعوا قَولي، ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما هو حقّ لكم عليَّ، وحتّى أعتذر إليكم من مَقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النّصف من أنفسكم، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليَّ سبيل. وإنْ لَم تقبلوا مِنّي العذر ولَم تعطوا النّصف من أنفسكم، فأجمعوا أمركم و شركاءكم ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة. ثمّ اقضوا إليَّ ولا تنظرون. إنّ وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين».

فلمّا سمعنَ النّساء هذا منه صحنَ وبكينَ وارتفعت أصواتهنَّ، فأرسل إليهنَّ أخاه العبّاس وابنه علياً الأكبر وقال لهما: «**سكّتاهنَّ فلعمري ليكثر بكاؤهنَّ**».

ولما سكتنَ، حمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمّد وعلى الملائكة والأنبياء وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره ولَم يُسمع متكلّم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه[1]، ثمّ قال: «**عباد الله، اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر؛ فإنّ الدنيا لَو بقيت على أحد أو بقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء وأولى بالرضا وأرضى**

المصباح / ١٥٨، طبعة الهند: إنّ النبي صلى الله عليه وآله دعا به يوم بدر. واختصره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٠٢.

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٢.

بالقضاء، غير أنّ الله خلق الدنيا للفناء، فجديدها بالٍ ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر، والمنزل تلعة والدار قلعة، فتزوّدوا فإنّ خير الزاد التقوى، واتقوا الله لعلّكم تفلحون[1].

أيّها النّاس إنّ الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته والشقي من فتنته، فلا تغرّنكم هذه الدنيا، فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها وتُخيّب طمع من طمع فيها. وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم وأعرض بوجهه الكريم عنكم وأحلَّ بكم نقمته، فنِعمَ الربّ ربّنا وبئس العبيد أنتم؛ أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمّدﷺ، ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذريّته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم

الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم ولِما تريدون. إنّا لله وإنّا إليه راجعون هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبُعداً للقوم الظالمين[2].

أيّها النّاس أنسبوني مَن أنا ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألستُ ابن بنت نبيّكم وابن وصيّه وابن عمّه وأول المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه؟ أوَ ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أوَ ليس جعفر الطيّار عمّي، أوَ لَم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة؟ فإنْ صدّقتموني بما أقول وهو الحقّ - والله ما

---

(١) زهر الآداب للحصري ١ / ٦٢، طبعة دار الكتب العربية، سنة ١٣٧٢.

(٢) مقتل محمّد بن أبي طالب الحايري.

تعمدتُ الكذب منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله ويضرّ به من اختلقه - وإنْ كذّبتموني فإنّ فيكم مَن إنْ سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!»

فقال الشمر: هو يعبد الله على حرف إنْ كان يدري ما يقول.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثمّ قال الحسين عليه السلام: «**فإنْ كنتم في شكّ من هذا القول، أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم اتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟! أو مال لكم استهلكته؟! أو بقصاص جراحة؟!**»، فأخذوا لا يكلّمونه!

فنادى: «**يا شبث بن ربعي، ويا حَجّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث ألم تكتبوا إليَّ أنْ اقدم قد أينعت الثمار واخضرّ الجناب، وإنّما تقدم على جند لك مجنّدة؟**» فقالو: لَم نفعل. قال: «**سبحان الله! بلى والله لقد فعلتم**». ثمّ قال: «**أيّها النّاس، إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض**». فقال له قَيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمّك؟ فإنّهم لَن يروك إلاّ ما تُحبّ ولَن يصل إليك منهم مكروه.

فقال الحسين عليه السلام: «أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد[1]، عباد الله إنّي عذتُ بربّي وربّكم أنْ ترجمون، أعوذ بربّي وربّكم من كلّ متكبِّر لا يؤمن بيوم الحساب».

ثمّ أناخ وأمر عقبة بن سمعان فعقلها[2].

وقام لسان الله يخطب واعظاً ... فصمّوا لما عن قدس أنواره عموا

وقال انسبوني مَن أنا اليوم وانظروا ... حلالٌ لكم منّي دمي أم محرّم

فما وجدوا إلاّ السِّهام بنحره ... تراشٍ جواباً والعوالي تقوَّم

ومذ أيقن السّبط انمحى دين جَدّه ... ولَم يبقَ بين النّاس في الأرض مسلم

فدى نفسه في نصرة الدين خائضاً ... عن المسلمين الغامرات ليسلموا

---

(١) (بالفاء الموحّدة فيهما)، رواه ابن نما في مثير الأحزان / ٢٦، وهو أصح ممّا يمضي على الألسن، ويوجد في بعض المقاتل (بالقاف) من الإقرار؛ لأنّه على هذا تكون الجملة الثانية غير مفيدة، إلاّ ما أفادته التي قبلها بخلافه على قراءة الفرار، فإنّ الجملة الثانية تفيد أنّه لا يفرّ من الشدة والقتل، كما يصنعه العبيد. وهو معنى غير ما تؤدي إليه الجملة التي قبلها، على أنّه يوجد في كلام أمير المؤمنين ما يشهد له، ففي تاريخ الطبري ٦ / ٧٦ الطبعة الأُولى وكامل ابن الأثير ٣ / ١٤٨، ونهج البلاغة ١ / ١٠٤، المطبعة الأميريّة: إنّ أمير المؤمنين قال في مصقلة بن هبيرة لمّا فرّ إلى معاوية: «**ما لَه فعل فعل السيّد، وفرّ فرار العبد، وخان خيانة الفاجر؟!**»، وقصّته على ما ذكرها ابن حزم في جمهرة أنساب العرب / ١٦٤: إنّ أصحاب الحريث بن راشد من بني عبد البيت بن الحارث ارتدّوا أيام علي عليه السلام فحاربهم وقتلهم وسبى نساءهم وأبناءهم، فابتاعهم مصقلة الشيباني وأعتقهم ثمّ هرب إلى معاوية، فأمضى علي عليه السلام عتقه لهم.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٣.

وقال خذيني , يا حتوف وهاك يا ... سيوف فأوصالي لك اليوم مغنم
وهيهات أن أغدو على الضّيم جاثماً ... ولو لا على جمر الأسنّة مجثم
وكرّ وقد ضاق الفضا وجرى القضا ... وسال بوادي الكفر سيل عرمرم
ومذ خرّ بالتعظيم لله ساجداً ... له كرّروا بين السّيوف وعظموا
وجاء إليه الشّمر يرفع رأسه ... فقام به عنه السّنان المقوّم
وزُعزع عرش الله وانحطّ نوره ... فأشرق وجه الأرض , والكون مظلم
ومذ مال قطب الكون مال وأوشك ... انقلاباً يميل الكائنات ويعدم
وحين ثوى في الأرض , قرّ قرارها ... وعادت ومن أوج السّما وهي أعظم
فلهفي , له فرداً عليه تزاحمت ... جموع العدى تزداد جهلاً فيحلم
ولهفي , له ظام يجود وحوله ... الفرات جرى طام وعنه يحرّم
ولهفي , له ملقىً وللخيل حافر ... يجول على تلك الضلوع وينسم
ولهفي , على أعضاك يابن محمد ... تُوزّع في أسيافهم وتسهم
فجسمك ما بين السّيوف موزّع ... ورحلك ما بين الأعادي مقسّم
فلهفي على ريحانة الطُّر جسمه ... لكلّ رجيم بالحجارة يرجم[1]

---

(١) من قصيدة لآية الله الحجّة محمّد حسين كاشف الغطاء ذُكرت بتمامها في كتابنا (قمر بن هاشم).

كرامة وهداية

وأقبل القوم يزحفون نحوه، وكان فيهم عبد الله بن حوزة التميمي[١] فصاح: أفيكم حسين؟ وفي الثالثة قال أصحاب الحسين: هذا الحسين فما تريد منه؟ قال: يا حسين، أبشر بالنّار، قال الحسين: «**كذبت، بل أقدم على ربّ غفور كريم مطاع شفيع. فمَن أنت؟**» قال: أنا ابن حوزة. فرفع الحسين يدَيه حتّى بانَ بياض ابطَيه وقال: «اللهمّ، حزه إلى النّار، فغضب ابن حوزة وأقحم الفرس إليه وكان بينهما نهر فسقط عنها وعلقت قدمه بالركاب، وجالت به الفرس وانقطعت قدمه وساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر معلّقاً بالركاب، وأخذت الفرس تضرب به كلّ حجر وشجر[٢]، وألقته في النّار المشتعلة في الخندق فاحترق بها ومات. فخرّ الحسين عليه السلام ساجداً شاكراً حامداً على إجابة دعائه، ثمّ إنّه رفع صوته يقول: «**اللهمّ، إنّا أهل بيت نبيّك وذريّته وقرابته، فاقصم مَن ظلمنا وغصبنا حقّنا إنّك سميع قريب**» فقال له: محمّد بن الأشعث أيّ قرابة بينك وبين محمّد؟ فقال الحسين: «**اللهمّ إنّ** محمد بن الأشعث يقول: ليس بيني و

---

(١) في مجمع الزوائد للهيثمي ٩ / ١٩٣: ابن جويرة أو جويزة.
وفي مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ٢٤٨: مالك بن جريرة.
وفي روضة الواعظين للفتال / ١٥٩ الطبعة الأُولى: يقال له: ابن أبي جويرة المزني، وإنّ فرسه نفرت به وألقته في النّار التي في الخندق.
(٢) كامل ابن الأثير ٤ / ٢٧.

بين محمّد قرابة. اللهمّ أرني فيه هذا اليوم ذلاً عاجلاً»، فاستجاب الله دعاءه، فخرج محمّد بن الأشعث من العسكر، ونزل عن فرسه لحاجته، وإذا بعقرب أسود يضربه ضربة تركته متلوّثاً في ثيابه ممّا به[١] ومات باديَ العورة[٢].

قال مسروق بن وائل الحضرمي: كنتُ في أوّل الخيل التي تقدّمت لحرب الحسين؛ لعلّي أنْ أُصيب رأس الحسين فأحظى به عند ابن زياد، فلمّا رأيت ما صُنع بابن حوزة عرفت أنّ لأهل هذا البيت حرمة ومنزلة عند الله، وتركت النّاس وقلت: لا أُقاتلهم فأكون في النّار[٣].

خطبة زهير بن القين

وخرج إليهم زهير بن القين على فرس ذنوب وهو شاك في السّلاح فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله إنَّ حقّاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتّى الآن إخوة على دين واحد، ما لَم يقع بيننا وبينكم السّيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السّيف انقطعت العصمة، وكنّا أُمّة وأنتم أُمّة، إنّ الله ابتلانا وإيّاكم بذريّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله؛ لينظر ما نحن وأنتم عاملون. إنّا ندعوكم

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٩ فصل ١١: واقتصر الصدوق في الأمالي على دعائه على محمّد بن الأشعث.

(٢) روضة الواعظين للفتال ص١٥٩ طبع أول.

(٣) الكامل لابن الأثير ج٤ ص٢٧.

إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما إلاّ سوء عمر سلطانهما، يسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النّخل، ويقتلان أماثلكم وقرّاءكم أمثال حِجر بن عدي وأصحابه، وهاني بن عروة وأشباهه. فسبّوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا: لا نبرح حتّى نقتل صاحبك ومَن معه أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سلماً.

فقال زهير: عباد الله إنّ ولد فاطمة أحقّ بالودّ والنّصر من ابن سميّة، فإنْ لم تنصروهم، فأُعيذكم بالله أنْ تقتلوهم، فخلّوا بين هذا الرجل وبين يزيد، فلَعمري إنّه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام.

فرماه الشمر بسهم وقال: اسكت أسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال زهير: يابن البوّال على عقبيه، ما إيّاك أُخاطب، إنّما أنت بهيمة والله ما أظنّك تحكم من كتاب الله آيتَين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال الشمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

فقال زهير: أفبالموت تخوّفني؟ فوالله لَلموت معه أحبّ إليَّ من الخلد معكم. ثمّ أقبل على القوم رافعاً صوته وقال:

عباد الله، لا يغرّنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله قوماً هرقوا دماء ذريّته وأهل بيته، وقتلوا مَن نصرهم وذبَّ عن حريمهم.

فناداه رجل من أصحابه، إنّ أبا عبد الله يقول لك: «**أقبِل، فلَعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه وأبلغ في الدعاء، فلقد نصحتَ هؤلاء وأبلغت لَو نفع النّصح والإبلاغ**»[١].

خطبة بُرير

واستأذن الحسينَ برير بن خضير[٢] في أنْ يكلّم القوم، فأذن له وكان شيخاً تابعياً ناسكاً قارئاً للقرآن ومن شيوخ القرّاء في جامع الكوفة، وله في الهمدانيّين شرف وقدر.

فوقف قريباً منهم ونادى: يا معشر النّاس، إنّ الله بعث محمداً بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السّواد وكلابه وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله، أفجزاء محمّد هذا؟![٣].

فقالوا: يا بُرير، قد أكثرت الكلام، فاكفف عنّا، فوالله ليعطش الحسين كما عطش مَن كان قبله.

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٣.

(٢) قال ابن الأثير في الكامل ٤ / ٣٧: برير (بالباء الموحّدة، وفتح الراء المهملة، وسكون الياء المثناة من تحتها، وآخره راء). وخضير (بالخاء والضاد المعجمتين).

(٣) في أمالي الصدوق / ٩٦، المجلس الثلاثون، الطبعة الأُولى: لمّا بلغ العطش من الحسين وأصحابه، استأذن برير أن يكلّم القوم فأذِن له.

قال: يا قوم، إنّ ثقل محمّد قد أصبح بين أظهركم، وهؤلاء ذرّيته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أنْ تصنعوه بهم؟ فقالوا: نريد أنْ نمكنّ منهم الأمير عبيد الله بن زياد، فيرى فيهم رأيه.

قال: أفلا تقبلون منهم أنْ يرجعوا إلى المكان الذي جاؤا منه؟ ويلكم يا أهل الكوفة، أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها وعليكم؟! أدعوتم أهل بيت نبيّكم وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسكم دونهم حتّى إذا أتوكم أسلمتموهم إلى ابن زياد وحلأتموهم عن ماء الفرات؟ بئسما خلفتم نبيّكم في ذريّته! ما لكم؟ لا سقاكم الله يوم القيامة فبئس القوم أنتم!

فقال له نفر منهم: يا هذا، ما ندري ما تقول!

قال: الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة، اللهمّ إنّي أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم، اللهمّ القِ بأسهم بينهم حتّى يلقوك وأنت عليهم غضبان.

فجعل القوم يرمونه بالسّهام، فتقهقر[1].

خطبة الحسين الثانية

ثمّ إنّ الحسين عليه السلام ركب فرسه، وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه، ووقف بإزاء القوم وقال: «**يا قوم، إنّ بيني وبينكم كتاب الله وسنّة جدّي رسول الله** صلى الله عليه وآله»[2].

---

(١) البحار ج١٠: عن محمّد بن أبي طالب. [بحار الأنوار ٤٥ / ٥].

(٢) تذكرة الخواص / ١٤٣.

ثمّ استشهدهم عن نفسه المقدّسة وما عليه من سيف النّبي صلى الله عليه وآله ولامته وعمامته فأجأبوه بالتصديق. فسألهم عمّا أخذهم على قتله؟ قالوا: طاعةً للأمير عبيد الله بن زياد، فقال عليه السلام:

«تبّاً لكم أيّتها الجماعة و ترحاً، أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم. فهلاّ - لكم الويلات! - تركتمونا والسّيف مشيم والجأش طامن والرأي لَما يستحصف، ولكنْ أسرعتم إليها كطيرة[1] الدبا وتداعيتم عليها كتهافت الفراش، ثمّ نقضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرّفي الكلِم وعصبة الإثم ونفثة الشيطان ومطفئيّ السّنَن! ويحكم أهؤلاء تعضدون وعنّا تتخاذلون! أجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه أُصولكم وتأزّرت فروعكم فكنتم أخبث ثمرة، شجى للناظر وأكلة للغاصب!

ألا وإنّ الدّعيّ بن الدعيّ قد ركز بين اثنتَين؛ بين السّلة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبي الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأُنوف حميّة ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام من مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الأُسرة على قلّة العدد وخذلان النّاصر». ثمّ أنشد أبيات فروة بن مُسيك

---

(١) بالكسر فالفتح، تاج العروس.

المرادي[1].

فإن نهزم فهزّامون قدماً ... وإن نهْزَم فغير مُهزَّمينا

وما أن طبنا ٥٥ جبن ولكن ... منايانا ودولة آخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

إذا مات الموت رفَّع عن أُناس ... بكلكله أناخ بآخرينا

أما والله، لا تلبثون بعدها إلاّ كريثما يركب الفرس، حتّى تدور بكم دور

---

(١) نقلناها من اللهوف / ٥٤، ورواها ابن عساكر في تاريخ الشام ٤ / ٣٣٣، والخوارزمي في المقتل ٢ / ٦، وفي نقليهما خلاف لما هنا.

وقال ابن حجر في الإصابة ٣ / ٢٠٥: وفد فروة بن مسيك (بالتصغير) على النّبي صلى الله عليه وآله سنة تسع مع مذحج، واستعمله النبي على مراد ومذحج وزبيد.

وفي الاستيعاب: سكن الكوفة أيام عمر. وذكر ابن هشام في السيرة بهامش الروض الانف ٢ / ٣٤٤: لمّا كانت الوقعة بين مراد وهمدان، أنشأ أبياتاً تسعة ولَم يكن فيها البيت الثالث والرابع. وفي اللهوف ذكر سبعة مع البيتين. وفي الأغاني ١٩ / ٤٩: نسب الفرزدق إلى خاله العلاء بن قرظة قوله:

إذا ما الدهر جر على اناس ... بكلكله أناخ بآخرينا

فقل للشامتين ... الخ.

وذكر ابن عساكر في تاريخ الشام ٤ / ٣٣٤، والخوارزمي في المقتل ٢ / ٧، الأول والثاني ولَم ينسباهما إلى أحد.

ونسبهما المرتضى في الأمالي ١ / ١٨١ إلى ذي الإصبع العدواني. وفي عيون الأخبار لابن قتيبة ٣ / ١١٤، وشرح الحماسة للتبريزي ٣ / ١٩١: أنّها للفرزدق.

وفي الحماسة البصريّة / ٣٠: أنّهما من قصيدة فروة بن مسيك، ويرويان لعمر بن قعاس.

الرحى وتقلق بكم قلق المحور، عهدٌ عَهَده إليَّ أبي عن جدّي رسول الله، فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة ثمّ اقضوا إليَّ ولا تنظرون، إنّي توكّلت على الله ربّي وربّكم، ما من دابّة إلاّ هو آخذ بناصيتها إنّ ربّي على صراط المستقيم»[١].

ثمّ رفع يدَيه نحو السّماء وقال: **«اللهمّ، احبس عنهم قطر السّماء، وابعث عليهم سنين كسنيّ يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة، فإنّهم كذبونا وخذلونا، وأنت ربّنا عليك توكّلنا وإليك المصير**[٢].

والله لا يدع أحداً منهم إلاّ انتقم لي منه، قتلةً بقتلة وضربةً بضربة، وإنّه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي»[٣].

ضلال ابن سعد

واستدعى الحسين عليه السلام عمر بن سعد، فدُعي له - وكان كارهاً لا يحبّ أن يأتيه - فقال عليه السلام: «أي عمر، أتزعم أنّك تقتلني ويولّيك الدعيّ بلاد الري وجرجان؟ والله لا تتهنّأ بذلك، عهد معهود فاصنع ما أنت صانع، فإنّك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأنّي برأسك على قصبة يتراماه الصبيان بالكوفة

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٤، والمقتل للخوارزمي ٢ / ٧، واللهوف / ٥٤.
(٢) اللهوف / ٥٦، طبعة صيدا، والمقتل للخوارزمي ٣ / ٧.
(٣) مقتل العوالم / ٨٤.

ويتّخذونه غرضاً بينهم»، فصرف بوجهه عنه مغضباً[١].

توبة الحرّ

ولمّا سمع الحرّ بن يزيد الرياحي كلامه واستغاثته، أقبل على عمر بن سعد وقال له: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال: إي والله، قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي. قال: ما لكم فيما عرضه عليكم من الخصال؟ فقال: لَو كان الأمر إليَّ لقبلت، ولكن أميرك أبى ذلك. فتركه ووقف مع النّاس، وكان إلى جنبه قرّة بن قيس فقال لقرّة: هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: فهل تريد أن تسقيه؟ فظنّ قرّة من ذلك أنّه يريد الاعتزال ويكره أن يشاهده، فتركه فأخذ الحرّ يدنو من الحسين قليلاً، فقال له المهاجر بن أوس: أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذته الرعدة، فارتاب المهاجر من هذا الحال وقال له: لَو قيل لي: مَن أشجع أهل الكوفة؟ لَمَا عدوتك، فما هذا الذي أراه منك؟ فقال الحرّ: إنّي أُخيِّر نفسي بين الجنّة والنّار، والله لا أختار على الجنّة شيئاً ولو أُحرقت. ثمّ ضرب جواده نحو الحسين[٢] منكّساً رمحه قالباً ترسه[٣] وقد طأطأ برأسه؛ حياءً من آل الرسول بما

---

(١) تظلّم الزهراء عليها السلام / ١١٠، ومقتل العوالم / ٨٤، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٨.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٤.

(٣) في البداية لابن كثير ٧ / ٦٣: في واقعة اليرموك قال جرجه، وهو من النصارى لخالد بن الوليد: ما منزلة مَن يدخل منّا في هذا الأمر؟ قال خالد: له من الأجر أفضل ممّا لنا؛ لأنا صدقنا نبينا وهو حي بين أظهرنا يأتيه وحي السّماء ونرى الآيات، ومَن يسلم منكم وهو ←

أتى إليهم وجعجع بهم في هذا المكان على غير ماء ولا كلأ، رافعاً صوته:

اللهمّ إليك أُنيب فتب عليَّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيّك. يا أبا عبدالله إنّي تائب، فهل لي من توبة؟

فقال الحسين عليه السلام: «**نعم يتوب الله عليك**»(١). فسرّه قوله وتيقّن الحياة الأبديّة والنّعيم الدائم، ووضح له قول الهاتف لمّا خرج من الكوفة، فحدّث الحسين عليه السلام بحديث قال فيه: لمّا خرجت من الكوفة نُوديت: أبشر يا حرّ بالجنّة. فقلت: ويلٌ للحر

يُبشّر بالجنّة وهو يسير إلى حرب ابن بنت رسول الله؟!(٢).

فقال له الحسين عليه السلام: «**لقد أصبت خيراً وأجراً**»(١). وكان معه غلام تركي(٢).

لَم يسمع ما سمعنا ولَم يرَ ما رأينا من العجائب والحجج وكان دخوله في هذا الأمر بيّنة صادقة، كان أفضل منّا. فعند ذلك قلب جرجه الترس ومال مع خالد وقال: علِّمني الإسلام....

وفي أنساب الأشراف للبلاذري ١ / ٤٢، طبعة دار المعارف، مصر: كان العرب إذا خافوا ووردوا على من يستجيرون به وجاؤا للصلح نكسوا رماحهم. وقال في صفحة ٤٣: وفد الحارث بن ظالم على عبد الله بن جدعان بـ (عكاظ) وهم يرون حرب قيس، فكذلك نكّس رمحه ثمّ رفعه حين عرفوه وأمن.

(١) اللهوف / ٥٨، وأمالي الصدوق / ٩٧ المجلس الثلاثون، وروضة الواعظين / ١٥٩.

(٢) أمالي الصدوق / ٩٣، المجس الثلاثون.

نصيحة الحر لأهل الكوفة

ثمّ استأذن الحسينَ عليه السلام في أنْ يكلّم القوم فأذن له، فنادى بأعلى صوته: يا أهل الكوفة لأُمّكم الهبل والعبر؛ إذ دعوتموه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كلّ جانب فمنعتموه التوجّه إلى بلاد الله العريضة حتّى يأمن وأهل بيته، وأصبح كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، وحلأتموه ونساءه وصبيته وصحبه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهود والنّصارى والمجوس، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه. وها هم قد صرعهم العطش، بئسما خلفتم محمداً في ذريّته! لا سقاكم الله يوم الظمأ! فحملت عليه رجّالة ترميه بالنّبل، فتقهقر حتّى وقف أمام الحسين[٣].

الحملة الأولى

وتقدّم عمر بن سعد نحو عسكر الحسين ورمى بسهم وقال: اشهدوا لي عند الأمير إنّي أول من رمى. ثمّ رمى النّاس[٤]، فلَم يبقَ من أصحاب الحسين أحد

---

(١) مثير الأحزان لابن نما / ٣١، وفي مقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ٩: كان معه غلام له تركي.

(٢) الهبل (بالتحريك): الثكل. والعبر (بالفتح): الحزن، وجريان الدمعة كاستعبر، تاج العروس.

(٣) ابن الأثير ٤ / ٢٧.

(٤) الخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٧.

إلاّ أصابه من سهامهم[١]، فقال عليه السلام لأصحابه: «**قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه، فإنَّ هذه السّهام رسل القوم إليكم**». فحمل أصحابه حملةً واحدةً[٢] واقتتلوا ساعة، فما انجلت الغبرة إلاّ عن خمسين صريعاً[٣].

سطت ورحى الهيجاء تطحن ... ووجه الضحى في نقعها متنقّب
تهلّل بشراً بالقراع وجوهها ... وكم وجه ضرغام هناك مقطّب
وتلتذّ أن جاءت لها السمر تلتوي ... وللبيض ان سُلّت لدى الضرب
أعزّاء لا تلوي الرقاب لفادح ... ولا من أُلوف في الكريهة ترهب
فما لسوى العلياء تاقت نفوسهم ... ولَم تك في شيء سوى العزّ ترغب
فلَو أنَّ مجداً في الثرّيا لحلقت ... إليه وشأن الشّهم للمجد يطلب
فأسيافهم يوم الوغى تمطر الدّما ... وأيديهم من جودها الدهر مخضب
وما برحت تقري المواضي لحومها ... ومن دمها السّمر العواسل تشرب
إلى أنْ تهاوت كالكواكب في الثرى ... وما بعدهم يا ليت لا لاح كوكب[٤]

---

(١) مقتل العوالم / ٨٤.
(٢) اللهوف / ٥٦.
(٣) البحار عن محمّد بن أبي طالب.
(٤) من قصيدة للشيخ حسون الحلي شعراء الحلة ٢/ ١٠٤.

تـهاووا فـقل زهـر النّجـوم تهافتـت وأهـووا فـقل شـمّ الجبـال تهـدّم[١]

وخرج يسار مولى زياد وسالم مولى عبيد الله بن زياد فطلبا البراز، فوثب حبيب وبرير، فلم يأذن لهما الحسين عليه السلام. فقام عبد الله بن عمير الكلبي، من بني عليم، وكنيته أبو وهب، وكان طويلاً شديد السّاعدين بعيد ما بين المنكبين، شريفاً في قومه شجاعاً مجرّباً، فأذن له وقال: «**أحسبه للأقران قتّالاً**». فقالا له: مَن أنت؟ فانتسب لهما، فقالا: لا نعرفك ليخرج إلينا زهير أو حبيب أو برير، وكان يسار قريباً منه فقال له: يابن الزانية أوَبك رغبةً عن مبارزتي؟ ثمّ شدّ عليه بسيفه يضربه، وبينا هو مشتغل به إذ شدّ عليه سالم، فصاح أصحابه قد رهقك العبد فلم يعبأ به، فضربه سالم بالسّيف فاتقاها عبد الله بيده اليسرى فأطار أصابعه، ومال عليه عبد الله فقتله. وأقبل إلى الحسين يرتجز وقد قتلهما.

وأخذت زوجته أُمّ وهب بنت عبد الله بن النمر بن قاسط، عموداً، وأقبلت نحوه تقول له: فداك أبي وأُمّي قاتل دون الطيّبين ذريّة محمّد صلى الله عليه وآله. فأراد أنْ يردّها إلى الخيمة، فلَم تطاوعه وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن أدعك دون أنْ أموت معك. فناداها الحسين عليه السلام: «**جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً، ارجعي إلى الخيمة، فإنّه ليس على النّساء قتال**». فرجعت[٢].

---

(١) من قصيدة للحجة للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه الله، طبعت في كتابنا (قمر بني هاشم).

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٥، وابن الأثير ٤ / ٣٧.

مبارزة الاثنين والاربعة

ولمّا نظر مَن بقي من أصحاب الحسين إلى كثرة مَن قُتل منهم، أخذ الرجلان والثلاثة و الأربعة يستأذنون الحسين في الذبّ عنه والدفع عن حرمه، وكلّ يحمي الآخر من كيد عدوّه. فخرج الجابريّان وهما: سيف بن الحارث بن سريع، ومالك بن عبد بن سريع، وهما ابنا عمّ وأخوان لأُمّ، وهما يبكيان قال الحسين عليه السلام: «**ما يبكيكما؟ إنّي لأرجو أنْ تكونا بعد ساعة قريرَي العين**». قالا: جعلنا الله فداك، ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك؛ نراك قد أُحيط بك ولا نقدر أنْ ننفعك. فجزاهما الحسين خيراً. فقاتلا قريباً منه حتّى قُتلا[1].

وجاء عبد الله وعبد الرحمن ابنا عروة الغفاريّان فقالا: قد حازنا النّاس إليك. فجعلا يقاتلان بين يدَيه حتّى قُتلا.

وخرج عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولاه وجابر بن الحارث السلماني ومجمع بن عبد الله العائذي[2]، وشدّوا جميعاً على أهل الكوفة فلمّا أوغلوا فيهم، عطف عليهم النّاس وقطعوهم عن أصحابهم، فندب إليهم الحسين أخاه العبّاس فاستنقذهم بسيفه، وقد جُرحوا بأجمعهم، و في أثناء الطريق اقترب منهم

---

(١) ابن الأثير ٤ / ٢٩.

(٢) في الإصابة ٣ / ٩٤ القسم الثالث: مجمع بن عبد الله بن مجمع بن مالك بن أياس بن عبد مناة بن سعد، قُتل مع الحسين بن علي عليه السلام بالطفّ، ولأبيه إدراك.

العدوّ فشدّوا بأسيافهم مع ما بهم من الجراح، و قاتلوا حتّى قتلوا في مكان واحد[١].

استغاثة و هداية

ولمّا نظر الحسين إلى كثرة مَن قُتل من أصحابه، قبض على شيبته المقدّسة وقال: «**اشتدّ غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتدّ غضبه على النّصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتدّ غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتدّ غضبه على قوم اتّفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيّهم. أما والله، لا أُجيبهم إلى شيء ممّا يريدون حتّى ألقى الله وأنا مخضّب بدمي، ثمّ صاح: أما من مغيث يغيثنا! أما من ذابّ يذبُّ عن حرم رسول الله!**»[٢] فبكت النّساء وكثر صراخهن.

وسمع الأنصاريّان سعد بن الحارث وأخوه أبو الحتوف استنصار الحسين عليه السلام واستغاثته وبكاء عياله - وكانا مع ابن سعد - فمالا بسيفيهما على أعداء الحسين عليه السلام وقاتلا حتّى قُتلا[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٥.

(٢) اللهوف / ٥٧.

(٣) الحدايق الورديّة مخطوط.

ثبات الميمنة

وأخذ أصحاب الحسين عليه السلام - بعد أن قلّ عددهم وبان النّقص فيهم - يبرز الرجل بعد الرجل فأكثروا القتل في أهل الكوفة. فصاح عمرو بن الحَجّاج لأصحابه: أتدرون مَن تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلاّ قتلوه على قلّتهم، والله لَو لَم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم. فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي ما رأيت، ارسِل في النّاس مَن يعزم عليهم أنْ لا يبارزهم رجل منهم، ولَو خرجتم إليهم وحداناً لأتوا عليكم[1].

ثمّ حمل عمرو بن الحَجّاج على مَيمنة الحسين عليه السلام، فثبتوا له وجثوا على الركب وأشرعوا الرماح، فلَم تقدم الخيل. فلمّا ذهبت الخيل لترجع، رشقهم أصحاب الحسين عليه السلام بالنّبل فصرعوا رجالاً وجرحوا آخرين[2].

وكان عمرو بن الحَجّاج يقول لأصحابه: قاتِلوا مَن مَرق عن الدِّين وفارق الجماعة. فصاح الحسين عليه السلام: «**ويحك يا عمرو! أعليَّ تحرّض النّاس؟ أنحن مرقنا من الدِّين وأنت تقيم عليه؟! ستعلمون إذا فارقت أرواحنا أجسادنا مَن أولى بصليّ النّار**»[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٩.

(٢) كامل ابن الأثير ٤ / ٢٧.

(٣) البداية لابن كثير ٨ / ١٨٢.

مسلم بن عوسجة

ثمّ حمل عمرو بن الحَجّاج من نحو الفرات فاقتتلوا ساعة، وفيها قاتل مسلم بن عوسجة، فشدّ عليه مسلم بن عبد الله الضبابي وعبد الله بن خشكارة البجلي، وثارت لشدّة الجلاد غبرة شديدة وما انجلت الغبرة إلاّ ومسلم صريع وبه رمق. فمشى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر فقال له الحسين عليه السلام: «**رحمك الله يا مسلم! ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾**[1]». ودنا منه حبيب وقال: عزّ عليّ مصرعك يا مسلم، أبشِر بالجنّة. فقال بصوت ضعيف: بشّرك الله بخير. قال حبيب: لَو لَمْ أعلم أنّي في الأثر لأحببت أنْ توصي إليَّ بما أهمّك. فقال مسلم: أُوصيك بهذا وأشار إلى الحسين عليه السلام أنْ تموت دونه. قال: أفعل وربِّ الكعبة. وفاضت روحه بينهما. وصاحت جارية له: وآ مسلماه! يا سيّداه! يابن عوسجتاه! فتنادى أصحاب ابن الحجاج: قتلنا مسلماً.

فقال شبث بن ربعي لَمن حوله: ثكلتكم أُمّهاتكم! أيقتل مثل مسلم وتفرحون! لَربَّ موقف له كريم في المسلمين رأيته يوم آذربيجان، وقد قتل ستة من المشركين قبل تتام خيول المسلمين[2].

---

(١) سورة الأحزاب / ٢٣.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٩.

الميسرة

وحمل الشمر في جماعة من أصحابه على ميسرة الحسين عليه السلام فثبتوا لهم حتّى كشفوهم، وفيها قاتل عبد الله بن عمير الكلبي فقتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً، وشدّ عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فقطع يده اليمنى[1]، وقطع بكر بن حي ساقه.

فأُخذ أسيراً وقُتل صبراً[2]، فمشت إليه زوجته أُمّ وهب وجلست عند رأسه تمسح الدم عنه وتقول: هنيئاً لك الجنّة أسأل الله الذي رزقك الجنّة أنْ يصحبني معك. فقال الشمر لغلامه رستم: اضرب رأسها بالعمود، فشدخه وماتت مكانها، وهي أول امرأة قُتلت من أصحاب الحسين عليه السلام[3].

وقطع رأسه ورمى به إلى جهة الحسين فأخذته أُمّه ومسحت الدم عنه، ثمّ أخذت عمود خيمة وبرزت إلى الأعداء فردّها الحسين عليه السلام وقال: «**ارجعي رحمك الله فقد وضِع عنك الجهاد**». فرجعت وهي تقول: اللهمّ، لا تقطع رجائي. فقال الحسين عليه السلام: «**لا يقطع الله رجاءك**»[4].

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢١٧.

(٢) حكى هذا ابن الأثير، وفي مقتل الخوارزمي ٢ / ١٣: إنّ شماله قُطعت بعد أن قُطعت يمينه.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥١، وفي مسند أحمد ٢ / ١٠٠، الطبعة الأُولى عن أبي عمر: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة غزاها بامرأة مقتولة، فنهى عن قتل النّساء والصبيان.

(٤) تظلّم الزهراء عليها السلام / ١١٣.

وحمل الشمر حتّى طعن فسطاط الحسين عليه السلام بالرمح وقال: عليَّ بالنّار لأُحرقه على أهله. فتصايحت النّساء وخرجن من الفسطاط، وناداه الحسين عليه السلام: «**يابن ذي الجوشن، أنت تدعو بالنّار لتحرق بيتي على أهلي؟! أحرقك الله بالنّار**». وقال له شبث بن ربعي: أمرعباً للنّساء صرت؟ ما رأيت مقالاً أسوأ من مقالك، وموقفاً أقبح من موقفك. فاستحى وانصرف. وحمل على جماعته زهير بن القين في عشرة من أصحابه حتّى كشفوهم عن البيوت[1].

عزرة يستمد الرجال

ولمّا رأى عزرة بن قيس - وهو على الخيل - الوهن في أصحابه والفشل كلّما يحملون، بعث إلى عمر بن سعد يستمدّه الرجال، فقال ابن سعد لشبث بن ربعي: ألا تقدم إليهم؟ قال: يا سبحان الله! تكلّف شيخ المصر، وعندك مَن يجزي عنه. ولَم يزل شبث بن ربعي كارهاً لقتال الحسين، وقد سُمع يقول: قاتلنا مع علي بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثمّ عدونا على ولده وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سميّة الزانية، ضلال يا لك من ضلال! والله لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً، ولا يسدّدهم لرشد[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥١، واختصره الخوارزمي في المقتل ٢ / ١٦.
(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥١.

فمدّه بالحصين بن نُمير في خمسمئة من الرماة، واشتدّ القتال، وأكثر أصحاب الحسين عليه السلام فيهم الجراح حتّى عقروا خيولهم وأرجلوهم[١]، ولَم يقدروا أنْ يأتوهم من وجه واحد؛ لتقارب أبنيتهم. فأرسل ابن سعد الرجال ليقوضوها عن أيمانهم وعن شمائلهم؛ ليحيطوا بهم. فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين عليه السلام يتخلّلون البيوت فيشدّون على الرجل وهو ينهب فيقتلونه ويرمونه من قريب فيعقرونه.

فقال ابن سعد: احرقوها بالنّار فأضرموا فيها النّار. فصاحت النّساء ودُهشت الأطفال، فقال الحسين عليه السلام: «**دعوهم يحرقونها، فإنّهم إذا فعلوا ذلك لَم يجوزوا إليكم**». فكان كما قال[٢].

أبو الشعثاء

وكان أبو الشعثاء الكندي - وهو يزيد بن زياد - مع ابن سعد، فلمّا ردّوا الشروط على الحسين عليه السلام صار معه، وكان رامياً فجثا على ركبتَيه بين يدَي الحسين ورمى بمئة سهم و الحسين عليه السلام يقول: «**اللهمّ سدّد رميته، واجعل ثوابه الجنّة**». فلمّا نفدت سهامه قام وهو يقول: لقد تبيّن لي أنّي قتلت منهم خمسة[٣]. ثمّ حمل

---

(١) إعلام الورى / ١٤٥، وابن الأثير ٤ / ٢٨.
(٢) ابن الأثير ٤ / ٢٨، ومقتل الخوارزمي ٢ / ١٦.
(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٥.

على القوم فقتل تسعة نفر وقُتل[١].

الزوال

والتفت أبو ثمامة الصائدي[٢] إلى الشمس قد زالت، فقال للحسين عليه السلام: نفسي لك الفداء، إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، لا و الله لا تُقتل حتّى أُقتل دونك، و أُحبّ أنْ ألقى الله وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها. فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السّماء وقال: «ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، سلوهم أنْ يكفّوا عنّا حتّى نصلّي». فقال الحصين: إنّها لا تُقبل[٣].

---

(١) أمالي الصدوق / ١٧ المجلس الثلاثون، وفي ذخيرة الدارين: قتل تسعة عشر رجلاً.

(٢) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم / ٣٧٣، والإكليل للهمداني ١٠ / ٩٧: أبو ثمامة: هو زياد بن عمرو بن عريب بن حنظلة بن دارم الصائدي، قُتل مع الحسين.
وفي تاريخ الطبري ٦ / ١٥١، وزيارة النّاحية المقدسة أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي.
وفي اللباب لابن الأثير ٢ / ٤٦: الصائدي: نسبةً إلى صائد، بطن من همدان، واسم صايد كعب بن شرحبيل... الخ.

(٣) في الوسائل ١ / ٢٤٧، الباب الواحد والأربعون، في مواقيت الصلاة، طبعة عين الدولة: كان أمير المؤمنين عليه السلام مشتغلاً بالحرب ويراقب وقت الصلاة، فقال له ابن عبّاس ما هذا الفعل يا أمير المؤمنين قال: «**أُراقب الشمس**». فقال له: إنّ عندنا لشغلاً بالقتال عن الصلاة. فقال عليه السلام: «**إنّما قاتلناهم على الصلاة**». ولَم يترك صلاة الليل حتّى ليلة الهرير.

حبيب بن مظاهر

فقال حبيب بن مظاهر: زعمت أنّها لا تُقبل من آل الرسول وتُقبل منك يا حمار؟! فحمل عليه الحصين فضرب حبيبُ وجه فرسه بالسّيف، فشبّت به ووقع عنه واستنقذه أصحابه فحملوه[١]، وقاتلهم حبيب قتالاً شديداً، فقتل على كبره اثنين وستّين رجلاً، وحمل عليه بديل بن صريم فضربه بسيفه، وطعنه آخر من تميم برمحه فسقط إلى الأرض، فذهب ليقوم وإذا الحصين يضربه بالسّيف على رأسه فسقط لوجهه، ونزل إليه التميمي واحتزّ رأسه فهدّ مقتلُه الحسين عليه السلام فقال: «**عند الله احتسب نفسي وحماة أصحابي**»[٢]، واسترجع كثيراً.

الحرّ الرياحي

وخرج من بعده الحرّ بن يزيد الرياحي ومعه زهير بن القين - يحمي ظهره - فكان إذا شدّ أحدهما واستلحم شدّ الآخر واستنقذه، ففعلا ساعة[٣] وإنّ فرس الحرّ لمضروب على أُذنَيه وحاجبَيه و الدماء تسيل منه، وهو يتمثّل بقول عنترة:

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ١٧.

(٢) ابن الأثير ٤ / ٢٩، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٥١، وفي مقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ١٩: قطع التميمي رأس حبيب، ويقال بديل بن صريم، وعلّق الرأس في عنق الفرس، فلمّا دخل الكوفة رآه ابن حبيب ابن مظاهر - وهو غلام غير مراهق - فوثب عليه وقتله وأخذ رأسه.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٢، والبداية ٨ / ١٨٣.

مـا زلـت ارمـيهم بثغـرة نحـره ولبانـه حتّـى تسـربل بالـدم

فقال الحصين ليزيد بن سفيان: هذا الحرّ الذي كنت تتمنى قتله؟ قال: نعم. وخرج إليه يطلب المبارزة فما أسرع أنْ قتله الحرّ، ثمّ رمى أيّوب بن مشرح الخيواني فرس الحرّ بسهم فعقره، وشبّ به الفرس فوثب عنه كأنّه ليث[١] وبيده السّيف، وجعل يقاتل راجلاً حتّى قتل نيفاً وأربعين[٢]، ثمّ شدّت عليه الرجّالة فصرعته. وحمله أصحاب الحسين عليه السلام ووضعوه أمام الفسطاط الذي يقاتلون دونه - وهكذا يؤتى بكلّ قتيل إلى هذا الفسطاط - و الحسين عليه السلام يقول: «قتلة مثل قتلة النبيين وآل النبيّين»[٣] ثمّ التفت إلى الحرّ - وكان به رمق - فقال له، وهو يمسح الدم عنه: «**أنت الحرّ كما سمّتك أُمّك، وأنت الحرّ في الدنيا والآخرة**». ورثاه رجل من أصحاب الحسين، وقيل: علي بن الحسين[٤] وقيل: إنّها من إنشاء الحسين خاصّة[٥]

لَـنعم الحـرُّ حـرُ بنـى ريـاح صـبور عنـد مشـتبك الرمـاح

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٨ - ٢٥٠.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢١٧، طبعة ايران.

(٣) هذا في تظلّم الزهراء عليها السلام / ١١٨، والبحار ١٠ / ١١٧، و١٣ / ١٣٥، عن الغيبة للنعماني / ١١٣، الطبع الحجرية، باب ما يلحق الشيعة من التمحيص.
وفي تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٦، وابن الأثير ٤ / ٣٠، وإرشاد المفيد: إنّه وضع فسطاطاً في الميدان. ولَم يذكروا كلمة الحسين عليه السلام المعربة عن قداسة الموقف.

(٤) مقتل العوالم / ٨٥، ومقتل الخوارزمي ٢ / ١١.

(٥) روضة الواعظين / ١٦٠، وأمالي الصدوق / ٩٧، المجلس الثلاثون.

ونعـــم الحـــرُّ إذ فـــادى حســـيناً وجـــاد بنفســـه عنـــد الصـــباح

الصلاة

وقام الحسين إلى الصلاة، فقيل إنّه صلّى بمَن بقي من أصحابه صلاة الخَوف، وتقدّم أمامه زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي في نصف من أصحابه[١]، ويقال إنّه صلّى، وأصحابه فرادى بالإيماء[٢]:

وصـــلاة الخـــوف حاشـــاها فـــما روعـــت والمـــوت منهـــا كـــان قابـــا
مـــا لواهـــا الموقـــف الـــدّامى ومـــا صـــدَّها الجـــيش ابتعـــاداً واقترابـــا
زحـــفت ظامئـــة والشـــمس مـــن حَـــرَّها تلتهـــب الأرض التهابـــا
هـــزَّت الجـــيش وقـــد ضـــاقت بـــه عرصـــة الطَّـــف ســـهولا وهضـــابا
ســـائل الـــميدان عنهـــا ســـترى كـــيف أرضـــته طعانـــاً وضرابـــا
كـــيف حـــامت حـــرم الله فـــما خـــدشت عـــزّاً ولا ولّـــت جنابـــا

---

(١) مقتل العوالم / ٨٨، ومقتل الخوارزمي ٢ / ١٧: والذي أراه صلاة الحسين كانت قصراً؛ لأنّه نزل كربلاء في الثاني من المحرم، ومن أخبار جدّه الرسول صلى الله عليه وآله مضافاً إلى علمه بأنّه يُقتل يوم عاشوراء لَم يستطع أن ينوي الإقامة إذا لَم تكمل له عشرة أيّام وتخيّل مَن لا معرفة له بذلك أنّه صلّى صلاة الخوف.

(٢) مثير الأحزان لابن نما / ٤٤.

كـــيف دون الله راحـــت تَـــدّري بـــــهواديها ســـــهاماً وكعابـــا

ولما أُثخن سعيد بالجراح سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهمّ العنهم لعن عاد وثمود وابلغ نبيّك منّي السّلام وابلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإنّي أردت بذلك ثوابك في نصرة ذريّة نبيّك صلى الله عليه وآله.(١)، والتفت إلى الحسين عليه السلام قائلاً: أوفيت يابن رسول الله؟ قال: «**نعم، أنت أمامي في الجنّة**»(٢)، وقضى نحبه فوُجد فيه ثلاثة عشر سهماً غير الضرب والطعن(٣).

ولمّا فرغ الحسين عليه السلام من الصلاة قال لأصحابه: «**يا كرام، هذه الجنّة قد فتحت أبوابها، واتصلت أنهارها، وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله والشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله يتوقّعون قدومَكم ويتباشرون بكم، فحاموا عن دين الله ودين نبيِّه، وذبّوا عن حرم الرسول**». فقالوا: نفوسنا لنفسك الفداء، ودماؤنا لدمك الوقاء فوالله لا يصل إليك وإلى حرمك سوء وفينا عرق يضرب(٤).

الخيل تعقر

ثمّ إنّ عمر بن سعد وجّه عمرو بن سعيد في جماعة من الرماة فرموا أصحاب

---

(١) مقتل العوالم / ٨٨.
(٢) ذخيرة الدارين / ١٧٨.
(٣) اللهوف / ٦٢.
(٤) أسرار الشهادة / ١٧٥.

الحسين وعقروا خيولهم[١] ولَم يبقَ مع الحسين فارس إلاّ الضحّاك بن

عبد الله المشرقي يقول: لمّا رأيت خيل أصحابنا تُعقر أقبلتُ بفرسي وأدخلتها فسطاطاً لأصحابنا. واقتتلوا أشدّ القتال[٢]. وكان كلّ مَن أراد الخروج ودّع الحسين عليه السلام بقوله: السّلام عليك يابن رسول الله. فيُجيبه الحسين عليه السلام: «**وعليك السّلام، ونحن خلفك**»، ثمّ يقرأ ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾[٣].

أبو ثمامة

وخرج أبو ثمامة الصائدي فقاتل حتّى أُثخن بالجراح، وكان مع عمر بن سعد ابن عمّ له، يقال له قيس بن عبد الله بينهما عداوة، فشدّ عليه وقتله.

زهير وابن مضارب

وخرج سلمان بن مضارب البجلي - وكان ابن عمّ زهير بن القين - فقاتل حتّى قُتل. وخرج بعده زهير بن القين فوضع يده على منكب الحسين وقال مستأذناً:

---

(١) مثير الأحزان لابن نما / ٣٤.
(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٥.
(٣) مقتل العوالم / ٨٥، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٢٥.

أقـــدم هـــديت هاديـــاً مهـــديّاً فـــاليوم القـــى جَـــدَّك النبيّـــا

وحـــــسناً والمرتضى ـــ عليّـــاً وذا الجنـــاحين الفتـــى الكميّـــا

وأسد الله الشهيد الحي

فقال الحسين عليه السلام: «**وأنا ألقاهما على أثرك**». وفي حملاته يقول:

أنـــا زهـــير وأنـــا ابـــن القـــين أذودكـــم بالسّـــيف عـــن حســـين

فقتل مئة وعشرين، ثمّ عطف عليه كثير بن عبد الله الصعبي والمهاجر بن أوس فقتلاه. فوقف الحسين عليه السلام وقال: «**لا يبعدنّك الله يا زهير، ولعن قاتليك لعن الذين مُسخوا قردةً وخنازير**»[1].

عمرو بن قرظة

وجاء عمرو بن قرظة الأنصاري[2] ووقف أمام الحسين عليه السلام يقيه من العدو ويتلقّى السّهام بصدره وجبهته فلم يصل إلى الحسين عليه السلام سوء، ولمّا كثر فيه

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٣، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٢٠.

(٢) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم / ٣٤٥: من ولد عمرو بن عامر بن زيد مناة بن مالك الأغر، وهو الشاعر المعروف بابن الاطنابة قرظة بن كعب بن عمرو الشاعر، له صحبة. كان لقرظة بن عمرو ابنان؛ عمرو قُتل مع الحسين عليه السلام، وآخر مع ابن سعد ولَم يسمّه.

الجراح التفت إلى أبي عبد الله وقال: أوفيت يابن رسول الله؟ قال: «**نعم، أنت أمامي في الجنّة، فاقرأ رسول الله منّي السّلام، وأعلِمه أنّي في الأثر**». وخرَّ ميّتاً[١].

فنادى أخوه علي وكان مع ابن سعد: يا حسين، يا كذّاب، غررت أخي حتّى قتلته؟ فقال عليه السلام: «**إنّي لَم أغر أخاك، ولكنّ الله هداه وأضلّك**». فقال: قتلني الله إنْ لَم أقتلك. ثمّ حمل على الحسين ليطعنه، فاعترضه نافع بن هلال الجملي فطعنه حتّى صرعه، فحمله أصحابه وعالجوه وبرئ[٢].

نافع الجملي

ورمى نافع بن هلال الجملي المذحجي بنبال مسمومة، كتب اسمه عليها[٣] وهو يقول[٤].

أرمـــى بهـــا معلمـــة أفواقهـــا ... مســـمومة تجـــري بهـــا اخفاقهـــا

لـــيملأنَّ ارضـــها رشـــاقها ... والـــنفس لا ينفعهـــا اشـــفاقها

فقتل اثنى عشر رجلاً سوى من جرح، ولمّا فنيت نباله جرّد سيفه يضرب فيهم، فأحاطوا به يرمونه بالحجارة والنصال حتّى كسروا عضديه وأخذوه

---

(١) مقتل العوالم / ٨٨.
(٢) ابن الأثير ٤ / ٢٧.
(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٢، وكامل ابن الأثير ٤ / ٢٩، والبداية ٨ / ١٨٤.
(٤) مقتل العوالم / ٩٠، وذكر ابن كثير في البداية ٨ / ١٨٤: الشطر الأول والرابع، ومثله في رواية الصدوق في الأمالي، وسمّاه هلال بن حَجّاج.

أسيراً[١] فأمسكه الشمر ومعه أصحابه يسوقونه، فقال له ابن سعد: ما حملك على ما صنعت بنفسك؟ قال: إنّ ربّي يعلم ما أردتُ. فقال له رجل وقد نظر إلى الدماء تسيل على وجهه ولحيته: أما ترى ما بك؟ فقال: والله لقد قَتلتُ منكم اثني عشر رجلاً سوى مَن جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد، ولَو بقيت لي عضد ما أسرتموني[٢]. وجرّد الشمر سيفه فقال له نافع: والله يا شمر لَو كنتَ من المسلمين لعظم عليك أنْ تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدَي شرار خلقه. ثمّ قدّمه الشمر وضرب عنقه[٣].

واضح وأسلم

ولما صُرع واضح التركي مولى الحرث المذحجي استغاث بالحسين عليه السلام، فأتاه أبو عبد الله واعتنقه، فقال: مَن مثلي وابن رسول الله صلى الله عليه وآله واضع خدّه على خدّي! ثم فاضت نفسه الطاهرة[٤].

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ٢١.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٣.

(٣) البداية لابن كثير ٨ / ٨٤، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٥٣.

(٤) مقتل العوالم / ٩١، وأبصار العين / ٨٥. وفي مقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ٢٤: كان الغلام التركي من موالي الحسين عليه السلام، قارئاً للقرآن، عارفاً بالعربية، وقد وضع الحسين عليه السلام خدّه على خدّه حين صُرع فتبسّم.

ومشى الحسين إلى أسلم مولاه، واعتنقه وكان به رمق فتبسّم وافتخر بذلك ومات[١]!

بريربن خضير

ونادى يزيد بن معقل[٢]: يا برير كيف ترى صنع الله بك؟ فقال: صنع الله بي خيراً، وصنع بك شرّاً. فقال يزيد: كذبت وقبل اليوم ما كنت كذّابا، أتذكر يوم كنت أُماشيك في بني لوذان[٣] وأنت تقول: كان معاوية ضالاً وإنّ إمام الهدى علي بن أبي طالب؟ قال برير: بلى، أشهد إنّ هذا رأيي. فقال يزيد: وأنا أشهد إنّك من الضالّين. فدعاه برير إلى المباهلة فرفعا أيديهما إلى الله سبحانه يدعوانه أن يلعن الكاذب ويقتله، ثمّ تضاربا فضربه برير على رأسه قدّت المغفر والدماغ، فخرّ كأنّما هوى من شاهق، وسيف برير ثابت في رأسه. وبينا هو يريد أنْ يخرجه إذ حمل عليه رضي بن منقذ العبدي واعتنق بريراً واعتركا فصرعه برير وجلس على صدره، فاستغاث رضي بأصحابه، فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل على برير، فصاح به عفيف بن زهير بن أبي الأخنس: هذا برير

---

(١) ذخيرة الدارين / ٣٦٦.

(٢) في تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٧: إنّه من بني عمير بن ربيعة وهو حليف لبني سليمة ابن بني عبد القيس.

(٣) في تاج العروس بمادة (لوذ)، لوذان بن عبد ودّ بن الحرث بن زيد بن جشم بن حاشد.

بن خضير القارئ الذي كان يقرؤنا القرآن في جامع الكوفة، فلَم يلتفت إليه وطعن بريراً في ظهره، فبرك بريـر على رضي وعض وجهه وقطع طرف أنفه، وألقاه كعب برمحه عنه وضربه بسيفه فقتله.

وقام العبدي ينفض التراب عن قبائه وقال: لقد أنعمت عليَّ يا أخا الأزد نعمة لا أنساها أبداً.

ولمّا رجع كعب بن جابر إلى أهله عتبت عليه امرأته النوار وقالت: أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيّد القرّاء، لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله لا أُكلّمك من رأسي كلمة أبداً. فقال:

سلي تخبري عنّي وانت ذميمة ... غداة حسين والرماح شوارع

ألم آت اقصى ما كرهت ولم يخل ... عليَّ غداة الروع ما أنا صانع

معي يزني لم تخنه كعوبُه ... وأبيضُ مخشوب الغرارين قاطع

فجردته في عصبة ليس دينهم ... بديني و إني بابن حرب لقانع

ولم ترَ عيني مثلهم في زمانهم ... ولا قبلهم في النّاس إذ أنا يافع

أشدّ قراعا بالسيوف لدى الوغى ... ألا كل من يحمى الذمار مقارع

وقد صبروا للضرب والطعن حُسّراً ... وقد نازلوا لو أنَّ ذلك نافع

فأبلغ عبيد الله أما لقيته ... بأنّي مطيع للخليفة سامع

قتلت بريراً ثم حملت نعمة ... ابا منقذ لما دعا من يماصع

فردّ عليه رضي بن منقذ العبدي بقوله:

ولــو شــاء ربي مــا شــهدت قتــالهم ولا جــعل الــنعماء عنــدي ابــن جــابر
لــقد كــان ذاك الــيوم عــاراً وسـبَّة تعــيره الابــناء بــعد الــمعاشر
فــيا لــيت إنّي كنــت مــن قبــل قَتْلِــه ويــوم حسـين كنـت فِي رمـس قـابر[1]

حنظلة الشبامي

ونادى حنظلة بن سعد الشبامي: يا قوم، إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، وما الله يريد ظلماً للعباد. يا قوم، إنّي أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد. يا قوم، لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من افترى. فجزاه الحسين عليه السلام خيراً وقال: «رحمك الله إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق، و نهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين». قال: صدقت يابن رسول الله أفلا نروح إلى الآخرة؟ فأذن له، فسلّم على الحسين عليه السلام وتقدّم حتّى قُتل[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٦/ ٢٤٨.
(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٤.

عابس

وأقبل عابس بن شبيب الشاكري على شَوذب[١] مولى شاكر - وكان شَوذب من الرجال المخلصين وداره مألف للشيعة يتحدثون فيها فضل أهل البيت - فقال: يا شَوذب، ما في نفسك أنْ تصنع؟ قال: أُقاتل معك حتّى أُقتل. فجزاه خيراً وقال له: تقدّم بين يدَي أبي عبد الله عليه السلام حتّى يحتسبك كما احتسب غيرك وحتّى أحتسبك فإنّ هذا يوم نطلب فيه الأجر بكلّ ما نقدر عليه. فسلّم شَوذب على الحسين، وقاتل حتّى قُتل.

فوقف عابس أمام أبي عبد الله عليه السلام وقال: ما أمسى على ظهر الأرض قريب و لا بعيد أعزّ عليَّ منك، ولَو قدرت أنْ أدفع الضيم عنك بشيء أعزّ عليَّ من نفسي لفعلت، السّلام عليك، أشهد أنّي على هداك و هدى أبيك. ومشى نحو القوم مصلتاً سيفه و به ضربة على جبينه فنادى: ألا رجل؟ فأحجموا عنه؛ لأنّهم عرفوه أشجع النّاس. فصاح عمر بن سعد: أرضخوه بالحجارة. فرُمي بها، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره وشدّ على النّاس وإنّه ليطرد أكثر من مئتين، ثمّ تعطّفوا عليه من كلّ جانب فقُتل. فتنازع ذووا عدة في رأسه، فقال ابن سعد: هذا لَم يقتله واحد. وفرّق بينهم بذلك[٢].

---

(١) في إعلام الورى / ١٤٥: سمّاه شودان، وفي ارشاد المفيد كما هنا.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٤.

جون

ووقف جون[١] مولى أبي ذرّ الغفاري أمام الحسين يستأذنه فقال عليه السلام: «يا جون إنّما تبعتنا طلباً للعافية، فأنت في إذن منّي». فوقع على قدميه يقبّلهما ويقول: أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدّة أخذلكم، إنّ ريحي لنتن، وحسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفّس عليَّ بالجنّة؛ ليطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيّض لوني، لا والله لا أُفارقكم حتّى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم. فأذن له الحسين[٢]، فقَتل خمساً وعشرين وقُتل. فوقف عليه الحسين عليه السلام وقال: «**اللهمّ بيِّض وجهه وطيِّب ريحه، واحشره مع محمّد صلى الله عليه وآله وعرِّف بينه وبين آل محمّد صلى الله عليه وآله**». فكان مَن يمرّ بالمعركة يشمّ منه رائحةً طيّبة أذكى من المسك[٣].

أنس الكاهلي

وكان أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي شيخاً كبيراً صحابياً، رأى النبي وسمع حديثه وشهد معه بدراً وحنيناً، فاستأذن الحسين عليه السلام وبرز شاداً وسطه

---

(١) في تاريخ الطبري ٦ / ٢٣٩: بالحاء المهملة وبعدها واو ثمّ الياء (حوى). وفي مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢١٨: برز جوين ابن أبي مالك مولى أبي ذر الغفاري، وفي مقتل الحسين للخوارزمي ١ / ٢٣٧: جون مولى أبي ذر الغفاري، وكان عبداً أسود.

(٢) مثير الأحزان لابن نما / ٣٣، طبعة ايران. وفي اللهوف / ٦١ طبعة صيدا: أفتنفس بالجنّة أترغب أن لا أدخل الجنة؟

(٣) مقتل العوالم / ٨٨.

بالعمامة رافعاً حاجبيه بالعصابة، ولمّا نظر إليه الحسين عليه السلام بهذه الهيئة بكى وقال: «**شكر الله لك يا شيخ**». فقَتل على كبره ثمانية عشر رجلاً وقُتل[1].

عمرو بن جنادة

وجاء عمرو بن جنادة الأنصاري بعد أنْ قُتل أبوه - وهو ابن إحدى عشرة سنة - يستأذن الحسين عليه السلام فأبى وقال: «هذا غلام قُتل أبوه في الحملة الأُولى، ولعلّ أُمّه تكره ذلك». قال الغلام: إنّ أُمّي أمرتني. فأذن له فما أسرع أنْ قُتل ورُمي برأسه إلى جهة الحسين عليه السلام فأخذته أُمّه ومسحت الدم عنه، وضربت به رجلاً قريباً منها فمات[2] وعادت إلى المخيّم فأخذت عموداً وقيل سيفاً

---

(١) ذخيرة الدارين / ٢٠٨. وذكر ابن نما في مثير الأحزان مبارزته ورجزه، وفي الإصابة ١ / ٦٨: له ولأبيه صحبة، وروى عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يُقتل ولدي بأرض كربلاء، فمن شهد ذلك فلينصره**». وذكره السيوطي في الخصائص ٢ / ١٢٥، والجزري في أُسد الغابة ١ / ١٢٣، وأبو حاتم الرازي في الجرح والتعديل ١ / ٢٨٧.

(٢) ابن شهر آشوب ٣ / ٢١٩، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٢٢: وليس هذا بالبعيد بعد ما يحدث الشيخ المفيد في كتاب الجمل / ١٣٧ الطبعة الثانية: إنّ حكيم بن جبلة العبدي لمّا قطعت رجله ضرب بها الرجل فصرعه. وفي تاريخ الطبري ٥ / ١٨٠ وكامل ابن الأثير ٣ / ٣٥: بعد أن قتل الرجل قال:

يا فخذ لن تراعي ... إن معي ذراعي

أحمي بها كراعي

وقال ابن الأثير في الكامل ٢ / ١٤٠: قطع رجل من أصحاب مسيلمة رجل ثابت بن قيس فأخذها ثابت وضرب بها الرجل فقتله.

وأنشأت:

إنّي عجـــوز في النّســـا ضـــعيفة خاويـــــة بالـــــية نـــــحيفة

أضـــــربكم بـــــضربة عنيفـــــة دون بـــــنى فاطمـــــة الـــــشريفة

فردّها الحسين عليه السلام إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلَين[1].

الحَجّاج الجعفي

وقاتـل الحجـاج بـن مسرـوق الجعفـي حتّـى خضـب بالـدماء، فرجـع إلى الحسين عليه السلام يقول:

اليـــوم ألقـــى جـــدّك النبيّـــا ثـــم أبـــاك ذا النّـــدى عليـــا

ذاك الذي نعرفه الوصيّا

فقال الحسين: «**وأنا ألقاهما على أثرك**». فرجع يقاتل حتّى قُتل[2].

سوار

وقاتل سوار بن أبي حِمير من ولد فهم بن جابر بن عبد الله بن قادم الفهمي الهمداني قتالاً شديداً حتّى ارتث بالجراح[3] وأُخذ أسيراً، فأراد ابن سعد قتله

---

(١) البحار ١٠ / ١٩٨، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٢٢. وفي الإصابة ترجمة أسماء بنت يزيد بن السكن أنّها يوم اليرموك أصابت بالعمود تسعة من الروم فقتلتهم.

(٢) البحار ١٠ / ١٩٨، عن مقتل الحائري.

(٣) الاكليل للهمداني ١٠ / ١٠٣. والرتيث: من حمل من المعركة جريحاً وبه رمق.

وتشفّع فيه قومه، وبقي عندهم جريحاً إلى أنْ توفّي على رأس ستّة أشهر[١].

وفي زيارة النّاحية المقدّسة: «**السّلام على الجريح المأسور، سوار بن أبي حمير الفهمي الهمداني، وعلى المرتث معه عمر بن عبد الله الجندعي**».

سويد

ولمّا أُثخن بالجراح سويد بن عمرو بن أبي المطاع سقط لوجهه، وظُنَّ أنّه قُتل، فلمّا قُتل الحسين عليه السلام وسمعهم يقولون: قُتل الحسين. أخرج سكّينةً كانت معه فقاتل بها، وتعطفوا عليه فقتلوه، وكان آخر مَن قُتل من الأصحاب بعد الحسين عليه السلام.

هم عصمة اللاجى إذا هو يختشي ... وهم ديمة الراجى اذا هو يجتدي

إذا ما خبت نار الوغى شعشعوا لها ... سيوفهم جمرا وقالوا توقَّدي

ثقال الخطا لكنَّ يخفون للوغى ... سراعا بخرصان الوشيج المسدّد

إذا أشرعوا سمر الرماح حسبتها ... كواكب فى ليل من النقع أسود

أو اصطدمت تحت العجاج كتائب ... جرى أصيد منهم لها اثر أصيد

يكرُّون والابطال طائشة الخطى ... وشخص المنايا بالعجاجة مرتدي

---

(١) الحدائق الوردية - مخطوط - ويوافقه ما في الاكليل أنّه مات من جراحه غير أنّه لم يذكر أسره.

لووا جانباً عن مورد الضّيم فانثنوا ... على الأرض صرعى سيّداً بعد سيّد

هووا للثرى نهب السّيوف جسومهم ... عوار ولكن بالمكارم ترتدي

وأضحى يدير السبط عينيه لا يرى ... سوى جثث منهم على الترب ركّد

أحاطت به سبعون ألفاً فردَّها ... شوارد امثال النّعام المشرد

وقام عديم النّصر بين جموعهم ... وحيداً يحامى عن شريعة أحمد

إلى أن هوى للأرض شلْوا مبضعاً ... ولَم يروِ من حرِّ الظما قلبه الصدي

هوى فهوى التوحيد وانطمس الهدى ... وحُلّت عرى الدين الحنيف المشيّد

له الله مقطور الفؤاد من الظما ... صريعاً على وجه الثرى المتوقّد

ثوى فى هجير الشمس وهو معفَّر ... تظلله سمر القنا المتقصّد

وأضحت عوادي الخيل من فوق ... تروح إلى كرّ الطراد وتغتدي

وهاتفة من جانب الخدر ثاكل ... بدت وهى حسرى تلطم الخدّ باليد

يؤَلّمها قرع السّياط فتنثنى ... تحن فيشجى صوتها كل جلمد

وسيقت على عجف المطايا أسيرة ... يطاف بها فى مشهد بعد مشهد

سرت تتهاداها علوج أُميّة ... فمن ملحد تهدى إلى شر ملحد [1]

---

(١) للحجة السيد محمّد حسين الكيشوان رحمه الله

شهادة أهل البيت عليهم السلام

علي الأكبر:

ولما لَم يبقَ مع الحسين إلاّ أهل بيته، عزموا على ملاقاة الحتوف ببأس شديد وحفاظ مرّ ونفوس أبيّة، وأقبل بعضهم يودّع بعضاً[١] وأول مَن تقدّم أبو الحسن[٢] علي الأكبر[٣] وعمره سبع وعشرون سنة؛ فإنّه ولد في الحادي عشر من شعبان سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة[٤]، وكان مرآة الجمال النّبوي ومثال خُلُقه السّامي وأُنموذجاً من منطقه البليغ، وإذا كان شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه:

---

(١) مقتل لخوارزمي ٢ / ٢٦.

(٢) ذكرنا في رسالة (علي الأكبر / ١٤) الرواية عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه كان متزوّجاً من أُمّ ولد، فلعلّ الكنية بأبي الحسن من جهة ولد له منها اسمه (الحسن) كما يقتضيه التسمية بأُمّ ولد مع أنّ زيارته المرويّة في كامل الزيارات / ٢٣٩ تؤكّده. قال الصادق عليه السلام في تعليم أبي حمزة «**قُل، صلّى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأبنائك وأُمّهاتك الأخيار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهراً**»، والأبناء جمع أقلّه إثنان.

(٣) في رسالتنا (علي الأكبر) ذكرنا نصوص المؤرّخين على أنّه أكبر من السّجاد عليه السلام وسيأتي في الحوادث بعد الشهادة، اعتراف زين العابدين به في المحاورة الجارية بينه وبين ابن زياد.

(٤) أنيس الشيعة - مخطوط - للسيد محمّد عبد الحسين الجعفري الحائري، ألّفه باسم السّلطان فتح علي شاه.

وأحسن منك لَمْ ترَ قطُّ عيني ... وأجمل منك لم تلد النّساء

خلقت مبرّءاً من كلِّ عيب ... كأنّكَ قد خلقت كما تشاء

فمادح الأكبر يقول[١]:

لم تَرَ عينٌ نظرت مثله ... من محتفٍ يمشي ومن ناعلِ

يغلي نهيء اللحم حتّى اذا ... انضج لم يغلِ على الآكلِ[٢]

كان اذا شبَّت له ناره ... اوقدها بالشرف القابلِ[٣]

كيما يراها بائس مرملِ ... او فردُ حيٍّ ليس بالآهلِ

لا يؤثر الدنيا على دينه ... ولا يبيع الحقَّ بالباطلِ

أعني ابن ليلى ذا الندى والسدى ... أعني ابن بنت الحَسَب الفاضلِ[٤]

---

(١) في مقاتل الطالبيين / ٣٢: إنّها قيلت في علي الأكبر.

(٢) يغلي: الأولى بمعنى يفير. والثانية ضد يرخص والنّهيء كما في أقرب الموارد مادّة (نهيء): اللحم غير المطبوخ.

(٣) الشرف: الموضع العالي. والقابل بمعنى المقبل لعلوّه وارتفاعه، وهذه عادة العرب أنّهم يوقدون النّار في المكان المرتفع ليهتدي الركب في الليل.

(٤) في مصباح المنير مادّة ندى: إنّ ما يسقط أول الليل من البلل يقال له سدى، وما يسقط آخره يقال له الندى. وفي مراتب النحويين / ٥٣، لأبي الطيب عبد الواحد الحلبي المتوفّى ٣٥١: قال الأصمعي: إنّ أبا زيد يزعم أنّ النّدى ما كان في الأرض، والسدى ما يسقط من السّماء فقال: إذاً فما يصنع بقول الشاعر؟

ولقد أتيت البيت يخشى أهله ... بعد الهدو وبعدما سقط الندى

أتراه سقط من الأرض إلى السّماء؟!

فعلي الأكبر هو المتفرّع من الشجرة النبويّة، الوارث للمآثر الطيّبة، وكان حريّاً بمقام الخلافة لَولا أنّها منصوصة من إله السّماء. وقد سجّل سبحانه أسماءهم في الصحيفة النازل بها جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله.

ورث الصفات الغرّ وهى تراثه ... من كل غطريف وشهم أصيد

في بأس حمزة في شجاعة حيدر ... بإبا الحسين وفي مهابة أحمد

وتراه في خلق وطيب خلائق ... وبليغ نطق كالنبيّ محمد[1]

ولما يمّم الحرب، عزّ فراقه على مخدّرات الإمامة؛ لأنّه عماد أخبيتهن وحمى أمنهن ومعقد آمالهن بعد الحسين. فكانت هذه ترى هتاف الرسالة في وشك الانقطاع عن سمعها، وتلك تجد شمس النبوّة في شفا الكسوف، و أُخرى تشاهد الخُلق المحمدي قد آذن بالرحيل، فأحطن به و تعلّقن بأطرافه وقلن: ارحم غربتنا، لا طاقة لنا على فراقك. فلم يعبأ بهنّ؛ لأنّه يرى حجّة الوقت مكثوراً قد اجتمع أعداؤه على إراقة دمه الطاهر، فاستأذن أباه وبرز على فرس للحسين تسمّى لاحقاً[2].

---

(١) هذه الأبيات والتي تأتي بعدها للحجّة آية الله الشيخ عبد الحسين صادق العاملي قدس سره.

(٢) في كتاب فضل الخيل لعبد المؤمن الدمياطي المتوفّى سنة ٨٠٥ هـ الصفحة ١٧٨: أحد فرسي الحسين بن علي يسمّى (لاحقاً). وفي صفحة ١٨٣ قال: كان للحسين بن علي عليه السلام فرس اسمه اليحموم، وله فرس أُخرى تُدعى لاحقاً حمل عليها ولده علي بن الحسين الأكبر يوم قتلا بالطف.

ومن جهة أنَّ ليلى أُمّ الأكبر بنت ميمونة ابنة أبي سفيان[١] صاح رجل من القوم: يا علي إنّ لك رحماً بأمير المؤمنين يزيد، ونريد أنْ نرعى الرحم، فإنْ شئت آمنّاك. قال عليه السلام: إنّ قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحقّ أنْ تُرعى[٢]. ثمّ شدّ يرتجز معرِّفاً بنفسه القدسيّة وغايته السّامية:

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن وربُّ البيت أُولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي[٣] ... أضرب بالسيف أُحامي عن أبي

ضرب غلام هاشميٌّ قرشي[٤].

ولَمّا يتمالك الحسين عليه السلام دون أن أرخى عينيه بالدموع[٥] وصاح بعمر بن سعد: «**مالك؟ قطع الله رحمك كما قطعتَ رحمي، ولَم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّط عليك من يذبحك على فراشك**»[٦]. ثمّ رفع شيبته المقدّسة نحو السّماء وقال: «اللهمّ اشهد على هؤلاء فقد برز إليهم أشبه النّاس برسولك محمّد

---

(١) الإصابة لابن حجر ٤ / ١٧٨، ترجمة أبي مرة.

(٢) سرّ السلسلة لأبي نصر في النّسب، ونسب قريش / ٥٧ لمصعب الزبيدي.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٦، وإعلام الورى للطبرسي / ١٤٥، ومثير الأحزان / ٣٥.

(٤) تمام الأبيات من رواية الشيخ المفيد قدس سره في الإرشاد.

(٥) مثير الأحزان لابن نما / ٣٥، والإرشاد للمفيد.

(٦) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٠.

خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً[١]، وكنّا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيّك نظرنا إليه، اللهمّ فامنعهم بركات الأرض، وفرِّقهم تفريقاً، ومزِّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضِ الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا، ثمّ عدَوا علينا يقاتلونا»، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٢] [٣].

ولم يزل يحمل على المَيمنة ويعيدها على المَيسرة ويغوص في الأوساط، فلَم يقابله جحفل إلاّ ردّه، ولا برز إليه شجاع إلاّ قتله:

يرمي الكتائب والفلا غصَّت بها ... في مثلها من بأسه المتوقِّد

فيردّها قسراً على أعقابها ... في بأس عرّيس العرينة ملبد

فقتل مئة وعشرين فارساً. وقد اشتدّ به العطش فرجع إلى أبيه يستريح ويذكر ما أجهده من العطش[٤] فبكى الحسين عليه السلام وقال: «**وآغوثاه! ما أسرع الملتقى بجدّك فيسقيك بكأسه شربةً لا تظمأ بعدها**» وأخذ لسانه فمصّه ودفع إليه خاتمه

---

(١) مثير الأحزان لابن نما واللهوف ومقتل الخوارزمي.

(٢) سورة آل عمران / ٣٣ - ٣٤.

(٣) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٠.

(٤) مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج / ٤٧ الطبعة الحجرية، ومقتل العوالم / ٩٦، وروضة الواعظين / ١٦١، ومناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٢ طبعة ايران، ومثير الأحزان لابن نا / ٣٥، واللهوف / ٦٤ طبعة صيدا، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣٠.

ليضعه في فيه[١].

ويـــؤوب لـــلتوديع وهـــو مكابـــد ... لـــظما الـــفؤاد ولـــلحديد المجهـــد

صـــادي الحشـــا وحســـامه ريّـــان مـــن ... مـــاء الـــطلا وغـــليله لـــم يـــبرد

يشـكو لخـير أب ظـماه ومـا اشـتكى ... ظمـأ الحشـا إلا إلى الظـامى الصـدي

كـــل حـــشاشته كـــصالية الغضـــا ... ولســـانه ظـــمأ كـــشقة مـــبرد

فـــانصاع يـــؤثره عـــليه بـــريقه ... لـــو كـــان ثَـــمّة ريـــقه لم يجمـــد

وَمُـــذ انـــثنى يلقـــى الكريهـــة باســـماً ... والـــموت مـــنه بـــمسمع وبمشـــهد

لـفَّ الـوغى وأجالهـا جـول الرحـى ... بـــمثقَّف مـــن بـــأسه ومـــهنَّد

يـــلقى ذوابـــلها بـــذابل معطـــف ... ويـــشيم أنـــصلها بـــجيد أجيـــد

حتـــى إذا مـــا غـــاص في اوســـاطهم ... بـــمطهَّم قـــبَّ الايـــاطل اجـــرد

عـــثر الزمـــان بـــه فغـــودر جســـمه ... نهـــب القواضـــب والقنـــا المتقصّـــد

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣١، ومقتل العوالم / ٩٥.

جاء في معاهد التنصيص للعباسي ٢ / ٥١: أنّ يزيد بن مزيد الشيباني لمّا لحق الوليد بن طريف وأجهده العطش، وضع خاتمه في فمه وتبع الوليد حتّى طعنه بالرمح. وروى الكليني في الكافي عن الصادق عليه السلام أنّه لا بأس للصائم أن يمصّ الخاتم، وبه أفتى العلماء بالجواز ولعلّ من أسراره أنّه يسبب عمل الغدد في الإفراز، وعليه فلا خصوصيّة للخاتم بل كلّ ما يسبب عمل الغدد في الإفراز يوضع في الفم كالحصى ونحوهما.

ورجع علي إلى الميدان مبتهجاً بالبشارة الصادرة من الإمام الحجّة عليه السلام بملاقاة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فزحف فيهم زحفة العلوي السّابق، وغبَّر في وجوه القوم ولَم يشعروا أهو الأكبر يطرد الجماهير من أعدائه أم أنّ الوصي عليه السلام يزأر في الميدان؟ أم أنّ الصواعق تترى في بريق سيفه فأكثر القتلى في أهل الكوفة حتّى أكمل المئتين؟[١].

فقال مرّة بن منقذ العبدي[٢]: عليَّ آثام العرب إنْ لَم أثكل أباه به[٣]. فطعنه بالرمح في ظهره[٤] وضربه بالسّيف على رأسه ففلق هامته، واعتنق فرسه فاحتمله إلى معسكر الأعداء، وأحاطوا به حتّى قطّعوه بسيوفهم إرباً إرباً[٥].

ومحا الردى يا قاتلَ اللهُ الردى ... منه هلالٌ دجى وغرة فرقد

يا نجعة الحيَّيْن هاشم والندى ... وحمى الذماريْن العلى والسؤدد

كيف ارتقت همم الردى لك صعدة ... مطرورة الكعبين لم تتأوَّد

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣١.

(٢) كامل ابن الأثير ٤ / ٣٠، والأخبار الطوال / ٢٥٤، وإرشاد المفيد، ومثير الأحزان، واللهوف. وفي تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٥: مرّة بن منقذ بن النعمان العبدي ثمّ الليثي. وفي مقاتل العوالم / ٩٥: منقذ بن مرّة.

(٣) الإرشاد للمفيد، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٥٦.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٢.

(٥) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣١، ومقتل العوالم / ٩٥.

أفديه من ريحانة ريّانة ... جفّت بحرّ طما وحرّ مهنّد

بكر الذبول على نضارة غصنه ... إن الذبول لآفة الغصن الندي

لله بدرٌ من مراق نجيعه ... مزج الحسام لجينه بالعسجد

ماء الصبا ودم الوريد تجاريا ... فيه ولاهب قلبه لم يخمد

لم أنسه متعمّما بشباالظبى ... بين الكماة بالاسنّة مرتدي

خضبت ولكن من دم و فراته ... فاخضر ريحان العذار الأسود

ونادى رافعاً صوته: عليك منّي السّلام أبا عبد الله[١]، هذا جدّي قد سقاني بكأسه شربةً لا أظمأ بعدها، وهو يقول: إنّ لك كأساً مذخورةً[٢]. فأتاه الحسين عليه السلام وانكبّ عليه واضعاً خدّه على خدِّه[٣] وهو يقول: «على الدنيا بعدك العفا، ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول[٤]، يعزّ على جدّك و أبيك أنْ تدعوهم فلا يجيبونك، وتستغيث بهم فلا يغيثونك»[٥]. ثمّ أخذ بكفّه من دمه الطاهر ورمى به نحو السّماء فلَم يسقط منه قطرة - وفي هذا جاءت

---

(١) رياض المصائب / ٣٢١.

(٢) مقتل العوالم / ٩٥، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣١.

(٣) اللهوف / ٦٤.

(٤) تأريخ الطبري ٦ / ٢٦٥.

(٥) مقتل العوالم / ٩٥.

زيارته: «بأبي أنت وأُمّي من مذبوح و مقتول من غير جرم، بأبي أنت وأُمّي دمك المرتقى به إلى حبيب الله، بأبي أنت وأُمّي من مقدّم بين يدَي أبيك يحتسبك و يبكي عليك محترقاً عليك قلبُه، يرفع دمك إلى عنان السّماء لا يرجع منه قطرة، ولا تسكن عليك من أبيك زفرة»[١] -. وأمر فتيانه أنْ يحملوه إلى الخيمة، فجاؤوا به إلى الفسطاط الذي يقاتلون أمامه، وحرائر بيت الوحي ينظرن إليه محمولاً قد جللته الدماء بمطارف العزّ حمراء وقد وزع جثمانه الضرب والطعن، فاستقبلنه بصدور دامية وشعور منشورة وعولةٍ تصكُّ سمع الملكوت وأمامهنّ عقيلة بني هاشم زينب الكبرى ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٢] صارخةً نادبةً فألقت بنفسها عليه تضمّ إليها جمام

نفسها الذاهب، وحمى خدرها المنثلم وعماد بيتها المنهدم[٣].

لهفى على عقائل الرسالة ... لمّا رأينه بتلك الحالة

عللا نحيبهنَّ والصّياح ... فاندهش العقول والأرواح

---

(١) كامل الزيارات / ٢٣٩: هي صحيحة السند، علّمها الصادق عليه السلام أبا حمزة الثمالي، وسيأتي فيما يتعلّق بالليلة الحادية عشر- نصوص أهل السنّة على احتفاظ النّبي ﷺ بدم الأصحاب وأهل بيته.

(٢) الإرشاد للمفيد وتاريخ الطبري ٦ / ٢٥٦، ومقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ٣١.

(٣) في تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٦، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣١: خرجت زينب بنت فاطمة صارخة فألقت بنفسها عليه، وردّها الحسين إلى الخيمة. وإذا خرجت العميدة لتلك الفواقد المهدّة لهن، فهل يتصوّر بقاء واحدة منهنّ في الخيمة؟

ناحت على كفيلها العقائل ... والمكرمات الغرُّ والفضائل

لهفى لها إذ تندب الرسولا ... فكادت الجبال أن تزولا

لهفى لها مذ فقدت عميدها ... وهل يوازي أحد فقيدها

ومَن يوازي شرفاً وجاها ... مثال ياسين شبيه طاها

يا ساعد الله أباه مذ خبا ... نيّره الأكبر فى ظلّ الظّبى

رأى الخليل فى منى الطفوف ... ذبيحه ضريبة السّيوف

بكاه ما يُرى وما ليس يُرى ... من ذروة العرش إلى تحت الثرى

بكاه حزناً ربُّ أرباب النّهى ... ومَن هو المبدأ وهو المنتهى

ومَن بكاه سيّد البرايا ... فرزؤه من أعظم الرزايا

بكته عين الرشد والهداية ... ومَن هو المنصوص بالوصاية[1]

ولسان حال أبيه يقول:

بُنَى اقتطعتك من مهجتى ... علام قطعت جميل الوصال

بُنَى عراك خسوف الردى ... وشأن الخسوف قبيل الكمال

بُنَى حرام علىّ الرقاد ... وأنت عفير بحرّ الرمال

---

(١) من أرجوزة الله الشيخ محمّد حسين الأصفهاني قدس سره.

بُـنَى أبيـت سـوى القـاصرات ... وخـلّفت عنـدي سـمر العـوالي
بُـنَى بـكتك عيـون الرجـال ... لـيوم الـنّزيل ويـوم النّـزال
بـكتك بَـنَى صـفات الكـمال ... وغـضُّ الشـباب وذات الجـمال
عـجلت لحـوض أبيـك النبـيِّ ... وسـارعت بعـد الظّـما للـزلال
سـيرثيك منّـي لسـان السّـنان ... بـنظم قلـوب عيـون الرجـال[1]

عبد الله بن مسلم

وخرج من بعده عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وأُمّه رقية الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام[2]، وهو يقول:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي ... وعصبة بادوا على دين النبي

فقتل جماعة بثلاث حملات[3]. ورماه يزيد بن الرقاد الجهني[4]، فاتقاه بيده فسمرها إلى جبهته، فما استطاع أنْ يزيلها عن جبهته[5] فقال: اللهمّ انّهم استقلونا واستذلونا فاقتلهم كما قتلونا. وبينا هو على هذا إذ حمل عليه رجل برمحه

---

(١) من قصيدة للعلامة السيد مهدي البحراني قدس سره.
(٢) نسب قريش لمصعب الزبيري / ٤٥. قال: وهي أُمّ أخويه علي ومحمد.
(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٠.
(٤) في أنساب الأشراف ٥ / ٢٣٨: الجنبي بالنّون بعد الجيم.
(٥) المقاتل لأبي الفرج / ٢٧، طبعة ايران.

فطعنه في قلبه ومات[١]. فجاء إليه يزيد بن الرقاد وأخرج سهمه من جبهته وبقي النّصل فيها وهو ميّت[٢].

حملة آل أبي طالب

ولما قُتل عبد الله بن مسلم، حمل آل أبي طالب حملة واحدة، فصاح بهم الحسين عليه السلام: «**صبراً على الموت يا بني عمومتي، والله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم**»[٣]، فوقع فيهم عون بن عبد الله بن جعفر الطيّار، وأُمّه العقيلة زينب، وأخوه محمّد، وأُمّه الخوصاء، وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب[٤]، وأخوه جعفر ابن عقيل ومحمد بن مسلم بن عقيل[٥].

وأصابت الحسين المثنّى ابن الإمام الحسن السّبط عليه السلام ثمانية عشر جراحة

---

(١) الإرشاد، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٥٦: إنّ عمرو بن صبيح الصدائي رماه بسهم، ورماه بآخر ففلق قلبه. وفي أنساب الأشراف ٥ / ٢٣٩: الرامي يزيد بن الرقاد الجنبي.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ١٧٩.

(٣) هذه الجملة هي الظاهرة مما ذكره ابن جرير في التاريخ ٦ / ٢٥٦: و (النداء بالصبر) نصّ عليه الخوارزمي في المقتل ٢ / ٧٨، والسيد في اللهوف / ٦٤.

(٤) في المحبر لابن حبيب النسابة / ٥٧: كانت خديجة بنت علي عليه السلام عند عبد الرحمن بن عقيل. وفي معارف ابن قتيبة / ٨٩، عند ذكر أخبار علي عليه السلام: ولدت له سعيداً. وفي المحبر لابن حبيب / ٥٧: خلف على خديجة هذه أبو السنابل عبد الله بن عامر بن كريز.

(٥) في سير أعلام النبلاء للذهبي ٢ / ٢١٧: قُتل مع الحسين عبد الله وعبد الرحمن ابنا مسلم بن عقيل ابن أبي طالب.

وقُطعت يده اليمنى ولَم يستشهد.

وخرج أبو بكر ابن أمير المؤمنين عليه السلام[١] واسمه محمد[٢] قتله زحر بن بدر النخعي[٣].

وخرج عبد الله بن عقيل فما زال يضرب فيهم حتّى أُثخن بالجراح وسقط إلى الأرض، فجاء إليه عثمان بن خالد التميمي فقتله.

ما العرب إلاّ سماء للعلاء وما ... أبناء عمرو العلى إلاّ دراريها

فللنبوّة تاج في مفارقها ... وللإمامة عقد في تراقيها

حليان ليس سواها تحتلى بهما ... شتّان عاطل أجياد وحاليها

من شيبة الحمد شبّان مشت مرحا ... لنصرة الدِّين لا كبراً ولا تيها

بسّامة الثغر والأبطال عابسة ... تفتّر منها الثنايا عن لئاليها

---

(١) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم / ١١٨، وصفوة الصفوة لابن الجوزي ١ / ١١٩، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٩٨: إنّ أبا بكر أُمّه ليلى بنت مسعود قُتل مع الحسين عليه السلام.

(٢) الإرشاد وأعلام الورى عند ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام. وفي مقتل الخوارزمي ٢ / ٢٨ اسمه عبد الله. وفي صفوة الصفوة ١ / ١١٩: محمّد الأصغر أُمّه أُمّ ولد قُتل مع الحسين عليه السلام.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢١. وفي مقتل الخوارزمي: زحر بن قيس النخعي. وفي مقاتل أبي الفرج: وجِد في ساقية ولم يعلم قاتله.

جـرت بـطوفان حـرب في بواخرهـا ... ومـــا بـواخـــرها إلا مـذاكـــيها

لَـو لَـم يـكن همّهـا نيـل السّـعادة مـا ... أبقت على الأرض شخصاً من أعاديها

لـيست تـبالي ولـلأسياف صلصـلة ... مطّـبّق سعّـــة الـــغبراء داويـــها

ولـــلرماح اصـــطكاك فـــي أسـنّتها ... ولـــلسهام اخـــتلاف فـــي مـــراميها

ولـــلرؤوس انـــتثار عـــن كـــواهلها ... ولـــلصدور انـــتظام فـــي مجانيهـا[1]

القاسم وأخوه

وخرج أبو بكر بن الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو عبد الله الأكبر، وأُمّه أُمّ ولد[2] يقال لها رملة[3]، فقاتل حتّى قُتل[4].

---

(١) للحجة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي قدس الله سره وستأتي في القاسم تتمتها.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٩، ومقاتل أبي الفرج / ٣٤.

(٣) في الحدائق الوردية: أُمّه وأُمّ القاسم رملة، وفي تذكرة الخواص / ١٠٣، عن طبقات ابن سعد: نفيلة أُمّ القاسم وأبي بكر وعبد الله. وفي مقاتل أبي الفرج، أُمّ ولد لا تُعرف. وفي نسب قريش / ٥٠، لمصعب الزبيري: القاسم وأبو بكر قتلا بالطفّ ولا عقب لها.

(٤) في إعلام الورى الطبرسي / ١٢٧، والمجدي في النسب لأبي الحسن العمري، وإسعاف الراغبين على هامش نور الأبصار، ٢٠٢: إنّه تزوّج من سكينة بنت الحسين عليه السلام. وفي المترادفات للمدائني / ٦٤ في المجموعة الأُولى نوادر المخطوطات: كان عبد الله بن الحسن أبا عذرها. وفي تاج العروس ٤ / ٣٨٧: يقال: لله أبا عذرها، إذا افترعها وافتضها.

وخرج من بعده أخوه لأُمّه وأبيه القاسم[١]، وهو غلام لَم يبلغ الحلم، فلمّا نظر إليه الحسين عليه السلام اعتنقه وبكى[٢] ثمّ أذن له، فبرز كأنّ وجهه شقّة قمر[٣] وبيده السّيف وعليه قميص وإزار وفي رجلَيه نعلان، فمشى يضرب بسيفه فانقطع شسع نعله اليسرى[٤] - وأنف ابن النّبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن يحتفي في الميدان - فوقف يشدّ شسع نعله[٥] وهو لا يزن الحرب إلاّ بمثله غير مكترث

---

(١) كلّ ما يُذكر في عرس القاسم غير صحيح؛ لعدم بلوغه سنّ الزواج، ولم يرد به نصّ صحيح من المؤرّخين. والشيخ فخر الدين الطريحي عظيم القدر جليل في العلم، فلا يمكن لأحد أنْ يتصوّر في حقّه هذه الخرافة، فثبوتها في كتابه المنتخب، مدسوسة في الكتاب، وسيحاكِم الطريحي واضعها في كتابه. وما أدري من أين أثبت عرسه فضيلة السيّد علي محمّد اللكنهوي الملقّب بـ (تاج العلماء) فكتب رسالة في عرسه سمّاها (القاسميّة)، كما جاء في الذريعة للطهراني ١٧ / ٤، رقم ١٩.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٢٧. وذكر الخوارزمي: إنّ الحسين عليه السلام أبى أنْ يأذن له، فما زال الغلام يقبّل يدَيه ورجلَيه حتّى أذن له. أقول: هذا الخبر ينافيه، ما تقدّم من إخبار الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء أصحابه وأهل بيته بقتلهم جميعاً حتّى القاسم والرضيع، وهذا الحديث كحديث عرس القاسم لا صحّة له.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٦، ومقاتل أبي الفرج، والإرشاد، وإعلام الورى / ١٤٦، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٢٧.

(٤) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٦، ومقاتل أبي الفرج، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٢٧، وفي الإرشاد وإعلام الورى: شسع أحدهما.

(٥) ذخيرة الدارين / ١٥٢، وإبصار العين / ٣٧: أقول: لا غرو من ابن المصطفى إذ أنف أنْ يحتفي في الميدان، فهذا أبو الفرج يحدّث في الأغاني ١١ / ١٤٤: أنّ جعفر بن علية بن ←

بالجمع ولا مبال بالألوف.

أهـــوى يـــشدّ حـــذاءه والحـــرب مـــشرعة لأجلـــه
لـــيسومها مـــا إن غلـــت هـــيجاؤها بـــشراك نعلـــه
متـــقلداً صمـــصامه مـــتفّيئاً بـــظلال نصـــله
لا تعـــجبنّ لفـــعله فـــالفرع مـــرتهن بأصـــله
الـــسُّحْبُ يـــخلفها الحيـــا والليـــث منظـــور بشـــبله[1]

وبينا هو على هذا إذ شدّ عليه عمرو بن سعد بن نُفيل الأزدي، فقال له حميد بن مسلم: وما تريد من هذا الغلام؟ يكفيك هؤلاء الذين تراهم احتوشوه. فقال: والله لأشدنّ عليه. فما ولّى حتّى ضرب رأسه بالسّيف، فوقع الغلام لوجهه فقال: يا عمّاه! فأتاه الحسين كالليث الغضبان، فضرب عمراً بالسّيف فاتّقاه بالسّاعد فأطنّها[2] من المرفق، فصاح صيحةً عظيمةً سمعها العسكر، فحملت

ربيعة بن عبد يغوث، من بني الحارث بن كعب، لمّا جيء به؛ ليقاد مه، فبينا هو يمشي- إذ انقطع شسع نعله، فوقف يصلحه. فقال له رجل: ألا يشغلك ما أنت فيه عن هذا؟ فقال جعفر:

أشـــدّ قبـــال نعـــلي أنْ يـــراني عـــدوّي للحـــوادث مســـتكينا

(١) للعلامة السيّد مير علي أبو طبيخ رحمه الله.
(٢) في الصحاح ضربه فأطنّ ساقه أي: قطعها، يراد بذلك صوت القطع.

خيل ابن سعد لتستنقذه، فاستقبلته بصدرها ووطأته بحوافرها فمات. وانجلت الغبرة وإذا الحسين عليه السلام قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه. والحسين عليه السلام يقول: «**بُعداً لقوم قتلوك! خصمهم بوم القيامة جدّك**»، ثمّ قال: «**عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثمّ لا ينفعك، صوتٌ والله كثر واتره وقلّ ناصره**». ثمّ احتمله وكان صدره على صدر الحسين عليه السلام ورجلاه يخطّان في الأرض، فألقاه مع علي الأكبر وقتلى حوله من أهل بيته[1]، ورفع طرفه إلى السّماء وقال: «**اللهمّ أحصهم عدداً، ولا تغادر منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً، صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً**»[2].

ناهيك بالقاسم بن المجتبى حسناً ... من اول الحرب لم يعبأ بما فيها
كأنّ بيضٍ مواضيها تكلّمه ... غيدٌ تغازله منها غوانيها
كأنّ سمر عواليها كؤوس طلا ... تزفّها راح ساقيها لحاسيها
لو كان يحذر بأساً أو يخاف وغىً ... ما انصاع يصلح نعلاً وهو صاليها
أمامه من أعاديه رمال ثرى ... من فوق أسفلها ينهال عاليها
ما عممت بارقات البيض هامته ... فاحمرّ بالأبيض الهنديّ هاميها
إلا غداة رأته وهو في سنةٍ ... عن الكفاح غفول النفس ساهيها

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٧، والبداية لابن كثير ٨ / ١٨٦، والإرشاد.
(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٢٨.

وتلك غفوة ليث غير مكترث ... ما ناله السّيف إلاّ وهو غافيها
فخرّ يدعو، فلبّى السّبط دعوته ... فكان ما كان منه عند داعيها
فقامّ به الأشهب البازى بين قطا ... قد لفَّ اولها فتكاً بتاليها
جنى ولكن رؤوس الشوس يانعة ... وما سوى سيفه البتار جانيها
حتّى إذا غصّ بالبتّار أرحبها ... وفاض من علق البتّار واديها
تقشّعت ظلمات الخيا ناكصة ... فرسانها عنه وانجابت غواشيها
وإذ به حاضن في صدره قمراً ... يزين طلعته الغرّاء داميها
وافى به حاملاً نحو المخيم والآ ... ماق فى وجهه حمر مجانيها
تخطّ رجلاه في لوح الثرى صحفاً ... الدمع منقطها والقلب تاليها
آه على ذلك البدر المنير محا ... بالخسف غرّته الغراء ماحيها

إخوة العبّاس عليه السلام:

ولما رأى العبّاس عليه السلام كثرة القتلى من أهله قال لإخوته من أُمّه وأبيه، عبد الله وعثمان وجعفر: تقدّموا يا بني أُمّي حتّى أراكم نصحتم لله ولرسوله. والتفت إلى عبد الله وكان أكبر من عثمان وجعفر وقال: تقدّم يا أخي حتّى أراك قتيلاً وأحتسبك[1]. فقاتلوا بين يدَي أبي الفضل حتّى قُتلوا بأجمعهم.

---

(١) مقاتل أبي الفرج / ٣٢ - ٣٣.

نعما قرابين الألـه مجزّرين على الفرات
خير الهداية أن يكون الهدى من زمر الهداة
من بعد ما قضوا الصلاة قضوا فداءاً للصلاة[١]

شهادة العبّاس عليه السلام:

ولَم يستطع العبّاس صبراً على البقاء بعد أنْ فُني صحبُه وأهلُ بيته، ويرى حُجّة الوقت مكثوراً قد انقطع عنه المدد، وملأ مسامعه عويل النّساء وصراخ الأطفال من العطش، فطلب من أخيه الرخصة، ولمّا كان العبّاس عليه السلام أنفس الذخائر عند السّبط الشهيد عليه السلام؛ لأنّ الأعداء تحذر صولته وترهب إقدامه، والحرم مطمئنّة بوجوده مهما تنظر اللواء مرفوعاً، فلَم تسمح نفس أبي الضيم القدسيّة بمفارقته فقال له: «**يا أخي أنت صاحب لوائي**»[٢]. قال العبّاس: قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين وأُريد أنْ آخذ ثأري منهم، فأمره الحسين عليه السلام أنْ يطلب الماء للأطفال، فذهب العبّاس إلى القوم ووعظهم وحذّرهم غضب الجبّار، فلَم ينفع. فنادى بصوت عالٍ: يا عمر بن سعد، هذا الحسين ابن بنت رسول الله قد قتلتم أصحابه وأهل بيته، وهؤلاء عياله وأولاده عطاشى، فاسقوهم من الماء قد أحرق الظما قلوبهم، وهو مع ذلك يقول: دعوني أذهب إلى

---

(١) مقاتل أبي الفرج / ٣٢-٣٣.
(٢) البحار ١٠ / ٢٥١، ومقاتل العوالم / ٩٤.

الروم أو الهند وأُخلي لكم الحجاز والعراق. فأثّر كلامه في نفوس القوم حتّى بكى بعضهم، ولكنّ الشمر صاح بأعلى صوته: يابن أبي تراب، لو كان وجه الأرض كلّه ماء وهو تحت أيدينا، لَما سقيناكم منه قطرة، إلاّ أنْ تدخلوا في بيعة يزيد.

فرجع إلى أخيه يخبره، فسمع الأطفال يتصارخون من العطش[1] فلَم تتطامن نفسه على هذا الحال، وثارت به الحميّة الهاشميّة:

يوم أبو الفضل تدعو الظاميات به ... والماء تحت شبا الهنديّة الخذم

والخيل تصطكُّ والزغف الدلاص ... فرسانها قد غدت ناراً على علم

وأقبل الليث لا يلويه خوف ردى ... بادي البشاشة كالمدعوّ للنعم

يبدو فيغدو صميم الجمع منقسماً ... نصفَين ما بين مطروح ومنهزم[2]

ثمّ إنّه ركب جواده و أخذ القربة، فأحاط به أربعة آلاف ورموه بالنّبال فلَم ترعه كثرتهم، وأخذ يطرد أُولئك الجماهير وحده ولواء الحمد يرفّ على رأسه، ولَم يشعر القوم أهو العبّاس يجدل الأبطال أم أنّ الوصي يزأر في الميدان؟! فلم تثبت له الرجال، ونزل إلى الفرات مطمئنّاً غير مبال بذلك الجمع.

ودمدم ليث الغاب يعطو بسالة ... إلى الماء لم يكبر عليه ازدحامها

---

(١) تظلّم الزهراء عليها السلام / ١١٨.

(٢) من قصيدة للحاج هاشم الكعبي، ذُكرت في أعيان الشيعة بترجمته.

وخـاض بـها بـحرا يـرفُّ عبابـه ضـبا ويـد الأقـدار جالـت سـهامها

ألـمت بـه سـوداء يخْطـف برقهـا الـبصائر مـن رعـب و يعلـو قتامهـا

جـلاها بـمشحوذ الـغرارين أبلـج يـدبُّ بـه لـلدارعين حـمامها

فـحلّأها عـن جـانب النهـر عنـوة وولّـت هـواديها يـصلُّ لـجامها

ثنى رجله عـن صـهوة المهـر وامتطى قـرى الـنهر واحتـلَّ السـقاء همامهـا

وهـبّ إلى نـحو الخيـام مشـمّراً لـريِّ عطاشـى قـد طواهـا اوامهـا[1]

ولما اغترف من الماء ليشرب، تذكّر عطش الحسين ومَن معه، فرمى الماء[2] وقال:

يـا نفـس مـن بعـد الحسـين هـو نى وبـعده لا كـنت أن تكـو نى

هـذا الـحسين وارد المنـون وتشـر بين بـارد الـمعين

تالله ما هذا فعال ديني[3]

---

(١) للشيخ حسين مصبح الحلي، ذُكرت في كتابنا (قمر بني هاشم).

(٢) المنتخب للطريحي / ٣١١، الطبعة الثالثة، المجلس التاسع، الليلة العاشرة. وعند المجلسي في البحار ١٠ / ٢٠١، وعنه في مقتل العوالم / ٩٥، وعنه في تظلّم الزهراء عليها السلام / ١١٩، وفي رياض المصائب / ٣١٣.

(٣) رياض المصائب / ٣١٣ للسيّد محمّد مهدي الموسوي.

ثمّ ملأ القربة وركب جواده وتوجّه نحو المخيّم، فقُطع عليه الطريق، وجعل يضرب حتّى أكثر القتل فيهم وكشفهم عن الطريق وهو يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا[1] حتّى أُوارى في المصاليت لقى

فإنّ تلك بهراة تزقو فقد ازقبت بالمردين هاما

وسمعت العالِم الفاضل الشيخ كاظم سبتي رحمه‌الله يقول: أتاني بعض العلماء الثقات وقال: أنا رسول العبّاس عليه السلام إليك، رأيته في المنام يعتب عليك ويقول: لَمَ يذكر مصيبتي شيخ كاظم سبتي، فقلتُ له: يا سيّدي ما زلت أسمعه يذكر مصائبك، فقال عليه السلام: قل له يذكر هذه المصيبة وهي: (إنّ الفارس إذا سقط من فرسه يتلقّى الأرض بيدَيه فإذا كانت السّهام في صدره ويداه مقطوعتان، بماذا يتلقى الأرض؟).

نفسي لسبط المصطفى الطهر وقى إني أنا العبّاس أغدو بالسقا

ولا أخاف الشرَّ يوم الملتقى

---

(١) زقا: بمعنى صاح، وكانت العرب تزعم أنّ للموت طائراً يصيح ويسمونه (الهامة)، ويقولون إذا قُتل الإنسان ولَم يؤخذ بثأره، زقّت هامته حتّى يثأر، قال الشاعر:

فإنّ تلك بهراة تزقو فقد ازقبت بالمردين هاما

وسمعت العالِم الفاضل الشيخ كاظم سبتي رحمه‌الله يقول: أتاني بعض العلماء الثقات وقال: أنا رسول العبّاس عليه السلام إليك، رأيته في المنام يعتب عليك ويقول: لَمَ يذكر مصيبتي شيخ كاظم سبتي، فقلتُ له: يا سيّدي ما زلت أسمعه يذكر مصائبك، فقال عليه السلام: قل له يذكر هذه المصيبة وهي: (إنّ الفارس إذا سقط من فرسه يتلقّى الأرض بيدَيه فإذا كانت السّهام في صدره ويداه مقطوعتان، بماذا يتلقى الأرض؟).

فكمِن له زيد بن الرقاد الجهني من وراء نخلة وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي، فضربه على يمينه فبرأها فقال عليه السلام:

والله إنْ قطعتُمُ يميني ... إني أُحامي ابداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين ... نجل النبيِّ الطاهر الأمين

فلَم يعبأ بيمينه بعد أنْ كان همّه إيصال الماء إلى أطفال الحسين عليه السلام وعياله، ولكن حكيم بن الطفيل كمِن له من وراء نخلة فلمّا مرّ به ضربه على شماله فقطعها[1] وتكاثروا عليه، وأتته السّهام كالمطر، فأصاب القربة سهم وأُريق ماؤها، وسهم أصاب صدره[2]، وضربه رجل بالعمود على رأسه ففلق هامته.

وهوى بجنب العلقميِّ فليته ... للشاربين به يداف العلقم

وسقط على الأرض ينادي: عليك منّي السّلام أبا عبد الله. فأتاه الحسين عليه السلام[3] وليتني علمت بماذا أتاه أبحياة مستطارة منه بهذا الفادح الجلل أم بجاذب من الأُخوّة إلى مصرع صنوه المحبوب؟!

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١ / ٢٢١.

(٢) رياض المصائب / ٣١٥.

(٣) المنتخب للطريح / ٣١٢، المطبعة الحيدرية سنة ٣٦٩، ورياض المصائب / ٣١٥. وفي مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٢: إن حكيم بن الطفيل ضربه بعمود من حديد على رأسه.

نعم حصل الحسين عليه السلام عنده وهو يبصر قربان القداسة فوق الصعيد قد غشيته الدماء وجللته النّبال، فلا يمين تبطش ولا منطق يرتجز ولا صولة ترهب ولا عين تبصر، ومرتكز الدماغ على الأرض مبدد. أصحيح أنّ الحسين عليه السلام ينظر إلى هذه الفجائع ومعه حياة ينهض بها؟ لَم يبقَ الحسين عليه السلام بعد أبي الفضل إلاّ هيكلاً شاخصاً معرّى عن لوازم الحياة، وقد أعرب سلام الله عليه عن هذا الحال بقوله: «**الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي**»[1].

وبان الانكسار في جبينه ... فاندكّت الجبال من حنينه

وكيف لا وهو جمال بهجته ... وفى محياه سرور مهجته

كافل أهله وساقي صبيته ... وحامل اللوا بعالي همته[2]

وتركه في مكانه؛ لسرّ مكنون أظهرته الأيام، وهو أن يدفن في موضعه منحازاً عن الشهداء؛ ليكون له مشهد يقصد بالحوائج والزيارات، وبقعة يزدلف إليها النّاس، وتتزلف إلى المولى سبحانه تحت قبّته التي ضاهت السّماء رفعة وسناء، فتظهر هنالك الكرامات الباهرة وتعرف الأُمّة مكانته السّامية ومنزلته عند الله تعالى، فتؤدّي ما وجب عليهم من الحبّ المتأكّد والزيارات المتواصلة، ويكون عليه السلام حلقة الوصل فيما بينهم وبين الله تعالى. فشاء حجّة الوقت أبو عبد

---

(١) البحار ١٠ / ٢٥١، وتظلّم الزهراء عليها السلام / ١٢٠.

(٢) من أرجوزة آية الله الحجّة الشيخ محمّد حسين الاصفهاني قدس سره.

الله ﷻ كما شاء المهَيمن سبحانه أنْ تكون منزلة أبي الفضل الظاهريّة شبيهة بالمنزلة المعنويّة الأُخرويّة، فكان كما شاءا وأحبّا.

ورجع الحسين عليه السلام إلى المخيّم منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكُمّه، وقد تدافعت الرجال على مخيّمه فنادى: «**أما من مغيث يغيثنا؟ أما من مجير يجيرنا؟ أما من طالب حقّ ينصرنا؟ أما من خائف من النّار فيذبّ عنّا؟**»[1] فأتته سكينة وسألته عن عمّها، فأخبرها بقتله. وسمعته زينب فصاحت: وآ أخاه! وآ عبّاساه! وآ ضيعتنا بعدك! وبكين النّسوة وبكى الحسين معهنّ وقال: «**وآ ضيعتنا بعدك!**»

نادى وقد ملأ البوادي صيحة ... صمُّ الصخور لهولها تتألم

أُخيُّ من يحمى بنات محمد ... إذ صرْنَ يسترحمْنَ مَن لا يرحم

ما خلت بعدك أن تشلَّ سواعدي ... وتكفَّ باصرتي وظهري يقصم

لسواك يلطم بالأكفِّ وهذه ... بيض الظبى لك في جبينى تلطم

ما بين مصرعك الفظيع ومصرعى ... إلاّ كما أدعوك قبل وتنعم

هذا حسامك مَن يذلُّ به العدى ... ولواك هذا مَن به يتقدّم

هوّنت يابن أبي مصارع فتيتى ... والجراح يسكنه الذي هو أألم

فأكبَّ منحنياً عليه ودمعه ... صبغ البسيط كأنّما هو عندم

---

(١) المنتخب / ٣١٢.

قـد رام يـلثمه فلـم يـرَ موضـعاً لَـم يدمـه عـضُّ السـلاحِ فيلـثم[١]

سيّد الشهداء عليه السلام في الميدان

ولما قُتل العبّاس التفت الحسين عليه السلام، فلم يرَ أحداً ينصره، ونظر إلى أهله وصحبه مجزّرين كالأضاحي، وهو إذ ذاك يسمع عويل الأيامى وصراخ الأطفال صاح بأعلى صوته: «هل من ذابّ عن حرم رسول الله؟ هل من موحّد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟» فارتفعت أصوات النّساء بالبكاء[٢].

ونهض السّجاد عليه السلام يتوكّأ على عصا ويجرّ سيفه؛ لأنّه مريض لا يستطيع الحركة. فصاح الحسين بأُمّ كلثوم: «احبسيه؛ لئلاّ تخلو الأرض من نسل آل محمّد». فأرجعته إلى فراشه[٣].

ثمّ إنّه عليه السلام أمر عياله بالسّكوت وودّعهم، وكان عليه جبّة خز دكناء[٤] وعمامة

---

(١) للسيّد جعفر الحلّي، طبعت بتمامها في مثير الأحزان العلامة الشيخ شريف الجواهري.

(٢) اللهوف / ٦٥.

(٣) الخصائص الحسينيّة للشيخ جعفر الشوشتري قدس سره / ١٢٩، الاستغاثة الرابعة.... وممّن نصّ على مرضه يوم كربلاء، مصعب الزبيري في نسب قريش / ٥٨، واليعقوبي في تاريخه ٢ / ٢١٧. وقال الخوارزمي في مقتل الحسين ٢ / ٣٢: خرج علي بن الحسين عليه السلام وهو أصغر من أخيه القتيل وكان مريضاً لا يقدر على حمل السّيف، الخ.

(٤) روى الكليني في الكافي على هامش مرآة العقول ٤ / ١٠٥ عن الباقر عليه السلام والآلوسي في روح المعاني ٨ / ١١١ عند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ﴾، وابن حجر في مجمع ←

مورَّدة أرخى لها ذوابتين، والتحف ببردة رسول الله ﷺ وتقلّد بسيفه[١]، وطلب ثوباً لا يرغب فيه أحد يضعه تحت ثيابه؛ لئلاّ يجرّد منه فإنّه مقتول مسلوب، فأتوه بتبان[٢] فلَم يرغب فيه؛ لأنّه من لباس الذلّة [٣]، وأخذ ثوباً خلقاً وخرّقه وجعله تحت ثيابه[٤]، ودعا بسراويل حبرة، ففزرها ولبسها؛ لئلاّ يسلبها[٥].

الرضيع

ودعا بولده الرضيع يودّعه، فأتته زينب بابنه عبد الله[٦] وأُمّه الرباب فأجلسه

الزوائد ٩ / ١٩٢، والخوارزمي في مقتل الحسين ٢ / ٣٥: كان على الحسين عليه السلام يوم عاشوراء جبة خز دكناء.

(١) المنتخب / ٣١٥، المطبعة الحيدرية سنة ١٣٦٩.

(٢) في الصحاح، (بالضمّ والتشديد)، هي سراويل صغيرة مقدار شبر ستر العورة المغلظة وفي شفاء الغليل / ٥٢: هو من الدخيل والأصوب فيه الضم.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٢، والبحار ١٠ / ٣٠٥.

(٤) مجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي ٩ / ١٩٣، والبحار ١٠ / ٢٠٥.

(٥) اللهوف / ٦٩، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٥٩.

(٦) سمّاه ابن شهر آشوب في المناقب ٢ / ٢٢٢: علي الأصغر.

وذكر السيد ابن طاووس في الإقبال زيارة للحسين عليه السلام يوم عاشوراء: وفيها صلّى الله عليك وعليهم وعلى ولدك علي الأصغر الذي فُجعت به. والذي نصّ على أنّه عبد الله وأُمّه الرباب، الشيخ المفيد في الاختصاص / ٣، وأبو الفرج في مقاتل الطالبيين / ٣٥، ومصعب الزبيري في نسب قريش / ٥٩، وفي سرّ السلسلة / ٣٠: المقتول بالسّهم في حجر أبيه عبد الله. ولمّ يذكر أُمّه.

في حجره يقبّله[١] ويقول: «**بُعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدّك المصطفى خصمهم**»[٢]. ثمّ أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه، فتلقّى الحسين عليه السلام الدم بكفّه، ورمى به نحو السّماء. قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «فلَم تسقط منه قطرة»[٣]. وفيه يقول حُجّة آل محمّد (عجّل الله فرجه): «**السّلام على عبد الله الرضيع، المرمي الصريع المتشحط دماً، والمصعد بدمه إلى السّماء، المذبوح بالسّهم في حجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل الأسدي وذويه**»[٤].

---

(١) اللهوف / ٦٥ وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٨ طبعة النجف: أن الحسين لَواقف إذ أتي بمولود له وُلِد السّاعة أذّن في أُذنه وجعل يحنكه، إذ أتاه سهم وقع في حلق الصبي فذبحه، فنزع الحسين عليه السلام السّهم من حلقه، وجعل يلطّخه بدمه ويقول: «**والله لأنت أكرم على الله من النّاقة، ولَمحمد أكرم على الله من صالح**». ثمّ أتى فوضعه مع ولده وبني أخيه.

(٢) البحار ١٠ / ٢٣، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٢٢.

(٣) في مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٢: لَم يرجع منه شيء وذكر ابن نما في مثير الأحزان، ٣٦، والسيد في اللهوف / ٦٦: رواية الباقر عليه السلام.

وذكر ابن كثير في البداية ٨/ ١٨٦ والقرماني في أخبار الدول / ١٠٨، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣٢: رمى به نحو السّماء. قال ابن كثير: والذي رماه بالسّهم رجل من بني أسد يقال له (ابن موقد النّار).

(٤) زيارة النّاحية المقدسة. والأبيات للخطيب الفاضل سيّد محمّد جواد شبر.

أعـــزز عـــلىَّ وأنـــت تحمـــل طفلـــ ... ـك الظامى وحرّ أوامه[1] لا يبرد

قـد بـحَّ مـن لفـح الهجـيرة صـوته ... بـــمرنة مـــنها يـــذوب الجلمـــد

وقصـدت نحـو القـوم تطلـب منهم ... ورداً ولـــكن أيـــن منـــك المـــورد

والـقـــوس طـــوّق نـــحره فـــكأنه ... خـيط الـهلال يـحلُّ فـيه الفرقـد

وعـــلى الـــربية فـــى الخيـام نـوائح ... تـــومى لـــطفلك بـــالشجى وتـــردد

وربَّ رضيـــع أرضـــعته قـــسيهم ... مـــن الـــنّبل ثـديا درُّه الثـر فاطمـه

فـلهفى لـه مـذ طـوّق السّـهم جيده ... كـمـــا زيـــنته قـــبل ذاك تـــمائمه

هـفا لـعناق الـسّبط مبتسـهم اللمى ... وداعـــا وهـــل غـــير العنـاق يلائمـه

ولـهفى عـلى أُمّ الرضيع وقـد دجى ... عـليها الدجى والدوح نـادت حمائمه

تـسلل فـى الـظلماء ترتـاد طفلهـا ... وقـد نـجمت بين الضحايا علائمه

فـمذ لاح سـهم النّحر ودّت لـو أنّها ... تـشاطره سـهم الـردى وتـساهمه

أقلّـــته بـــالكفين تـــرشف ثـــغره ... وتـلثم نـحراً قـبلها الـسّهم لاثمـه

وأدنتـــه لـــلنهدين ولـــهى فـــتارة ... تـــناغيه ألـــطافا وأُخـــرى تـــكالمه

بُنىّ أفـق مـن سـكرة المـوت وارتضـع ... بـثدييك عـلّ الـقلب يـهدأ هائمـه

---

(١) الأوام: أن يضج العطشان؛ وذلك عند شدّة العطش. تاج العروس ١٦/ ٣٨.

بُـنيّ فـقد درًا وقـد كـضك الظـما فـعلّه يـطفى مـن غليلـك ضـارمه

بُـنيّ لـقد كـنت الأنيس لَـو حشـتى وسلواي إذ يسطو من الهمّ غاشمه[1]

ثمّ قال الحسين عليه السلام: «**هوّن ما نزل بي أنّه بعين الله تعالى**[2]، **اللهمّ لا يكون أهون عليك من فصيل، إلهي إنْ كنت حبستَ عنّا النّصر فاجعله لِما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين**[3] **واجعل ما حلّ بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل**[4] **اللهمّ أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه النّاس برسولك محمّد** صلى الله عليه وآله»[5]، وسمع عليه السلام قائلاً يقول: دَعه يا حسين، فإنّ له مرضعاً في الجنّة[6]. ثمّ نزل عليه السلام عن فرسه وحفر له بجفن سيفه ودفنه مرمّلاً بدمه وصلّى عليه[7]، ويقال وضعه مع قتلى أهل بيته[8].

---

(١) للعلامة الشيخ محمّد تقي آل صاحب الجواهر.

(٢) اللهوف / ٦٦.

(٣) مثير الأحزان لابن نما / ٢٦، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣٢.

(٤) تظلّم الزهراء عليها السلام / ١٢٢.

(٥) المنتخب / ٣١٣.

(٦) تذكرة الخواص / ١٤٤، والقمقام لميرزا فرهاد / ٣٨٥.

وفي الإصابة بترجمة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله، وتهذيب الأسماء للنووي ١ / ١٠٢ وشرح المواهب اللدنيّة للزرقاني ٣ / ٢١٤، باب أولاده: لمّا توفّي إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال النّبي: «**إنّ له مرضعاً في الجنّة**».

(٧) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٢، والاحتجاج للطبرسي / ١٦٣ طبعة النجف.

(٨) الإرشاد ومثير الأحزان / ٣٦.

لهفى على أبيه إذ رآه ... غارت لشدّة الظما عيناه

ولَم يجد شربة ماء للصبى ... فساقه التقدير نحو الطلب

وهو على الأبي أعظم الكرب ... فكيف بالحرمان من بعد الطلب

من دمه الزاكى رمى نحو السما ... فما أجلّ لطفه وأعظما

لَو كان لَم يرم به إليها ... لساخت الأرض بمَن عليها

فاحمرّت السّماء من فيض دمه ... ويل من الله لهم من نقمه

وكيف حال أُمّه حيث ترى ... رضيعها جرى عليه ما جرى

غادرها كالدرّة البيضاء ... وعاد كالياقوتة الحمراء

حنّت عليه حنّة الفصيل ... بكته بالإشراق والأصيل

لهفى لها إذ تندب الرضيعا ... نَدباً يحاكى قلبها الوجيعا

تقول يا بنى يا مؤملى ... يا منتهى قصدي وأقصى أملى

جفّ الرضاع حين عزّ الماء ... أصبحت لا ماء ولا كلاء

فساقك الظما إلى ريّ الردى ... كأنّما ريّك فى سهم العدى

يا ماء عينى وحياة قلبى ... من لبلائى وعظيم كربي

رجـوت أن تكـون لي نِعـم الخلـف وسـلوة لي عـن مصـابي بالسّـلف

مـا خِـلت أنّ الـسّهم للفطـام حتّـى أرتنـى جهـرة أيـامى[١]

وتقدّم الحسين عليه السلام نحو القوم مصلتاً سيفه، آيساً من الحياة، ودعا النّاس إلى البراز، فلم يزل يقتل كلّ مَن برز إليه حتّى قَتل جمعاً كثيراً[٢] ثمّ حمل على الميمنة وهو يقول:

المـوت أولى مـن ركـوب العـار والعـار أولى مـن دخـول النّـار[٣]

وحمل على الميسرة وهو يقول:

أنـا الحـسين بـن عـلى آلـيتُ أنْ لا أنثـنى

أحمـى عيـالات أبي أمضى عـلى ديـن النّبـى

قال عبد الله بن عمّار بن يغوث: ما رأيت مكثوراً قط، قد قُتل ولده وأهل بيته وصحبه، أربط جأشاً منه ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً، ولقد كان الرجال

---

(١) أُرجوزة آية الله الحجّة الشيخ محمّد حسين الاصفهاني قدس سره.

(٢) مقتل العوالم / ٩٧، ومثير الأحزان لابن نما / ٣٧، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣٣.

(٣) في البيان والتبيين للجاحظ ٣ / ١٧١ الطبعة الثانية، تحت عنوان (كلام في الأدب)، بعد أن ذكر هذا البيت اتبعه بقوله:

والله مـن هـذا وهـذا جـار

تنكشف بين يدَيه إذا شدّ فيها ولَم يثبت له أحد[١].

فصاح عمر بن سعد بالجمع: هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، احملوا عليه من كلّ جانب. فأتته أربعة آلاف نبلة[٢]، وحال الرجال بينه وبين رحله، فصاح بهم: «**يا شيعة آل أبي سفيان، إنْ لَم يكن لكم دين وكنتم ولا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إنْ كنتم عرباً، كما تزعمون**». فناداه شمر: ما تقول يابن فاطمة؟ قال: «**أنا الذي أُقاتلكم، والنّساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم عن التعرّض لحرمي ما دمتُ حيّاً**».

قال اقصدوني بنفسي و اتركوا حرمي قد حان حيني و قد لاحت لوائحه

فقال الشمر: لك ذلك.

وقصده القوم واشتد القتال وقد اشتدّ به العطش[٣]، فحمل من نحو الفرات على عمرو بن الحَجّاج، وكان في أربعة آلاف، فكشفهم عن الماء وأقحم الفرس الماء فلمّا همَّ الفرس ليشرب قال الحسين عليه السلام: «**أنت عطشان وأنا عطشان، فلا أشرب حتّى تشرب**»[٤]. فرفع الفرس رأسه كأنّه فهم الكلام، ولمّا مدّ

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٣.

(٢) الطبري ٦ / ٢٥٩. ونسبه الخوارزمي في مقتل الحسين ٢ / ٣٨ إلى بعض من شهد الوقعة.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٣.

(٤) اللهوف / ٦٧.

الحسين عليه السلام يده ليشرب ناداه رجل: أتلتذّ بالماء وقد هُتكت حرمك؟! فرمى الماء ولَم يشرب، وقصد الخيمة[١].

يـروي الثـرى بـدمائهم وحشـاه مـن ... ظـمأ تـطاير شـعلة قطعاتهـا

لَـو قـلبت مـن فـوق غلّـة قلبـه ... صـمّ الصـفا ذابـت عليـه صـفاتها

تـبكي السّـماء لـه دمـاً أفـلا بكـت ... مـاء لـغلّة قـلبه قـطراتها

وآ حـرّ قلبـي يـابن بنـت محمّـد ... لـك والعـدى بـك أنجحـت طلباتهـا

منعتـك مـن نيـل الفـرات فـلا هنـا ... لـلنّاس بعـدك نِيلهـا وفراتهـا[٢]

---

(١) البحار ١٠ / ٢٠٤، ومقتل العوالم / ٩٨، ونفس المهموم / ١٨٨، والخصائص الحسينيّة / ٤٦، باب خصائص الحيوانات. أقول: إنّي لا أضمن صحّة هذا الحديث المتضمّن؛ لامتناع الفرس من الشرب، ولرمي الحسين عليه السلام الماء من يده لمجرّد قول الأعداء، وهو العالم بأنّه مكيدة، لكن خصائص هذا اليوم المختصّة بسيّد الشهداء ومَن معه على أن يقضوا عطاشى خارجة عمّا نعرفه، ولا سبيل لنا إلاّ التسليم بعد أنْ كان الإمام عليه السلام حكيماً في أفعاله وأقواله لا يعمل إلاّ بما تلقّاه من جدّه الذي لا ينطق عن الهوى، وكلّ قضايا الطفّ محدودة الظرف والمكان؛ لأسرار ومصالح لا يعلمها إلاّ ربّ العالمين تعالى شأنه. وهناك شيء آخر لاحظه سيّد الشهداء وكانت العرب تتفانى دونه، وهو حماية الحرم بأنفس الذخائر، وأبو عبد الله سيّد العرب وابن سيّدها فلا تفوته هذه الخصلة التي يستهلك دونها النّفس والنّفيس. ولمّا ناداه الرجل هتكت الحرم لَم يشرب الماء؛ إعلاماً للجمع بما يحمله من الغيرة على حرمه، ولَو لَم يبال بالنداء لتيقّن النّاس فقدانه الحميّة العربيّة ولا يقدم عليه أبي الضيم حتّى لو علم بكذب النّداء، وفعل سيّد الإباة من عدم شرب الماء ولَو في آن يسير هو غاية ما يمدح به الرجل.

(٢) من قصيدة لآية الله الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه الله.

الوداع الثاني

ثمّ إنّه عليه السلام ودّع عياله ثانياً، وأمرهم بالصبر ولبس الأزر وقال: «**استعدّوا للبلاء، واعلموا أنّ الله تعالى حاميكم وحافظكم، وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذِّب عدوّكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البليّة بأنواع النّعم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم**»[1].

حقاً لو قيل بأنّ هذا الموقف من أعظم ما لا قاه سيّد الشهداء في هذا اليوم[2]؛ فإنّ عقائل النبوّة تشاهد عماد أخبيتها وسياج صونها وحمى عزّها ومعقد شرفها مؤذناً بفراق لا رجوع بعده، فلا يدرين بمَن يعتصمن من عادية الأعداء، وبمَن العزاء بعد فقده. فلا غرو إذا اجتمعن عليه وأحطن به وتعلّقن بأطرافه، بين صبيّ يئنّ، وواهة أذهلها المصاب، وطفلة تطلب الأمن، وأُخرى تنشد الماء. إذاً

---

(١) جلا العيون للمجلسي بالفارسيّة، وهنا شيء لَم يتنبّه له أحد وهي إرادة بيان أمرَين؛ عدم القتل، وعدم السّلب. فإنّ تعليل لبس الأزر بالحماية والمحافظة مع أنّ أحدهما كافٍ في التعريف بأنّ اليد العادية لا تمدّ إليهم، يكون الإتيان بهما مع بعد غرض بلوغه أعلى مراتب البلاغة دليل على أنّ المقصود من أحدهما بيان عدم السّلب، ومن الثاني عدم القتل.

(٢) هذا هو الظاهر من وصيّة الصدّيقة الزهراء عليها السلام للمجلسي- أعلى الله مقامه بقراءته مصيبة ولدها عند الوداع. كما ذكره النوري في دار السّلام المجلّد الأول.

فما حال سيّد الغيارى ومثال الحنان وهو ينظر بعلمه الواسع إلى ودائع الرسالة وحرائر بيت العصمة، وهنّ لا يعرفن إلاّ سجف العزّ وحجب الجلال، كيف يتراكضن في هذه البيداء المقفرة بعولة مشجية، وهتاف يفطّر الصخر الأصمّ وزفرات متصاعدة من أفئدة حرّى، فإنْ فررن فعن السّلب، وإنْ تباعدن فمن الضرب. ولا محام لهن غير الإمام الذي أنهكته العلّة

فلو أنّ أيّوباً رأى بعض ما رأى ... لقال بلى هذا العظيمة بلواه

أمّا عقيلة بني هاشم زينب الكبرى فإنّها تبصر هذا وذاك فتجد عروة الدِّين الوثقى عرضة للانفصام، وحبل النبوّة آيلاً إلى الانصرام، ومنار الشريعة إلى الخمود، وشجرة الإمامة إلى الذبول.

تنعى ليوث البأس من فتيانها ... وغيوثها إنْ عمّت البأساء

تبكيهُمُ بدم فقل بالمهجة الحرا ... تسيل العبرة الحمراء

حنّت ولكنَّ الحنين بكا وقد ... ناحت ولكنّ نوحها ايماء[1]

والتفت الحسين عليه السلام إلى ابنته سكينة، التي يصفها للحسن المثنّى بأنّ الاستغراق مع الله غالب عليها، فرآها منحازة عن النّساء باكية نادبة، فوقف عليها مصبّراً ومسلياً، ولسان حاله يقول:

---

(١) من قصيدة لكاشف الغطاء رحمه الله.

هـــذا الـــوادع عزيـــزتي والملتقـــى يـــوم الـــقيامة عنـــد حـــوض الكـــوثر
فـــدعى الـــبكاء ولـــلأسار تهيّـــأي واستشـعري الصـبر الجميـل وبـادري
وإذا رأيـــتيني عـــلى وجـــه الثّـــرى دامـــى الوريـــد مبضّـــعاً فتصـــبّري[1]

فقال عمر بن سعد: ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمه، والله إنْ فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم. فحملوا عليه يرمونه بالسّهام حتّى تخالفت السّهام بين أطناب المخيّم وشكّ سهم بعض أُزر النّساء، فدهشنَ وارعبنَ وصحن ودخلن الخيمة، ينظرن إلى الحسين عليه السلام كيف يصنع، فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً إلاّ بعجه بسيفه فقتله، والسّهام تأخذه من كلّ ناحية وهو يتّقيها بصدره ونحره[2].

ورجع إلى مركزه يُكثر من قول لا حول ولا قوة إلاّ بالله العظيم[3]. وطلب في هذه الحال ماءاً فقال الشمر: لا تذوقه حتّى ترد النّار. وناداه رجل: ياحسين ألا ترى الفرات كأنّه بطون الحيّات؟ فلا تشرب منه حتّى تموت عطشاً فقال الحسين عليه السلام: «**اللهمّ أمِته عطشاً**». فكان ذلك الرجل يطلب الماء فيؤتى به فيشرب حتّى يخرج من فيه، وما زال كذلك إلى ان مات عطشاً[4].

---

(١) للخطيب الشيخ مسلم ابن الخطيب الشيخ محمّد علي الجابري النجفي رحمهما الله تعالى.
(٢) مثير الأحزان للعلامة الشيخ شريف آل صاحب الجواهر قدس سره.
(٣) اللهوف / ٦٧.
(٤) مقاتل أبي الفرج / ٤٧ طبعة ايران، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٨. وحكاه في ←

ورماه أبو الحتوف الجعفي بسهم في جبهته فنزعه وسالت الدماء على وجه فقال: «**اللهمّ إنّك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة، اللهمّ أحصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً**». وصاح بصوت عال: «**يا أُمّة السّوء، بئسما خلفتم محمّداً في عترته، أما إنّكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون قتله، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إيّاي. وأيمَ الله، إنّي لأَرجو أنْ يكرمني الله بالشهادة، ثمّ ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون**». فقال الحصين: وبماذا ينتقم لك منّا يابن فاطمة؟ قال عليه السلام: «**يلقي بأسكم بينكم، ويسفك دماءكم، ثمّ يصبّ عليكم العذاب صبّا**»[1].

ولمّا ضعف عن القتال، وقف يستريح، فرماه رجل بحجر على جبهته، فسال الدم على وجهه، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن عينيه، رماه آخر بسهم محدّد له ثلاث شعب وقع على قلبه فقال عليه السلام: «**بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله**» ورفع رأسه إلى السّماء وقال: «**إلهي إنّك تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيري**».

البحار ١٠ / ٢٥٤ طبعة كمبني، عن أبي الفرج. وفي البحار ١٠ / ٢٠٣ نقلاً عن المفيد، والسيّد ابن طاووس، وابن نما: اشتد العطش بالحسين عليه السلام فقصد الفرات، فحالوا بينه وبين الماء.

(١) مقتل العوالم / ٩٨، ونفس المهموم / ١٨٩، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣٤.

ثمّ أخرج السّهم من قفاه وانبعث الدم كالميزاب[١]، فوضع يده تحت الجرح فلمّا امتلأت رمى به نحو السّماء وقال: «**هوّن عليَّ ما نزل بي، أنّه بعين الله**». فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض.[٢]. ثمّ وضعها ثانياً فلمّا امتلأت، لطخ به رأسه ووجهه ولحيته وقال: «**هكذا أكون حتّى ألقى الله وجدّي رسول الله ﷺ وأنا مخضّب بدمي، واقول: يا جدّي قتلني فلان وفلان**»[٣].

فهوى بضاحية الهجير ضريبة ... تحت السّيوف لحدّها المسنون

وقفت له الأفلاك حين هويه ... وتبدّلت حركاتها بسكون

وبها نعاه الروح يهتف منشداً ... عن قلب والهة بصوت حزين

أضمير غيب الله كيف لك القنا ... نفذت وراء حجابه المخزون

وتصكّ جبهتك السّيوف وإنّها ... لَو لا يمينك لَم تكن لِيمين

ما كنت حين صرعت مضعوف ... فاقول لم ترفد بنصر معين

أما وشيبتك الخضيبة إنّها ... لأبرّ كل إليّة ويمين

لو كنت تستام الحياة لا رخصت ... منها لك الأقدار كلّ ثمين

---

(١) نفس المهموم / ١٨٩، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣٤، واللهوف / ٦٨.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٨، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣٤.

(٣) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٤، واللهوف / ٧٠.

أو شئت محو عداك حتّى لا يُرَى ... منهم على الغبراء شخص قطين

لاخذت آفاق البلاد عليهمُ ... وشحنت قطَّريها بجيش منون

حتى بها لم تبق نافخ ضرمة ... منهم بكلّ مفاوز وحصون

لكن دعتك لبذل نفسك عصبة ... حان انتشار ضلالها المدفون

فرأيت أنَّ لقاء ربك باذلا ... للنفس أفضل من بقاء ضنين

فصبرت نفسك حيث تلتهب الظّبى ... ضرباً يذيب فؤاد كل رزين

والحرب تطحن شوسها برحاتها ... والرعب يلهم حلم كل رصين

والسّمر كالاضلاع فوقك تنحنى ... والبيض تنطبق انطباق جفون

وقضيت نحبك بين اظهر معشر ... حُمِلوا بأخبث اظهر وبطون[1]

وأعياه نزف الدم فجلس على الأرض ينوء برقبته، فانتهى إليه في هذا الحال مالك بن النّسر فشتمه، ثمّ ضربه بالسّيف على رأسه، وكان عليه برنس فامتلأ البرنس دما فقال الحسين عليه السلام: «**لا أكلت بيمينك ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين**». ثمّ ألقى البرنس واعتمّ على القلنسوة[2].

---

(١) ديوان السيد حيدر الحلّي رحمه الله.

(٢) كامل ابن الأثير ٤ / ٣١، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣٥.

محمّد بن أبي سعيد

قال هاني بن ثبيت الحضرمي: إنّي لَواقف عاشر عشرة لمّا صُرع الحسين، إذ نظرت إلى غلام من آل الحسين عليه إزار وقميص وفي أُذنيه درّتان، وبيده عمود من تلك الأبنية، وهو مذعور يتلفّت يميناً وشمالاً، فأقبل رجل يركض حتّى إذا دنا منه مال عن فرسه وعلاه بالسّيف فقتله، فلمّا عيب عليه، كنّى عن نفسه[1]. وذلك الغلام هو محمّد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب[2] وكانت أُمّه تنظر إليه وهي مدهوشة[3].

عبد الله بن الحسن

ثمّ إنّهم لبثوا هُنيئة وعادوا إلى الحسين عليه السلام وأحاطوا به، وهو جالس على الأرض لا يستطيع النّهوض فنظر عبد الله بن الحسن السّبط عليه السلام - وله إحدى عشرة سنة - إلى عمّه وقد أحدق به القوم، فأقبل يشتدّ نحو عمّه، وأرادت زينب

---

(١) الطبري ٦ / ٢٥٨، والبداية لابن كثير ٨ / ١٨٦.

(٢) مقاتل أبي الفرج / ٣٧، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٥٨، والبداية لابن كثير ٨ / ١٨٦، ومن الغريب ما في المحبر لابن حبيب / ٥٦، ونسب قريش لمصعب الزبيري / ٤٦: انّ فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليها السلام كانت عند محمّد بن أبي سعيد بن عقيل، وزاد في نسب قريش أنّها ولدت له حميدة (بالتصغير).

(٣) الخصائص الحسينيّة / ١٢٩.

حبسه فأفلت منها وجاء إلى عمّه، وأهوى بحر بن كعب بالسّيف ليضرب الحسين عليه السلام فصاح الغلام: يابن الخبيثة أتضرب عمّي؟ فضربه واتّقاها الغلام بيده فأطنّها إلى الجلد، فإذا هي معلّقة فصاح الغلام: يا عمّاه! ووقع في حجر الحسين عليه السلام فضمّه إليه وقال: «**يابن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله تعالى يلحقك بآبائك الصالحين**». ورفع يدَيه قائلاً: «**اللهم ان متعتهم إلى حين ففرقهم تفريقاً**، واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترضِ الولاة عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا، ثمّ عدوا علينا يقاتلونا»[1].

ورمى الغلامَ حرملةُ بن كاهل بسهم فذبحه، وهو في حجر عمّه[2].

وبقي الحسين عليه السلام مطروحاً مليّاً ولَو شاؤوا أنْ يقتلوه لفعلوا، إلاّ أنّ كلّ قبيلة تتّكل على غيرها وتكره الإقدام[3].

وأصبح مشتجراً للرماح ... تحلّى الدّما منه مرّانها

عفيراً متى عاينته الكماة ... يختطف الرّعب ألوانها

فما أجلت الحرب عن مثله ... صريعاً يجبّن شجعانها

تريب المحيا تظنّ السما ... بأنّ على الأرض كيوانها

---

(١) الطبري ٦ / ٢٥٩، ومثير الأحزان / ٣٨، واللهوف / ٦٨.

(٢) مثير الأحزان / ٣٩، واللهوف / ٦٨.

(٣) الاخبار الطوال / ٢٥٥، والخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٨.

غريباً أرى يا غريب الطّفوف توسد خدّيك كثبانها

وقتلك صبراً بأيدٍ أبوك ثناها وكسّر أوثانها

أتقضى فداك حشا العالمين خميص الحشاشة ظمآنها[١]

فصاح الشمر: ما وقوفكم؟ وما تنتظرون بالرجل، وقد أثخنته السّهام والرماح؟ احملوا عليه[٢].

وآ أسفاه حملوا عليه من كلّ جانب أتوا إإليه

قد ضربوا عاتقه المطهّرا بضربةٍ كبا لها على الثرى[٣]

وضربه زرعة بن شريك على كتفه الأيسر، ورماه الحصين في حلقه[٤]، وضربه آخر على عاتقه، وطعنه سنان بن أنس في ترقوته، ثمّ في بواني صدره، ثمّ رماه بسهم في نحره[٥]، وطعنه صالح بن وهب في جنبه[٦].

قال هلال بن نافع كنت واقفاً نحو الحسين وهو يجود بنفسه، فوالله ما رأيت

---

(١) من قصيدة للسيد حيدر الحلّي رحمه الله.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٥، و مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٢.

(٣) المقبولة الحسنية / ٥٦، للحجة الشيخ هادي كاشف الغطاء.

(٤) الاتحاف بحبّ الأشراف / ١٦.

(٥) اللهوف / ٧٠.

(٦) مقتل العوالم / ١١٠، والخوارزمي في المقتل ٢ / ٣٥.

قتيلاً قطّ مضمّخاً بدمه أحسن منه وجهاً ولا أنور، ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله. فاستقى في هذه الحال ماء فأبوا ان يسقوه.

وقال له رجل: لا تذوق الماء حتّى ترد الحامية فتشرب من حميمها. فقال عليه السلام: **«أنا أرد الحامية؟! وإنّما أرد على جدّي رسول الله وأسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر وأشكو إليه ما ارتكبتم منّي وفعلتم بي»**. فغضبوا بأجمعهم حتّى كأنّ الله لَم يجعل في قلب أحدهم من الرحمة شيئاً[1].

فلو أنَّ أحمد قد رآك على الثرى ... لفرشنَ منه لجسمك الاحشاء

أو بالطّفوف رأت ظماك سقتك من ... ماء المدامع أُمّك الزهراء

يا ليت لا عذب الفرات لوارد ... وقلوب ابناء النبيِّ ظماء

كم حرّة نهب العدى أبياتها ... وتقاسمت أحشاءها الأرزاء

تعدو فان عادت عليها بالعدى ... عدو العوادي الجرد والأعداء

هتفت تثير كفيلَها وكفيلُها ... قد ارمضته في الثرى الرمضاء[2]

الدعاء

ولمّا اشتدّ به الحال رفع طرفه إلى السّماء وقال: **«اللهمّ متعال المكان عظيم**

---

(١) ابن نما / ٣٩.

(٢) ابن نما / ٣٩.

الجبروت، شديد المحال غني عن الخلائق، عريض الكبرياء قادر على ما تشاء، قريب الرحمة صادق الوعد سابغ النعمة، حسن البلاء قريب إذا دُعيت محيط بما خَلقت، قابل التوبة لمَن تاب إليك، قادر على ما أردت تدرك ما طلبت، شكور إذا شُكرت ذكور إذا ذُكرت، أدعوك محتاجاً وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً وأبكي مكروباً، واستعين بك ضعيفاً وأتوكّل عليك كافياً، اللهمّ احكم بيننا وبين قومنا فإنّهم غرّونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيّك وولد حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله الذي اصطفيته بالرسالة وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرَجاً ومخرجاً، يا أرحم الراحمين»[1].

«صبراً على قضائك يا ربّ، لا إله سواك يا غياث المستغيثين[2]، مالي ربّ سواك ولا معبود غيرك، صبراً على حكمك، يا غياث مَن لا غياث له يا دائماً لا نفاد له، يا محيي الموتى، يا قائماً على كلّ نفس بما كسبت، احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين»[3].

فإنْ يكُ إسماعيل أسلم نفسه ... إلى الذّبح في حجر الذي هو راحمه

فعاد ذبيح الله حقاً ولم تكن ... تصافحه بيض الظّبى وتسالمه

---

(١) مصباح المتهجد والاقبال وعنهما في مزار البحار / ١٠٧، باب زيارته يوم ولادته.

(٢) أسرار الشهادة / ٤٢٣.

(٣) رياض المصائب / ٣٣.

فـان حـسيناً أسـلم الـنفس صـابراً ... عـلى الـذبح في سيف الـذي هـو ظالمه

ومـن دون ديـن الله جـاد بـنفسه ... وكـلّ نـفيس كـى تُـشاد دعـائمه

ورضَّـت قـراه الـعاديات وصـدره ... وسيقت على عجف المطايا كرائمه[1]

الجواد

وأقبل الفرس يدور حوله ويلطّخ ناصيته بدمه[2] فصاح ابن سعد: دونكم الفرس؛ فإنّه من جياد خيل رسول الله صلى الله عليه وآله. فأحاطت به الخيل، فجعل يرمح برجلَيه حتّى قتل أربعين رجلاً وعشرة أفراس. فقال ابن سعد: دعوه لننظر ما يصنع. فلمّا أمِن الطلب أقبل نحو الحسين عليه السلام يمرّغ ناصيته بدمه ويشمّه ويصهل صهيلاً عالياً[3]، قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «**كان يقول: الظليمة، الظليمة، من أُمّة قتلتْ ابن بنت نبيّها**». وتوجّه نحو المخيّم بذلك الصهيل[4]، فلمّا نظرن النّساء إلى الجواد مخزياً والسّرج عليه ملويّا خرجن من الخدور ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات وللوجوه سافرات، وبالعويل داعيات، وبعد العزّ مذللات،

---

(١) من قصيدة للعلامة الشيخ محمّد تقي آل صاحب الجواهر.

(٢) أمالي الصدوق / ٩٨، المجلس الثلاثون، ومقتل الخوارزمي / ٣٧، وتظلّم الزهراء عليها السلام / ١٢٨.

(٣) تظلّم الزهراء عليها السلام / ١٢٩، والبحار ١٠ / ٢٠٥.

(٤) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٧.

وإلى مصرع الحسين عليه السلام مبادرات[١].

فواحدة تحنو عليه تضمّه وأُخرى عليهِ بالرداء تظلّل

وأُخرى بفيض النّحر تصبغ وجهها وأُخرى تفدّيه وأُخرى تقبّل

وأُخرى على خوفٍ تلوذ بجنبه وأُخرى لِما قد نالها ليس تعقل[٢]

ونادت أُم كلثوم زينب العقيلة: وآ محمداه! وآ أبتاه! وآ علياه! وآ جعفراه! وآ حمزتاه! هذا حسين بالعراء صريع بكربلاء[٣]. ثمّ نادت: ليت السّماء أُطبقت على الأرض[٤] ! وليت الجبال تدكدكت على السّهل[٥]! وانتهت نحو الحسين عليه السلام وقد دنا منه عمر بن سعد في جماعة من أصحابه، والحسين يجود بنفسه. فصاحت: أي عمر، أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟! فصرف بوجهه عنها ودموعه تسيل على لحيته[٦]. فقالت: ويحكم أما فيكم مسلم؟! فلَم يُجبها أحد[٧]. ثمّ صاح ابن سعد بالنّاس: انزلوا إليه وأريحوه. فبدر إليه شمر فرفسه

---

(١) زيارة النّاحية المقدسة.

(٢) من قصيدة للحاج هاشم الكعبي.

(٣) البحار ١٠ / ٢٠٦، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣٧.

(٤) الطبري ٦ / ٢٥٩.

(٥) اللهوف / ٧٣.

(٦) كامل ابن الأثير ٤ / ٣٢، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٥٩ الطبعة الأُولى.

(٧) الإرشاد.

برجله، وجلس على صدره وقبض على شيبته المقدّسة وضربه بالسّيف اثنتى عشرة ضربة[١] واحتزّ رأسه المقدّس.

سلبه

وأقبل القوم على سلبه؛ فأخذ إسحاق بن حوية قميصه، وأخذ الأخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي عمامته، وأخذ الأسود بن خالد نعلَيه، وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأودي، ويقال رجل من بني تميم اسمه الأسود بن حنظلة.

وجاء بجدل فرأى الخاتم في إصبعه والدماء عليه فقطع اصبعه وأخذ الخاتم، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته[٢]، وكان يجلس عليها فسمّي قيس قطيفة[٣]، وأخذ ثوبه الخلق جعونة بن حوية الحضرمي، وأخذ القوس والحلل الرحيل بن خيثمة الجعفي وهاني بن شبيب الحضرمي وجرير بن مسعود الحضرمي[٤]، وأراد رجل منهم أخذ تكّة سرواله - وكان لها قيمة - وذلك بعدما سلبه النّاس يقول: أردت أن أنزع التكّة فوضع يده اليمنى عليها فلم أقدر على رفعها فقطعتُ يمينه، فوضع يده اليسرى عليها فلم أقدر على رفعها فقطعتها، وهممتُ

---

(١) مقتل العوالم / ١٠٠، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٣٦ وما بعدها.
(٢) اللهوف / ٧٣.
(٣) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٨، وكامل ابن الأثير ٤ / ٣٢.
(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٤.

بنزع السّروال فسمعت زلزة، فخفتُ وتركته وغشي عليَّ، وفي هذه الحال رأيت النّبي وعلياً وفاطة والحسن، وفاطمة تقول: «يا بُني قتلوك؟! قتلهم الله، فقال لها: يا أُم قطع يدي هذا النائم». فدعت عليَّ وقالت: «قطع الله يديك ورجلَيك وأعمى بصرك وأدخلك النّار». فذهب بصري وسقطت يداي ورجلاي فلم يبقَ من دعائها إلاّ النّار[1].

وآ صريعاً عالِج الموت بلا ... شدّ لحيين ولا مدّ ردا

غسّلوه بدم الطعن وما ... كفّنوه غير بوغاء الثرى

قتلوه بعد علم منهُمُ ... أنّه خامس أصحاب الكسا

يا رسول الله يا فاطمة ... يا أمير المؤمنين المرتضى

عظّم الله لك الأجر بمن ... كضّ أحشاه الظما حتّى قضى

ضارباً في كربلا خيمته ... ثم ما خيّم حتّى قوّضا

ميتٌ تبكي له فاطمة ... وأبوها وعليٌّ ذو العلا

لو رسول الله يحيا بعده ... قعد اليوم عليه للعزا

حملوا رأساً يُصلُّون على ... جده الأكرم طوعاً وإبا

يتهادى بينهم لم ينقضوا ... عمم الهام ولا حلّوا الحبا

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ١٠٢.

يـــا رســـول الله لـــو عـــاينتهم ... وهُـــمُ مـــا بـــين قـــتل وســـبا

مـــن رمـــيض يُمْنَـــع الظـــلَّ ومـــن ... عـــاطش يُـــسْقى انأبيـــب القنـــا

ومـــسوق عـــاثر يـــسعى بـــه ... هـــاف محمـــول عـــلى غـــير وطـــا

لـــرأت عـــينك مـــنهم منظـــراً ... لـــلحشا شـــجواً وللعـــين قـــذى

لـــيس هـــذا لـــرسول الله يـــا ... أُمّـــة الـــطغيان والبغـــى جـــزا

جِـــزّروا حـــزر الاضـــاحى نســـله ... ثـــم ســـاقوا أهلـــه ســـوق الامـــا

هـــاتفات بـــرسول الله فـــي ... بهـــر الســـير وعثـــرات الخطـــا[1]

---

(١) للشريف الرضي أعلى الله مقامه.

حوادث بعد الشهادة

« يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي دم له سفكتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي حرمة له انتهكتم؟ أفعجبتم أنْ مطرت السّماء دما! ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون! »

العقيلة ام كلثوم (زينب)

الليلة الحادية عشرة

يا لها من ليلة مرّت على بنات رسول الله ﷺ! بعد ذلك العزّ الشامخ الذي لم يفارقهنّ منذ أوجد الله كيانهنّ، فلقد كنّ بالأمس في سرادق العظمة وأخيبة الجلالة تشعّ نهارها بشمس النبوّة ويضيء ليلها بكواكب الخلافة ومصابيح أنوار القداسة، وبقَين في هذه الليلة في حلك دامس من فقْدِ تلك الأنوار السّاطعة بين رحل منتهَب، وخباء محترِق، وفرق سائد، وحماة صرعى ولا محامٍ لهنّ ولا كفيل، لا يدرِين مَن يدفع عنهنّ إذا دهمهنّ داهم؟ ومَن الذي يرد عادية المرجفين؟ ومن يسكّن فورة الفاقدات ويخفّف من وجدهنّ؟ نعم، كان بينهنّ صراخ الصبية وأنين الفتيات ونشيج الوالهات، فأُمّ طفلٍ فطمته السّهام، وشقيق مستشهد، وفاقدة ولد، وباكية على حميم، وإلى جنبهنّ أشلاء مبضّعة وأعضاء مقطّعة ونحور دامية، وهنّ في فلاة من الأرض جرداء. وعلى مطلع الأكمة جحفل الغدر تهزّهم نشوة الفتح طيش الظفر ولؤم الغلبة. وعلى هذا كلّه لا يدرين بماذا يندلع لسان الصباح؟ وبماذا ترتفع عقيرة المنادي؟ أبالقتل أم بالأسر؟! ولا من يدفع عنهنّ غير الإمام العليل الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع ضرّاً، وهو على خطر من القتل!

ومرضعةٍ هبّت بها لرضيعها ... عواطف أُمٍّ اثكلت طفلها صبرا

رأت مهده بالحزن يطفح بعده ... وقد كان فيه قبل يطفح بالبشرى

وأثقل ثدييها من الدرّ خالص ... على طفلها فيه تعودت الدرّا

فخفت إلى مثوى الرضيع لعلّها ... ترى رمقاً فيه يغذي بما درّا
فلم ترَ إلا جثّةً فوق مذبح ... بها علق السهم الذي ذبح النحرا
فحنّت و أحنت فوقه من تعطف ... أضالعها ظلاً تقيه به الحرّا
وضمّته مذبوح الوريد لصدرها ... ومن دمعه المسفوح خضّبت الصدرا
وودّت و من أوداجه تنضح الدما ... لو انّ بذاك السّهم أوداجها تفرى
وأضحت على مثواه تفرغ قلبها ... حنيناً فترثيه بما يفضل الشعرا
فطوراً تناغيه و طوراً بلهفة ... تعانق جيداً منه قد زيّن الدرّا
وتعطف طوراً فوقه فتشمّه ... بمنحره الدامى و تلثمه أُخرى
فيا لك من ثكلى بكت بزفيرها ... وأدمعها الخنساء حين بكت صخرا
ولم يبقَ منها وجدها وحنينها ... سوى قفص للخلد طائره فرّا[1]

لقد عمَّ الاستياء في هذه الليلة عالَمَ المُلك والملكوت، وللحور في غرف الجنان صراخ وعويل، وللملائكة بين أطباق السّماوات نشيج ونحيب، وندبته الجنّ في مكانها[2].

---

(١) من قصيدة في الحسين للعلامة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي.

(٢) اكام الجان للشيخ بدر الدين محمّد بن عبد الله الشبلي الحنفي: المتوفّى سنة ٧٦٩ صفحة ١٤٦، وتاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٤١، ومجمع الزوائد لابن حجر ٩ / ١٩٩، وتاريخ ←

يقول ابن أبي الحديد: بنى عبيد الله بن زياد بالبصرة أربعة مساجد، تقوم على بغض علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

ليس هذا لرسول الله يا أُمة الطغيان و البغي جزا

لو رسول الله يحيا بعده قعد اليوم عليه للعزا

رأت رسولَ الله صلى الله عليه وآله أُمُ سلمة[٢] في المنام، أشعث مغبراً وعلى رأسه التراب،

الخلفاء للسيوطي / ١٣٩، والكواكب الدرية للمناوي ١ / ٥٦.

(١) شرح النّهج لابن أبي الحديد ١ / ٣٨٦ الطبعة الأُلى مصر، وفي سفينة البحار ١ / ٦٠٢ الطبعة الحجر عن البحار ٨ / ٧٢٩.

(٢) قال ابن الأثير في الكامل ٣ / ٣٨: يستقيم هذا بناءً على وفاتها بعد الخمسين.
وفي الإصابة ٤ / ٤٦٠ بترجمتها عن ابن حيان: ماتت أُمّ سلمة سنة ٦١، وقال أبو نعيم: ماتت سنة ٦٢ وهي آخر أُمّهات المؤمنين، وعند الواقدي: ماتت سنة ٥٩.
وفي تهذيب الأسماء للنووي ٢ / ٣٦٢ عن أحمد بن أبي خيثمة: ماتت في ولاية يزيد بن معاوية.
وفي مرآة الجنان لليافعي ١ / ١٣٧: توفّيت أُمّ سملة أُمّ المؤمنين سنة٦١، وابن كثير في البداية وان تبع الواقدي إلا أنّه قال الأحاديث المتقدّمة في مقتل الحسين تدلّ على أنّها عاشت إلى ما بعد مقتله.
وفي عمدة القاري للعيني شرح البخاري ١ / ٤٢٧ آخر بحث القنوت: إنّ أُمّ سلمة ماتت في شوّال سنة تسع وخمسين. وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٤١: عن الواقدي ماتت أُمّ سلمة قبل مقتل الحسين بثلاث سنين، ولكن في أُصول الكافي عن أهل البيت: إنّ الحسين عليه السلام أودعها ذخائر الإمامة وأوصاها أن تدفعها إلى زين العابدين عليه السلام.
وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ٢ / ١٤٢: أُمّ سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله آخر مَن مات

فقالت له: يا رسول الله ما لي أراك أشعث مغبراً؟ قال صلى الله عليه وآله:

«**قُتل ولدي الحسين، وما زلتُ أحفر القبور له ولأصحابه**»[١]، فانتبهتُ فزعة ونظرتُ إلى القارورة التي فيها تراب أرض كربلاء فإذا به يفور دماً[٢] وهو الذي دفعه النّبي صلى الله عليه وآله إليها وأمرها أنْ تحتفظ به، وزاد على ذلك سماعها في جوف الليل هاتفاً ينعى الحسين عليه السلام فيقول:

أيّـها الـقاتلون جهـلاً حسـيناً ... أبـشروا بـالعذاب والتنكيـل

قـد لُعنـتم عـلى لسـان ابـن داود ... وموسـى وصـاحب الإنجيـل[٣]

كـلّ أهـل السّـماء يـدعو عليـكم ... مـن نبـيٍّ ومرسـل وقتيـل[٤]

من أُمّهات المؤمنين، عمّرت حتّى بلغها مقتل الحسين الشهيد عليه السلام فوجمت لذلك وغشي عليها وحزنت عليه كثيراً، ولم تلبث بعده إلاّ يسيراً، وانتقلت إلى الله تعالى. وفي صفحة ١٤٦: عن شهر قال: أتيتُ أُمّ سلمة أُعزّيها بالحسين عليه السلام.

(١) أمالي الشيخ الصدوق / ٥٦، وفي تهذيب التهذيب ٢ / ٣٥٦، وذخائر العقبى للمحب الطبري / ١٤٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٣٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣ / ٢١٣: إنّ أُمّ سلمة رأت رسول الله في المنام وأخبرها بقتل الحسين عليه السلام.

(٢) مرآة الجنان لليافعي ١ / ١٣٤، كامل ابن الأثير ٤ / ٣٨، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٩٥.

(٣) إلى هنا في مقتل الخوارزمي ٢/ ٩٦ الفصل الثاني عشر.

(٤) الأبيات الثلاثة في تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٤١. وفي تاج العروس ٧ / ١٠٣، ذكر البيت الأول والثالث، وفي روايته لعجزه (من نبي ومالك ورسول).

وكانت تسمع في جَوف الليل أصوات نعي الحسين عليه السلام ولَم ترَ أحداً، فمن ذلك:

ألا يا عينُ فاحتفلي بجهدٍ ومَنْ يبكي على الشهداء بعدي

على رهط تقودهُمُ المنايا إلى متجبرٍ في ملك عبد[1]

ولما سمع ابن عبّاس بكاءها، أسرع إليها يسألها الخبر، فأعلمته بأنّ ما في القارورتين يفور دماً[2].

وفي يوم عاشوراء رأى ابن عبّاس رسول الله صلى الله عليه وآله أشعث مغبراً وبيده قارورة فيها دم فقال له: بأبي أنت وأُمّي ما هذا؟ قال: «هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم»[3].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٤١، والخصائص للسيوطي ٢ / ١٢٧، ومجمع الزوائد ٩ / ١٩٩ وتقدم في / ٢٠٧: إنّهم لمّا نزلوا (الخزيمية) سمعت زينب هاتفاً يقول: ألا يا عين....

(٢) حديث القارورتين في معالم الزلفى / ٩١ الباب التاسع والأربعون، ومدينة المعاجز / ٢٤٤ الباب التاسع والأربعون: كلاهما للسيد هاشم البحراني ومنتخب الطريحي / ٢٣٥ المطبعة الحيدرية الطبعة الثالثة.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٤٠، والخصائص الكبرى ٢ / ١٢٦، وتاريخ الخلفاء / ١٣٩: كلاهما للسيوطي، ومرآة الجنان لليافعي ١ / ١٣٤، ومسند أحمد ١ / ٢٤٢، والكواكب الدرّية للمناوي ١ / ٥٦، وذخائر العقبى للمحب الطبري / ١٤٨، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢ / ٣٥٥ وكامل ابن الأثير ٤ / ٢٨، والصواعق المحرقة / ١١٦، وطرح التثريب ١ / ٢٢، وتاريخ بغداد للخطيب ١ / ١٤٢، والخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٥، ←

ولأجل بقاء الحسين عارياً على وجه الصعيد ثلاثاً، وهو علّة الكائنات؛ لاشتقاقه من النّبي صلى الله عليه وآله الذي هو علّة العلل المتفرّع من الشعاع الإلهيّ الأقدس؛ أظلمت الدنيا ثلاثة أيام[١] واسودّت سواداً عظيماً[٢] حتّى ظنّ النّاس أنّ القيامة قامت[٣] وبدت الكواكب نصف النّهار[٤] وأخذ بعضها يضرب بعضاً[٥]، ولَمْ يُرَ نور الشمس[٦]، ودامت الدنيا على هذا ثلاثة أيّام[١] ولا غرابة في اضمحلال

ومقتل الخوارزمي ٢ / ٩٤ الفصل الثاني عشر وسِير أعلام النبلاء للذهبي ٣ / ٢١٢.

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩، والخصائص الكبرى ٢ / ١٢٦، والصواعق المحرقة / ١١٦: فيما جرى على الحسين عليه السلام، والخطط المقريزية ٢ / ٢٨٩، وتذكرة الخواص / ١٥٥، والمقتل للخوارزمي ٢ / ٩٠: ولا ينبغي لغير الإمامي أنْ يُشكّك في هذا بعدما يقرأ نصّ القسطلاني في إرشاد السّاري شرح البخاري ٦ / ١١٤: أنّ الأرض اظلمّت لموت عمر.

(٢) الاتحاف بحبّ الأشراف / ٢٤، وتهذيب التهذيب ٢ / ٣٥٤، وتاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩، ولا يسع أحداً إنكار هذا، بعدما يحدّث ابن الجوزي في المنتظم ٧ / ٢٤٤ حوادث سنة (٣٩٩) في شهر آب: أصاب الحاج بالثعلبية ريح سوداء اظلمّت الدنيا حتّى لَمْ يرَ بعضهم بعضاً.

(٣) الصواعق المحرقة / ١١٦، والاتحاف / ٢٤.

(٤) تهذيب التهذيب ١ / ٣٥٤، والصواعق المحرقة / ١١٦، والمقتل الخوارزمي ٢ / ٨٩.

(٥) الاتحاف بحبّ الأشراف / ٢٤، والصواعق المرحقة / ١١٦، وتاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩ وتاريخ الخلفاء / ١٣٨، والكواكب الدرية ١ / ٥٦.

(٦) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٧، وتاريخ الخلفاء / ١٣٨، والمقتل للخوارزمي ٢ / ٨٩، والاتحاف / ٢٤، والصواعق المحرقة / ١١٦، والكواكب الدرّية ١ / ٥٦: ولا غرابة

نور الشمس في المدّة التي كان فيها سيّد شباب أهل الجنّة عارياً على وجه الصعيد، إذ هو العلّة في مجرى الكَون لِما عرِفت من اشتقاقه من الحقيقة المحمّديّة التي هي علّة العلل والعقل الأول، وحديث عرض الولاية على الموجودات - فمَن قَبِل عمَّت فائدته، ومَن أبى عرى عن الفائدة - يؤكّد ذلك.

وإذا صحّ الحديث بتغيّر الكَون لأجل إبراز عظم نبيٍّ من الأنبياء حتّى غامت السّماء ومطرت حين استقى به أحد علماء النّصارى في سرّ مَن رأى[٢] مع أنّه لَم يكشف عن جسد ذلك النّبي ولا كانت أعضاؤه مقطّعة، فاذاً كيف لا يتغيّر الكَون ولا يمحى نور الشمس والقمر وقد تُرك سيّد شباب أهل الجنّة على وجه الصعيد مجرّداً ومثّلوا بذلك الهيكل القدسي كلّ مثلة؟!

ما للسّماء غداة أُردِي لم تمر ... والأرض يوم أُصيب لم تتصدّع

إنّي لأعذر بعده الدّجى ... لَو لَم يلح والشمس لو لَم تطلع

والشهب لَو أفلت وهذي السّحب لَو ... هي أقلعت والوحش لو لم ترتع

فيه بعد أنْ كُسفت الشمس يوم موت إبراهيم ابن رسول الله، كما نصّ عليه الزرقاني في شرح المواهب اللدنيّة ٣ / ٢١٢، والجزري في أُسد الغابة ١ / ٣٩، والعيني في عمدة القاري شرح البخاري ٣ / ٤٧٢ باب كيفيّة صلاة الكسوف.

(١) كامل الزيارات / ٧٧، وهذا معنى ما تقدّم من أنّ الدنيا اظلمّت ثلاثة أيام.

(٢) الخرايج للراوندي / ٦٤ طبعة الهند في معجزات الحسن العسكري عليه السلام.

والـماء لـو لم يصـف والأشـجار لـو ... لـم تـزه والأطـيار لـو لم تسـجع

والـريح عـند هـبوبها لـو أنّهـا ... جـاءت عـواصفها بـريح زعـزع

وحـرمت شرب المـاء إنْ أنـا عنـده ... لـم الـف مـكتئباً ولـم اسـترجع

رمـتِ العـدى قلبى بسـهم الغـدر إن ... لـم يـشجنى رفـع الكـريم الأرفـع

وحُـمِلْت فـوق أجـبَّ عـارِ ظـالع ... إن أنـسَ حمـل بنيـهِ فـوق الظّلّـع[1]

بلى، لقد تغيّرت أوضاع الموجودات، واختلفت الكائنات، فبكته الوحوش وجرت دموعها رحمةً له. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بأبي وأُمّي الحسين المقتول بظهر الكوفة، والله كأنّي أنظر إلى الوحوش مادة أعناقها على قبره تبكيه ليلاً حتّى الصباح»[2]. ومطرت السّماء دماً[3] فأصبحت الحباب والجرار وكلّ شيء ملآن

---

(١) للشيخ محمّد بن شريف بن فلاح الكاظمي صاحب القصيدة الكرّاريّة في مدح أمير المؤمنين ونظَمها سنة ١١٦٦ وقرَّضها ثمانية عشر شاعراً من أُدباء عصره، والعينيّة تبلغ ٣٩ بيتاً في مجموعة عند الحجة الأميني صاحب الغدير وتقدّمت قطعة منها في عنوان (كربلاء).

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه / ٨٠.

(٣) الخصائص الكبرى ٢ / ١٢٦، وتاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩ وتذكرة الخواص / ١٥٥، و مقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ٨٩، والخطط المقريزيّة ٢ / ٩٨٩، والاتحاف بحبّ الأشراف / ٢٥٥، والصواعق المحرقة / ١١٦، والمناقب لابن شهر آشوب المتوفّى سنة (٥٨٨) ٢ / ٢٠٦ و ١٨٢: ومطر السماء دماً ذكره ابن الأثير في الكامل ٧ / ٢٩ حوادث سنة (٢٤٦) والنّجوم الزاهرة ٢ / ٣٢٢، وكنز العمّال ٤ / ٢٩١ رقم ٥٨٦٨.

دماً[١] وحتّى بقي أثره على البيوت والجدران مدّة[٢]، ولَم يُرفع حجر إلاّ وُجِد تحته دم عبيط[٣] حتّى في بيت المقدس[٤]. ولمّا دخل الرأس المقدّس إلى قصر الإمارة سالت الحيطان دماً[٥]، وخرجت نار من بعض جدران قصر الإمارة وقصدت عبيد الله بن زياد فقال لَمن حضر عنده: اكتمه[٦]. وولّى هارباً منها. فتكلّم الرأس الشريف بصوت جهوري: «إلى أين تهرب يا ملعون؟ فإن لم تنلك في الدنيا فهي في الآخرة مثواك». ولَم يسكت الرأس حتّى ذهبت النّار فأُدهش مَن في القصر[٧]. ومكث النّاس شهرَين أو ثلاثة يرَون الجدران ملطّخة بالدم ساعة تطلع الشمس وعند غروبها[٨]. وحديث الغراب المتلطّخ بدم الحسين عليه السلام وقد طار إلى المدينة ووقع على جدران فاطمة ابنة الحسين الصغرى، ومنه

---

(١) الخصائص الكبرى ٢ / ١٢٦.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩، والصواعق المحرقة / ١١٦.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩، والصواعق المحرقة / ١١٦.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ٩ / ١٩٦، والخصائص الكبرى ٢ / ١٢٥، وتاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٣٨، والعقد الفريد ٢ / ٣١٥، في مقتل الحسين، والكواكب الدريّة للمناوي ١ / ٥٦، والمقتل للخوارزمي ٢ / ٩٠.

(٥) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩، والصواعق المحرقة / ١١٦.

(٦) مجمع الزوائد ٩ / ١٩٦، وكامل ابن الأثير ٤ / ١٠٣، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٨٧، والمنتخب للطريحي / ٣٣٨.

(٧) شرح قصيدة أبي فراس ١٤٩.

(٨) كامل ابن الأثير ٦ / ٣٧، والكواكب الدريّة ١ / ٥٦، وتذكرة الخواص / ١٥٥.

استعلمت قتْل أبيها عليه السلام، ولمّا نعته إلى أهل المدينة قالوا: جاءت بسحر بني عبد المطّلب. وما أسرع أن جاء الخبر بشهادته يرويه الموفّق أخطب خوارزم أحمد بن مكّي المتوفّى سنة (٥٦٨) في مقتل الحسين ج ٢ ص ٩٢. ولا غرابة فيه بعد المصادقة على وجود ابنة للحسين غير فاطمة وسكينة فإنّ شهادته عليه السلام حفلت بالكثير من خوارق العادة.

أراد الجليل عزّ شأنه إعلام الأُمّة الحاضرة والأجيال المتعاقبة الواقفين على هذه الملحمة التي لَم يأتِ الدهر بمثلها بالقساوة التي استعملها الأُمويّون مع أبي عبد الله المستشهد في سبيل الدعوة الإلهيّة، وفي ذلك توجيه الأنظار إلى كرامة الحسين عند الله وأنّ قتله سوف يكون مدحرة للأضاليل وإحياء للدين الذي أراد بقاءه ربّ العالمين إلى يوم يبعثون.

ويحدّث دعبل الخزاعي عن جدّه: أنّ أُمّه سعدى بنت مالك الخزاعيّة أدركت الشجرة التي كانت عند أُمّ معبد الخزاعيّة وهي يابسة وببركات وضوء النبي صلى الله عليه وآله في أسفلها أورقت وأثمرت، كثيراً. ولمّا قُبض النّبي صلى الله عليه وآله قلّ ثمرها، ولمّا قُتل أمير المؤمنين عليه السلام تساقط ثمرها، وكانوا يتداوون بورقها، وبعد برهة نظروا إليها وإذا ساقها ينبع دماً، فأفزعهم هذا الحادث الذي لَم يُشاهد مثله، ولمّا اظلم الليل سمعوا بكاءً وعويلاً ولَم يرَوا أحداً، وقائل يقول:

يابن الشهيد ويا شهيداً عمّه ... خير العمومة جعفر الطيارُ

عجباً لمصقولِ أصابك حدّه ... في الوجه منك وقد علاك غبارُ

وبعد ذلك جاء الخبر بقتل الحسين عليه السلام في الوقت الذي شاهدوا منها هذه

الغريبة. وقدّم دعبل الخزاعي ثلاثة أبيات لهذين البيتين فقال:

زرْ خـــير قـــبرٍ بـــالعراق يُـــزارُ واغْـــص الحـــمار فمَـــنْ نهـــاك حمـــار

لِمَ لا ازورك يـا حسـين لـك الفـدى قـــومي ومـــن عطفـــت عليـــه نـــزار

ولـــك المـــودة في قلـــوب ذوي النهـــى وعـــلى عـــدوك مقتـــةٌ ودمـــار[1]

ومعنى البيت الثاني من البيتين أخذه بعض شعراء الشيعة الأقدمين فنظمه في ثلاثة أبيات فقال:

عـــجباً لـــمصقولٍ عـــلاك فَرَنْـــدُهُ يـــوم الـــهياج وقـــد عـــلاك غبـــار

ولأســـهم نـــفذتك دون حـــرائر يـــدعون جَـــدّك والـــدموع غـــزار

هـــلّا تـــكسرت الـــسهام وعاقهـــا عـــن جسـمك الاجـلال والاكبـار[2]

ولم يمسّ أحد من الزعفران الذي نهبوه إلا احترق البدن، وعاد الورس رماداً، والإبل المنهوبة صار لحمها مثل العلقم وكانوا يرون النّار تخرج منها[3].

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ١٠٠: وإذا كان القسطلاني يحدّث في إرشاد الساري ٩ / ١١٤ عن نَوح الجنّ على عمر، وابن كثير يذكر في البداية ١٠ / ٢٩٨ نَوح الجنّ على بشر الحافي، فسيّد شباب أهل الجنّة وروح النّبي صلى الله عليه وآله أحرى بنَوحهم عليه. .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٣٨٠.

(٣) الخصائص الكبرى ٢ / ١٢٦، وتاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩، وتهذيب التهذيب ٢ / ٣٥٤ ومجمع الزوائد ٩ / ٩٦، والكواكب الدريّة ١ / ٥٦، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٩٠.

ولم تُعرف الحمرة في السّماء إلاّ يوم قتْل الحسين عليه السلام[١]. قال ابن الجوزي: كلّ واحد من النّاس إذا غضب أثر الغضب في وجهه. ولمّا تنزّه الحقّ جلّ شأنه على الجسميّة أظهر تأثير غضبه على مَن قتل الحسين عليه السلام بحمرة الأُفق؛ إظهاراً لعظيم الجناية. ثمّ قال: لقد منع النّبي صلى الله عليه وآله من النّوم أنين عمّه العبّاس بن عبد المطلب لمّا أُسر يوم بدر، وأوثق كتافاً، فكيف به لَو يسمع أنين الحسين عليه السلام؟

و لما أسلم وحشي، قاتل حمزة، قال له النّبي صلى الله عليه وآله: «**غيّب وجهك عنّي؛ فإنّي لا أحبّ أنْ أرى قاتل الأحبّة**». مع أنّ الإسلام يجُبّ ما قبله، فكيف به لو يرى مَن ذبح ولده و حمل أهله على أقتاب الجمال[٢].

بلى، لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وآله المعركة، و شاهد ذلك الجمع المتألّب على استئصال أهله من جديد الأرض، و بمرأى منه عويل الأيامى و نشيج الفاقدات و صراخ الصبية من الظمأ.

وقد سمع العسكر صوتاً هائلاً: ويلكم يا أهل الكوفة إنّي أرى رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إلى جمعكم مرّة و إلى السّماء أُخرى، و هو قابض على لحيته المقدّسة. لكن الهوى و الضلال المستحكم في نفوس ذلك الجمع المعمور بالأطماع أوحى إليهم: إنّه صوت مجنون. فصاح الجمع لا يهولنّكم ذلك. و كان أبو عبد الله الصادق عليه السلام

---

(١) الصواعق المحرقة / ١١٦.
(٢) تذكرة الخواص / ١٥٤، والصواعق المحرقة / ١١٦.

يقول: «**لا أراه إلاّ جبرئيل**»[١].

و صاح بعض الملائكة: ألا أيّتها الأُمّة المتحيّرة الضالّة بعد نبيّها، لا وفّقكم الله لأضحى و لا فطر! قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا جرم والله، ما وفّقوا و لا يوفّقون حتّى يثور ثائر الحسين عليه السلام**»[٢].

وهبْ دم يحيى قد غلا قبلُ في ... فإنّ حسينا فى القلوب غلا دمه

وإنْ قُرّ قِدما مذْ دعا بُخْتُ نُصر ... بثارات يحيى و استُردَتْ مظالمه

فليست دماء السّبط تهدأ قبل أن ... يقوم بإذن الله للثأر قائمه[٣]

وحدث الشيخ البهائي أنّ أباه الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي دخل مسجد الكوفة فوجد فص عقيق مكتوب عليه:

أنا درٌّ من السّما نثروني ... يوم تزويج والد السّبطَين

كنت أصفى من اللجين بياضاً ... صبغتني دماء نحر الحسين[٤]

---

(١) كامل الزيارات.

(٢) من لا يحضرة الفقيه، للشيخ الصدوق / ١٤٨.

(٣) من قصيدة للعلامة الشيخ محمّد تقي الجواهري.

(٤) كشكول الشيخ يوسف البحراني / ١٧، طبعة الهند، عن كشكول الشيخ البهائي.

الليلة الحادية عشرة عند الحسين عليه السلام

إنّ من الراجح المؤكّد على مَن يشايع الأئمّة المعصومين عليهم السلام المبيت في الليلة الحادية عشرة عند قبر المظلوم عليه السلام وعليه ملامح الاستياء وشعار الحزن على ذلك الفادح الجلل بين أنّة وحنّة وصراخ وعولة كأنّه ينظر من كثب إلى ضحايا آل محمّد مضرّجين بالدماء تسفي عليهم الريح بوغاء الثرى وهي أشلاء مقطّعة قد طعمتها سمر الرماح ونهلت من دمائها بيض الصفاح وطحنتها سنابك الخيل العادية.

ويرنو مَنْ أممّ إلى عقائل بيت الوحي نذرف الدمع على تلك الجثث الزواكي، فمن نادبة إلى صارخة، ومن ناشجة إلى لاطمة صدرها وناشرة شعرها[1]، فيواسيها المتصوّر ببكائه المتواصل، وعقيرته المرتفعة، وعبرته الغزيرة.

ومن المقطوع به أنّ في هذه الحالة صلة للصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ومواساة لها وفيها جلب رغبات أئمّة الهدى عليهم السلام على ما يستأنس به من الآثار الواردة في أمثال هذا في سائر الأحوال.

وهناك أحاديث ربّما يستفيد المتأمّل منها هذه النظريّة؛ ففي الحديث عن مالك

---

(١) روى الشيخ الطوسي في التهذيب ٢ / ٢٨٢: آخر النّذور عن الصادق عليه السلام أنّه قال: **«ولقد شققن الفاطميات الجيوب على الحسين عليه السلام، ولطمن الخدود، وعلى مثل الحسين فلتلطم الخدود ولتشقّ الجيوب»**.

الجهني عن أبي جعفر عليه السلام: «**مَن زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتّى يظلّ عنده باكياً، لقى الله يوم القيامة بثواب ألفَي ألف حَجّة، وألفَي ألف عمرة، وألفَي ألف غزوة مع رسول الله والأئمّة الراشدين**»[1]. وقد أفاد علماء العربيّة أنّ (ظلّ) تستعمل فيمَن أقام في المكان نهاراً إلى الليل[2] والإقامة إلى الليل، إنْ لَم يستلزم المبيت في الليلة المتعقبة للنّهار، إلاّ أنْ حديث جابر الجعفي عن أبي عبد الله عليه السلام ربّما يساعد عليه فإنّه قال: «**مَن زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وبات عنده، كان كمَن استشهد بين يدَيه**»[3]. فإنّ الظاهر منه إرادة المبيت المتعقّب لليوم لا السّابق عليه وإلاّ لقال عليه السلام (مَن بات ليلة عاشوراء عند الحسين عليه السلام وزار يومه و ظلّ باكياً كان له كذا وكذا).

---

(١) كامل الزيارات / ١٧٤.

(٢) في تاج العروس ٧ / ٤٢٦، مادّة (ظلّ): عن الشهاب الخفاجي: أنّ ظلّ فعل ناقص يفيد ثبوت الخبر في جميع النّهار.
وفي شرح الكفاية، للرضي / ٢٧٨، مبحث الأفعال الناقصة: معنى (ظلّ زيد متفكّراً) كان في جميع النّهار كذلك، فاقترن مضمون الجملة وهو تفكّر زيد بجميع النّهار مستغرقاً له، ومعنى بات زيد مهموماً أنّه في جميع الليل كذلك.
وفي شرح الصمديّة، للسيّد علي خان / ٥٩، طبعة ايران: تفيد (ظلّ) و (بات) ثبوت الخبر للاسم في جميع النّهار والليل، وعلى ذلك جرى الزمخشري في المفصل / ٢٦٧، طبعة مصر: وقد يستعملان بمعنى صار مع القرينة.

(٣) كامل الزيارات / ١٣٧، الباب الواحد والسبعون.

على أنّ الاعتبار يساعد على أنّ المقيم عند قبر الذبيح العطشان في تمام اليوم أنْ لا يرتحل عنه في هذه الليلة التي لَم يمرّ مثلها على بنات رسول الله وودائع الخلافة، وهنّ في تلك الفلاة الجرداء قد فقدن البدور النيّرة والأُباة الصفوة، وإلى جنبهنّ الأشلاء المقطّعة بسيوف البغي والضلال، وهنَّ في فرق سائد لا يدرين ماذا يصدر عليهنّ من أعداء الله وأعداء رسوله، فيكون الموالي لهم البائت تلك الليلة عند قبره مشعراً بحزنه وبكائه إلى أسفه بتأخّره عن الحضور بالفوز الأكبر فيكثر من قول: يا ليتنا كنّا معكم فنفوز فوزاً عظيماً[1]. ويواسي سيّدة النّساء الباكية على مهجتها الممنوع من الورود.

ولقد رأتها في المنام ذرّة النّائحة واقفة على قبر الحسين عليه السلام تبكي، وأمرتها أنْ تنشد:

أيُّها العينان فيضا ... واستهلّا لا تغيضا

وابكيا بالطّف ميتاً ... تترك الجسم رضيضاً

لم أُمرّضه قتيلاً ... لا ولا كان مريضا[2]

ويحدِّث القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي عن أبيه: أنّ أبا الحسن

---

(١) في عيون أخبار الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق / ٦٦: من حديث عن الرضا عليه السلام قال لابن شبيب: «**إنْ سرَّك أنْ تسكن الغرف المبنيّة في الجنّة مع النّبي صلى الله عليه وآله، فالعن قتلة الحسين عليه السلام، وقل متى ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً**».

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢/ ١٨٩، طبعة إيران، عن أمالي المفيد النيسابوري.

الكاتب كان يسأل عن ابن النائح، فلَم يعرفه مَن كان في المجلس من أهل الكرخ غيري، فقلتُ له: ما القصّة؟ قال أبو الحسن الكاتب: عندي جارية كثيرة الصيام و التهجّد، وهي لا تقيم كلمة عربيّة صحيحة فضلاً عن أن تروي شعراً و الغالب على لسانها النبطيّة، انتبهت البارحة فزعة ترتعد و مرقدها قريب من موضعي، فصاحت بي: يا أبا الحسن الحقني! قلتُ: ما أصابك؟ قالت: إنّي صَلّيت وردي ونمتُ، فرأيت كأنّي في درب من دروب الكرخ وإذا بحجرة نظيفة

بيضاء مليحة السّاج مفتوحة الباب، و نساء وقوف عليه، قلت لهم: مَن مات؟ أو، ما الخبر؟ فأومأوا إلى داخل الدار، فدخلتُ فإذا بدار نظيفة في نهاية الحُسن، وفي صحنها امرأة شابّة لَم أرَ قطّ أحسن منها ولا أبهى ولا أجمل، وعليها ثياب حسنة، وملتحفة بإزار أبيض، وفي حِجرها رأس رجل يشخب دماً، فقلتُ: مَن أنتِ؟ قالت: لا عليكِ، أنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا رأس ابني الحسين عليه السلام، قولي لابن أصدق عنّي أنْ ينوح:

لَم أُمرّضه فأسلو ولا كان مريضا

فانتبهتُ فزعة، وقالت العجوز: لَم أُمرّطه (بالطاء المهملة؛ لأنّها لا تتمكّن من إقامة الضّاد) فسكّنتها حتّى نامت.

فقال أبوالحسن الكاتب لِعلي التنوخي: يا أبا القاسم، مع معرفتك بابن أصدق قد حمّلتك الأمانة وألزمتك أنْ تبلّغها له. فقال التنوخي: سمعاً وطاعة لأمر سيّدة نساء العالمين عليها السلام.

وكان هذا في شهر شعبان والنّاس يومئذ يلاقون جهداً جهيداً من الحنابلة إذا أرادوا الخروج إلى الحائر فلم أزل اتلطّف إليهم حتّى خرجت فكنت في الحائر ليلة النّصف من شعبان، فسألت عن ابن أصدق حتّى رأيته وقلت له: إنّ فاطمة عليها السلام تأمرك أنْ تنوح بالقصيدة:

لَمَ أُمرّضه فأسلو ... لا ولا كان مريضا

وما كنت أعرف القصيدة قبل ذلك، فانزعج من هذا، فقصصت عليه وعلى من حضر الحديث، فأجهشوا بالبكاء، وما ناح تلك الليلة إلاّ بهذه القصيدة، وأولها:

أيّها العينان فيضا ... واستهلا لا تغيضا

وهي لبعض الشعراء الكوفيين. وعدت إلى أبي الحسن فأخبرته الخبر[1].

السَلب

أبا حسن يا خير حام لجاره ... أبثّ لك الشكوى بدمع مرقرقِ

وناهيك في رِزْء تفاقم وقعه ... فأصبح فيه الدّمع من بعض منطقى

اتغضى ومنك اليوم آل أُميّة ... شفت كلّ ذحل في حشاها مؤرّق

---

(١) نشوار المحاضرة ٨/ ٢١٨.

وكم لك في أرض الطّفوف نوادب ... يـنحن بـها نـوح الحـمام المطـوّق
وكـم طـفلة قـد أرهـبوها بقسـوة ... ومـا عـوّدت مـن قبـل غـير الترقـرق
وطـفل يـحلّى جيـده طـوق عسـجد ... فـطوّق مـذعوراً بـسهم مـفوّق
وكـم حرّة حسرى بـدت مـن خبا لها ... ولـيس لـديها سـاتر غـير مرفـق
هـنالك لـو شـاهدتها تنفـث الشّـجى ... بـقلب مـن الوجـد المـبرّح محـرق
لـعزّ أمـير الـمؤمنين خـروجها ... عـليك بـحال أحـزنت كـلّ مشـفق
فـمن مُبْـلِغُ الزهـراء عـن أسر زينـب ... وتسـيـيرها بـين الأعـادي لجلّـق
ولـيس لهـا بـين العـدى مـن يصـونها ... حـمى غـير مضـنى بالحبـال مربّـق
أفـاطم سـمعاً عـلّنى في تزفـري ... أبثّـك أشـجاناً أخـذن بـمخنق
فـإنّ الأُولـى حلّـوا بعرصـة كـربلا ... هـووا في ثراهـا مـشرقاً بعـد مشرـق
قـضوا وجـلال العـزّ يعلـو وجـوههم ... ومـاتوا كـراماً مـالووا جيـد مطـرق
فـلا عذر حتّى تلفظى القلـب حسرـة ... بفـيض دم مـن مـاء عينيـك مهـرق[1]

لما قُتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام مالَ النّاسُ على ثقله ومتاعه وانتهبوا ما في الخيام[2]، وأضرموا النّار فيها، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول صلى الله عليه وآله،

---

(١) من قصيدة للعلامة الثقة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي.
(٢) كامل ابن الأثير ٤ / ٣٢.

ففررن بنات الزهراء عليها السلام حواسر مسلبات باكيات[١] وإنّ المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها، وخاتمها من إصبعها، وقرطها من أُذنها، والخلخال من رجلها[٢]. أخذ رجل قرطين لأُمّ كلثوم وخرَم أُذنها[٣].

وجاء آخر إلى فاطمة ابنة الحسين عليه السلام فانتزع خلخالها، وهو يبكي قالت له: مالك؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله؟! قالت له: دعني، قال: أخاف أنّ يأخذه غيري[٤].

ورأت رجلاً يسوق النّساء بكعب رمحه، وهنّ يلذن بعضهن ببعض، وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة، ولمّا بصر بها قصدها، ففرّت منه، فأتبعها رمحه فسقطت لوجهها مغشيّاً عليها، ولما أفاقت رأت عمّتها أُمّ كلثوم عند رأسها تبكي[٥].

أزعِجَت من خدرها حاسرة ... كالقطا روّع من بعد هجود

تندب الصون الذي قد فقدت ... صبرها فيه إلى خير فقيد

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٠.

(٢) مثير الأحزان لابن نما / ٤٠.

(٣) الدمعة الساكبة / ٣٤٨.

(٤) أمالي الصدوق / ٩٩ المجلس الواحد والثلاثون، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣ / ٢٠٤.

(٥) رياض المصائب / ٣٤١، وتظلّم الزهراء عليها السلام / ١٣٠.

فـــقدت خـــير عـــماد فـــدعت ... مـن بنـى عمـرو العـلى كـل عميـد
لبـــــدورِ بدمـــــاها شـــــرقت ... وبـــها أشـــرق مـــغبر الصـــعيد
بـــين مـــحزوز وريـــد وزّعـــت ... جـــسمه البـيض ومقطـوع زنـود
قـــد تـــواروا بـــقنا الخـــطّ فهـــل ... قـــصد الـــخطىّ غـــاباً للاســـود
تـــصدع الـــظلماء اوضـــاحٌ لهـــم ... كمصـــأبيح عـــلى الـــترب ركـــود[1]

ونظرت امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها إلى بنات رسول الله بهذه الحال فصاحت: يا آل بكر بن وائل، أتُسلب بنات رسول الله! لا حكم إلاّ لله، يا لثارات رسول الله! فردّها زوجها إلى رحله[2].

وانتهى القوم إلى علي بن الحسين عليه السلام، وهو مريض[3] على فراشه لا يستطيع النّهوض، فقائل يقول: لا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيراً. وآخر يقول: لا تعجلوا حتّى نستشير الأمير عمر بن سعد[4]. وجرّد الشمر سيفه يريد قتله، فقال له

---

(١) للحجّة المحقّق الشيخ عبد الحسين الحلّي رحمه الله، من قصيدة في مولد الحسين عليه السلام
(٢) اللهوف / ٧٤، ومثير الأحزان لابن نما / ٤١.
(٣) مرض السّجاد عليه السلام ذكره الطبري ٦ / ٢٦٠، وكامل ابن الأثير ٤ / ٣٣، والبداية لابن كثير ٨ / ١٨٨، ومرآة الجنان لليافعي ١ / ١٣٣، والإرشاد للشيخ المفيد، و مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٥، وإعلام الورى للطبرسي / ١٤٨، وروضة الواعظين / ١٦٢، لمحمد بن أحمد بن علي النيسابوري، الفتال واثبات الوصية للمسعودي / ١٤٠.
(٤) تظلّم الزهراء عليها السلام / ١٣٢.

حميد بن مسلم: يا سبحان الله! أتقتل الصبيان؟! إنّما هو صبي مريض[١]. فقال: إنّ ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين. وبالغ ابن سعد في منعه[٢]، خصوصاً لمّا سمع العقيلة زينب ابنة أمير المؤمنين تقول: لا يُقتل حتّى أُقتل دونه. فكفّوا عنه[٣].

كانت عيادته منهم سياطهم ... وفي كعوب القنا قالوا: البقاء لكا

جرّوه فانتهبوا النطع المعد له ... وأوطأوا جسمه السعدان والحسكا

وأقبل ابن سعد إلى النّساء، فلمّا رأينه بكين في وجهه، فمنع القوم عنهنّ، وقد أخذوا ما عليهنّ ولم يردّوا شيئاً[٤]، فوكّل جماعة بحفظهنّ، وعاد إلى خيمته:

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٠.

(٢) نفَس المفهوم.

(٣) تاريخ القرماني / ١٠٨.

(٤) كامل ابن الأثير ٤ / ٣٢: ويحدّث مصعب الزبيري بشيء غريب، فيقول في نسب قريش / ٥٨: ابن بعض مَن كان في الجيش أخذ علي بن الحسين عليه السلام وغيّبه عن النّاس وكان يُكرمه ويُحسن إليه، فلمّا سمع المنادي يقول: مَن جاء بعلي بن الحسين فله ثلثمئة درهم. جاء وقيّد يدَيه إلى عنقه وأتى به إلى ابن زياد وأخذ الجائزة. وأراد ابن زياد قتله لولا أنّ عمّته زينب وقعت عليه، وقالت لابن زياد: اقتلني قبله. انتهى.

وأنت إذا عرفت أنّ زين العابدين عليه السلام مع ما به من المرض هو الكفيل والمحامي لحرم رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يمكّن الله تعالى أحداً منه فيغيبه عن عياله الفواقد، كيف يكون حالهنّ إذا فقدن المحامي والمصبّر لهن؟ مع أنّ أحداً من المؤرخين لَم يذكره حتّى على الاحتمال البعيد، لكن الزبيري أراد أن يسوّد صحيفته بالمفتريات.

وحـــائراتٍ أطـــار الـــقوم أعينهـــا ... رعـــباً غـــداة عليـــه خـــدرها هجمـــوا
كانـت بحيـث عليهـا قومهـا ضربـت ... ســـرادقا ارضـــه مـــن عـــزّهم حـــرم
يـــكاد مـــن هيبـــة أن لا تطـــوف بـــه ... حتّـــى الـــملائك لـــولا انهـــم خـــدم
فـــغودرت بي أيـــدي القـــوم حـــاسرة ... تـــسبى ولـــيس لهـــا مـــن فيـــه تعتصـــم
نـــعم لـــوت جيـــدها بالعتـــب هاتفـــة ... بـــقومها وحـــشاها مـــلؤه ضـــرم
عجّت بهم مذ على ابرادها اختلفت ... ايـــدي العـــدوّ ولكـــن مـــن لهـــا بهـــم[1]

الخيل

ونادى ابن سعد: ألا من ينتدب إلى الحسين فيوطىء الخيل صدره وظهره. فقام عشرة[2].

منهم؛ إسحاق بن حوية[3]، والأحبش بن مرثد بن علقمة بن سلمة الحضرمي، وحكيم بن الطفيل السنبسي، وعمرو بن صبيح الصيداوي، ورجاء

---

(١) للسيّد حيدر الحلّي نور الله ضريحه.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ١٦١، وكامل ابن الاثير ٤ / ٣٣، ومروج الذهب ٢ / ٩١، والخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٨، والبداية لابن كثير ٨ / ١٨٩، وتاريخ الخميس ٣ / ٣٣٣، والإرشاد للشيخ المفيد، وإعلام الورى للطبرسي / ٨٨٨، وروضة الواعظين / ٦٦٢، و مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٤.

(٣) في تاج العروس ٤ / ٣١، مادة حوز: ممَّن قاتل الحسين حويزة كجهينة.

بن منقذ العبدي، وسالم بن خيثمة الجعفي، وصالح بن وهب الجعفي، وواخط بن غانم، وهاني بن ثبيت الحضرمي، وأسيد بن مالك، فداسوا بخيولهم جسد ريحانة الرسول، وأقبل هؤلاء العشرة إلى ابن زياد يقدمهم اسيد بن مالك يرتجز:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر ... بكل يعبوب شديد الأسر

فأمر لهم بجائزة يسيرة[1].

وأيّ شهيد أصلت الشمس جسمه ... ومشهدها من أصله متولّد

وأيّ ذبيح داست الخيل صدره ... وفرسانها من ذكره تتجمّد

ألم تك تدري أن روح محمد ... كقرآنه في سبطه متجسّد

فلو علمت تلك الخيول كاهلها ... بأنّ الذي تحت السنابك احمد

لثارت على فرسانها وتمردت ... كما انّهم ثاروا بها وتمرّدوا[2]

---

(١) اللهوف / ٧٥، ومثير الأحزان لابن نما / ٤١. وفي مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٩ زيادة بيت:

حتّى عصينا الله ربّ الأمر ... بعضها مع الحسين الطهر

(٢) من قصيدة للسيّد صالح ابن العلامة السيّد مهدي آل بحر العلوم.

قال البيروني: لقد فعلوا بالحسين ما لَم يفعل في جميع الأُمم بأشرار الخلق؛ من القتل بالسّيف، والرمح، والحجارة، وإجراء الخيول[١]، وقد وصل بعض هذه الخيول إلى مصر، فقلعت نعالها وسمرت على أبواب الدور تبرّكاً، وجرت بذلك السنّة عنده، فصار أكثرهم يعمل نظيرها ويعلّق على أبواب الدور[٢].

فليت أكّفاً حاربتك تقطّعت ... وأرجل بغى جاولتك جذام

وخيلا غدت تردى عليك جواريا ... عقرن فلا يلوى لهنّ لجام

ورضّت قراك الخيل من بعد ما غدت ... اولوا الخيل صرعى منك فهى رمام

اصبت فلا يوم المسرّات نير ... ولا قمر فى ليلهنّ تمام[٣]

الرؤوس

وأمر ابن سعد بالرؤوس فقطعت واقتسمتها القبائل؛ لتتقرّب إلى ابن زياد، فجائت كندة بثلاثة عشر وصاحبهم قيس بن الأشعث، وجاءت هوازن باثني عشر وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن، وجاءت تميم بسبعة عشر، وبنو أسد بستة عشر، ومذحج بسبعة، وجاء آخرون بباقي الرؤوس[٤]، ومنعت عشيرة

---

(١) الآثار الباقية / ٣٢٩، طبعة ليدن، وطبعة الاوفست.

(٢) كتاب التعجّب للكراجكي / ٤٦ ملحق بكنز الفوائد.

(٣) لأبي ذيب شيخ يوسف القطيفي المتوفّى (١٢٠٠هـ).

(٤) اللهوف / ٨١، وعمدة القاري في شرح البخاري للعيني ٧ / ٦٥٦، وفيه كان معهم ←

الحر الرياحي من قطع رأسه ورضّ جسده[١].

وسرّح ابن سعد في اليوم العاشر رأس الحسين عليه السلام مع خولى بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي، وسرّح رؤوس أهل بيته وصحبه مع الشمر وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحَجّاج[٢].

وكان منزل خولي على فرسخ من الكوفة، فأخفى الرأس عن زوجته الأنصاريّة؛ لِما يعهده من موالاتها لأهل البيت عليهم السلام إلاّ أنّها لمّا رأت من التنّور نوراً راعها ذلك؛ إذ لم تعهد فيه شيئاً، فلمّا قربت منه سمعت أصوات نساء يندبن الحسين عليه السلام بأشجى ندبة، فحدّثت زوجها وخرجت باكية[٣] ولَم تكتحل ولم تتطيّب حزناً على الحسين عليه السلام وكان اسمها العيوف[٤].

وعند الصباح غدا بالرأس إلى قصر الإمارة، وقد رجع ابن زياد في ليلته من معسكره بالنّخيلة فوضع الرأس بين يدَيه وهو يقول:

إمـــلأ ركـــابي فضّـــة أو ذهبـــا إنّـــي قتلـــت الســـيّد المحجّبـــا

عروة بن قيس.

(١) الكبريت الأحمر.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد.

(٣) روضة الشهداء، وفي البداية لابن كثير ٨ / ١٩٠: إنّ زوجته رأت النور يسطع من تحت الاجانة إلى السّماء وطيوراً بيضاً ترفرف حولها، وإنّ زوجته الأُخرى نوار بنت مالك قالت له: أتيت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله! لا يجمعني وإيّاك فراش أبداً، ثمّ فارقته.

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري ٥ / ٢٣٨.

وخـــيرهم مـــن يـــذكرون النســـبا قـــتلت خـــير النـــاس أُمّـــاً وأبـــا

فساء ابن زياد قوله أمام الجمع فقال له: إذا علمت إنّه كذلك فلِمَ قتلته؟ والله لا نلت منّي شيئاً[1].

السَفر من كربلاء

لما سيّر ابن سعد الرؤوس إلى الكوفة، أقام مع الجيش إلى الزوال من اليوم الحادي عشر، فجمع قتلاه وصلّى عليهم ودفنهم، وترك سيّد شباب أهل الجنّة

---

(١) في مرآة الجنان لليافعي ١ / ١٣٣: إنّ ابن زياد غضب عليه وقتله، ولَم يسمّ حامل الرأس، وفي العقد الفريد ٢ / ٢١٣: سمّاه خولي ابن يزيد الأصبحي، وقتله ابن زياد لذلك. واختلف المؤرّخون فيمَن جاء بالرأس وقائل الأبيات؛ فعند ابن جرير الطبري ٦ / ٢٦١، وابن الأثير ٤ / ٣٣: سنان بن أنس أنشدها على عمر بن سعد، وفي تذكرة الخواص / ١٤٤ قال له عمر: أنت مجنون لَو سمعك ابن زياد لقتلك. وفي شرح المقامات للشريشي ١ / ١٩٣: إنّه أنشدها على ابن زياد، وفي كشف الغمّة للأربلي ومقتل الخوارزمي ٢ / ٤٠: إنّ بشر بن مالك أنشدها على ابن زياد. = وفي مطالب السؤول لابن طلحة / ٧٦، زاد عليهما (ومن يصلّي القبلتين في الصبا)، فغضب عليه ابن زياد وقتله. وفي رياض المصائب / ٤٣٧: إنّ الشمر قائلها.
وأنت إذا عرفت إنّ الشمر هو قاتل الحسين عليه السلام كما في زيارة النّاحية وعليه جماعة من المؤرّخين، تعرف أنّه المنشد لها؛ إذ من البعيد أن يقتله ويأخذ الرأس غيره فيفوته التقرّب عند ابن زياد، وإنّما ذكرنا القصّة عن خولي مماشاةً مع أهل المقاتل. وفي المعجم ممّا استعجم ٢ / ٨٦٥، ووفاء الوفاء للمسعودي ٢ / ٢٣٢، عند ذكر حمي ضريه، قال: ضريه من مياه الضباب في الجاهليّة لذي الجوشن الضبابي والد الشمر قاتل الحسين بن علي عليه السلام.

وريحانة الرسول الأكرم ومَن معه من أهل بيته وصحبه بلا غسل ولا كفن ولا دفن[١]، تسفي عليه الصبا، ويزورهم وحش الفلا.

فإن يمس فوق التّرب عريان لم تقم ... له مـأتماً تـبكيه فـيه محارمه

فـأيّ حـشا لم يمـس قـبراً لجسـمه ... وفـى أيّ قلـب مـا اقيمـت مآتمه[٢]

وبعد الزوال ارتحل إلى الكوفة ومعه نساء الحسين عليه السلام وصبيته وجواريه وعيالات الأصحاب وكنَّ عشرين امرأة[٣] وسيروهنَّ على أقتاب الجمال بغير وطاء كما يساق سبي الترك والروم و هنّ ودائع خير الأنبياء ومعهنّ السّجاد علي بن الحسين عليه السلام وعمره ثلاث وعشرون سنة[٤]، وهو على بعير ظالع بغير وطاء وقد أنهكته العلّة[٥] ومعه ولده الباقر عليه السلام[٦] وله سنتان وشهور[١]، ومن أولاد

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ٣٩.

(٢) للعلامة الشيخ محمّد تقي آل صاحب الجواهر.

(٣) نفس المهموم / ٢٠٤.

وفي مستدرك الوسائل للنوري ٢ / ٢٣٤ الطبعة الأُولى: روى الشيخ المفيد والسيّد ابن طاووس بالإسناد عن الصادق عليه السلام أنّه صلّى في القائم المائل بطريق الغري ركعتين وقال: «**ههنا وضعوا رأس جدّي الحسين عليه السلام لمّا توجّهوا من كربلاء، ثمّ حملوه إلى عبيد الله بن زياد**». ثمّ ذكر دعاء يُدعا به بعد الصلاة، وقال: «**هذا الموضع يعرف بالحنّانة..**»

(٤) نسب قريش لمصعب الزبيري / ٥٨.

(٥) الاقبال لابن طاووس / ٥٤.

(٦) رياض الأحزان / ٤٩، وإثبات الوصيّة للمسعودي / ١٤٣.

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام زيد وعمرو والحسن المثنّى، فإنّه أُخذ أسيراً بعد أنْ قَتل سبعة عشر رجلاً، وأصابته ثمان عشرة جراحة وقُطعت يده اليمنى، فانتزعه أسماء بن خارجة الفزاري؛ لأنّ أُمّ المثنّى فزاريّة، فتركه ابن سعد له[٢]. وكان معهم عقبة بن سمعان مولى الرباب زوجة الحسين عليه السلام، ولمّا أخبر ابن زياد بأنّه مولى للرباب خلّى سبيله، وأخبر ابن زياد بأنّ المرقع بن ثمامة الأسدي نثر نبله وقاتل، فآمنه قومه وأخذوه فأمر بنفيه إلى الزارة[٣].

---

(١) إثبات الوصيّة / ١٤٣ طبعة النّجف. وفي تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٠٣: له ثلاث سنين.

(٢) البحار الجزء العاشر، عند ذكر أولاد الحسن عليه السلام، وإسعاف الراغبين / ٢٨، على هامش نور الأبصار. وفي اللهوف / ٨: عالجه بالكوفة، فلمّا برأ حمله إلى المدينة.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦١، وكامل ابن الاثير ٤ / ٣٣.

والزارة، كما في معجم البلدان ٤ / ٣٦٧: قرية بالبحرين، وأُخرى في طرابلس الغرب، وكورة بالصعيد.

وفي المعجم ممّا استعجم للبكري ٢ / ٦٩٢: إنّها موضع بناحية البحرين جرت فيها حروب للنعمان بن المنذر المعروف بـ (الغرور) مع الأساورة، ومدينة بفارس فيها بارز البراء بن مالك مرزبانها فصرعه وقطع يده وأخذ منطقته وسواريه، وكان قيمته ثلاثين ألفاً، فأخذ خُمسه عمر، وهو أول سلب أُخذ خمسه في الإسلام.

وفي كامل ابن الاثير ٤ / ١٠: إنّ ابن زياد هدّد أهل الكوفة بالنّفي إلى عمان الزارة. وفيه ٨ / ٨٦ حوادث سنة (٣٢١ هـ): إنّ علي بن يليق أمر بلعن معاوية وابنه يزيد على المنابر ببغداد، فاضطربت العامّة، وكان يثير الفتن البربهاري من الحنابلة، فهرب منه وقبض على جماعته فأحدرهم في زورق إلى عمان. انتهى.

أتـــرى كيـــف أمســـت الخفـــرات ... بعـــد غلـــب دون المخيّـــم مـــاتوا
أتـــراهم لـــلأسر قـــد أســـلموها ... أم عـــلى الـــرغم فارقتهـــا الحـــماة
فارقوهـا مـن بعـد مـا ثلـم العضـب ... ودقّـــت مـــن الـــطعان القنـــاة
وبـــنوا فـــي دم الشـــهادة عرشـــاً ... لـــم قبـــلهم بـــنته الـــبناة
أدهشـتها مـن بعـدهم هجمـة الخيـ ... ـل عـــليها وأيـــن عـــنها الابـــاة
فـــتصارخْنَ يســـتغثْنَ بصرـــعى ... هـــوّمت غـــفوة بـــهم وســـباة
وتـــرامت بـــجنب كـــلّ أبيٍّ ... حـــرّة تســـتثيره وفتـــاة
يـــشتكين الـــسياط قـــد ألمـــتهن ... و هـــل حفـــزت بصرـــخى شـــكاة
يـــتساقطْنَ عـــن متـــون المطايـــا ... كـــلّما أزعـــج النيـــاق الحـــدادة[1]

فقلن النّسوة: بالله عليكم إلاّ ما مررتم بنا على القتلى. ولمّا نظرن إليهم مقطّعي الأوصال، قد طعمتهم سمر الرماح، ونهلت من دمائهم بيض الصفاح،

فيظهر من ذلك أنّ الزارة موضع في عمان.

وفي الأخبار الطوال / ٢٥٦، سيّر ابن زياد المرقع بن ثمامة الأسدي إلى الزبدة، فلم يزل بها حتّى هلك يزيد وهرب ابن زيا د إلى الشام، فانصرف المرقع إلى الكوفة.

وفي نشوار المحاضرة ٨ / ٩: إنّ أبا محمّد المهلّبي أحدر محمّد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي إلى عمان في زورق طبقه عليه؛ لأمر نقمه عليه.

(١) للعلامة الثقة الشيخ عبد المهدي مطر النجفي.

وطحنتهم الخيل بسنابكها، صِحن ولطمن الوجوه[١] وصاحت زينب: يا محمّداه! هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذريّتك مقتّلة. فأبكت كلّ عدو وصديق[٢] حتّى جرت دموع الخيل على حوافرها[٣]، ثمّ بسطت يدَيها تحت بدنه المقدّس ورفعته نحو السّماء، وقالت: إلهي تقبّل منّا هذا القربان[٤]. وهذا الموقف يدلّنا على تبوّئها عرش الجلالة، وقد أُخذ عليها العهد والميثاق بتلك النّهضة المقدّسة كأخيها الحسين عليه السلام وإنْ كان التفاوت بينهما محفوظاً، فلمّا خرج الحسين عليه السلام عن العهدة بإزهاق نفسه القدسيّة، نهضت العقيلة زينب بما وجب عليها، ومنه تقديم الذبيح إلى ساحة الجلال الربوي والتعريف به، ثمّ طفقت (سلام الله عليها) ببقيّة الشؤون، ولا استبعاد في ذلك بعد وحدة النّور وتفرّد العنصر.

وتشاطرت هي والحسين بدعوة ... حتم القضاء عليهما أنْ يندبا

هذا بمشتبك النصول وهذه ... في حيث معترك المكاره في السّبا[٥]

---

(١) مثير الأحزان لابن نما / ٤١، واللهوف لابن طاووس / ٧٤، والمقتل للخوارزمي ٢ / ٣٩، والمقتل للطريحي / ٣٣٢.

(٢) الخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٠.
وفي مقتل الخوارزمي واللهوف: كانت الندبة أوسع.

(٣) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٩، والمنتخب للطريحي / ٣٣٢.

(٤) الكبريت الأحمر ٣ / ١٣، عن الطراز المذهّب.

(٥) للعلامة ميرز محمّد علي الاوردبادي (نوّر الله ضريحه).

واعتنقت سكينة[١] جسد أبيها الحسين عليه السلام فكانت تحدّث أنّها سمعته يقول:

شـــيعتي مـــا أنْ شربـــتم ... عَـــذْبَ مـــاء فـــاذكروني

أو سمـــعتم بغريـــب ... او شـــهيد فانـــدبوني[٢]

ولَم يستطع أحد أن ينحيها عنه حتّى اجتمع عليها عدّة وجروها بالقهر[٣].

ومـذعورة بـاليتم قـد ربـع قلبهـا ... كطير عليه الصقر قد هجم الوكرا

أهابت بها من هجمة الخيل صرخة ... على ثكلها باليتم فاضطربت ذعرا

وفـرَّت إلى الشاوي على جمرة الثرى ... وقـد أرسـلت من جفنها فوقه نهرا

وأهوت على جسم الحسين فضمّها ... إلى صدره ما بين يمناه واليسرى

---

(١) في تهذيب الأسماء للنووي ١ / ١٦٣، والكواكب الدرّية للمناوي ١ / ٥٨، ونور الأبصار للشبلنجي / ١٦٠، ووفيات الأعيان لابن خلّكان بترجمتها: توفّيت سكينة بنت الحسين عليه السلام يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة (١١٧ هـ).
وفي المجدي لابن الحسن العمري في النّسب، وإعلام الورى للطبرسي / ١٢٧، عند ذكر أولاد الحسن عليه السلام، والأغاني ١٢ / ١٦٣: إنّها تزوّجت من ابن عمّها عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب قُتل عنها يوم الطف، ولم تلد منه. انتهى.
وفي إعلام الورى: قُتل عنها قبل البناء بها، ولها يوم الطفّ أكثر من عشر سنين، وولادتها قبل وفاة عمّها الحسن عليه السلام وعمرها يقارب السّبع سنين، وكلمة سيّد الشهداء عليه السلام في حقّها: «**أنّ الغالب على سكينة الاستغراق مع الله**». على ما رواه الصبان في اسعاف الرغبين يفيدنا درساً دقيقاً عن مكانة ابنته من الشريعة المقدسة - لاحظ كتابنا السيدة سكينة - الطبعة الثانية.

(٢) مصباح الكفعمي / ٣٧٦، طبعة الهند.

(٣) تظلّم الزهراء عليها السلام / ١٣٥.

تلوذ به حسرى القناع مروعة وعزّ عليه أن يشاهدها حسرى

فما تركتها تستجير سياطهم بجسم أبيها حينما انتزعت قسرى[١]

وأمّا علي بن الحسين عليه السلام فإنّه لمّا نظر إلى أهله مجزّرين، وبينهم مهجة الزهراء عليها السلام بحالة تنفطر لها السّماوات وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا، عظم ذلك عليه واشتدّ قلقه فلمّا تبيّنت ذلك منه زينب الكبرى بن علي عليه السلام[٢] أهمّها أمر الإمام فأخذت تسلّيه وتصبّره وهو الذي لا توازن الجبال بصبره، وفيما قالت له:

ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي، فوالله إنّ هذا لعهد من الله إلى جدّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السّماوات، إنّهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة والجسوم المضرّجة، فيوارونها وينصبون بهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يُدرس أثره ولا يُمحى رسمه على كرور الليالي والأيّام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلاّ علوّاً[٣].

---

(١) من قصيدة للعلامة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي.

(٢) زينب الملقبة الكبرى، هي ابنة فاطمة الزهراء عليها السلام، وقد وصفها بذلك الطبري في تاريخه ٦ / ٨٩، وابن الأثير في الكامل ٣ / ١٥٨.
وفي المعارف لابن قتيبة: فأمّا زينب الكبرى بنت فاطمة كانت عند عبد الله بن جعفر، فولدت له أولاد.

(٣) كامل الزيارات / ٢٦١ الباب الثامن والثمانون، فضل كربلاء وزيارة الحسين عليه السلام.

لله صـــبر زينـــب العقيلـــة ... كـــم صـــابرت مصـــائباً مهولـــة

رأت مـــن الخطـــوب والرزايـــا ... أمـــراً تـــهون دونـــه المنايـــا

رأت كـــرام قـــومها الأماجـــد ... مـــجزّرين في صـــعيد واحـــد

تســـفى عـــلى جســـومها الريـــاح ... وهـــى لـــذؤبان الـــفلا تبـــاح

رأت عـــزيز قومهـــا صريعـــاً ... قـــد وزّعـــوه بـــالظبى توزيعـــاً

رأت رؤوســـاً بـــالقنا تشـــال ... وجثـــثاً أكـــفانها الـــرمال

رأت رضـــيعاً بالسّـــهام يفطـــم ... وصـــبية بـــعد أبـــيهم أيتمـــوا

رأت شـــماتة الـــعدوّ فـــيها ... وصـــنعه مـــا شـــاء في أخيهـــا[1]

وأتاهن زجر بن قيس وصاح بهن فلَم يقمن، فأخذ يضربهنّ بالسّوط واجتمع عليهن النّاس حتّى أركبوهنّ على الجمال[2].

وركبت العقيلة زينب ناقتها، فتذكّرت ذلك العزّ الشامخ والحرم المنيع الذي تحوطه الليوث الضواري الأُباة من آل عبد المطّلب وتحفّه السّيوف المرهفة والرماح المثقفة، والأملاك تخدمها فيه، فلا يدخلون إلاّ مستأذنين:

فـلا مثـل عـزٍّ كـان في الصبح عزّهـا ... ولا مـثل حـال كـان في العصر ـ حالها

---

(١) المقبولة الحسينية/ ٦١، للحجّة آية الله الشيخ هادي كاشف الغطاء تدظله.

(٢) تظلّم الزهراء عليها السلام / ١٧٧.

إلى أين مسراها وأين مصيرها ... ومَن هو مأواها ومَن ذا مآلها
ومَن ذا ثمال الظعن إنْ هي سيّرت ... يضيق فمي إنّ ابن سعد ثمالها
على أيّ كتف تتكى حين ركبت ... وجمالها زجر وشمر جمّالها
أمحمد ضوء البيت عن شخص زينب ... لكيلا يرى في الليل حتّى خيالها
تمنّيت يوم الطّف عينك أبصرت ... بناتك حين ابتزّ منها حجالها
قروماً تراها جزّراً وأراملا ... تحنّ كنيب فارقتها فصالها
له الله من ثكل وقد مات بغتة ... لدى بعض يوم عزّها ورجالها
وما هان ثكل عندها غير انّه ... أمضّ مصاباً هتكها وابتذالها
وأمسين في أمر يهدّد غبّه ... تقف إهاباً حين يطريه بالها[1]

في الكوفة

ولما أُدخلت بنات أمير المؤمنين إلى الكوفة، اجتمع أهلها للنظر إليهم فصاحت أُمّ كلثوم: يا أهل الكوفة، أما تستحون من الله ورسوله أنْ تنظروا إلى حرم النّبي صلى الله عليه وآله؟.

وأشرفت عليهنّ امرأة من الكوفيّات ورأتهن على تلك الحال التي تشجي

---

(١) للعلامة الثقة الشيخ محمّد طاهر آل فقيه الطائفة الشيخ راضي تغمّده الله.

العدوّ الألد فقالت: من أي الأُسارى أنتم؟ قلن: نحن أُسارى آل محمد[١].

وأخذ أهل الكوفة يناولون الأطفال التمر والجوز والخبز، فصاحت أُمّ كلثوم وهي زينب الكبرى: إنّ الصّدقة علينا حرام. ثمّ رمت به إلى الأرض[٢].

أبـا حـسن تـغضى وتلتـذّ بـالكرى ... وبـالكفّ أمسـت تسـتر الوجـه زينـب

أبـا حسـن تـرضى صـفاياك في السّـبا ... ونـسوة حـرب بالمقاصـير تحجـب

وتـلوي لـلين الـفرش جنباً وهـذه ... بـناتك فـوق الـعيس للشـام تجلـب

ويـهنيك عـيش والـعقائل حـسّر ... إذا مـا بـكت بـالأصبحية تضرـب

تـشرّق فـيها تـارة عـصب الخنـا ... وطـوراً بـها نـحو الشـئام تغـرّب

بـلا كـافل تـطوي الـمهامه لغبـاً ... ويـسمعها مـا يـشعب القـب غيهـب

فـأصواتها بـحّت و ذابـت قلوبهـا ... وأنـفاسها كـادت من الحزن تـذهب

عـجبت ومـن في الـدهر سرّح طرفـه ... وفكّـر فـيه لـم يـزل يـتعجّب

يـزيد الـخنا فـى دسـته مـتقلّب ... ويـمسى حـسين في الثـرى يتقلّـب

و يحمـل منـه الـرأس في الـرمح جهـرة ... وفي التـاج رأس ابـن الدعيّـة يعصـب

---

(١) الدمعة الساكبة / ٣٦٤.

(٢) ابن نما / ٨٤، واللهوف / ٨١.

ويبـــقى ثـــلاثاً عـــارياً ويـــزيدها على جسمه يغدر الدمقس المذهّب[١]

خطبة زينب

ولقد أوضحت ابنة أمير المؤمنين عليه السلام للنّاس خُبث ابن زياد ولؤمه في خطبتها بعد أنْ أومأت إلى ذلك الجمع المتراكم، فهدأوا حتّى كأنَّ على رؤوسهم الطير. وليس في وسع العدد الكثير أنْ يسكن ذلك اللغط أو يردّ تلك الضوضاء لولا الهيبة الإلهيّة والبهاء المحمّدي الذي جلّل عقيلة آل محمّد صلى الله عليه وآله.

فيقول الراوي:

لمّا أومأت زينب ابنة علي عليه السلام إلى النّاس، فسكنت الأنفاس والأجراس، فعندها اندفعت بخطابها مع طمأنينة نفس وثبات جأش، وشجاعة حيدريّة، فقالت (صلوات الله عليها): الحمد لله والصلاة على أبي محمّد وآله الطيّبين الأخيار.

أمّا بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنّة، إنّما مثَلكم كمثَل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً، تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلاّ الصلف النطف[٢] والعجب

---

(١) من قصيدة في الحسين عليه السلام للشيخ حسّون الحلي المتوفى سنة (١٣٠٥ هـ)، شعراء الحلّة ٢ / ١٥٥..

(٢) الصلف (بفتحتين): الذي يتمدح بما ليس عنده. والنطف: القذف بالفجور.

والكذب والشنف [١] وملق الإماء[٢]، وغمز الأعداء[٣]؟! أو كمرعى على دمنة[٤] أو كقصّة على ملحودة[٥]، ألا بئس ما قدّمتْ لكم أنفسكم أنْ سخط الله

---

(١) الشنف: المبغض بغير حق.

(٢) الملق: التذلل.

(٣) الغمز: الطعن بالشر.

(٤) الغرض التعريف، بأنّ الدمنة وإنْ زها ظاهرها بالنبت، إلاّ أنّه لا يفيد الحيوان قوّة؛ لأنّها مجمع الأوساخ والكثافات السّامة القاتلة، فنتاج الدمنة لا يكون طيّبا. وأهل الكوفة وإنْ زها ظاهرهم بالإسلام إلاّ أنّ الصدور انطوت على قلوب مظلمة، لا يصدر منها إلاّ بما يقوم به أهل الجأهليّة والإلحاد.

(٥) في رواية اللهوف وابن نما (فضة) بالفاء الموحدة والضاد المعجمة ولم يتضح المراد منه بعد عدم الترجيح على الذهب وغيره، نعم رواية ابن شهر اشوب في المناقب (قصة) بالقاف المثناة والصاد المهملة وهي الجص تتناسب مع الملحودة التي هي القبر ولم ينكر أهل اللغة هذا المعنى ففي الصحاح للجوهري قصص داره أي جصصها وفي تاج العروس ج ٤ ص ٤٢٣ تقصيص الدار تجصيصها وكذلك قبر مقصص ومنه الحديث نهى النبي صلى الله عليه وآله عن تقصيص القبور وهو بناؤها بالقصة وفيه ص ٤٢٢ قال القصة هي الجص بلغة الحجاز أو الحجارة من الجص وعن ابن دريد ان ابا سعيد السيرافي يقول بكسر القاف وعند غيره بفتحها وفي الفائق للزمخشري ج ٢ ص ١٧٣ روى ان النبي صلى الله عليه وآله نهى عن تطيين القبور وتقصيصها اي تجصيصها فان القصة هي الجصة وفي غريب الحديث لأبي عبيد ج ١ ص ٢٧٧ حيدر آباد التقصيص الجص يقال قصصت القبور والبيوت اذا جصصتها وفي (لحن العوام) ص ١٤٥ للزبيدي تقصيص القبور تبييضها بالجص وفي نيل الأوطار للشوكاني ج ٤ ص ٧٣ القصة بفتح القاف وتشديد الصاد لمهملة هي الجص وفي مسند احمد ج ٢ صفحة ١٣٧ عن عبد الله بن عمر ان عثمان بنى جدار مسجد النبي صلى الله عليه وآله بالحجارة المنقوشة والقصة وفي تاريخ المدينة للمسعودي ج ٢ صفحة ١٠٥ ←

عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون؟! إي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً؛ فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتْل سليل خاتم النبوّة ومعدن الرسالة، ومدرة حجّتكم ومنار محَجّتكم، وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم، وسيّد شباب أهل الجنّة، ألا ساء ما تزرون.

فتعساً و نكساً وبُعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السّعي وتبّت الأيدي،

كان قبر حمزة مبنياً بالقصة أي مجصص لا خشب عليه وفي البحار ج ١٨ ص ٣٧٤ باب الدفن عن معاني الاخبار قال: تقصيص القبور تجصيصها لان الجص يقال له القصة وفي النهاية لابن الأثير مادة قصص في حديث زينب يا قصة على ملحودة شبهت اجسامهم بالقبور المتخذة من الجص وانفسهم بجيف الموتى التي تشتمل عليها القبور، والذي أراه ان النكتة في هذه الاستعارة ان القصة بلغة الحجاز الجص والملحودة القبر لكونه ذا لحد فكأن القبر يتزين ظاهره ببياض الجص ولكن داخله جيفة قذرة وأهل الكوفة وان تزين ظاهرهم بالاسلام الا ان قلوبهم كجيف الموتى بسبب قيامهم باعمال الجاهلية الوخيمة العاقبة من الغدر وعدم الثبات على المبادي الصحيحة وقد انفردت (متممة الدعوة الحسينية) بهذه النكات البديعة التي لم يسبقها مهرة البلغاء اليها لانها ارتضعت در (الصديقة الكبرى) التي اخرست الفصحاء بخطابها المرتجل يوم أجمع القوم على غصبها حقها مع ما اكتنفها من فوادح تبلبل فكر البليغ فعرفت الحاضرين ومن يأت من الاجيال عظيم الجناية وخسران الرضوان الاكبر كما ان سيد الاوصياء نسه عرف اولئك المتجمهرين على غصب حقه المجعول له من الله سبحانه يوم الغدير ويوم المنزلة ويوم الاعلان بالثقلين في خطبته المعروفة بالوسيلة التي خطبها في مسجد النبي ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ بسبعة أيام وقد فرغ من جمع القرآن كما نص عليه الكليني في روضة الكافي.

وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضُربت عليكم الذلّة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟ وأيّ كريمة له أبرزتم؟ وأيّ دم له سفكتم؟ وأيّ حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئاً إدّاً، تكاد السّموات يتفطّرن منه، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال هدّاً. ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء كطلاع الأرض[1] وملء السّماء.

أفعجبتم أنْ مطرت السّماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا يُنصرون، فلا يستخفنّكم المهل، فإنّه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإنّ ربّكم لَبالمرصاد[2].

---

(١) في تهذيب اللغة ٣ / ١٧١، ومقاييس اللغة ٣ / ٤١٩، والمغرب للمطرزي ٢ / ١٧، والفايق ١ / ١٢٥، والنّهاية، واللسان، وتاج العروس كلّهم مادّة (طلع).
وذكر في اللسان حديث النبي صلى الله عليه وآله: رأى رجلاً به بذاذة تعلو عنه العين، فقال: «**هذا خير من طلاع الأرض ذهباً**». إنّ طلاع الأرض ملؤها حتّى يسيل.
وفي حديث عمر بن الخطّاب عند موته: لو أنّ لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هَول المطلع. وهو يملؤها حتّى يطلع عنها ويسيل.
وفي الفايق عن الحسن البصري قال: لئن أعلم أنّي بريء من النّفاق أحبّ إليّ من طلاع الأرض ذهباً، وهو ملؤها.

(٢) رتّبنا الخطبة من أمالي الشيخ الطوسي، وأمالي ابنه، واللهوف، وابن نما، وابن شهر آشوب، واحتجاج الطبرسي.

فقال لها الإمام السّجاد عليه السلام: «**اسكتي يا عمّة، فأنت بحمد الله عالمة غير معلَّمة، وفهِمة غير مفهَّمة**»[1].

فقطعت العقيلة الكلام، وأدهشت ذلك الجمع المغمور بالتمويهات والمطامع، وأحدث كلامها إيقاظاً في الأفئدة ولفتة في البصائر، وأخذت خطبتها من القلوب مأخذاً عظيماً، وعرفوا عظيم الجناية، فلا يدرون ما يصنعون.

فعن الوصى بلاغة خُصّت بها ... أعيت برونقها البليغ الاخطبا
ما استرسلت إلاّ وتحسب أنّها ... تستلّ من غرر الخطابة مقضباً
أو أنّها اليزنيّ في يد باسل ... أخلى به ظهراً وأوهى منكبا
أو أنّها تقتاد منها فيلقاً ... وتسوق من زمر الحقائق موكبا
أو أنّ في غاب الإمامة لبوة ... لزئيرها عنت الوجوه تهيّبا
أو أنّها البحر الخضمّ تلاطمت ... أمواجه علماً حجى بأساً إبا
أو أنّ من غضب الإله صواعقاً ... لَم تلف عنها آل حرب مهربا
أو أنّ حيدرة على صهواتها ... يفنى كراديس الضّلال ثباً ثبا
أو أنّه ضمته ذروة منبر ... فأنار نهجاً للشريعة ألحبا

---

(١) احتجاج الطبري / ١٦٦ طبعة النّجف.

أو أنّ فـــى الـــلأوى عقيلـــة هاشـــم قد فرّقت شمل العمى ايدي سبا[١]

خطبة فاطمة بنت الحسين عليها السلام

وخطبت فاطمة بنت الحسين عليها السلام[٢] فقالت:

---

(١) من قصيدة للعلامة ميرز محمّد علي الاوردبادي في العقيلة زينب عليها السلام.

(٢) كانت فاطمة بنت الحسين عليها السلام جليلة القدر عظيمة المنزلة وكانت لها المكانة العالية من الدين وقد شهد بذلك أبوها سيد الشهداء لما جاء اليه الحسن المثنى يخطب احدى ابنتيه فقال عليه السلام كما في اسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ص ٢٠٢: إني اختار لك فاطمة فهي أكثر شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أما في الدين فتقوم الليل كله وتصوم النهار وفي الجمال تشبه الحور العين.

وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٢ ص ٤٤٢ روت الحديث عن أبيها وأخيها زين العابدين وعمتها زينب وابن عباس وأسماء بنت عميس وروى عنها أولادها عبد الله وابراهيم وحسين وام جعفر بنو الحسن المثنى وروى عنها ابو المقدام بوساطة امه وروى عنها زهير بن معاوية بوساطة أمه وفي خلاصة تذهيب الكمال ص ٤٢٥ خرج أصحاب السنن أحاديثها منهم: الترمذي وأبو داود والنسائي في مسند علي وابن ماجة القزويني وقال ابن حجر العسقلاني وقع ذكرها في كتاب الجنائز من صحيح البخاري ووثقها ابن حبان. ونص على وفاتها في سنة ١١٠ واليافعي في مرآة الجنان ج ١ ص ٢٣٤ وابن العماد في شذرات ج ١ ص ١٣٩ وبناء على ما يقوله ابن حجر في تهذيب التهذيب انها قاربت التسعين تكون ولادتها سنة ٣٠ تقريباً ولها يوم الطف ما يقرب من ذلك وتوفيت قبل اختها (سكينة) بسبع سنين وفي كامل ابن الأثير ج ٤ ص ٣٥ وتاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٦٧ كانت فاطمة اكبر من اختها سكينة وفي كتاب (تحقيق النصرة الى معالم دار الهجرة) ص ١٨ تأليف أبي بكر بن الحسين بن عمر المراغي المتوفى سنة ٨١٦ من كرامات فاطمة بنت الحسين ان الوليد بن عبد الملك لما أمر بادخال الحجرات في المسجد خرجت فاطمة ←

الحمدلله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأُؤمن به وأتوكّل عليه، وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ أولاده ذُبحوا بشطّ الفرات، من غير ذحل ولا ترات.

اللهمّ إنّي أعوذ بك أنْ أفتري عليك، وأنْ أقول عليك خلاف ما أنزلت من أخذ العهود والوصيّة لعلي بن أبي طالب المغلوب حقّه، المقتول من غير ذنب كما قُتل ولده بالأمس، في بيت من بيوت الله تعالى، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتّى قبضه الله تعالى إليه محمود النّقيبة طيّب العريكة، معروف المناقب مشهور المذاهب، لَم تأخذه في الله سبحانه لَومة لائم ولا عذل عاذل، هديته اللهمّ للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولَم يزل ناصحاً لك ولرسولك، زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته وهديته إلى صراط مستقيم.

أمّا بعد يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا. فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدنيا، فنحن

بنت الحسين الى الحرة وبنت داراً لها وامرت بحفر بئر فظهر فيه جبل فقيل لها فتوضأت ورشت بفاضل وضوئها عليه فلم يتصعب عليهم فكان يتبركون بمائه ويسمونه (زمزم) وفي طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٤٧٤ طبعة صادر. كانت فاطمة بنت الحسين عليها السلام تسبّح بخيوط معقودة وفي كتابنا (نقد التاريخ المخطوط) ناقشنا المؤرخين في تزويجها من العثماني، وان محمد الديباج خلقته اقلام الزبيريين.

عَيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجّته على الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضّلنا بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله على كثير ممَّن خلق الله تفضيلاً، فكذّبتمونا وكفّرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأنّنا أولاد ترك أو كابل، كما قتلتم جدّنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدّم، قرّت لذلك عيونكم، وفرحت قلبوكم افتراءً على الله ومكراً مكرتم والله خير الماكرين، فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرأها، إنّ ذلك على الله يسير؛ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحبّ كلّ مختال فخور.

تبّاً لكم فانظروا اللعنة والعذاب، فكأنّ قد حلّ بكم وتواترت من السّماء نقمات، فيسحتكم بعذاب ويذيق بعضكم بأس بعض، ثمّ تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة؛ بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين.

ويلكم! أتدرون أيّة يد طاعنتنا منكم؟ وأيّة نفس نزعت إلى قتالنا؟

أم بأيّة رِجل مشيتم إلينا؟ تبغون محاربتنا، قست قلوبكم وغلظت أكبادكم وطبع الله على أفئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تبّاً لكم يا أهل الكوفة، أيّ ترات لرسول الله قِبلَكم، وذحول له لديكم؟ بما عندتم بأخيه على بن أبي الطالب جدّي وبنيه وعترته الطيّبين الأخيار، وافتخر بذلك مفتخركم.

نحـــن قتلنـــا عليـــاً وبنـــى عـــلى بـــــسيوف هنديّـــــة ورمـــــاحِ

وســـبينا نســـاءهم ســـبى تـــرك ونـــــطحناهم فـــــأيّ نطـــــاحِ

بفيـك أيهـا القائـل الكثكـث والأثلـب[1] افتخـرت بقتـل قـوم زكّـاهم الله وطهّرهم وأذهب عنهم الرجس فأكضم وأقع كما أقعى أبوك فإنّما لكلّ امرىء ما اكتسب وما قدّمت يداه.

حسدتمونا ويلاً لكم على ما فضّلنا الله تعالى، ذلك فضل الله يؤتيه مَن يشاء والله ذوالفضل العظيم. ومَن لَم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

فارتفعت الأصوات بالبكاء والنّحيب وقالوا: حسبكِ يا ابنة الطاهرين فقد حرقت قلوبنا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا، فسكتت.

---

(١) في تاج العروس: الأثلب (بكسر الهمزة واللام وفتحهما، والفتح أكثر): الحجَر، وقيل دقاق الحجارة. وقال شمر الأثلب (بلغة الحجاز): الحجارة. وبلغة تميم التراب وهو دعاء. وفي الحديث: «**الولد للفراش وللعاهر الأثلب**».

وفيه صفحة ٦٤٠: الكثكث (كجعفر، وزبرج): دقائق التراب، ويقال: التراب عامة، يقال بفيه الكثكث: أي التراب.

خطبة أمّ كلثوم[١]

وقالت أُمّ كلثوم: صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم، فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب.

يا أهل الكوفة، سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله، وسبيتم نساءه ونكبتموه؟! فتبّاً لكم وسحقاً.

ويلكم! أتدرون أيّ دواهٍ دهتكم؟ وأيّ وزر على ظهوركم حملتم؟ وأيّ دماء سفكتم؟ وأيّ كريمة أصبتموها؟ وأيّ صبيّة أسلمتموها؟ وأيّ أموال انتهبتموها؟ قتلتم خير الرجالات بعد النّبي، ونُزعت الرحمة من قلوبكم، ألا إنّ حزب الله هم المفلحون، وحزب الشيطان هم الخاسرون.

فضجّ النّاس بالبكاء، ونشرن النّساء الشعور، وخمشن الوجوه ولطمن الخدود، ودعون بالويل والثبور. فلَم يرَ ذلك اليوم أكثر باك.

خطبة السجّاد عليه السلام:

وجيء بعلي الحسين عليه السلام على بعير ضالع، والجامعة في عنقه، ويداه مغلولتان إلى عنقه، وأوداجه تخشب دماً فكان يقول:

---

(١) أشرنا في عدّة مواضع من كتابنا هذا إلى: أن زينب العقيلة هي أُمّ كلثوم وهذه الفقرات جزء من كلامها السّابق، ونذكر هذا الكلام هنا على عادة أهل المقاتل.

يـا أُميّـة السّـوء لا سـقياً لـربعكُمُ يـا أُمّـة لَم تـراع جـدّنا فينـا

لَـو أنّنـا ورسـول الله يجمعنـا يـوم القيامـة مـا كنـتم تقولونـا

تسـيّرونا عـلى الأقتـاب عاريـة كـأنّنا لـم نشـيّد فـيكم دينـا

وأومأ إلى النّاس أنْ اسكتوا، فلمّا سكتوا، حمد الله وأثنى عليه وذكر النّبي فصلّى عليه، ثمّ قال: «أيّها النّاس، مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لَم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن من انتُهكت حرمته، وسُلبت نعمته وانتهب ماله، وسُبي عياله، أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من قُتل صبراً، وكفى بذلك فخراً.

أيّها النّاس ناشدتكم الله هل تعلمون أنّكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهود والميثاق والبيعة، وقاتلتموه؟

فتّباً لكم لِما قدّمتم لأنفسكم، وسوأة لرأيكم، بأيّة عين تنظرون إلى رسول الله؟ إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أُمّتي».

فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا: هلكتم وما تعلمون.

ثمّ قال عليه السلام: «**رحم الله امرءاً قبِل نصيحتي، وحفظ وصيّتي في الله وفي رسوله وأهل بيته، فإنّ لنا في رسول الله أُسوة حسنة**».

فقالوا بأجمعهم: نحن يابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنّا حرب لحربك، وسِلم لسلمك، نبرأ ممّن ظلمك وظلمنا.

فقال عليه السلام: «هيهات هيهات أيّها الغدرة المكرة، حِيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليَّ كما أتيتم إلى أبي من قبل؟ كلاّ وربّ الراقصات، فإنّ الجرح لمّا يندمل، قُتل أبي بالأمس وأهل بيته، ولَم ينس ثكل رسول الله وثكل أبي وبني أبي، إنّ وجده والله لبين لهاتي ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصّته تجري في فراش صدري»[1]

مهلاً بنى حرب فما قد نالنا ... فبعين جبّار السّما لم يكتم
فكأنّني يوم الحساب بأحمد ... بالرسل يقدم حاسراً عن معصم
ويقول ويلكم هتكتم حرمتي ... وتركتم الأسياف تنطف من دمي
تدرون أيّ دم أرقتم في الثرى ... أمْ أيَّ خود سقتُمُ في المغنم
أمن العدالة صونكم فتياتكم ... وحرائري تسبى كسبى الديلم
والماء تورده يعافير الفلا ... وكبود أطفالي ظماء تضرم
تالله لو ظفرت سراة الكفر في ... رهطي لما ارتكبوا لذاك المعظم
يا ليت شعر محمّد ما فاتكم ... طعن الحناجر بعد حزّ الغلصم
هذا جزائى منكُمُ فلقرب ما ... ضيعتموا عهدي ببنتي وابنم[2]

---

(١) الخطب كلّها ذكرها السيّد ابن طاووس في اللهوف، وابن نما في مثير الأحزان.
(٢) للحاج محمّد رضا الأزري رياض المدح والرثاء/ ٤٤٥، مطبعة الآداب، النجف.

الدفن

ذكر أهل التاريخ أنّ سيّد الشهداء عليه السلام أفرد خيمة في حومة الميدان[١]، وكان يأمر بحمل مَن قُتل من صحبه وأهل بيته إليها، وكلّما يؤتى بشهيد يقول عليه السلام: **«قتلة مثل قتلة النبيّين وآل النبيّين»**[٢]. إلاّ أخاه أبا الفضل العبّاس عليه السلام تركه في محلّ سقوطه قريباً من شطّ الفرات[٣].

ولمّا ارتحل عمر بن سعد بحرم الرسالة إلى الكوفة ترك أُولئك الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنّهم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة، لَم يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق[٤] على وجه الصعيد تصهرهم الشمس ويزورهم وحش الفلا.

قد غيّر الطّعن منهم كل جارحة ... إلا المكارم في أمن من الغير

وبينهم سيّد شباب أهل الجنّة بحالة تفطّر الصخر الأصم، غير أنّ الأنوار الإلهيّة تسطع من جوانبه، والأرواح العطرة تفوح من نواحيه.

ومجرح ما غيّرت منه القنا ... حسناً ولا أخلقْنَ منه جديدا

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٦، وكامل ابن الأثير ٤ / ٣٠، وإرشاد الشيخ المفيد.

(٢) حكاه في البحار ١٠ / ٢١١، و ١٣ / ١٢٥، عن غيبة النعماني.

(٣) نصّ عليه جماعة من المؤرّخين. انظر كتابنا (قمر بني هاشم) صفحة ١١٥، المطبعة الحيدريّة في النّجف.

(٤) كامل الزيارات / ٢١٩.

قد كان بدراً فاغتدى شمس الضحى ... مذ ألبسته يد الدماء لبودا

تحمى اشعّته العيون فكلّما ... حاولنَ نهجاً خلنه مسدودا

وتظلُّه شجر القنا حتّى أبت ... ارسال هاجرة اليه بريدا[1]

وحدّث رجل من بني أسد: أنّه أتى المعركة بعد ارتحال العسكر، فشاهد من تلك الجسوم المضرّجة أنواراً ساطعة، وأرواحاً طيّبة، ورأى أسداً هائل المنظر يتخطّى تلك الأشلاء المقطّعة حتّى إذا وصل إلى هيكل القداسة وقربان الهداية، تمرّغ بدمه ولاذ بجسده، وله همهمة وصياح، فأدهشه الحال إذ لم يعهد مثل الحيوان المفترس يترك ما هو طعمة أمثاله فاختفى في بعض الأكم؛ لينظر ما يصنع فلم يظهر له غير ذلك الحال:

وممّا زاد في بعض تحيّره وتعجّبه أنّه عند انتصاف الليل رأى شموعاً مسرجة ملأت الأرض بكاءاً وعويلاً مفجعاً[2].

وفي اليوم الثالث عشر من المحرّم أقبل زين العابدين عليه السلام لدفن أبيه الشهيد عليه السلام؛ لأنّ الإمام لا يلي أمره إلاّ إمام مثله[3].

---

(١) للحاج هاشم الكعبي.

(٢) مدينة المعاجز / ٢٦٣، باب ١٢٧.

(٣) اثبات الوصية للمسعودي ص ١٧٣، وقد ذكرنا في كتاب (زين العابدين) ص ٤٠٢ الاحاديث الدالة على ان الامام لا يلي أمره إلا امام مثله.
لم تكشف الاحاديث هذا السر المصون، ولعل النكتة فيه ان جثمان المعصوم عند سيره الى

يشهد له مناظرة الرضا عليه السلام مع علي بن أبي حمزة فإنّ أبا الحسن عليه السلام قال له: **«اخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً؟»** قال: بلى، فقال الرضا عليه السلام: **«فمَن ولي أمره؟»** قال ابن أبي حمزة: تولاّه علي بن الحسين السّجاد. فقال الرضا عليه السلام: **«فأين كان علي بن الحسين؟»** قال ابن أبي حمزة: كان محبوساً بالكوفة عند ابن زياد، ولكنّه خرج وهم لا يعلمون به حتّى ولي أمر أبيه، ثمّ انصرف إلى السّجن.

فقال الرضا عليه السلام: **«إنّ مَن مكّن علي بن الحسين أنْ يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه ثمّ ينصرف، يمكّن صاحب هذا الأمر أنْ ياتي بغداد فيلي أمر أبيه وليس هو في حبس ولا إسار»**.

المبدإ الأعلى بانتهاء امد الفيض الالهي يختص بآثار منها: ان لا يقرب منه من لم يكن من أهل هذه المرتبة اذ هو مقام قاب قوسين او أدنى، ذلك المقام الذي تقهقر عنه الروح الامين وعام النبي صلى الله عليه وآله وحده في سبحات الملكوت وليست هذه الدعوى في الأئمة بغريبة بعد ان تكوّنوا من الحقيقة المحمدية وشاركوا جدهم في المآثر كلها إلا النبوة والأزواج كما في المحتضر للحسن بن سليمان الحلي ص ٢٢ طبع النجف وهذه اسرار لا تصل اليها افكار البشر ولا سبيل لنا الى الانكار بمجرد بعدنا عن ادراكها ما لم تبلغ حد الاستحالة وقد نطقت الآثار الصحيحة بأن للأئمة احوالا غريبة ليس لسائر الخلق الشركة معهم كإحيائهم الأموات بالأجساد الأصلية ورؤية بعضهم بعضاً وصعود أجسادهم الى السماء وسماعهم سلام الزائرين لهم وقد صادق على ذلك شيخنا المفيد في المقالات ص ٨٤ ط طهران والكراجكي في كنز الفوائد والمجلسي في مرآة العقول ج ١ ص ٣٧٣ وكاشف الغطاء في منهج الرشاد ص ٥١، والنوري في دار السلام ج ١ ص ٢٨٩.

ولما أقبل السّجاد عليه السلام وجد بني أسد مجتمعين عند القتلى، متحيّرين لا يدرون ما يصنعون، ولَم يهتدوا إلى معرفتهم؛ وقد فرّق القوم بين رؤوسهم وأبدانهم و ربّما يسألون من أهلهم وعشيرتهم!!.

فأخبرهم عليه السلام عمّا جاء إليه من مواراة هذه الجسوم الطاهرة، و أوقفهم على أسمائهم، كما عرّفهم بالهاشميّين من الأصحاب، فارتفع البكاء والعويل، وسالت الدموع منهم كلّ مسيل، ونشرت الأسديّات الشعور ولطمن الخدود.

ثمّ مشى الإمام زين العابدين عليه السلام إلى جسد أبيه واعتنقه وبكى بكاءاً عالياً، وأتى إلى موضع القبر، ورفع قليلاً من التراب فبان قبر محفور وضريح مشقوق، فبسط كفيه تحت ظهره وقال: «**بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله، صدق الله ورسوله، ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العظيم**».

وأنزله وحده، لَم يشاركه بنو أسد فيه، وقال عليه السلام لهم: «**إنّ معي مَن يعينني**». ولمّا أقرّه في لحده، وضع خدّه على منحره الشريف قائلاً:

«**طوبى لأرض تضمّنت جسدك الطاهر، فإنّ الدنيا بعدك مظلمة والآخرة بنورك مشرقة، أمّا الليل فمسّهد والحزن سرمد، أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم، و عليك منّي السّلام يابن رسول الله و رحمة الله وبركاته**».

وكتب على القبر: «**هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً**».

ثمّ مشى إلى عمّه العبّاس عليه السلام فرآه بتلك الحالة التي أدهشت الملائكة بين أطباق السّماء وأبكت الحور في غرف الجنان ووقع عليه يلثم نحره المقدّس قائلاً:

«على الدنيا بعدك العفا يا قمر هاشم، وعليك منّي السّلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته».

وشقّ له ضريحاً وأنزله وحده كما فعل بأبيه الشهيد، وقال لبني أسد: **«إنّ معي مَن يعينني»**.

نعم، ترك مساغاً لبني أسد بمشاركته في مواراة الشهداء، وعيّن لهم موضعين وأمرهم أنْ يحفروا حفرتين، ووضع في الأُولى بني هاشم، وفي الثانية الأصحاب[1].

وأمّا الحر الرياحي فأبعدته عشيرته إلى حيث مرقده الآن وقيل: أنّ أُمّه كانت حاضرة فلمّا رأت ما يُصنع بالأجساد، حملت الحر إلى هذا المكان[2].

---

(١) الكبريت الأحمر، وأسرار الشهادة، والإيقاد.

(٢) الكبريت الأحمر، ونقل السيّد الجزائري في الأنوار النّعمانية / ٣٤٤ ما يشهد بذلك، فإنّه نقل: أنّ إسماعيل الصفوي نبش الموضع، فظهر له رجل كهيئته لمّا قُتل، وعلى رأسه عصابة، فلمّا حلّها انبعث الدم ولَم ينقطع إلاّ بشدّها، فبنى على القبر قبّة، وعيّن له خادماً. وعليه فإنكار النّوري في اللؤلؤ والمرجان دفنَه هنا لَم يُدعم بقرينة.
وفي تحفة العالم للسيّد جعفر بحر العلوم ١ / ٣٧: إنّ حمد الله المستوفي ذكر في نزهة القلوب: إنّ في ظاهر كربلاء قبر الحر تزوره النّاس وهو جدّه الثامن عشر. وكان أحدهم يقول:

أشِرْ للحرِّ من قرب وبعد ... فإنَّ الحرَّ تكفيه الاشاره

فردّ عليه الحجّة السيد محمّد القزويني:

←

وكان أقرب الشهداء إلى الحسين ولده الأكبر عليه السلام، وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام لحمّاد البصري: «**قُتل أبو عبد الله غريباً بأرض غربة، يبكيه مَن زاره، ويحزن له مَن لم يزره، ويحترق له مَن لَم يشهده، ويرحمه من نظر إلى قبر ابنه عند رجلَيه في أرض فلاة ولا حميم قربه، ثمّ منع الحقّ وتوازر عليه أهل الردّة حتّى قتلوه وضيّعوه وعرضوه للسّباع ومنعوه شرب ماء الفرات الذي يشربه الكلاب وضيّعوا حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّته به وبأهل بيته، فأمسى مجفواً في حفرته صريعاً بين قرابته وشيعته، قد اوحش قربه في الوحدة والبعد عن جدّه والمنزل الذي لا يأتيه إلاّ مَن امتحن الله قلبه للإيمان وعرف حقنا**».

ولقد حدّثني أبي: أنّه لَم يخل مكانه منذ قُتل من مصلّ عليه من الملائكة أو من الجنّ والإنس أو من الوحش، وما من أحد إلاّ ويغبط زائره ويتمسّح ويرجو في النّظر إليه الخير لنظره إلى قبره.

وإنّ الله تعالى لَيباهي الملائكة بزائريه.

وأمّا ما له عندنا فالترحّم عليه كلّ صباح ومساء.

ولقد بلغني أنّ قوماً من أهل الكوفة وناساً غيرهم من نواحيها يأتونه في

↩

زر الحرَّ الشهيد ولا تؤخر ... زيارته على الشهداء قدم

ولا تسمع مقالة من ينادي ... أشر للحر من بعد وسلم

النّصف من شعبان، فبين قارئ يقرأ وقاصٍّ يقصّ ونادب يندب، ونساء يندبنه، وقائل يقول المراثي! فقال حمّاد: قد شهدت بعض ما تصف.

قال عليه السلام: «الحمد لله الذي جعل في النّاس مَن يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنا مَن يطعن عليهم ويهدّدونهم ويقبّح ما يصنعون»[1].

ثوى اليوم احماها عن الضّيم جانباً ... واصدقها عند الحفيظة مخبرا

واطعمها للوحش من جثث العدى ... واخضبها للطير ظفرا ومنسرا

قضى بعد ما ردّ السّيوف على القنا ... ومرهفه فيها وفي الموت اثّرا

ومات كريم العهد عند شبا القنا ... يواريه منها ما عليه تكسّرا

فإنْ يمس مُغبرّ الجبين فطالما ... ضحى الحرب في وجه الكتيبة غبَّرا

وإن يقض ظمآناً تفطّر قلبه ... فقد راع قلب الموت حتّى تفطَّرا

وألقحها شعواء تشقى بها العدى ... ولود المنايا ترضع الحتف ممقّرا

فظاهر فيها بين درعين نثرة ... وصبر ودرع الصبر اقواهما عرى

سطا وهو أحمى مَن يصون كريمة ... وأشجع مَن يقتاد للحرب عسكرا

فرافده في حرمة الضرب مرهف ... على قلّة الأنصار فيه تكثّرا

---

(١) كامل الزيارات / ٣٢٥، وعنه في مزار البحار / ١٢٤.

تـعثَّر حتّـى مـات فـى إلهـام حـدّه ... وقائـمه فـى كـفّه مـا تـعثَّرا

كـأنّ أخـاه الـسّيف أُعطـى صـبره ... فـلم يـبرِح الـهيجاء حتّـى تكسَّـرا

لـه الله مـفطوراً مـن الصّـبر قلبُـه ... ولـَو كـان مـن صـمّ الصـفا لتفطَّـرا

ومـنعطف أهـوى لـتقبيل طـفله ... فـقبّل مـنه قـلبه الـسّهم مـنحرا

لـقد ولـدا فـى ساعةٍ هـو والـردى ... ومـن قـبله فـى نحـره السّـهم كـبَّرا

وفي السَّبى ممّا يصطفى الخدّ نسوة ... يعـزّ عـلى فـتيانها أن تـسيَّرا

حـمت خـدرها تقضى. وودّت بنومها ... تـردّ عـليها جفنهـا لا عـلى الكـرى

مشى الـدهر يـوم الطّف أعمى فلَـم ... عـمـاداً لـهـا إلاّ وفـيه تـعثّرا

وجـشّمها الـمسرى بـبيداء فـقرة ... ولَم تدرِ قبل الطّف ما البيد والسرّى

ولَـم تـرَ حتّـى عينهـا ظـلّ شخصـها ... إلى أنْ بـدت في الغاضريّـة حسـرّا[1]

---

(١) للسيّد حيدر الحلّي (نور الله ضريحه).

في قصر الإمارة:[١]

لمّا رجع ابن زياد من معسكره بالنّخيلة ودخل قصر الإمارة[٢] ووضع أمامه الرأس المقدّس، سالت الحيطان دماً[٣] وخرجت نار من بعض نواحي القصر. وقصدت سرير ابن زياد[٤] فولّى هارباً منها ودخل بعض بيوت القصر. فتكلّم الرأس الأزهر بصوت جهوري - سمعه ابن زيد وبعض مَن حضر -: «**إلى أين تهرب فإنْ لَمْ تنلك في الدنيا فهي في الآخرة مثواك**»، ولَمْ يسكت حتّى ذهبت النّار.

---

(١) في كتاب صفّين لنصر بن مزاحم / ٨، طبعة مصر: لمّا دخل عليﷺ الكوفة، قيل: أي القصرين ننزلك؟ قال: «**قصر الخبال لا تنزلونيه**». فنزل على جعدة بن هبيرة المخزومي. والخبال كما في الفائق للزمخشري والنّهاية لابن الأثير ومقاييس اللغة لابن فارس: مادة (خبل)، الخبل: الفساد، وحراقة صديد أهل النّار، والمراد هنا منزل أهل الجَور والفساد.

(٢) في لطائف المعارف للثعالبي / ١٤٢، الباب التاسع: روى عبد الملك بن عمير اللخمي قال: رأيت في قصر الإمارة رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عند عبيد الله بن زياد على ترس، ورأيت رأس عبيد الله بن زياد عند المختار على ترس، ورأيت رأس المختار عند مصعب بن الزبير على ترس، ورأيت رأس مصعب بين يدَي عبد الملك بن مروان على ترس، ولمّا حدّثت بذلك عبد الملك تطيّر منه وفارق مكانه. ورواه السّيوطي في تاريخ الخلفاء / ١٣٩، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص / ١٤٨، طبعة ايران.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٣٩، والصواعق المحرقة / ١١٦، وذخائر العقبى / ١٤٥، وابن طاووس في الملاحم / ١٢٨ الطبعة الأُولى.

(٤) كامل ابن الأثير ٤ / ١٠٣، ومجمع الزوائد لابن حجر ٩ / ١٩٦، والمقتل للخوارزمي ٢ / ٨٧، والمنتخب للطريحي / ٣٣٩، المطبعة الحيدريّة، والبداية لابن كثير ٨ / ٢٨٦.

وأُدهش مَن في القصر لهذا الحادث الذي لَم يشاهد مثله[١] ولَم يرتدع ابن زياد لهذا الحادث بل أذِن للنّاس إذناً عامّاً، وأمر بإدخال السّبايا مجلسه، فأُدخلت عليه حرم رسول الله بحالة تقشعّر لها الجلود[٢].

أبـــرزت حـــاسرة لـــكن عـــلى ... حـــالة لَـــم تبـــقَ للجلـــد اصـــطبارا

لا خـــمار يـــستر الـــوجه وهـــل ... لـــكريمات الـــهدى أبقَـــوا خمـــارا

لا مـــن ألـــبسها مـــن نـــوره ... أزراً مـــذ ســـلبوا عنهـــا الازارا

لـــم تُـــدع يـــا شـــلّتِ الأيـــدي لهـــا ... مـــن حجـــاب فيـــه عـــنهم تتـــوارى[٣]

ووضع رأس الحسين عليه السلام بين يدَيه، وجعل ينكت بالقضيب ثناياه ساعة، فقال له زيد بن أرقم: ارفع القضيب عن هاتين الشفتين؛ فوالله الذي لا إله إلاّ هو لقد رأيت شفتي رسول الله على هاتين الشفتين يقبّلهما. ثمّ بكى، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك، فوالله لَولا أنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك. فخرج زيد من المجلس وهو يقول: ملك عبد عُبُداً فاتخذهم تلداً، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مرجانة، يقتل خياركم ويستعبد شراركم، فرضيتم بالذلّ فبُعداً لمَن رضي بالذلّ[٤].

---

(١) شرح قصيدة أبي فراس / ١٤٩.

(٢) أخبار الدول ١ / ٨، لأبي العبّاس أحمد بن يوسف بن أحمد القرماني.

(٣) من قصيدة للسيّد عبد المطّلب الحلّي ذكرت في شعراء الحلّة ٣/ ٢١٨..

(٤) الصواعق المحرقة / ١١٨، وفي تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٢ والبداية والنهاية لابن كثير ٨ ←

وانحازت زينب ابنة أمير المؤمنين عليه السلام عن النّساء وهي متنكّرة، لكن جلال النبوّة وبهاء الإمامة المنسدل عليها استلفت نظر ابن زياد فقال: من هذه المتنكّرة؟

قيل له: ابنة أمير المؤمنين زينب العقيلة.

فأراد أنْ يحرق قلبها بأكثر ممّا جاء إليهم فقال متشمّتاً: الحمد لله الذي فضحكم، وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم.

فقالت عليها السلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

قال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت عليها السلام: ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجَّ وتُخاصم[1] فانظر لَمن الفلج يومئذ، ثكلتك أُمّك يابن مرجانة.[2]

فغضب ابن زياد، واستشاط من كلامها معه في ذلك المحتشد وهمَّ بها.

/ ١٩٠، ومجمع الزوائد ٩ / ١٩٥، وتاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٤٠، ذكروا وانكاره عليه ولا ينافي كونه أعمى على تقدير صحته؛ لجواز أنّه سمع بذلك فأنكر عليه. وعبارة ابن عساكر (كان زيد حاضراً) تؤيّده.

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٢.

(٢) اللهوف / ٩٠.

فقال له عمرو بن حريث: إنّها امرأة، وهل تؤاخذ بشيء من منطقها، ولا تلام على خطل.

فالتفت إليها ابن زياد وقال: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك!.

فرقّت العقيلة وقالت: لَعمري لقد قتلت كهلي، وابرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإنْ يشفك هذا فقد اشتفيت[1].

والتفت إلى علي بن الحسين عليه السلام وقال له: ما اسمك؟ قال: «أنا علي بن الحسين». فقال له: أوَلَم يقتل الله علياً؟

فقال السّجاد عليه السلام: «كان لي أخ أكبر منّي[2] يُسمّى علياً قتله النّاس». فردَّ عليه ابن زياد بأنّ الله قتله.

---

(١) كامل ابن الأثير ٤ / ٣٣، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٤٢، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٦٣، وإرشاد المفيد، وإعلام الورى للطبرسي / ١٤١.
وفي كامل المبرّد ٣ / ١٤٥ طبعة سنة (١٣٤٧): لقد أفصحت زينب بنت علي وهي أسنّ مَن حمل إلى ابن زياد وأبلغت وأخذت من الحجّة حاجتها فقال ابن زياد لها: إنْ تكوني بلغت من الحجّة حاجتك فقد كان أبوكِ خطيباً شاعراً. فقالت: ما للنّساء والشعر. وكان ابن زياد ألكناً يرتضخ الفارسيّة اهـ.

(٢) نصّ عيه ابن جرير الطبري في المنتخب من الذيل / ٨٩، ملحق بالتاريخ / ١٢، وأبو الفرج في المقاتل / ٤٩ طبعة ايران، والدميري في حياة الحيوان بمادّة (بغل)، والمنتخب للطريحي / ٢٣٨ المطبعة الحيدريّة ونسب قريش لمصعب الزبيري / ٥٨، وذكرنا في رسالة (علي الأكبر) / ١٧، نصوص المؤرخين: على أنّ المقتول هو الأكبر.

قال السّجاد عليه السلام: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها، وما كان لنفس أنْ تموت إلاّ بإذن الله».

فكبر على ابن زياد أنْ يرد عليه، فأمر أنْ تضرب عنقه.

لكن عمتّه العقيلة اعتنقته وقالت: حسبك يابن زياد من دمائنا ما سفكت، وهل أبقيت أحداً[1] غير هذا؟ فإنْ أردت قتله، فاقتلني معه.

فقال السّجاد عليه السلام: «أما علمتَ أنّ القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة؟!»[2] فنظر ابن زياد إليهما وقال: دعوه لها، عجباً للرحم! ودَّت أنّها تُقتل معه[3].

وأخذت الرباب زوجة الحسين عليه السلام الرأس ووضعته في حجرها وقبّلته وقالت:

وا حسيناً فلا نسيت حسيناً ... اقصدته أسنّة الاعداء

غادروه بكربلاء صريعاً ... لا سقى الله جانبى كربلاء[4]

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٣.

(٢) اللهوف / ٩١، ومقتل الخوارزمي ٢ / ١٣.

(٣) ابن الأثير ٤ / ٣٤.

(٤) تذكرة الخواص / ١٤٨: ومن الاشتباه وعدم التدبّر ما جاء في الحماسة البصريّة ١ / ٢١٤، رقم ١٨، باب المراثي، نسبة هذين البيتين إلى عاتكة بنت نفيل زوجة الحسين عليه السلام فإنّه لَم يذكر الثقات من المؤرّخين تزويج الحسين عليه السلام منها..

ولما وضح لابن زياد ولولة النّاس ولغط أهل المجلس خصوصاً لمّا تكلّمت معه زينب العقيلة خاف هياج النّاس فأمر الشرطة بحبس الأُسارى في دار إلى جنب المسجد الأعظم[١] قال حاجب ابن زياد: كنت معهم حين أمر بهم إلى السّجن فرأيت الرجال والنّساء مجتمعين يبكون ويلطمون وجوههم[٢]. فصاحت زينب بالنّاس: لا تدخل علينا إلاّ مملوكة أو أُمّ ولد؛ فإنّهنّ سُبين كما سُبينا[٣].

تشير الحوراء العقيلة إلى أنّ المسبيّة تعرف مضض عناء الذلّ فلا يصدر منها غير المحمود من شماتة وغيرها، وهذا شيء معروف لا ينكر، فقد ورد أنّ جسّاس بن مرّة لمّا قَتل كليب بن ربيعة، وكانت أُخت جسّاس زوجة كليب، واجتمع نساء الحي للمأتم على كليب، قلن لأخت كليب: رحّلي جليلة عن مأتمك؛ فإنّ قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب فإنّك أُخت واترنا وقاتلنا، فخرجت وهي تجرّ أذيالها ولمّا رحلت قالت أُخت كليب: رحلة المعتدي وفراق الشامت[٤].

---

(١) اللهوف / ٩١، و المقتل الخوارزمي ٢ / ٤٣.
(٢) روضة الواعظين / ١٦٣.
(٣) اللهوف / ٩٢، ومقتل العوالم / ١٣٠.
(٤) الأغاني ٤ / ١٥٠.

ودعا بهم ابن زياد مرّة أُخرى فلمّا أُدخلوا عليه، رأين النّسوة رأس الحسين عليه السلام بين يدَيه والأنوار الإلهيّة تتصاعد من أساريره إلى عنان السّماء، فلم تتمالك الرباب زوجة الحسين عليه السلام دون أنْ وقعت عليه تقبّله، وقالت:

إنَّ الذي كان نوراً يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون

سبط النبيّ جزاك الله صالحة ... عنّا وجنبت خسران الموازين

قد كنتَ لي جبلاً صعبا ألوذ به ... وكنتَ تصحبنا بالرحم والدِّين

مَن لليتامى ومَن للسائلين ومَن ... يعنى ويأوى إليه كلّ مسكين

والله لا ابتغى صهراً بصهركُمُ ... حتّى أغَيَّبَ بين الماء والطين[1]

ابن عفيف

قال حميد بن مسلم: أمر ابن زياد أنْ ينادى الصلاة جامعة، فاجتمعوا في الجامع الأعظم، ورقى ابن زياد المنبر فقال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب الحسين بن علي وشيعته[2].

---

(١) الأغاني ١٤ / ١٥٨، طبعة ساسي..

(٢) ابن الأثير ١ / ٣٤.

فلم ينكر عليه أحد من أُولئك الجمع الذي غمره الضلال إلاّ عبد الله بن عفيف الأزدي ثمّ الغامدي أحد بني والبة فإنّه قام إليه وقال:

يا ابن مرجانة، الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك والذي ولاّك وأبوه، يابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيّين وتتكلّمون بكلام الصدّيقين؟![1] فقال ابن زياد: مَن هذا المتكلّم؟

قال ابن عفيف: أنا المتكلّم يا عدوّ الله! تقتلون الذريّة الطاهرة التي أذهب الله عنهم الرجس، وتزعم أنّك على دين الإسلام؟! وا غوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمّد رسول ربّ العالمين.

فازداد غضب ابن زياد وقال: عليّ به. فقامت إليه[2] الشرطة.

فنادى ابن عفيف بشعار الازد: (يا مبرور). فوثب إليه عدد كثير ممَّن حضر من الأزد وانتزعوه وأتَوا به أهله.

وقال له عبد الرحمن بن مخنف الأزدي: ويح غيرك لقد أهلكت نفسك وعشيرتك[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٣.

(٢) اللهوف.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٣.

ثمّ أمر ابن زياد بحبس جماعة من الأزد، فيهم عبد الرحمن بن مخنف الأزدي[١] وفي الليل ذهب جماعة من قِبل ابن زياد إلى منزله؛ ليأتوه به، فلمّا بلغ الأزد ذلك تجمَّعوا وانضمَّ إليهم أحلافهم من اليمن، وبلغ ابن زياد تجمّعهم فأرسل مضر مع محمّد بن الأشعث[٢]، فاقتتلوا أشدّ قتال وقُتل من الفريقَين جماعة، ووصل ابن الأشعث إلى دار ابن عفيف واقتحموا الدار، فصاحت ابنته: أتاك القوم.

قال لها: لا عليك، ناوليني سيفي. فجعل يذبّ به عن نفسه، ويقول:

إنّ ابن ذي الفضل العفيف الطّاهر ... عفيف شيخي وابن أُمّ عامر

كم دارع من جمعكم وحاسر ... وبطل جدّلته مغادر

وابنته تقول له: ليتني كنت رجلاً، أذبّ بَين يدَيك هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة.

ولَم يقدر أحد منهم أنْ يدنو منه فإنّ ابنته تقول له: أتاك القوم من جهة كذا. ولما أحاطوا به صاحت: وا ذلاّه! يُحاط بأبي وليس له ناصر يستعين به. وهو يدور بسيفه ويقول:

---

(١) رياض الأحزان / ٥٧، عن روضة الصفا.

(٢) في مثير الأحزان لابن نما الحلّي: أرسل ابن زياد محمّد بن الأشعث، وحيث إنّه قُتل يوم عاشوراء بدعاء الحسين عليه السلام أصابته عقرب فمات منها، فيكون المرسَل هذا أحد بني الأشعث.

أقسمُ لو يفسح لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري

وبعد أنْ تكاثروا عليه، أخذوه وأتوا به إلى ابن زياد فقال له: الحمد لله الذي أخزاك.

قال ابن عفيف: وبماذا أخزاني؟

والله لو فرج لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري

قال ابن زياد: يا عدوّ الله ما تقول في عثمان.

فشتمه ابن عفيف وقال: ما أنت وعثمان؟ أساء أم أحسن، أصلح أم أفسد، وإنّ الله تبارك وتعالى وليُّ خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحقّ، ولكن سلني

عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه.

فقال ابن زياد: لا سألتك عن شيء ولتذوق الموت غصّة بعد غصّة.

قال ابن عفيف: الحمد لله ربّ العالمين أمّا إنّي كنت أسأل ربّي أنْ يرزقني الشهادة من قبل أنْ تلدك أُمّك، وسألت الله أنْ يجعلها على يدَي العن خلقه وأبغضهم إليه ولمّا كفّ بصري يئست من الشهادة، أمّا الآن والحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منه، وعرّفني الإجابة في قديم دعائي. فأمر ابن زياد بضرب عنقه، وصلبه في السّبخة[1].

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلّي / ٥٠، واللهوف لابن طاووس / ٩٢، ومقتل الخوارزمي ٢ ←

ودعا ابن زياد بجندب بن عبد الله الأزدي، وكان شيخاً كبيراً، فقال له: يا عدوّ الله ألست صاحب أبي تراب في صفّين؟ قال: نعم، وإنّي لأُحبّه وأفتخر به، وأمقتك وأباك سيّما الآن، وقد قتلت سبط الرسول وصحبه وأهله، ولَم تخف من العزيز الجبّار المنتقم. فقال ابن زياد: إنّك لأقلّ حياءً من ذلك الأعمى وإنّي ما أراني إلاّ متقرّباً إلى الله بدمك. فقال ابن جندب: إذاً لا يقرّبك الله. وخاف ابن زياد من نهوض عشيرته فتركه وقال: إنّه شيخ ذهب عقله وخرف. وخلي سبيله[1].

المختار الثقفي

لمّا أحضر ابن زياد السّبايا في مجلسه، أمر بإحضار المختار، وكان محبوساً عنده من يوم قَتْل مسلم بن عقيل، فلمّا رأى المختار هيئة منكرة زفر زفرة شديدة وجرى بينه وبين ابن زياد كلام أغلظ فيه المختار فغضب ابن زياد وارجعه إلى الحبس[2] ويقال ضربه بالسّوط على عينه فذهبت[3].

/ ٥٣. واختصر- قصّته في تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٣، والمحبر لابن حبيب / ٤٨٠، والإرشاد للشيخ المفيد، والكل اتّفقوا على صلبه في الكناسة، وذكره الأربلي في كشف الغمّة / ١١٦.

(١) مثير الأحزان / ٥١، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٥٥، ورياض الأحزان / ٥٨.

(٢) رياض الأحزان / ٥٢.

(٣) الأعلاق النفسيّة لابن رسته / ٢٢٤.

وبعد قَتْل ابن عفيف كان المختار بن أبي عبيد الثقفي مطلق السراح بشفاعة عبد الله بن عمر بن الخطاب عند يزيد؛ فإنّه زوج أُخته صفيّة بنت أبي عبيد الثقفي، ولكن ابن زياد أجّله في الكوفة ثلاثاً، ولمّا خطب ابن زياد بعد قَتْل ابن عفيف ونال من أمير المؤمنين عليه السلام، ثار المختار في وجهه وشتمه وقال: كذبت يا عدوّ الله وعدوّ رسوله، بل الحمد لله الذي أعزَّ الحسين عليه السلام وجيشه بالجنّة والمغفرة وأذلَّك وأذلَّ يزيد وجيشه بالنّار والخزي. فحذفه ابن زياد بعمود حديد فكسر جبهته، وأمر به إلى السّجن ولكن النّاس عرّفوه بأنّ عمر بن سعد صهره على أُخته وصهره الآخر عبد الله بن عمر وذكروا ارتفاع نسبه، فعدل عن قتله وأبقاه في السّجن. ثمّ تشفّع فيه ثانياً عبد الله بن عمر عند يزيد، فكتب إلى عبيد الله بن زياد بإطلاقه[1].

ثمّ أخذ المختار يخبر الشيعة بما علمه من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من نهضته بثأر الحسين عليه السلام وقتله ابن زياد والذين تألبوا على الحسين عليه السلام[2].

ومن ذلك إنّه كان في حبس ابن زياد، ومعه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، وميثم التمّار. فطلب عبد الله بن الحارث حديدة يزيل بها شعر بدنه وقال: لا آمن من ابن زياد القتل فأكون قد ألقيت ما على بدني من الشعر، فقال له المختار: والله لا يقتلك ولا يقتلني ولا يأتي عليك إلاّ القليل حتّى تلي البصرة،

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ١٧٨ - ١٧٩، واختصره في رياض الأحزان / ٥٨.
(٢) البحار ١٠ / ٢٨٤، عن أخذ الثأر لابن نما.

وميثم يسمع كلامهما فقال للمختار: وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام وتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدميك على وجنتيه[١]. فكان الأمر كما قالا.

خرج عبد الله بن الحارث بالبصرة بعد هلاك يزيد، وأمّره أهل البصرة، وبقي على هذا سنة، وخرج المختار طالباً بدم الحسين عليه السلام فقتل ابن زياد، وحرملة بن كاهل، وشمر بن ذي الجوشن إلى العدد الكثير من أهل الكوفة الخارجين على الحسين عليه السلام، فبلغ من قتلهم ثمانية عشر ألفاً - كما يحدّث به ابن نما الحلّي - وهرب منهم إلى مصعب الزبيري زهاء عشرة آلاف[٢] فيهم شبث بن ربعي جاء راكباً بغلة قد قطع أُذنها وذنبها في قباء مشقوق وهو ينادي: وا غوثاه! سِر بنا إلى محاربة هذا الفاسق الذي هدم دورنا وقتل أشرافنا[٣].

كلام الرأس المقدّس

لهفى لرأسك فوق مسلوب القنا ... يكسوه من أنواره جلبابا

يتلو الكتاب على السّنان وإنّما ... رفعوا به فوق السّنان كتابا[٤]

---

(١) شرح النّهج لابن أبي الحديد ١ / ٢١٠ طبعة مصر، والبحار ١٠ / ٢٨٤، والإرشاد للمفيد.

(٢) الأخبار الطوال / ٢٩٥.

(٣) تاريخ الطبري ٧ / ١٤٦.

(٤) في الدرّ النّضيد / ٣٦، للسيد محسن الأمين، أنّهما للسيد رضا الهندي..

لَم يزل السّبط الشهيد حليف القرآن منذ أنشأ كيانه؛ لأنّهما ثقلا رسول الله وخليفتاه على أُمّته. وقد نصّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض، فبذلك كان الحسين عليه السلام غير مبارح تلاوته طيلة حياته في تهذيبه وإرشاده وتبليغه في حلّه ومرتحله حتّى في موقفه يوم الطفّ بين ظهراني أُولئك المتجمهرين عليه ليتمّ عليهم الحجّة ويوضح لهم المحَجّة. هكذا كان ابن رسول الله يسير إلى غايته المقدّسة سيراً حثيثاً حتّى طفق يتلو القرآن رأسه المطهّر فوق عامل السنان؛ عسى أن يحصل في القوم من يكهربه نور الحقّ، غير أنّ داعية الهدى لَم يصادف إلاّ قصوراً في الإدراك وطبعاً في القلوب وصمماً في الآذان ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ (١).

ولا يستغرب هذا مَن يفقه الأسرار الالهيّة، فإنّ المولى سبحانه بعد أنْ أوجب على سيّد الشهداء النّهضة لسدّ أبواب الضلال بذلك الشكل المحدّد الظرف والمكان والكيفيّة لمصالح أدركها الجليل جلّ شأنه، فأوحى إلى نبيّه الأقدس أنْ يقرأ هذه الصفحة الخالصة على ولده الحسين عليه السلام، فلا سبيل إلاّ التسليم والخضوع للأصلح المرضي لربّ العالمين ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(٢). وحيث أراد المهيمن تعالى بهذه النّهضة المقدّسة تعريف الأُمّة الحاضرة والأجيال المتعاقبة ضلال الملتوين عن الصراط السّوي العابثين بقداسة الشريعة، أحبّ

---

(١) سورة البقرة / ٧.

(٢) سورة الأنبياء / ٢٣.

الإتيان بكلّ ما فيه توطيد أُسس هذه الشهادة التي كتبت بدمها الطاهر صحائف نيّرة من أعمال الثائرين في وجه المنكر، فكانت هذه محفوفة بغرائب لا تصل إليها الأفهام، ومنها استشهاد الرأس المعظّم بالآيات الكريمة، والكلام من رأس مقطوع أبلغ في إتمام الحجّة على مَن أعمته الشهوات عن إبصار الحقائق، وفيه تركيز العقائد على أحقيّة دعوته التي لَم يقصد بها إلاّ الطاعة لربّ العالمين ووخامة عاقبة مَن مدّ عليه يد السّوء والعدوان، كما نبّه الأُمّة على ضلال مَن جرّأهم على الطغيان.

ولا بدع القدرة الإلهيّة إذا مكّنت رأس الحسين عليه السلام من الكلام للمصالح التي نقصر عن الوصول إلى كنهها بعد أن أُودعت في الشجرة[1] قوّة الكلام مع نبي الله موسى بن عمران عليه السلام عند المناجاة، وهل تقاس الشجرة برأس المنحور في طاعة الرحمن سبحانه؟... كلاّ.

قال زيد بن أرقم: كنت في غرفة لي فمرّوا عليَّ بالرأس وهو يقرأ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[2] فوقف شعري وقلت: والله يابن رسول الله رأسك أعجب وأعجب[3]. ولما نُصب الرأس الأقدس في

---

(١) الدر المنثور ٢ / ١١٩: آية ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾. والبحار ٥ / ٢٧٨: نقلاً عن المهج. وفي قصص الأنبياء للثعالبي / ١٢٠ الباب الثامن: خروج موسى من مدين.

(٢) سورة الكهف / ٩.

(٣) إرشاد المفيد، والخصائص الكبرى ٢ / ١٢٥.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ / ٣٦٢: كان زيد بن أرقم من المنحرفين عن أمير ←

موضع الصيارفة وهناك لغط المارّة وضوضاء المتعاملين، فأراد سيّد الشهداء توجيه النّفوس نحوه ليسمعوا بليغ عظاته، فتنحنح الرأس تنحنحاً عالياً فاتّجهت إليه النّاس واعترتهم الدهشة؛ حيث لَم يسمعوا رأساً مقطوعاً يتنحنح قبل يوم الحسين عليه السلام، فعندها قرأ سورة الكهف إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (١). وصُلب على شجرة فاجتمع النّاس حولها ينظرون إلى النّور السّاطع، فأخذ يقرأ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (٢)(٣).

قال هلال بن معاوية: رأيت رجلا يحمل رأس الحسين عليه السلام والرأس يخاطبه: فرّقت بين رأسي وبدني فرق الله بين لحمك وعظمك وجعلك آية ونكالا للعالمين فرفع السوط واخذ يضرب الرأس حتّى سكت(٤). وسمع سليمة بن كهيل الرأس يقرأ وهو على القناة ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٥)(٦).

المؤمنين علي عليه السلام فإنّه كتم الشهادة لأمير المؤمنين بالولاية يوم الغدير، فدعا عليه بالعمى؛ فكفّ بصره إلى أنْ مات.

وفي كامل ابن الأثير ٤ / ٢٤: أمر ابن زياد، فطيف برأس الحسين عليه السلام في الكوفة. ومثله في البداية لابن كثير ٨ / ١٩١، والخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٨.

(١) سورة الكهف / ١٣.

(٢) سورة الشعراء / ٢٢٧.

(٣) ابن شهر آشوب ٢ / ١٨٨.

(٤) شرح قصيدة أبي فراس / ١٤٨.

(٥) سورة البقرة / ١٣٧.

(٦) أسرار الشهادة / ٤٨٨.

ويحدّث ابن وكيدة أنّه سمع الرأس يقرأ سورة الكهف، فشكّ في أنّه صوته أو غيره فترك عليه السلام القراءة والتفت إليه يخاطبه: «**يابن وكيدة أما علمت أنّا معشر الأئمّة أحياء عند ربهم يرزقون؟**».

فعزم على أنْ يسرق الرأس ويدفنه.

وإذا الخطاب من الرأس الأزهر: «يابن وكيدة، ليس إلى ذلك من سبيل، إنّ سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييري على الرمح، فذرهم فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسّلاسل يسحبون»(١).

قال المنهال بن عمرو: رأيت رأس الحسين عليه السلام بدمشق على رمح وأمامه رجل يقرأ سورة الكهف حتّى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً**﴾ (٢) نطق الرأس بلسان فصيح: «**أعجب من أصحاب الكهف، قتلي وحملي**»(٣).

ولما أمر يزيد بقتل رسول ملك الروم حيث أنكر عليه فعلته نطق الرأس بصوت رفيع: «**لا حول ولا قوّة إلاّ بالله**»(٤).

أروحك ام روح النبوّة تصعد ... من الأرض للفردوس والحور سجَّد

---

(١) شرح قصيدة أبي فراس / ١٤٨.
(٢) سورة الكهف / ١٠.
(٣) الخصائص للسيوطي ٢ / ١٢٧.
(٤) مقتل العوالم / ١٥١.

ورأسك أم رأس الرسول على القنا ... بآيه أهل الكهف راح يردّد

وصدرك أم مستودع العلم والحجى ... لتحطيمه جيش من الجهل يعمد

وأُمّك أم أُمّ الكتاب تنهَّدت ... فذاب نشيجاً قلبها المتنهّد

وشاطرت الأرضُ السّماءَ بشجوها ... فواحدة تنعى وأُخرى تعدّد

وقد نصب الوحى العزاء ببيته ... عليك حداداً والمعزّى محمَّد

يلوح له الثقلان ثقل ممزّق ... بسهم وثقل بالسّيوف مقدَّد

فعترته بالسّيف والسّهم بعضها ... شهيد وبعض بالفلاة مشرَّد

وأيّ شهيد أصلت الشمس جسمه ... ومشهدها من أصله متولَّد

وأيّ ذبيح داست الخيل صدره ... وفرسانها من ذكره تتجمَّد

ألم تك تدري أنَّ روح محمَّد ... كقرآنه في سبطه متجسَّد

فلو علمت تلك الخيلول كاهلها ... بأنَّ الذي تحت السنابك أحمد

لثارت على فرسانها وتمرَّدت ... عليهم كما ثاروا بها وتمرَّدوا

فرى الغىّ نحراً يغبط البدر نوره ... وفى كل عرق منه للحق فرقد

وهشَّم أضلاعاً بها العطف مودع ... وقطَّع أنفاساً بها اللطف موجد

وأعظم ما يشجى النّفوس حرائر ... تضام وحاميها الوحيد مقيَّد

فمن موثَق يشكو التشدّد من يد ... وموثقة تبكى فتلطمها اليد

كـــأنَّ رســـول الله قـــال لـــقومه خذوا وتركم من عترتي وتشـدَّدوا[١]

طغيان الأشدق

قال ابن جرير: أرسل ابن زياد عبد الملك بن الحارث السّلمي إلى المدينة ليبشّر عمرو بن سعيد الأشدق[٢] بقتل الحسين، فاعتذر بالمرض، فلم يقبل منه، وكان ابن زياد شديد الوطأة لا يصطلى بناره، وأمره أن يجدَّ السّير، فإن قامت به الراحلة يشتري غيرها، ولا يسبقه الخبر من غيره، فسار مجدّاً حتّى إذا وصل المدينة لقيه رجل من قريش وسأله عمّا عنده فقال له: الخبر عند الأمير. ولمّا أعلم ابن سعيد بقتل الحسين، فرح واهتزّ بشراً وشماتة.

وأمر المنادي أن يعلن بقتله في أزقّة المدينة، فلم يسمع ذلك اليوم واعية مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على سيّد شباب أهل الجنّة واتّصلت الصيحة بدار الأشدق فضحك وتمثّل بقول عمرو بن معد يكرب:

عجَّـــت نســـاء بنـــي زيـــاد عجَّـــة كعجـــيج نســـوتنا غـــداة الأرنـــب

ثمّ قال: واعية بواعية عثمان[٣].

---

(١) من قصيدة للسيد صالح ابن العلامة السيّد مهدي بحر العلوم.

(٢) في مجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي ٥ / ٢٤٠، وتطهير الجنان على هامش الصواعق المحرقة / ١٤١: عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليرعفنّ على منبري جبّار من جبابرة بني أُميّة فيسيل رعافه**» وقد رعف عمرو بن سعيد وهو على منبره ﷺ حتّى سال رعافه.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٨.

والتفت إلى قبر رسول الله وقال: يوم بيوم بدر يا رسول الله. فأنكر عليه قوم من الأنصار[١].

ثمّ رقى المنبر وقال: أيّها النّاس، إنّها لدمة بلدمة وصدمة بصدمة، كم خطبة بعد خطبة حكمة بالغة فما تغني النّذر، لقد كان يسبّنا ونمدحه، ويقطعنا ونصله، كعادتنا وعادته، ولكن كيف نصنع بمَن سلَّ سيفه علينا يريد قتلنا إلاّ أنْ ندفعه عن أنفسنا.

فقام إليه عبد الله بن السائب وقال: لَو كانت فاطمة حيَّة ورأت رأس الحسين لبكت عليه.

فزجره عمرو بن سعيد وقال: نحن أحقّ بفاطمة منك؛ أبوها عمّنا وزوجها أخونا وأُمّها ابنتنا، ولَو كانت فاطمة حيَّة لبكت عينها وما لامت من قتله ودفعه عن نفسه[٢].

وكان عمرو فظّا غليظاً قاسياً، أمر صاحب شرطته على المدينة عمرو بن الزبير بن العوام[٣] بعد قتل الحسين عليه السلام أنْ يهدم دور بني هاشم، ففعل وبلغ منهم كلّ

---

(١) نفس المهموم / ٢٢٢، وشرح النّهج لابن أبي الحديد ١ / ٣٦١.
(٢) مقتل العوالم / ١٣١.
(٣) في أنساب الأشراف للبلاذري ٤ / ٢٣: كانت أُمّ عمرو بن الزبير أمة بنت خالد بن سعد بن العاص، وكان على جيش أرسله عمرو بن سعد الأشدق إلى محاربة عبد الله بن الزبير بمكّة، فقبض جيش عبد الله على عمرو بن الزبير، فأمر عبد الله أنْ يضربه بالسّياط كلّ من له مظلمة عنده فمات من ذلك.

مبلغ وهدم دار ابن مطيع، وضرب النّاس ضرباً شديداً، فهربوا منه إلى ابن الزبير[١].

وسمّي بالأشدق؛ لأنّه أصابه اعوجاج في حلقه إلى الجانب الآخر؛ لإغراقه في شتم علي بن أبي طالب عليه السلام[٢]، وعاقبه الله شرّ عقوبة حيث حُمل إلى عبد الملك بن مروان مقيّداً بالحديد، وبعد أنْ أكثر من عتابه أمر به فقُتل[٣].

وخرجت بنت عقيل بن أبي طالب في جماعة من نساء قومها حتّى انتهت إلى قبر النّبي صلى الله عليه وآله، فلاذت به وشهقت عنده، ثمّ التفتت إلى المهاجرين والأنصار تقول:

ماذا تقولون إنْ قال النّبي لكم ... يوم الحساب وصدق القول مسموع

خذلتموا عترتي أو كنتم غيبا ... والحقّ عند وليّ الأمر مجموع

اسلمتموهم بأيدي الظالمين فما ... منكم له اليوم عند الله مشفوع

ما كان عند غداة الطَّف إذ حضروا ... تلك المنايا ولا عنهنَّ مدفوع

فأبكت مَن حضر، ولَم يرَ باكٍ وباكية أكثر من ذلك اليوم[٤]. وكانت أُختها زينب تندب الحسين عليه السلام بأشجى ندبة وتقول:

---

(١) الأغاني ٤ / ١٥٥.

(٢) معجم الشعراء للمرزباني / ٢٣١.

(٣) (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري / ٩، طبعة الهند، مادة: أمكراً وأنت في الحديد.

(٤) أمالي ابن الشيخ الطوسي / ٥٥، وسمّاها ابن شهر آشوب في المناقب ٢ / ٢٢٧ أسماء.

ماذا تقولون إذ قال النّبى لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم

بعترتي وبأهلى بعد مفتقدي ... منهم أُسارى ومنهم ضرَّجوا بدم

ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمى[1]

---

(١) الأبيات بهذا اللفظ في مثير الاحزان لابن نماص ٥١ واللهوف لابن طاووس ص ٩٦ والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣٦ وعنده انها لبنت عقيل بن أبي طالب ومثله أبو الريحان البيروني في الآثار الباقية ص ٣٢٩. وابن جرير في التاريخ ج ٦ ص ٢٦٨ الا انه ذكر الأول والثاني وفي رواية ابن قتيبة في عيون الاخبار ج ١ ص ٢١٢ للابيات خلاف، وفي مقتل الخوارزمي ج ٢ ص ٧٦: ان زينب بنت عقيل بن أبي طالب قالت البيتين الأولين، وفي رواية اخرى ان بنت عقيل بن أبي طالب قالت وذكر أربعة أبيات والرابع منهما:

ضيعتم حقنا والله أوجبه ... وقد رعى الفيل حق البيت والحرم

ونسب ابن شهر اشوب في المناقب الى زينب بنت امير المؤمنين عليه‌السلام انها انشأت الابيات الثلاثة بعد خطبتها بالكوفة. وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٥١: ان زينب بنت عقيل بن أبي طالب قالت قالت، وذكر اربعة ابيات وكان الرابع في روايته

ذريتي وبنو عمي بمضيعة ... منهم اسارى وقتلى ضرجوا بدم

ونسب ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٠ الأبيات الثلاثة الى زينب بنت عقيل بن أبي طالب ثم قال وقال أبو الاسود الدؤلي

أقول وزادني حنقاً وغيظاً ... ازال الله ملك بني زياد

وأبعدهم كما بعدوا وخانوا ... كما بعدت ثمود وقوم عاد

ولا رجعت ركائبهم إليهم ... اذا وقفت الى يوم التناد

وفي الارشاد للشيخ المفيد، لما سمعت أم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب نعي الحسين خرجت تنعاه ومعها من اخواتها أم هاني واسماء ورملة وزينب وذكر الأبيات الثلاث.

امّ البنين

لَم أعثر على نصّ، يوثق به يدلّ على حياة أُمّ البنين يوم الطفّ، وما يذكر لحياتها في ذلك اليوم مردّه أقوال ثلاثة:

الأول: قول العلامة محمّد حسن القزويني في رياض الأحزان ص ٦٠: أُقيم العزاء والمصيبة في دار أُمّ البنين زوجة أمير المؤمنين وأُمّ العبّاس وإخوته.

الثاني: قول السّماوي في إبصار العين ص ٣١ الطبعة الأولى: وأنا أسترقّ جدّاً من رثاء أُمّه فاطمة أُمّ البنين الذي أنشده أبو الحسن الأخفش في شرح الكامل، وقد كانت تخرج إلى البقيع كلّ يوم ترثيه وتحمل ولده عبد الله، فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة، وفيهم مروان بن الحكم فيبكون لشجّي الندبة (ا هـ).

الثالث: رواية أبي الفرج في مقاتل الطالبيين في مقتل العبّاس: عن محمّد بن علي بن حمزة عن النوفلي عن حمّاد بن عيسى الجهني عن معاوية بن عمّار عن جعفر: أنّ أُمّ البنين - أُمّ الإخوة الأربعة القتلى - تخرج إلى البقيع تندب بنيها أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع النّاس إليها ليسمعوا منها، وكان مروان يجيء فيمَن يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبتها (ا هـ).

هذا كلّ ما وجدناه ممّا يمكن أن يكون مصدراً لحياتها يوم الطفّ، فالأول لا دلالة فيه فإنّ غايته أنّ العزاء أُقيم في دار أُمّ البنين، وأمّا كونها موجودة، فلا صراحة فيه على أنّه لا يعدو الحكاية التي سجّلها أبو الفرج وأخذها قليل التفكير في التنقيب. والثاني: واضح الدلالة على استقائه من أبي الفرج فإنّ نصّ (إبصار

العين للسماوي) مثل ما في مقاتل الطالبيين، واذاً فلا يعد رأياً ثانياً...

وشرح الكامل المنسوب للأخفش لَم أجد واحداً من أرباب التراجم ناصّاً عليه مع فحصي الكثير لتراجم كلّ مَن سُمّي بالأخفش. وأمّا الشيخ السّماوي فكثيراً ما سألته عن مصدر هذا الشرح فلَم أجد منه إلاّ السّكوت، وقد صارحته بمعتقدي في كَون (الأبيات) له وأراد تمشية الكلام بهذا البيان، فعلى المولى سبحانه أجره...!

ومثله المجلسي في البحار ج ١٠ ص ٢٠١، حاكياً عن أبي الفرج، وحديث أبي الفرج في هذه القصّة فيه أُمور:

١- إنّ رجال إسناده لا يعبأ بهم، فإنّ النّوفلي وهو يزيد بن المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطّلب بن هاشم ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٤٧، وحكي عن أحمد: إنّ عنده مناكير، وعند أبي زرعة، ضعيف الحديث، وعامّة ما يرويه غير محفوظ، وقال أبو حاتم: منكر الحديث جداً، وقال النّسائي: متروك الحديث...

ومعاوية بن عمار بن أبي معاوية في تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢١٤، قال أبو حاتم: لا يحتجّ بحديثه، وإنْ أُريد غير هذا فمجهول.

٢- إنّ أُمّ البنين اقتبست من سيّد الأوصياء ومن سيّدَي شباب أهل الجنّة المعارف الإلهيّة والآداب المحمّديّة ما يأخذ بها إلى أسمى درجة من اليقين، فلا يصدر منها ما لا يتّفق مع قانون الشريعة النّاهي عن تعرّض المرأة للأجانب تحريماً أو تنزيهاً، إذا لَم تكن ضرورة هناك، ومن البديهي أنّ اللازم للمرأة عند

ندبة فقيدها الجلوس في بيتها والتحصّن به عن رؤية الأجانب لها، وسماع صوتها الذي لَم تدع الضرورة إليه، وإذا كان السجّاد عليه السلام يقول لأبي خالد الكابلي - حينما تعجّب من فتح باب الدار -: «**يا أبا خالد، إنّ جارة لنا خرجت ولا علم لها بالتواء الباب، ولا يجوز لبنات رسول الله أن يخرجن فيصفقن الباب**»[1].

وإذاً من تربّى في بيتهم وتأدّب بآدابهم لا يمرق عن طريقتهم. ولا يمكن التشكيك في تجاوز أُمّ البنين الحدود الالهيّة التي وضعتها الشريعة في أعناق النّساء.

وأمّا الصدّيقة الزهراء عليها السلام فقد ألجأها شيوخ المدينة على الخروج إلى البقيع لندبة أبيها صلى الله عليه وآله فصنع لها أمير المؤمنين بيتاً من جريد النّخل تتحصّن به من الأجانب سمّاه (بيت الأحزان)[2]، ولَم ينقل المؤرخون إنّ النّاس يحضرون

---

(١) مدينة المعاجز للسيّد هاشم البحراني / ٣١٨، الحيدث السّادس والثمانون.

(٢) في الإشارات لمعرفة الزيارات لأبي محسن علي بن أبي بكر الهروي / ٩٣: بيت الأحزان في البقيع لفاطمة عليها السلام.
وفي وفاء الوفاء للسمهودي ٢ / ١٠٣، طبعة مصر (سنة ١٣١٦هـ): عن ابن جبير: بالقرب من قبّة العبّاس بيت الحزن الذي تأوي إليه فاطمة عند وفاة أبيها والتزمت الحزن فيه.
وفي المختار من نوادر الأخبار لأبي عبد الله محمّد بن أحمد المقري الأنباري على هامش العلوم لأبي بكر الخوارزمي / ١٩١ الطبعة الأُولى (سنة ١٣١٠هـ): إنّ علياً عليه السلام صنع للزهراء بيتاً من جريد النّخل بظاهر المدينة تبكي فيه على أبيها.
وفي فتح القدير لابن همام الحنفي ٢ / ٣٢٨: يصلّي في مسجد فاطمة بنت رسول الله بالبقيع وهو المعروف بـ (بيت الأحزان).

لسماع ندبتها، فيبكون على أُفول شمس النبوّة وانقطاع وحي السّماء، وطموس النصائح الالهيّة.

٣- إنّ المرأة إنّما تبكي فقيدها في الجبانة إذا كان مقبوراً هناك. ولَم ينقل أحد خروج المرأة إلى المقبرة على حميمها وهو مدفون في غيرها والعادة متساوية في جميع العصور... ونسبة (أبي الفرج) خروج أُمّ البنين إلى البقيع فرية واضحة؛ إذ لا شاهد عليها، وغايته التعريف بأنّ مروان بن الحكم رقيق القلب، فاستدرار الدمعة إنّما يتسبّب من انفعال النّفس بتصوّر العدوان الوارد على مَن يمتّ بحميمه بنحو من أسباب الصلة فيحتدم القلب وتهيج العاطفة فسريع الدمعة تهمل عينه وعصيّها تجيش نفسه بالبكاء، ومروان بن الحكم هو المتشفّي بقتل الحسين عليه السلام وقد أظهر الفرح والشماتة بقوله لمّا نظر إلى رأس الحسين عليه السلام:

يا حبّذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدّين

كأنّه بات بعسجدين شفيت نفسي من دم الحسين

٤- إنّ أبا الفرج في (المقاتل) ناقض نفسه حيث قال في مقتل العبّاس عليه السلام: وكان آخر من قُتل من إخوته من أُمّه وأبيه فحاز مواريثهم (ا هـ). وروايته هذه توافق النصّ الذي سجّله مصعب الزبيري في نسب قريش ص ٤٣ فإنّه قال: ورث العبّاس إخوته إذ لَم يكن لهم ولد، وورث العبّاس ابنه عبيد الله، وكان محمّد وعمر حيَّين فسلّم محمّد لعبيد الله ميراث عمومته وامتنع عمر حتّى صولح ورضي من حقه (ا هـ).

وقال أبو نصر البخاري في سرّ السلسلة العلويّة ص ٨٩ المطبعة الحيدريّة بالنّجف: لمّا كان يوم الطفّ قدّم الحسين عليه السلام إخوة العبّاس جعفراً وعثمان وعبد الله فقُتلوا جميعاً، فورثهم العبّاس، ثمّ قُتل العبّاس فورثهم جميعاً ابنه عبيد الله بن العبّاس، وهذا يفيدنا وثوقاً بوفاة أُمّ البنين يوم الطفّ فإنّها لَو كانت موجودة لكان ميراث إخوة العبّاس مختصّاً بها؛ لكونها أُمّهم، ولا يرثهم العبّاس حتّى ينتقل إلى ولده عبيد الله وعدم منازعة (محمّد بن الحنفيّة) لعبيد الله في ميراث عمومته على وفق الشريعة؛ لأنّ العبّاس يتّصل بإخوته الشهداء بسببين: الأب والأُمّ، ومحمّد يتصل بهم من جهة الأب، وذو السّببين يقدّم في الميراث، ولَم يفقه عمر الأطرف وجه المسألة، وهو ابن علي باب مدينة العلم، وكان عليه أنْ يراجع إمام الأُمّة زين العابدين عليه السلام كَي لا يقع في الهلكة، إنْ كان ما ينسب إليه من المنازعة صحيحاً ولعلّ ما يذكر في عمدة الطالب طبعة النّجف يؤيّد هذه النّسبة وذلك: إنّه خرج إلى النّاس في ثياب معصفرة يقول: أنا الرجل الحازم، حيث لَم أخرج فاقتل.

وقد وضح التناقض في كلام أبي الفرج فإنّ تسجيل خروج (أُمّ البنين) إلى البقيع وندبتها أولادها يدلّ على حياتها يوم الطفّ، ثمّ نصّه على ميراث العبّاس لإخوته يشهد بوفاتها ذلك اليوم... وكم له من هفوات!

عبد الله بن جعفر

قال ابن جرير: لما ورد نعي الحسين عليه السلام جلس عبد الله بن جعفر للعزاء، وأقبل النّاس يعزّونه فقال مولاه (أبو اللسلاس) [١]: هذا ما لقيناه من الحسين.

فحذفه بنعله وقال: يابن اللخناء أللحسين تقول ذلك؟! والله لو شهدته لأحببت أنْ لا أُفارقه حتّى أُقتل معه، والله إنّه لَمِمّا يسخى بنفسه عن ولديّ ويهون عليّ المصاب بهما أنّهما أصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيَين له صابرَين معه. ثمّ أقبل على جلسائه وقال: الحمد لله لقد عزّ عليَّ المصاب بمصرع الحسين عليه السلام أنْ لا أكون واسيته بنفسي، فلقد واساه ولداي[٢]...

ومن عجب التاريخ حديث البلاذري[٣] والمحسن التنوخي[٤] وفود عبد الله بن جعفر على (يزيد) وإكرامه إيّاه بأكثر ممّا يكرمه أبوه معاوية.

إنّ مَن يدرس نفسيّة ابن جعفر يتجلّى له كذب القصّة التي أرسلها المدائني واستند إليها البلاذري والتنوخي. فإنّ الواقف على الرجال الموتورين لا يعدّون الجزم بالتهاب قلوبهم ناراً على واترهم ويترقّبون الفرص للأخذ بالثأر. يشهد له

---

(١) في الإرشاد للشيخ المفيد، وكشف الغمّة للأربلي / ١٩٤: أبو السلاسل.
(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢١٨.
(٣) أنساب الأشراف ٤ / ٣.
(٤) المستجاد من فعلات الأجواد / ٢٢.

حديث عبد الله بن أُبَي بن سلول مع النّبي، وذلك إنّ أُبياً لما صدر منه ما حكاه الكتاب العزيز ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ [١] فجاء عبد الله إلى نبيّ الإسلام وقال: لقد بلغتك هذه الكلمة من أبي؟

قال ﷺ: «نعم» فقال: إنّك تعلم ما أحد بارّ بأبيه مثلي، فإنْ أردت قتله فأمرني به؛ لأنّي أخاف أنْ تأمر غيري ولا أُحبّ أنْ أنظر إلى قاتل أبي فأعدو عليه فأقتله وأكون في النّار[٢]... وهذه القصّة تعطينا صورة نيّرة عمّا عليه البشر من احتدام أولياء المقتول على القاتل وتربّصهم الفرص للأخذ بالثأر منه، ولَو كان القتل من جهة الشرك...

ولهذه الغريزة المطبوعة عليها جبلة النّاس كان عمر بن الخطاب يقول لسعيد بن العاص وقد اجتمع عنده في بعض الليالي هو وعثمان وعلي وابن عبّاس: ما لك معرضاً عنّي كأنّي قتلت أباك! إنّي لم أقتله ولكن أبا حسن قتله، فقال أمير المؤمنين: «اللهمّ غفراً ذهب الشرك بما فيه، ومحا الإسلام ما قبله، فلماذا تهيّج القلوب يا عمر؟» فقال سعيد: لقد قتله كفؤ كريم، وهو أحبّ إليَّ من أن يقتله مَن ليس من عبد مناف[٣].

---

(١) سورة المنافقين / ٨.

(٢) أُسد الغابة ٣ / ٩٧.

(٣) شرح النّهج لابن أبي الحديد ٣ / ٣٣٥، الطبعة الأُولى المصريّة، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ / ١٣٤ ترجمة سعيد بن العاص.

لم يكن من الهيّن على سعيد قتْل أبيه وإنْ كان كافراً وقُتل بسيف الدعوة المحمّديّة، والقاتل شريف جم المناقب ولم يحفّزه على إراقة دمه إلاّ نداء الربّ جلّ وعلا الموحى به إلى رسول السّماء، غير أنّ الخوف من صارم العدل حتم عليه التظاهر بالرضا مع انحناء أضالعه على أحرّ من جمر الغضا مرتقباً الفرصة في الأخذ بثاره، وقد ظهرت نار البغض على لسان ولده عمرو بن سعيد الأشدق يوم تولّى المدينة من قِبَل يزيد فلقد واجه ضريح النّبي صلى الله عليه وآله بلسان طويل مجاهر بقوله: يوم بيوم بدر يا رسول الله. ولما سمع صراخ نساء بني هاشم على سيّد شباب أهل الجنّة قال: واعية بواعية عثمان[1].

فعبد الله بن جعفر يتّقد قلبه ناراً على ابن ميسون ويوّد لَو تمكّنه الفرصة وتأخذ المقادير إلى تدميره والقضاء عليه وعلى أهله وذويه، ومهما يكن ناسياً للأشياء فلا ينسى قتله أبي الضيم ونجوم الأرض من آل عبد المطّلب والبهاليل من صحبه، ثمّ نكْته بالقضيب ثنايا ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهل يستطيع ابن جعفر والحالة هذه أن يبصر- يزيد وسيفه يقطر من دمائهم وقد صكّ سمعه إظهاره الشماتة بنبيّ الإسلام:

قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل

ثمّ إلى إنكاره الرسالة:

---

(١) راجع ما تقدّم بعنوان (عمرو الأشدق) من كتابنا هذا.

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وهل ينسى ابن جعفر ليله ونهاره وقوف حرائر النبوّة بحالة يتصفّح وجوهها القريب والبعيد وأهل المنأهل والمعاقل.. والذي يهون الأمر أنّ المرسل للحديث هو المدائني الأُمويّ النّزعة والولاء، وكتابه مملوء بالأحاديث الرافعة للبيت الأُموي والواضعة من كرامة البيت العلوي، لا يلتفت إليها إلاّ العارف بأخبار الرجال وشخصيّات الرواة.

عبد الله بن عباس

لمّا بلغ يزيد امتناع عبد الله بن عبّاس عن البيعة لابن الزبير، كتب إليه: أمّا بعد، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته والدخول في طاعته لتكون على الباطل ظهيراً وفي المآثم شريكاً، فامتنعتَ عليه وانقبضتَ عنه؛ لما عرّفك الله في نفسك من حقّنا أهل البيت، فجزاك أفضل ما جزى الواصلين عن أرحامهم الموفين بعهودهم، ومهما أنسى من الأشياء فلا أنسى وصلك وحُسن جائزتك التي أنت أهلها في الطاعة والشرف والقرابة من رسول الله ﷺ، فانظر مَن قبلك من قومك، ومَن يطرأ عليك من أهل الآفاق ممَّن يسحره ابن الزبير بلسانه وزخرف قوله، فاجذبهم عنه فإنّهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للملحد المارق، والسّلام.

فكتب إليه ابن عبّاس: أمّا بعد، فقد جاء في كتابك تذكر فيه دعاء ابن الزبير إيّاي إلى بيعته وأنّي امتنعت عليه معرفةً لحقّك، فإن يكن ذلك كذلك فلستُ أرجو بذلك برّك، ولكنّ الله بما أنوي عليم. وكتبتَ إليَّ أنّه أحثّ النّاس عليك

وأخذلهم عن ابن الزبير، فلا ولا سرور ولا حبور، بفيك الكثكث ولك الأثلب وإنّك العازب الرأي أنْ منّتك نفسك وإنّك لأنت المنقود المثبور. وكتبت إليَّ بتعجيل برّي وصِلتي، فاحبس أيّها الإنسان برّك، فإنّي حابس عنك ودّي ونصرتي، ولَعمري ما تعطينا ممّا في يدك لنا إلاّ القليل، وتحبس منه الطويل العريض، لا أباً لك! أتراني أنسى قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطّلب ومصابيح الدجى ونجوم الهدى وأعلام التقى، وغادرتْهم خيولك بأمرك فأصبحوا مصرّعين في صعيد واحد، مزمّلين بالدماء مسلوبين بالعراء، لا مكفّنين ولا موسّدين، تسفي عليهم الرياح، وتغزوهم الذئاب وتنتابهم عوج الضباع حتّى أتاح الله لهم قوماً لَم يشركوا في دمائهم، فكفّنوهم وأجنّوهم، وبهم والله وبي من الله عليك العذاب.! ومهما أنسى من الأشياء فلستُ أنسى تسليطك عليهم الدعيّ بن الدعيّ الذي كان للعاهرة الفاجرة البعيد رحماً، اللئيم أباً وأُمّاً، الذي اكتسب أبوك في ادّعائه العار والمأثم والمذلّة والخزي في الدنيا والآخرة؛ لأنّ رسول الله قال: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر». وإنّ أباك يزعم أنّ الولد لغير الفراش، ولا يضير العاهر، ويلحق به ولده كما يلحق به الولد الرشيد. ولقد أمات أبوك السُنّة جهلاً، وأحيا الأحداث المضلّة عمداً.

ومهما أنسى من الأشياء، فلستُ أنسى تسييرك حسيناً من حرم رسول الله إلى حرم الله تعالى، وتسييرك إليه الرجال وإدساسك إليهم أنْ يقتلوه، فما زلت بذلك وكذلك حتّى أخرجته من مكّة إلى أرض الكوفة تزأر به خيلك وجنودك زئير الأسد عداوةً منك لله ولرسوله ولأهل بيته. ثمّ كتبتَ إلى ابن مرجانة أنْ يستقبله بالخيل والرجال والأسنّة والسّيوف، وكتبت إليه بمعاجلته وترك مطاولته حتّى قتلته ومَن معه من فتيان بني عبد المطّلب أهل البيت الذين أذهب الله عنهم

الرجس وطهّرهم تطهيراً، ونحن كذلك لا كآبائك الجفاة أكباد الحمير ولقد علمت أنّه كان أعزّ أهل البطحاء قديماً وأعزّه بها حديثاً، لَو ثوى بالحرمين مقاماً واستحلَّ بها قتلاً، ولكنّه كره أنْ يكون هو الذي يستحلّ به حرم الله وحرم الرسول وحرمة البيت الحرام، فطلب الموادعة وسألكم الرجعة فطلبتم قلّة أنصاره واستئصال أهل بيته كأنّكم تقتلون أهل بيت من الترك أو كابل.

وكيف تجدني على ودّك وتطلب نصري فقد قتلتَ بني أبي، وسيفك يقطر من دمي وأنت طلبة ثأري؟! فإنْ شاء الله لا يطل إليك دمي، ولا تسبقني بثأري وإنْ تسبقنا فقتلتنا ما قتلت به النبيون فطلب دمائهم في الدماء، وكان الموعد الله وكفى بالله للمظلومين ناصراً، ومن الظالمين منتقماً.

والعجب كلّ العجب ما عشت يريك الدهر عجباً، حملك بنات عبد المطّلب وأبناءهم أُغيلمةً صغاراً إليك بالشام! ترى أنّك قهرتنا وأنّك تذلّنا وبهم والله وبي مَنَّ الله عليك وعلى أبيك وأُمّك من السّباء.

وأيم الله إنّك لتصبح وتمسي آمناً

لجراح يدي وليعظمنَّ جرحك بلساني ونقضي وإبرامي، لا يستفزنَّك الجدل فلن يمهلك الله بعد قتْل عترة رسول الله إلاّ قليلاً حتّى يأخذك الله أخذاً عزيزاً ويخرجك من الدنيا آثماً مذموماً، فعش لا أباً لك ما شئت ولقد أرداك عند الله ما اقترفت[1].

---

(١) رتّبنا الكتاب من مجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي ٧ / ٢٥٠، وأنساب الأشراف للبلاذري ٤ / ١٨ الطبعة الأُولى، ومقتل الحسين للخوارزمي ٢ / ٧٧، وكامل ابن ←

السَبايا إلى الشام

وبعث ابن زياد رسولاً إلى يزيد يخبره بقتْل الحسين عليه السلام ومَن معه وأنّ عياله في الكوفة وينتظر أمره فيهم، فعاد الجواب بحملهم والرؤوس معهم(١).

وكتب رقعةً ربط فيها حجراً ورماه في السّجن المحبوس فيه آل محمّد صلى الله عليه وآله وفيها: خرج البريد إلى يزيد بأمركم في يوم كذا، ويعود في كذا، فإذا سمعتم التكبير فأوصلوا وإلاّ فهو الأمان.

ورجع البريد من الشام يخبر بأنْ يسرّح آل الحسين إلى الشام(٢).

فأمر ابن زياد زجر بن قيس وأبا بردة بن عوف الأزدي وطارق بن ظبيان في جماعة من الكوفة أنْ يحملوا رأس الحسين ورؤوس مَن قُتل معه إلى يزيد(٣).

↩

الأثير ٤ / ٥٠ (سنة ٦٤)، وعليه مروج الذهب للمسعودي.

(١) اللهوف / ٩٥ و٩٧.

(٢) الطبري ٦ / ٢٦٦، وفي صفحة ٩٦ ذكر: إنّ أبا بكرة أجّله بسر بن أرطاة أُسبوعاً على أنْ يذهب إلى معاوية، فرجع من الشام في اليوم السّابع.
وفي مثير الأحزان لابن نما / ٧٤: إنّ عميرة أرسله عبد الله بن عمر إلى يزيد ومعه كتاب إلى ابن زياد ليطلق سراح المختار الثقفي، فكتب يزيد بذلك إلى عبيد الله بن زياد، فجاء عميرة بالكتاب إلى الكوفة وقد قطع المسافة بين الشام والكوفة بأحد عشر يوماً.

(٣) الطبري ٦ / ٢٦٤، وابن الأثير ٤ / ٣٤، والبداية ٨ / ١٩١، والخوارزمي، وإرشاد المفيد، وإعلام الورى / ١٤٩، واللهوف / ٩٧.

وقيل ذهب برأس الحسين عليه السلام مجبر بن مرّة بن خالد بن قناب بن عمر بن قيس بن الحرث بن مالك بن عبيد الله بن خزيمة بن لؤي[١].

وسرّح في أثرهم علي بن الحسين مغلولة يدَيه إلى عنقه وعياله معه[٢] على حال تقشعّر منها الأبدان[٣].

وكان معهم شمر بن ذي الجوشن، ومجفر بن ثعلبة العائدي[٤]، وشبث بن ربعي، وعمرو بن الحَجّاج، وجماعة، وأمرهم أنْ يلحقوا الرؤوس ويشهّروهم في كلّ بلد يأتونها[٥] فجدّوا السّير حتّى لحقوا بهم في بعض المنازل[٦].

وحدّث ابن لهيعة: إنّه رأى رجلاً متعلّقاً بأستار الكعبة يستغيث بربّه، ثمّ

---

(١) الإصابة ٣ / ٤٨٩، بترجمة مرّة.

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٥٤، والخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٨.

(٣) تاريخ القرماني / ١٠٨.

وفي مرآة الجنان لليافعي ١ / ١٣٤: سيقت بنات الحسين بن علي ومعهم زين العابدين عليه السلام وهو مريض كما تساق الأُسارى (قاتل الله فاعل ذلك). وخالف ابن تيمية ضرورة التاريخ، فقال كما في المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي / ٢٨٨: سيّر ابن زياد حرم الحسين بعد قتله إلى المدينة.

(٤) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم / ١٦٥ قال: بنو عائدة منهم مجفر بن مرّة بن خالد بن عامر بن قبان بن عمرو بن قيس بن الحارث بن مالك بن عبيد بن خزيمة بن لؤي، وهو الذي حمل رأس الحسين بن علي رضي‌الله‌عنهما إلى الشام.

(٥) المنتخب للطريحي / ٣٣٩، الطبعة الثانية.

(٦) الإرشاد للمفيد.

يقول: ولا أراك فاعلاً. فأخذتُه ناحيةً وقلت: إنّك لمجنون فإنّ الله غفور رحيم، ولَو كانت ذنوبك عدد القطر لغفرها لك. قال لي: اعلم كنتُ ممَّن سار برأس الحسين إلى الشام، فإذا أمسينا وضعنا الرأس وشربنا حوله، وفي ليلة كنت أحرسه، وأصحابي رقود، فرأيت برقاً وخلقاً أطافوا بالرأس، ففزعت وأُدهشت ولزمت السّكوت، فسمعتُ بكاءاً وعويلاً وقائلاً يقول: يا محمّد إنّ الله أمرني أنْ أُطيعك، فلَو أمرتني أنْ أُزلزل بهؤلاء الأرض كما فعلت بقوم لوط، فقال له صلى الله عليه وآله: «يا جبرئيل، إنّ لي موقفاً معهم يوم القيامة بين يدَي ربّي سبحانه».

فصحت: يا رسول الله الأمان! فقال لي: «**اذهب فلا غفر الله لك**». فهل ترى الله يغفر لي؟[1].

وفي بعض المنازل وضعوا الرأس المطهّر فلم يشعر القوم إلاّ وقد ظهر قلم حديد من الحائط وكتب بالدم[2].

---

(١) اللهوف / ٩٨.

(٢) مجمع الزوائد لابن حجر ٩ / ١٩٩، والخصائص للسيوطي ٢ / ١٢٧، وتاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٤٢، والصواعق المحرقة / ١١٦، والكواكب الدريّة ١ / ٥٧، والاتحاف بحبّ الأشراف / ٢٣. ونسبه ابن طاووس في اللهوف / ٩٨ إلى تاريخ بغداد لابن النّجار. وفي تاريخ القرماني / ١٠٨: وصلوا إلى دَير في الطريق، فنزلوا فيه ليقيلوا به، فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانه هذا البيت. وفي الخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٥: كتب هذا قديماً ولا يدرى قائله. وفي مثير الأحزان لابن نما / ٥٣: حفروا في بلاد الروم حفراً قبل أن يبعث النّبي صلى الله عليه وآله بثلاثمئة سنة فأصابوا حجراً مكتوب عليه بالمسند هذا البيت، والمسند كلام أولاد شيث.

أترجـــو أُمّـــة قتلـــت حســـيناً شـــفاعةَ جَـــدّه يـــومَ الحســـاب؟

فلم يعتبروا بهذه الآية، وأرداهم العمى إلى مهوىً سحيق، ونِعم الحكم الله تعالى.

وقبل أنْ يصلوا الموضع بفرسخ، وضعوا الرأس على صخرة هناك، فسقطت منه قطرة دم على الصخرة، فكانت تغلي كلّ سنة يوم عاشوراء، ويجتمع النّاس هناك من الأطراف فيقيمون المأتم على الحسين عليه السلام ويكثر العويل حولها، وبقي هذا إلى أيّام عبد الملك بن مروان، فأمر بنقل الحجر فلم يُرَ له أثر بعد ذلك، ولكنّهم بنوا في محلّ الحجر قبّة سموها النّقطة[1].

وكان بالقرب من حماة في بساتينها مسجد يقال له مسجد الحسين عليه السلام، ويحدّث القَومة: أنّ الحجر والأثر والدم موضع رأس الحسين عليه السلام حين ساروا به إلى دمشق[2].

---

(١) نفَس المهموم / ٢٢٨، للشيخ الجليل الشيخ عبّاس القمي.
وفي نهر الذهب في تاريخ حلب ٣ / ٢٣: لمّا جيء برأس الحسين عليه السلام مع السّبايا ووصلوا إلى هذا الجبل غربي حلب، قطرت من الرأس الشريف قطرة دم، وعُمّر على أثرها مشهد عرف (بمشهد النقطة). وفيه ٣ / ٢٨٠، نقل من تاريخ يحيى بن أبي طي من عمْر هذا المشهد وتوالي العمارات عليه.
وفي كتاب الإرشارات إلى معرفة الزيارات تأليف أبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفّى (سنة ٦١١ هـ) / ٦٦: في مدينة نصيبين مشهد النّقطة يقال أنّه من دم رأس الحسين عليه السلام. وفي سوق النشابين مشهد الرأس فإنّه علّق هناك لمّا عبروا بالسّبي إلى الشام.
(٢) قال الشيخ المحدّث الجليل الشيخ عبّاس القمي، في نفس المهموم شاهدت هذا الحجر ←

وبالقرب من حلب مشهد يعرف بـ (مسقط السّقط) [١] وذلك أنّ حرم الرسول صلى الله عليه وآله لما وصلوا إلى هذا المكان، أسقطت زوجة الحسين عليه السلام سقطاً كان يُسمى (محسناً) [٢].

وفي بعض المنازل نصبوا الرأس على رمح إلى جنب صومعة راهب، وفي أثناء الليل سمع الراهب تسبيحاً وتهليلاً، ورأى نوراً ساطعاً من الرأس المطهّر وسمع قائلاً يقول: السّلام عليك يا أبا عبد الله. فتعجّب حيث لَم يعرف الحال. وعند الصباح استخبر من القوم، قالو: إنّه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب وأُمّه فاطمة بن محمّد النّبي صلى الله عليه وآله فقال لهم: تبّاً لكم أيّتها الجماعة، صدقت الأخبار في

عند سفري إلى الحج، وسمعت الخدم يتحدثون بذلك.

(١) في معجم البلدان ٣ / ١٧٣، وخريدة العجائب / ١٢٨: يُسمّى مشهد الطرح.
وفي نهر الذهب ٢ / ٢٧٨: سمّي مشهد الدكّة، ومشهد الطرح، يقع غربي حلب.
وحكى عن تاريخ ابن أبي طي إنّ مشهد الطرح ظهرت عمارته (سنة ٣٥١ هـ) بأمر من سيف الدولة.
وذكر بعضهم: إنّ إحدى نساء الحسين عليه السلام أسقطت هنا لّما جيء بسبي عيال الحسين عليه السلام والرؤوس وكان هنا معدن، وأهله لّما فرحوا بالسّبي دعت عليهم زينب عليها السلام ففسد ذلك المعدن، فعمّره سيف الدولة، ثمّ ذكر توالي العمارات عليه.

(٢) في معجم البلدان ٣ / ١٧٣، بمادة جوشن، وخريدة العجائب لابن الوردي / ١٢٨، عند ذكر جبل جوشن: إنّ بعض سبي الحسين عليه السلام طلب ممّن يقطن هناك من الصنّاع خبزاً وماءً، فامتنع فدعا عليهم؛ ومن ذلك لا يربح أهل ذلك الموضع.

قولها (إذا قُتل تمطر السّماء دماً). وأراد منهم أنْ يقبّل الرأس فلَم يجيبوه إلاّ بعد أن دفع إليهم دراهم، ثمّ أظهر الشهادتين وأسلم ببركة المذبوح دون الدعوة الإلهيّة، ولمّا ارتحلوا عن هذا المكان نظروا إلى الدراهم وإذا مكتوب عليها: وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون[١].

أيُهدى إلى الشامات رأس ابن فاطم ... ويقرعه بالخيزرانة كاشحه

وتُسبى كريمات النبيّ حواسراً ... تغادي الجوى من ثكلها وتراوحه

يلوح لها رأس الحسين على القنا ... فتبكى وينهاها عن الصبر لائحه

وشيبته مخضوبة بدمائه ... يلاعبها غادي النسيم ورائحه[٢]

في الشام

ولما قربوا من دمشق، أرسلت أُمّ كلثوم إلى الشمر تسأله أنْ يدخلهم في درب قليل النظّار، ويخرجوا الرؤوس من بين المحامل؛ لكي يشتغل النّاس بالنّظر إلى

الرؤوس فسلك بهم على حالة تقشعّر من ذكرها الأبدان وترتعد لها فرائص كلّ إنسان. وأمر أنْ يُسلك بهم بين النظّار، وأنْ يجعلوا الرؤوس وسط المحامل[٣].

---

(١) تذكرة الخواص / ١٥٠.

(٢) للعلامة الشيخ عبد الحسين الأعسم النجفي رحمه الله.

(٣) اللهوف / ٩٩، ومثير الأحزان لابن نما / ٥٣، ومقتل العوالم / ١٤٥.

وفي أول يوم من صفر دخلوا دمشق[١] فأوقفوهم على (باب السّاعات)[٢] وقد خرج النّاس بالدفوف والبوقات، وهم في فرح وسرور، ودنا رجل من سكينة وقال: من أيّ السّبايا أنتم؟ قالت: نحن سبايا آل محمّد صلى الله عليه وآله[٣].

وكان يزيد جالساً في منظره على جيرون، ولما رأى السّبايا والرؤوس على أطراف الرماح، وقد أشرفوا على ثنية جيرون، نعب غراب، فأنشأ يزيد يقول:

لـمّا بـدت تلـك الحمـول وأشرقـت تلـك الـرؤوس عـلى شـفا جـيرون[٤]

---

(١) نصّ عليه كامل البهائي، والآثار الباقية للبيروني / ٣٣١ طبعة الأُفست، والمصباح للكفعمي / ٢٦٩، وتقويم المحسنين للفيض / ١٥، وبناءً على ما في تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٦، من حبسهم في السّجن إلى أنْ يأتي البريد من الشام يخبرهم ببعد وصولهم إلى الشام في أول صفر فإنّ المسافة بعيدة تستدعي زمناً طويلاً، اللهمّ إلاّ أنْ يكون البريد من طريق الطير.

(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٦١ روى: إنّهم أُدخلوا مدينة دمشق من باب (توما)، وهذا الباب كما في ثمار المقاصد / ١٠٩: أحد أبواب مدينة دمشق القديمة. ويحدّث أبو عبد الله محمّد بن علي بن ابراهيم المعروف بابن شدّاد المتوفّى (سنة ٦٨٤ هـ) في أعلاق الخطيرة ٢ / ٧٢ قال: إنّما سمّي بباب السّاعات؛ لأنّه عمل هناك بنظام السّاعات، يعلم بها كلّ ساعة تمضي من النّهار عليها عصافير من نحاس وغراب وحيّة من نحاس، فإذا أتمّت السّاعة خرجت الحيّة فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطشت

(٣) أمالي الصدوق / ١٠٠ المجلس الواحد والثلاثون، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٦٠.

(٤) في صورة الأرض لابن حوقل / ١٦١ طبعة الأُفست في دمشق: ليس في الإسلام أحسن منه، كان مصلّى الصابئين ثمّ صار لليونان يعظّمون فيه دينهم، ثمّ صار لليهود، وملوك عبدة الأصنام، وباب هذا المسجد يُسمّى باب جيرون، صُلب على هذا الباب رأس يحيى بن زكريا وصلب على جيرون رأس الحسين بن علي عليه السلام في الموضع الذي صُلب فيه ←

نـعب الغـراب فقلـتُ قـل أو لا تقـل فـقد أقتضـيت مـن الرسـول ديـوني

ومن هنا حكم ابن الجوزي والقاضي أبو يعلى والتفتازاني والجلال السّيوطي بكفره ولعنه(١).

ودنا سهل بن سعد السّاعدي من سكينة بنت الحسين عليها السلام وقال: ألك حاجة؟ فأمرته أنْ يدفع لحامل الرأس شيئاً فيبعده عن النّساء ليشتغل النّاس بالنّظر إليه، ففعل سهل(٢).

ودنا شيخ من السّجاد عليه السلام وقال له: الحمد الله الذي أهلككم وأمكن الأمير منكم. ها هنا أفاض الإمام من لطفه على هذا المسكين المغترّ بتلك التمويهات لتقريبه من الحقّ وإرشاده إلى السّبيل، وهكذا أهل البيت عليهم السلام تشرق أنوارهم على مَن يعلمون صفاء قلبه وطهارة طينته واستعداده للهداية. فقال عليه السلام له: «يا

رأس يحيى بن زكريا. ولمّا كان أيّام الوليد بن عبد الملك جعل وجه جدرانه رخاماً...، ويظهر إنّ هذا المسجد هو الجامع الأُموي.

(١) روح المعاني للآلوسي ٢٦ / ٧٣، آية ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ قال الآلوسي: أراد بقوله: (فقد اقتضيت من الرسول ديون) أنّه قتل بما قتله رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، كجدّه عتبة وخاله وغيرهما، وهذا كفر صريح، ومثله تمثله بقول ابن الزبعري قبل إسلامه (ليت أشياخي...) الأبيات.

(٢) مقتل العوالم / ١٤٥.

شيخ أقرأت القرآن؟» قال:

بلى، قال عليه السلام: «أقرأت ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١)؟ وقرأت قوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ (٢)؟

وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ (٣)؟» قال الشيخ: نعم، قرأت ذلك. فقال عليه السلام: «**نحن والله القربى في هذه الآيات**».

ثمّ قال له الإمام: «أقرأت قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٤)؟»

قال: بلى. فقال عليه السلام: «**نحن أهل البيت الذين خصّهم الله بالتطهير**». قال الشيخ: بالله عليك أنتم هم؟ فقال عليه السلام: «**وحقّ جدّنا رسول الله إنّا لنحن هم، من غير شكّ**».

فوقع الشيخ على قدمَيه يقبّلهما ويقول: أبرأ إلى الله ممَّن قتلكم. وتاب على يد الإمام ممّا فرّط في القول معه. وبلغ يزيد فعل الشيخ وقوله، فأمر بقتله(٥).

---

(١) سورة الشورى / ٢٣.

(٢) سورة الإسراء / ٢٦.

(٣) سورة الأنفال / ٤١.

(٤) سورة الأحزاب / ٣٣.

(٥) اللهوف / ١٠٠.

وفي تفسير ابن كثير ٤ / ١١٢، وروح المعاني للآلوسي ٢٥ / ٣١، ومقتل الخوارزمي ٢ /

←

بأيـــةّ آيـــة يأتـــى يزيـــد غـــداة صـــحائف الأعـــمال تُـــتلى

وقـــام رســـول ربّ الـــعرش يتلـــو وقـــد صـــمَّت جميـــع الخلـــق قـــل لا[1]

وقبل أنْ يدخلوهم إلى مجلس يزيد، أتوهم بحبال فربقوهم بها، فكان الحبل في عنق زين العابدين عليه السلام إلى زينب أُمّ كلثوم وباقي بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وكلّما قصروا عن المشي ضربوهم حتّى أوقفوهم بين يدَي يزيد، وهو على سريره، فقال علي بن الحسين عليه السلام:

«**ما ظنّك برسول الله لَو يرانا على هذا الحال؟**» فبكى الحاضرون، وأمر يزيد بالحبال فقُطعت[2].

وأُقيموا على درج باب الجامع حيث يقام السّبي، ووُضع الرأس المقدّس بين يدَي يزيد، وجعل ينظر إليهم ويقول:

صـــبرنا وكـــان الصـــبر منّـــا عزيمـــةً وأســـيافنا يقطعـــنَ هامـــاً ومعصـــما

نُـــفلّق هـــامـاً مـــن رجـــال أعـــزّة علينـــا وهـــم كـــانوا أعـــقَّ وأظلـــما[3]

٦١: إنّ السّجاد عليه السلام قرأ على الشيخ آية المودّة فأذعن له.

(١) روح المعاني للآلوسي ٢٥ / ٣١، إنّهما للسيّد عمر الهيثمي (أحد أقاربه المعاصرين) وقد استجودهما الآلوسي.

(٢) الأنوار النّعمانيّة / ٣٤١، واللهوف / ١٠١، وتذكرة الخواص / ٤٩.

(٣) مرآة الجنان لليافعي ١ / ١٣٥.

ثمّ التفت إلى النّعمان بن بشير وقال: الحمد لله الذي قتله. فقال النّعمان: قد كان أمير المؤمنين معاوية يكره قتله. فقال يزيد: قد كان ذلك قبل أنْ يخرج، ولو خرج على أمير المؤمنين لقتله[1].

فليت السّما حقاً على الأرض أُطبقَتْ وطاف عن الدنيا الفناء أو النشر

بنات عليٍّ وهي خير حرائر يباح بأيدى الأدعياء لها ستر

↩

وفي كامل ابن الأثير ٤ / ٣٥، وعليه مروج الذهب: لما أُدخل الرأس عليه، جعل ينكته بقضيب ويتمثّل بقول الحصين بن حمام.

أبى قومنا أن ينصفونا فانصفت قواضب في أيماننا تقطر الدما

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

وفي العقد الفريد ٢ / ٣١٣، في خلافة يزيد قال: لمّا وُضع الرأس بين يدَيه تمثّل يزيد بقول الحصين بن الحمام المزني وذكر البيت الثاني، واقتصر ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ١٩٨ على البيت الثاني، واقتصر الخوارزمي في المقتل ٢ / ٦١ على وقوفهم على درج باب الجامع، وهذان البيتان للحصين بن الحمام ذكرهما في المؤتلف والمختلف للآمدي / ٩١، قال: إنّ الحصين بن حمام بن ربيعة (إلى آخر نسبه) قال من قصيدة طويلة وذكر ثلاثة أبيات فيها البيتان.

وفي الشعر والشعراء / ١٥١، ذكر ثلاثة أبيات فيها البيت الثاني.

وفي الأشباه والنظائر / ٤ من أشعار المتقدّمين والجاهلين للخالديين اقتصر على البيت الثاني.

وفي الأغاني ١٢ / ١٢٠، طبعة ساسي ذكر ثلاثة عشر بيتاً فيها البيتان.

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ٥٩.

سـبايا عـلى عَجْـف المطايـا حـواسراً ... يـودّعها مـصر ويـرقبها مـصر

فـإنْ دمـعت مـنهنَّ عـين وقصَّـرت ... عـن الـمشي إعـياء مخـدرة طهـر

أهـابِ بـها شـمر الخنـا بقسـاوة ... وآمـلها فـي سـوطه نقمـة زجـر

ولـيس لـديها كـافل غـير مـدنف ... أضرَّت بـه البلـوى وقـد مسَّـه الضرـ

عليـل يعـانى القيـد والغـلَّ فى السرـى ... ويـبدو عـلى سـيمائه الـذلّ والاسر

سـروا فـيه مـغلول اليـدين مقيَّـدا ... إلى بطـن حـرف لم يوطَّـأ لهـا ظهـر

وقـد أكـل الـلحم الـحديد بجيـده ... واثَّـر حتّـى فـاض فى دمـه النحـر

يـلاحظ أطـفالاً تـصيح ونـسوة ... تـعجُّ واكـباداً يـطير بهـا الـذعر

ورأس أبـيه وهـو سـبط محمـد ... أمـامَ الـسبايا تـستطيل بـه السـمر

وقـد أدخـلوه الـشام لا مرحبـاً بـه ... وأفـراحه تـطغى بعيـدٍ هـو النـصر

الـى مـجلس فيـه ابـن هنـد بنصرـه ... قـرير ومـروان يـطير بـه البـشر

ورأس أبيـه السّبط فى طسـت عسـجد ... أمـام دعـيٍّ غـرَّه الزهـو والكـبر

وقد كان يخفى الكفر لكن بذكره لا شياخه فى بدر قد ظهر الكفر[١]

يزيد مع السجاد

والتفت يزيد إلى السّجاد عليه السلام وقال: كيف رأيت صنع الله يا علي بأبيك الحسين؟ قال: «رأيت ما قضاه الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق السّموات والأرض». وشاور يزيد من كان حاضراً عنده في أمره، فأشاروا عليه بقتله. فقال زين العابدين عليه السلام: «يا يزيد، لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار به جلساء فرعون عليه حين شاورهم في موسى وهارون فإنّهم قالوا له: ﴿أَرْجِهِ وَأَخَاهُ﴾ ولا يقتل الأدعياء أولاد الأنبياء وأبناءهم». فأمسك يزيد مطرقاً[٢].

وممّا دار بينهما من الكلام أنْ قال يزيد لعلي بن الحسين عليه السلام: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [٣]، قال علي بن الحسين عليه السلام: «ما هذه فينا نزلت، إنّما نزل فينا ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [٤][١] فنحن لا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما آتانا»[٢] فأنشد يزيد قول

---

(١) من قصيدة للعلامة الشيخ عبد المنعم الفرطوسي.

(٢) اثبات الوصية صفحة ١٤٣ ط نجف.

(٣) سورة الشورى / ٣٠.

(٤) العقد الفريد ٢ / ٣١٣، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٦٧.

الفضل بن العبّاس بن عتبة:

مهلاً بني عمَّنا مهلاً موالينا

لا تنبشوا بيننا ما كان مدفوناً[٣]

ثمّ استأذنه عليه السلام في أنْ يتكلّم، فقال يزيد: نعم على أنْ لا تقل هجراً. قال عليه السلام: لقد «**وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أنْ يقول الهجر، ما ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله لَو يراني على هذه الحال؟**» فأمر يزيد بأن يفكّ الغل منه[٤].

وأمر يزيد الخطيب أن يثني على معاوية وينال من الحسين وآله، فأكثر الخطيب من الوقيعة في علي والحسين عليهما السلام فصاح به السّجاد عليه السلام: «**لقد اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك من النّار**»[٥]:

---

(١) سورة الحديد / ٢٢ - ٢٣.

(٢) العقد الفريد ٢ / ٣١٣، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٦٧، تفسير علي بن إبراهيم / ٦٠٣، في الشورى.

(٣) المحاضرات للراغب الاصفهاني ١ / ٧٧٥، باب مَن يبجح بمعادات ذويه، وهذا البيت من أبيات خمسة للفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب ذكرها أبو تمام في الحماسة راجع (شرح التبريزي ١ / ٢٢٣).

(٤) مثير الأحزان لابن نما / ٥٤، وغيره.

(٥) نفَس المهموم / ٢٤٢.

أعـــلى المنـــابر تعلنـــون بســـبّه وبســـيفه نُصِـــبَتْ لكـــم أعوادهـــا

وقال ليزيد: «**أتأذن لي أن أرقى هذه الأعواد، فأتكلّم بكلام الله تعالى رضىً ولهؤلاء أجر وثواب؟**» فأبى يزيد، وألحّ النّاس عليه فلَم يقبل، فقال ابنه معاوية: إئذن له، ما قدر أنْ يأتي به؟ فقال يزيد: إنّ هؤلاء ورثوا العلم والفصاحة[1] وزقّوا العلم زقّا[2]. وما زالوا به حتّى أذِن له.

فقال عليه السلام: «الحمد لله الذي لا بداية له، والدائم الذي لا نفاد له، والأول الذي لا أوليّة له، والآخر الذي لا آخريّة له، والباقي بعد فناء الخلق، قدّر الليالي والأيّام، وقسّم فيما بينهم الأقسام، فتبارك الله الملك العلاّم، إلى أنْ قال: أيّها النّاس أُعطينا ستّاً وفضّلنا بسبع، أُعطينا؛ العلم والحلم والسّماحة والفصاحة والشجاعة والمحبّة في قلوب المؤمنين، وفُضلنا؛ بأنَّ منّا النّبي والصدّيق والطيّار وأسد الله وأسد رسوله وسبطا هذه الأُمّة. أيّها النّاس مَن عرفني فقد

عرفني، ومَن لَم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيّها النّاس أنا ابن مكّة ومِنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن مَن حمل الركن بأطراف الردا، أنا ابن خير مَن ائتزر وارتدى وخير مَن طاف وسعى، وحجّ ولبّى، أنا ابن مَن حُمِل على البراق وبلغ به جبرئيل سدرة المنتهى، فكان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن مَن صلّى بملائكة السّماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن مَن ضرب بين

---

(١) كامل البهائي.

(٢) رياض الأحزان / ١٤٨.

يدَي رسول الله ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيّين، ويعسوب المسلمين ونور المجاهدين وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ومفرّق الأحزاب، أربطهم جأشاً، وأمضاهم عزيمةً ذاك أبو السّبطين الحسن والحسين، علي بن أبي طالب. أنا ابن فاطمة الزهراء، وسيّدة النّساء، وابن خديجة الكبرى. أنا ابن المرمّل بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلاء، أنا ابن مَن بكى عليه الجنّ في الظلماء، وناحت الطير في الهواء». فلمّا بلغ إلى هذا الموضع، ضجّ النّاس بالبكاء، وخشي يزيد الفتنة، فأمر المؤذّن أن يُؤذِّن للصلاة.

فقال المؤذِّن: الله أكبر. قال الإمام عليه السلام: «**الله أكبر وأجلّ وأعلى وأكرم ممّا أخاف وأحذر**». فلمّا قال المؤذِّن: أشهد أنْ لا إله إلاّ الله، قال عليه السلام: «**نعم، أشهد مع كلّ شاهد أنْ لا إله غيره ولا ربّ سواه**». فلمّا قال المؤذِّن: أشهد أنّ محمّداً رسول الله قال الإمام عليه السلام للمؤذِّن: «أسألك بحقّ محمّد أنْ تسكت حتّى أُكلّم هذا، والتفت إلى يزيد وقال: هذا الرسول العزيز الكريم جدّك أم جدّي؟ فإنْ قلتَ جدّك علم الحاضرون والنّاس كلّهم إنّك كاذب، وإنْ قلتَ جدّي فلِمَ قتلتَ أبي ظلماً وعدواناً وانتهبت ماله وسبَيت نساءه، فويلٌ لك يوم القيامة إذا كان جدّي خصمك».

فصاح يزيد بالمؤذِّن: أقم للصلاة. فوقع بين النّاس همهمة وصلّى بعضهم، وتفرّق الآخر[1].

---

(١) نفَس المفهوم / ٢٤٢، والخطبة طويلة في مقتل الخوارزمي ٢ / ٦٩.

الرأس الأطهر

ودعا يزيد برأس الحسين عليه السلام ووضعه أمامه في طست من ذهب[١]، وكان النّساء خلفه، فقامت سكينة وفاطمة يتطاولان للنّظر إليه، ويزيد يستره عنهما، فلمّا رأينه صرخن بالبكاء[٢].

ثمّ أذِن للنّاس أنْ يدخلوا[٣]. وأخذ يزيد القضيب وجعل ينكت ثغر الحسين[٤] ويقول:

---

(١) مرآة الجنان لليافعي ١ / ١٣٥.

(٢) كامل ابن الأثير ٤ / ٣٥، ومجمع الزوائد ٩ / ١٩٥، والفصول المهمّة لابن الصباغ / ٢٠٥.

(٣) كامل ابن الأثير ٤ / ٣٥.

(٤) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٧، وكامل ابن الأثير ٤ / ٣٥، وتذكرة الخواص / ١٤٨، والصواعق المحرقة / ١١٦، والفروع لابن مفلح الحنبلي في فقه الحنابلة ٣ / ٥٤٩، ومجمع الزوائد لابن حجر ٩ / ١٩٥، والفصول المهمّة لابن الصباغ / ٢٠٥، والخطط المقريزية ٣ / ٢٨٩، والبداية لابن كثير ٨ / ١٩٢، وشرح مقامات الحريري للشريشي ١ / ١٩٣، آخر المقامة العاشرة، وأيّام العرب في الإسلام / ٤٣٥، تأليف محمّد أبي الفضل وعلي محمّد البجاوي و مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٥.

وفي الاتحاف بحبّ الأشراف / ٢٣: صار يزيد يضرب ثناياه بالقضيب. وكذ في الآثار الباقية للبيروني / ٣٣١، طبعة الأُوفست: (والنكت) كما في صحاح الجوهري: الضرب.

وفي المغرب للمطرزي ٢ / ٢٢٧: نكتت خدّها بإصابعها: أي نقرته وضربته.

وفي مقاييس اللغة لابن فارس ٥ / ٤٧٥: نكت في الأرض بقضيبه، ينكت: إذا أثّر فيها.

يوم بيوم بدر[١]. وأنشد قول الحصين بن الحمام:

أبى قومنا أنْ ينصفونا فأنصفت ... قواضب في أيماننا تقطر الدما

نُفلِّق هاماً من رجال أعزَّة ... علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما[٢]

فقال يحيى بن الحكم بن أبي العاص، أخو مروان، وكان جالساً عنده:

لَهام بجنب الطفِّ أدنى قرابة من ابن ... زياد العبد ذي الحسب والوغل

سميّة أمسى نسلها عدد الحصى ... وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضربه يزيد على صدره وقال: اسكت لا أُمّ لك[٣].

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٦.

(٢) كامل ابن الأثير ٤ / ٣٥، والفصول المهمّة لابن الصباغ / ٢٠٥: والبيت الأول عند اليافعي في مرآة الجنان ١ / ١٣٥.

صبرنا فكان الصبر منّا عزيمةً ... وأسيافنا يقطعن كفّا ومعصما

ورواه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص / ١٤٨، مع تغيير في بعض ألفاظه.

وجماعة من المؤرخين اقتصروا على البيت الثاني، منهم الشريشي في شرح مقامات الحريري ١ / ١٩٣، والأندلسي في العقد الفريد ٢ / ٣١٣ وابن كثير في البداية ٨ / ١٩٧، والشيخ المفيد في الإرشاد، وابن جرير الطبري في التاريخ ٦ ص٢٦٧، وقال: البيت للحصين بن الحمام المري..

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٥، وكامل ابن الأثير ٤ / ٣٧. وعجز البيت الثاني في مجمع الزوائد لابن حجر ٩ / ١٩٨، و مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٦: (وبنت رسول الله ليس لها نسل) وفي البداية لابن كثير ٨ / ١٩٣: كان الحصين ينشد وذكر البيت الثاني موافقاً لمجمع الزوائد.

وقال أبو برزة الأسلمي: أشهد لقد رأيت النّبي يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليه السلام ويقول: «أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة، قَتل الله قاتلكما، ولعنه وأعدّ له جهنّم وساءت مصيراً». فغضب يزيد منه وأمر به فأُخرج سحباً[١].

والتفت رسول قيصر إلى يزيد وقال: إنّ عندنا في بعض الجزائر حافر حمار عيسى، ونحن نحجّ إليه في كلّ عام من الأقطار ونهدي إليه النّذور ونعظّمه كما تعظّمون كتبكم، فأشهد إنّكم على باطل[٢]. فأغضب يزيد هذا القول وأمر بقتله، فقام إلى الرأس وقبّله، وتشهّد الشهادتين، وعند قتله سمع أهل المجلس من الرأس الشريف صوتاً عالياً فصيحاً «لا حول ولا قوّة إلاّ بالله»[٣].

وفي مثير الأحزان لابن نما / ٥٤: روى أنّ الحسن بن الحسن - وهو المثنّى - لمّا رأى يزيد يضرب رأس الحسين عليه السلام بالقضيب قال واذلاّه!

سميّة أمسى نسلها عدد الحصى ... وبنت رسول الله ليس لها نسل

وفي تذكرة الخواص / ١٤٩: لمّا بلغ الحسن البصري فعلة يزيد بالرأس، تمثّل بالبيت الثاني.

وفي الأغاني ١٢ / ٧١: نسبهما إلى عبد الرحمن بن الحكم مع بيت ثالث.

وفي مقتل الخوارزمي ٢ / ٥٦: نسبهما إلى عبد الرحمن ابن الحكم أخي مروان.

(١) اللهوف / ١٠٢، واختصر الحديث في الفصول المهمّة / ٢٠٥، وتاريخ الطبري ٦ / ٢٦٧، و مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢٦.

(٢) الصواعق المحرقة / ١١٩.

(٣) مقتل العوالم / ١٥١، ومثير الأحزان لابن نما.

وفي مقتل الخوارزمي ٢ / ٧٢، ذكر محاورة النّصراني مع يزيد وقتْله ولَم يذكر كلام

ثمّ أُخرج الرأس من المجلس وصُلب على باب القصر ثلاثة أيّام[١]، فلمّا رأت هند بنت عمرو بن سهيل، زوجة يزيد، الرأس على باب دارها[٢] والنّور الإلهي يسطع منه ودمه طري لَمْ يجفّ ويُشمّ منه رائحةً طيّبةً[٣] دخلت المجلس مهتوكة الحجاب وهي تقول: رأس ابن بنت رسول الله على باب دارنا؟! فقام إليها

يزيد وغطّاها وقال لها: اعولي عليه يا هند، فإنّه صريخة بني هاشم عجّل عليه ابن زياد[٤].

وأمر يزيد بالرؤوس أنْ تُصلب على أبواب البلد والجامع الأُموي، ففعلوا بها ذلك[٥].

وفرح مروان بقتل الحسين عليه السلام فقال:

ضربت دوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد مُلكٍ فاستقر

ثمّ جعل ينكت بالقضيب في وجهه ويقول:

الرأس الأطهر.

(١) الخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٩، والاتحاف بحبّ الأشراف / ٢٣، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٧٥، والبداية لابن كثير ٨ / ٢٠٤، وسِيَر أعلام النّبلاء ٣ / ٢١٦.

(٢) مقتل العوالم / ١٥١، وتقدّم في المقدّمة من هذا الكتاب تعريف أبيها وعند مَن كانت.

(٣) الخطط المقريزيّة ٢ / ٢٨٤.

(٤) المقتل للخوارزمي ٢ / ٧٤.

(٥) نفَس المهموم ص ٢٤٧.

يـــا حبّـــذا بـــردك في اليـــدَين ولونـــك الأحمـــر في الخـــدَّين

كـأنَّـــه بـــات بـــعسجدين شـفيت منـك الـنّفس يـا حسـين[1]

---

(١) رياض الاحزان ص ٥٩ ومثير الاحزان لابن نما ص ٥ واقتصر سبط ابن الجوزي على البيت الاول ويروي ابن ابي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٣٦١ مصر ان مروان كان امير المدينة فلمّا وصل اليه الرأس قال:

يـــا حبّـــذا بـــردك في اليـــدَين وحمـــرة تجـــري علـــى خـــدين

كأنما بات بعسجدين

ثم رمى بالرأس نحو القبر وقال يا محمد يوم بيوم بدر والخبر مشهور والصحيح ان مروان لم يكن امير المدينة. وفي اقرب الموارد مادة (برد) البرد حب الغمام ويستعمل للاسنان الشديدة البياض، وفي آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج ١ ص ٢٨٢ من شعر يزيد بن الطثرية قوله:

بنفســـي مـــن لـــو مـــر بنانـــه على كبـدي كانـت شـفاء أناملـه

والبرد كما في تاج العروس ج ٢ ص ٢٩٨ السكون والفتور فكأنه أراد أن يكون قتله واسكاته عن الحركة بيده وانه الذي يضرج خديه بحمرة الدم، واستبعاد حضور مروان في الشام حينذاك يرده نص ابن جرير الطبري في التاريخ ج ٦ ص ٢٦٧ وابن كثير في البداية ج ٨ ص ١٩٦ كان مروان بن الحكم يسأل الجماعة الذين وردوا الشام مع العيال عما فعلوه بالحسين عليه السلام.

(٤) تاريخ الطبري ج ٦، والبداية لابن كثير ٨ / ١٩٤، وأمالي الشيخ الصدوق ص ١٠٠ المجلس الواحد والثلاثون. ويروي ابن نما في مثير الأحزان ص ٥٤، والخوارزمي في المقتل ٢ / ٦٢: إنّها فاطمة بنت الحسين عليه السلام..

الشامي مع فاطمة

قال الرواة: نظر رجال شامي إلى فاطمة بنت علي[١] فطلب من يزيد أنْ يهبها له لتخدمه، ففزعت ابنة أمير المؤمنين وتعلّقت بأُختها العقيلة زينب وقالت: كيف

أخدم؟ قالت العقيلة لا عليكِ إنّه لَن يكون أبداً. فقال يزيد: لَو أردتُ لفعلتُ. فقالت له: إلاّ أنْ تخرج عن ديننا. فردّ عليها: إنّما خرج عن الدِّين أبوكِ وأخوكِ. قالت زينب: بدين الله ودين جدّي وأبي وأخي اهتديت أنت وأبوك إنْ كنت مسلماً. قال: كذبتِ يا عدوّة الله. فرقّت عليها السلام وقالت: أنت أمير مسلّط تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك[٢]. وعاود الشامي الطلب، فزبره يزيد ونهره وقال له: وهب الله لك حتفاً قاضياً[٣].

خطبة زينب عليها السلام

قال ابن نما وابن طاووس[٤]: لمّا سمعت زينب بنت علي عليها السلام[١] يزيد يتمثّل

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦، والبداية لابن كثير ٨ / ١٩٤، وأمالي الشيخ الصدوق ص ١٠٠ المجلس الواحد والثلاثون. ويروي ابن نما في مثير الأحزان ص ٥٤، والخوارزمي في المقتل ٢ / ٦٢: إنّها فاطمة بنت الحسين عليه السلام.

(٢) ابن الاثير ٤ / ٣٥.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٥.

(٤) ذُكرت هذه الخطبة في (بلاغات النّساء / ٢١ طبعة النّجف)، ومقتل الخوارزمي ٢ /

بأبيات ابن الزبعري[٢].

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً	ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلناه ببدرٍ فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحى نزل
لستُ من خندف إنْ لَمْ أنتقم	من بنى أحمد ما كان فعل

قالت عليها السلام: الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله

٦٤.

(١) عرفها الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام: أنّ أُمّها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) هذه الأبيات نسبها السيّد ابن طاووس في اللهوف / ١٠٢ طبعة صيدا: إلى ابن الزبعري وليست كلّها له، فإنّ الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ٢ / ٦٦، وابن أبي الحديد في شرح النّهج ٣ / ٣٨٣ الطبعة المصرية الأُولى، وابن هشام في السّيرة في واقعة أُحد: ذكروا ستّة عشر بيتاً وليس فيها ممّا ذكره ابن طاووس إلاّ الأول والثالث، وكان عجز الثالث في روايتهم (وعدلنا مَيل بدرٍ فاعتدل). وفي رواية أبي علي القالي في الأمالي ١ / ١٤٢، والبكري في شرحه ١ / ٣٧٨: (وأقمنا مَيل بدرٍ فاعتدل). وفي رسالة الجاحظ في بني أُميّة ضمن مجموعة رسائله: ابن الزبعري قال: لَيت أشياخي إلى آخر ثلاثة أبيات كما في اللهوف مع تغيير يسير. وذكرها البيروني في الآثار الباقية / ٣٣١ طبعة الأُوفست: عدا البيت الرابع.

سبحانه حيث يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١). أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السّماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأُسارى أنّ بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، وإنّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، نظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأُمور متّسقة، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٢)؟!

أمن العدل يابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسَوقك بنات رسول الله سبايا، قد هُتكت ستورهنَّ، وأُبديت وجوههنَّ، تحدو بهنَّ الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهنَّ أهل المناهل والمعاقل، ويتصفح وجوههنَّ القريب والبعيد والدني والشريف، ليس معهنَّ من حماتهنَّ حمي ولا من رجالهنَّ ولي، وكيف يرتجي مراقبة مَن لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء؟! وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت مَن نظر إلينا بالشنف والشنآن، والاحن والاضغان؟! ثمّ تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ... ثمّ قالوا يا يزيد لا تُشل

---

(١) سورة الروم / ١٠.

(٢) سورة آل عمران / ١٧٨.

منحياً على ثنايا أبي عبد الله سيّد شباب أهل الجنّة تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذريّة محمّد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطّلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنّك تناديهم فلتردنّ وشيكاً مَوردهم، ولتودنّ أنّك شللت وبكمت ولَم تكن قلتَ ما قلت وفعلتَ ما فعلت.

اللهمّ خُذ لنا بحقّنا، وأنتقم ممَّن ظلمنا، واحلل غضبك بمَن سفك دماءنا وقتل حماتنا.

فوالله ما فريتَ إلاّ جلدك، ولا حززت إلاّ لحمك، ولتردنّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحمّلت من سفك دماء ذريّته، وانتهكتَ من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلمّ شعثهم، ويأخذ بحقّهم، ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ (١).

وحسبك بالله حاكماً، وبمحمّد صلى الله عليه وآله خصيماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً! وأيّكم شرٌّ مكاناً وأضعف جنداً.

ولئن جرّت عليَّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرّى.

---

(١) سورة آل عمران / ١٦٩.

ألا فالعجب كلّ العجب، لقتل حزب الله النّجباء، بحزب الشيطان الطلقاء! فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفّرها أُمّهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنا وشيكاً مغرما، حين لا تجد إلاّ ما قدّمت يداك، وما ربّك بظلّام للعبيد، وإلى الله المشتكى وعليه المعوّل.

فكد كيدك، واسع سعيك، وناصبْ جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلاّ فند وأيّامك إلاّ عدد، وجمعك الا بدد؟ يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين.

والحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأولنا بالسّعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويُحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فقال يزيد:

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون النّوح على النوائح

ومن جهْل يزيد وغيِّه وضلاله قوله بملء فمه غير متأثّم ولا مستعظم يُخاطب مَن حضر عنده من ذؤبان أهل الشام: أتدرون من أين أتى ابن فاطمة، وما الحامل له على ما فعل، والذي أوقعه فيما وقع؟ قالوا: لا، قال: يزعم أنّ أباه خير من أبي، وأُمَّه فاطمة بنت رسول الله خير من أُميِّ، وجدَّه خيرٌ من جَدِّي، وإنّه خيرٌ منِّي وأحقّ بهذا الأمر منِّي، فأمّا قوله أبوه خيرٌ من أبي فقد حاجَّ أبي أباه إلى الله عزَّ وجلَّ وعلم النّاس أيّهما حكم له، وأمّا قوله أُمّه خيرٌ من أُمّي فلَعمري

إنّ فاطمة بنت رسول الله خيرٌ من أُمّي، وأمّا قوله جدّه خيرٌ من جدّي، فلَعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يرى أنّ لرسول الله فينا عدلاً ولا نِدّاً، ولكنّه

إنّما أُتي من قلّة فقهه ولَم يقرأ: ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [١] وقوله تعالى: ﴿... وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ...﴾ [٢][٣].

الخربة

ولقد أحدثت هذه الخطبة هزّة في مجلس يزيد، وراح الرجل يحدّث جليسه بالضلال الذي غمرهم وإنّهم في أي وادٍ يعمهون، فلم يرَ يزيد مناصاً إلاّ أن يُخرج الحرم من المجلس إلى خربة لا تكنّهم من حرٍّ ولا برد، فأقاموا فيها ينوحون على الحسين عليه السلام [٤] ثلاثة أيّام. [٥] وفي بعض الأيّام خرج الإمام

---

(١) سورة آل عمران / ٢٦.

(٢) سورة البقرة / ٢٤٧.

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ٢٦٦، والبداية لابن كثير ٨ / ١٩٥.

(٤) اللهوف / ٢٠٧، وأمالي الصدوق / ١٠١ المجلس الواحد والثلاثون.

(٥) مقتل الخوارزمي ٢ / ٣٤. وهذه الخربة - أو فقل المحبس - كما جاء في ذيل مرآة الزمان لليونيني ٤ / ١٤٦، حوادث (سنة ٦٨١هـ) قال: في ليلة الأحد، عاشر شهر رمضان، احترقت سوق اللبادين بدمشق بكمالها وجسر الكتبيين، والفوارة وسوق القماش ←

السّجاد عليه السلام منها يتروّح، فلقيه المنهال بن عمر وقال له: كيف أمسيت يابن رسول الله؟ قال عليه السلام: «أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً منها، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً منها، وأمسينا معشر أهل بيته مقتولين مشرّدين، فإنّا لله وإنّا اليه راجعون»(١). قال المنهال: وبينا يكلّمني إذ امرأة خرجت خلفه تقول له: إلى أين يا نِعم الخلَف؟ فتركني وأسرع إليها، فسألتُ عنها قيل: هذه عمّته زينب(٢).

إلى المدينة

لقد سرَّ يزيدَ قتلُ الحسين عليه السلام ومَن معه وسَبي حريم رسول الله صلى الله عليه وآله(٣) وظهر عليه السّرور في مجلسه، فلَم يبال بإلحاده وكفره حين تمثّل بشعر ابن الزبعري، وحتّى أنكر الوحي على رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، ولكنّه لمّا كثرت اللائمة عليه ووضح له الفشل والخطأ في فعلته التي لَم يرتكبها حتّى مَن لم ينتحل دين الإسلام

المعروف بسوق عسا الله وسقاية جيرون، ووصلت النّار إلى درب العجم وسط جيرون وجدار المسجد العمري الذي على درج بدرب الجامع الملاصق لسجن زين العابدين....

(١) مثير الأحزان لابن نما / ٥٨، ومقتل الخوارزمي ٢ / ٧٢.

(٢) الأنوار النّعمانيّة / ٣٤٠.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٣٩.

وعرف المغزى من وصيّة معاوية إيّاه حيث قال له: إنّ أهل العراق لن يدَعوا الحسين حتّى يخرجوه، فإذا خرج عليك فاصفح عنه؛ فإنّ له رحماً ماسة وحقّاً عظيماً[١].

وعاب عليه خاصّته وأهل بيته ونساؤه، وكان بمرأى منه ومسمع كلام الرأس الأطهر لمّا أمر بقتل رسول ملك الروم (لا حول ولا قوة إلا بالله)[٢] ولحديث الأندية عمّا ارتكبه من هذه الجريمة الشائنة والقسوة الشديدة دوي في أرجاء دمشق، لَم يجد مناصاً من القاء التبعة على عاتق ابن زياد تبعيداً للسبَّة عنه، ولكن الثابت لا يزول.

ولمّا خشى الفتنة وانقلاب الأمر عليه، عجّل بإخراج الإمام السّجاد عليه السلام والعيال من الشام إلى وطنهم ومقرّهم، ومكَّنهم ممّا يريدون، وأمر النّعمان بن بشير وجماعة معه أنْ يسيروا معهم إلى المدينة مع الرفق[٣].

فلمّا وصلوا العراق قالوا للدليل: مُر بنا على طريق كربلاء، فوصلوا إلى مصرع الحسين عليه السلام فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل رسول الله - قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام - فتلاقوا بالبكاء

---

(١) تاريخ الطبري ٦ / ١٨٠.
(٢) مقتل العوالم / ١٥٠.
(٣) إرشاد المفيد.

والحزن واللطم، وأقاموا في كربلاء ينوحون على الحسين عليه السلام[١] ثلاثة أيّام.[٢]

ووقف جابر الأنصاري على القبر فأجهش بالبكاء وقال: يا حسين (ثلاثاً) ثم قال:

حبيب لا يجيب حبيبه! وأنّى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك، وفرّق بين رأسك وبدنك، فأشهد أنّك ابن خاتم النبيين، وابن سيّد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيّد النقباء، وابن فاطمة الزهراء سيّدة النساء، وما لَك لا تكون كذلك وقد غذَّتك كفّ سيّد المرسلين، وربيت في حجر المتّقين، ورضعت من ثدى الإيمان، وفطمت بالإسلام؟! فطبت حيّاً وطبت ميّتاً غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيّبة بفراقك، ولا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنّك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريّا.

ثم أجال بصره حول القبر وقال: السّلام عليكم أيّتها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين عليه السلام وأناخت برحله، أشهد أنّكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتّى أتاكم اليقين. والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ نبيّاً، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه. فقال له عطيّة العوفي: كيف ولَم نهبط وادياً ولَم نعلُ جبلاً ولَم نضرب بسيف،

---

(١) اللهوف / ١١٢، ومثير الاحزان لابن نما / ٧٩ الطبعة الحجريّة.

(٢) رياض الأحزان / ١٥٧.

والقوم قد فُرّق بين رؤوسهم وأبدانهم وأُوتمت أولادهم وأُرملت الأزواج؟ فقال له: إني سمعت حبيبي رسول الله يقول: «مَن أحبّ قوماً، كان معهم. ومَن أحبّ عمل قوم أُشرك في عملهم». والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً إنّ نيّتي ونيّة أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه[1].

الرأس مع الجسد

لمّا عرف زين العابدين عليه السلام الموافقة من يزيد، طلب منه الرؤوس كلّها ليدفنها في محلّها، فلَم يتباعد يزيد عن رغبته، فدفع اليه رأس الحسين عليه السلام مع رؤوس أهل بيته وصحبه، فألحقها بالأبدان.

نصّ على مجيئه بالرؤوس إلى كربلاء في حبيب السير كما في نفَس المهموم ص ٢٥٣، ورياض الأحزان ص ١٥٥.

وأمّا رأس الحسين عليه السلام ففي روضة الواعظين للفتّال ص ١٦٥، وفي مثير الأحزان لابن نما الحلي ص ٥٨: إنّه المعوّل عليه عند الإماميّة.

وفي اللهوف لابن طاووس ص ١١٢: عليه عمل الإماميّة. وفي إعلام الورى للطبرسي ص ١٥١، ومقتل العوالم ص ١٥٤، ورياض المصائب، والبحار: إنّه

---

(١) بشارة المصطفى / ٨٩، المطبعة الحيدريّة، مؤلّفه - كما في روضات الجنّات - أبو جعفر محمّد بن أبي القاسم بن محمّد بن علي الطبري الآملي، من علماء القرن الخامس، قرأ على ابن الشيخ الطوسي.

المشهور بين العلماء.

وقال ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ٢٠٠: ذكر المرتضى- في بعض رسائله: إنّ رأس الحسين عليه السلام أُعيد إلى بدنه في كربلاء. وقال الطوسي: ومنه زيارة الأربعين.

وفي البحار عن (العدد القويّة) لأخ العلاّمة الحلّي، وفي عجائب المخلوقات للقزويني ص ٦٧: في العشرين من صفر ردَّ رأس الحسين عليه السلام إلى جثّته.

وقال الشبراوي: قيل أُعيد الرأس إلى جثّته بعد أربعين يوماً[١].

وفي شرح همزيّة البوصيري لابن حجر أُعيد رأس الحسين عليه السلام بعد أربعين يوماً من قتله.

وقال سبط ابن الجوزي: الأشهر أنّه رُدَّ إلى كربلاء فدفن مع الجسد[٢].

والمناوي في الكواكب الدريّة ج ١ ص ٥٧، نقل اتّفاق الإماميّة على أنّه أُعيد إلى كربلاء، وإنّ القرطبي رجّحه ولَم يتعقبه، بل نسب إلى بعض أهل الكشف والشهود أنّه حصل له اطّلاع على أنّه أُعيد إلى كربلاء.

وقال أبو الريحان البيروني: في العشرين من صفر ردَّ رأس الحسين عليه السلام إلى جثّته حتّى دُفِن مع جثته[٣].

---

(١) الاتحاف بحبّ الأشراف / ١٢.
(٢) تذكرة الخواص / ١٥٠.
(٣) الآثار الباقية ١ / ٣٣١.

وعلى هذا فلا يعبأ بكلّ ما ورد بخلافه، والحديث بأنّه عند قبر أبيه بمرأى من هؤلاء الأعلام، فإعراضهم عنه يدلّنا على عدم وثوقهم به؛ لأنّ إسناده لَم يتم ورجاله غير معروفين.

وقال أبو بكر الآلوسي - وقد سئل عن موضع رأس الحسين عليه السلام -:

لا تطلبوا رأس الحسين بشرق أرض أو بغرب

ودَعوا الجميع وعرّجوا نحوي فمشهده بقلبي[1]

وقال الحاج مهدي الفلّوجي الحلّي[2]:

لا تطلبوا رأس الحسين فإنّه لا في حمىً ثاوٍ ولا في واد

لكنّما صفّو الولاء يدلّكم في أنّه المقبور وسْط فؤادي

يوم الأربعين

من النّواميس المطّردة الاعتناء بالفقيد بعد أربعين يوماً مضَين من وفاته بإسداء البرّ إليه وتأبينه، وعدّ مزاياه في حفلات تُعقد وذكريات تدوّن، تخليداً لذكره على حين إن الخواطر تكاد تنساه والأفئدة أوشكت أنْ تهمله، فبذلك تعاد

---

(١) في البابليّات ٣ / ١٢٨: ذكرهما سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص. أقول: وعبارته في التذكرة / ١٥٩، الطبعة الحجريّة: (وأنشد بعض أشياخنا: لا تطلبوا رأس الحسين...).

(٢) شعراء الحلّة ٥ / ٣٧١، إنّها للحاج مهدي الفلّوجي.

إلى ذكره البائد صورة خالدة، بشعر رائق تتناقله الألسن، ويستطيع في القلوب، فتمرّ الحقب والأعوام وهو على جِدته. أو خطاب بليغ تتضمّنه الكتب والمدوّنات حتّى يعود من أجزاء التاريخ التي لا يبليها الملوان، فالفقيد يكون حيّاً كلّما تُليت هاتيك النتف من الشعر أو وقف الباحث على ما أُلقيت فيه من كلمات تأبينيّة بين طيّات الكتب، فيقتصّ أثره في فضائله وفواضله، وهذه السُنّة الحسنة تزداد أهميّةً كلّما ازداد الفقيد عظمة وكثرت فضائله، وإنّها في رجالات الإصلاح، والمقتدى بهم من الشرائع أهمّ وآكد؛ لأنّ نشر مزاياهم وتعاليمهم يحدو إلى اتّباعهم واحتذاء مثالهم في الإصلاح و تهذيب النّفوس.

وما ورد عن أبي ذر الغفاري وابن عبّاس عن النّبي صلى الله عليه وآله: «إنّ الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً»[1]، وعن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ السّماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسّواد، والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً، وما اختضبت امرأة منّا ولا أدهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتّى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة من بعده»[2].

يؤكّد هذه الطريقة المألوفة والعادة المستمرّة بين النّاس من الحداد على الميّت

---

(١) مجموعة الشيخ ورام ٢ / ٢٧٦، والبحار ٢ / ٦٧٩، باب شهادة الإمام علي عليه السلام عن مناقب ابن شهر آشوب.

(٢) مستدرك الوسائل للنوري / ٢١٥، الباب الرابع والتسعون.

أربعين يوماً، فإذا كان يوم الأربعين أُقيم على قبره الاحتفال بتأبينه يحضره أقاربه وخاصّته وأصدقاؤه، وهذه العادة لَم يختصّ بها المسلمون، فإنّ النّصارى يقيمون حفلة تأبينيّة يوم الأربعين من وفاة فقيدهم يجتمعون في الكنيسة ويعيدون الصلاة عليه المسمّاة عندهم بصلاة الجنازة ويفعلون ذلك في نصف السّنة وعند تمامها، واليهود يعيدون الحداد على فقيدهم بعد مرور ثلاثين يوماً وبمرور تسعة أشهُر وعند تمام السّنة[1]، كلّ ذلك إعادةً لذكراه، وتنويهاً به وبآثاره وأعماله إنْ كان من العظماء ذوي الآثار والمآثر.

وعلى كلّ حال، فإنّ المنقّب لا يجد في الفئة الموصوفة بالإصلاح رجلاً اكتنفته المآثر بكلّ معانيها، وكانت حياته وحديث نهضته وكارثة قتله دعوةً إلهيّة، ودروساً إصلاحيّة، وأنظمة اجتماعيّة، وتعاليم أخلاقيّة، ومواعظ دينيّة، إلاّ سيّد شباب أهل الجنّة شهيد الدِّين، شهيد السّلام والوئام، شهيد الأخلاق والتهذيب الحسين عليه السلام، فهو أولى من كلّ أحد بأنْ تُقام له الذكريات في كلّ مكان، وتشدّ الرحال للمثول حول مرقده الأقدس في يوم الأربعين من قتله؛ حصولاً على تلكم الغايات الكريمة.

وإنّما قصروا الحفلات الأربعينيّة الأول في سائر النّاس من جهة كون مزايا أُولئك الرجال محدودة منقطعة الآخر، بخلاف سيّد الشهداء، فإنّ مزاياه لا تُحَدّ،

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب ١ / ٦٣: ٢٦٧.

وفواضله لا تُعَدّ، ودرس أحواله جديد كلما ذُكر، واقتصاص أثره يحتاجه كلّ جيل، فإقامة المآتم عند قبره في الأربعين من كلّ سنة إحياءٌ لنهضته وتعريفٌ بالقساوة التي ارتكبها الأُمويّون ولفيفهم، ومهما أمعن الخطيب أو الشاعر في قضيّته تفتح له أبواب من الفضيلة كانت موصدة عليه قبل ذلك؛ ولهذا اطّردت عادة الشيعة على تجديد العهد بتلكم الأحوال يوم الأربعين من كلّ سنة، ولعلّ رواية أبي جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ السّماء بكت على الحسين أربعين صباحاً تطلع حمراء وتغرب حمراء»[1] تلميح إلى هذه العادة المألوفة بين النّاس.

وحديث الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين»[2]، يرشدنا إلى تلك العادة المطّردة المألوفة، فإنّ تأبين سيّد الشهداء وعقد الاحتفالات لذكره في هذا اليوم إنّما يكون ممّن يمتّ به بالولاء والمشايعة، ولا ريب في أنّ الذين يمتّون به بالمشايعة هم المؤمنون المعترفون بإمامته، إذاً فمن علامة إيمانهم وولائهم لسيّد شباب أهل الجنّة المنحور في سبيل الدعوة الإلهيّة المثول في يوم الأربعين من شهادته عند قبره الأطهر لإقامة المأتم، وتجديد العهد بما جرى عليه وعلى صحبه وأهل بيته من الفوادح.

---

(١) كامل الزيارات / ٩٠ الباب الثامن والعشورن.

(٢) رواه الشيخ الطوسي في التهذيب ٣ / ١٧، في باب فضل زيارة الحسين عليه السلام عن أبي محمّد العسكري عليه السلام. ورواه في مصباح المتهجد / ٥٥١ طبعة الهند.

والتصرّف في هذه الجملة (زيارة الأربعين) - بالحمل على زيارة أربعين مؤمناً - التواء في فهم الحديث وتمحّل في الاستنتاج يأباه الذوق السّليم، مع خلوّه عن القرينة الدالّة عليه، ولَو كان الغرض هو الإرشاد إلى زيارة أربعين مؤمناً لقال عليه السلام (زيارة أربعين)، فالإتيان بالألف واللام العهديّة للتنبيه على أنّ زيارة الأربعين من سنخ الأمثلة التي نصّ عليها الحديث بأنّها من علائم الإيمان والموالاة للأئمّة الاثني عشر.

ثمّ إنّ الأئمّة من آل الرسول عليهم السلام وإنْ كانوا أبواب النّجاة وسفن الرحمة وبولائهم يُعرف المؤمن من غيره، وقد خرجوا من الدنيا مقتولين في سبيل الدعوة الإلهيّة موطّنين أنفسهم على القتل؛ امتثالاً لأمر بارئهم جلّ شأنه الموحى به إلى جدّهم الرسول صلى الله عليه وآله، وقد أشار إليه أبو محمّد الحسن ابن أمير المؤمنين عليهما السلام بقوله: «إنّ هذا الأمر يملكه منّا اثنى عشر إماماً، ما منهم إلاّ مقتول أو مسموم».

فالواجب إقامة المأتم في يوم الأربعين من شهادة كلّ واحد منهم. وحديث الإمام العسكري لَم يشتمل على قرينة لفظيّة تصرف هذه الجملة (زيارة الأربعين) إلى خصوص الحسين عليه السلام إلاّ أنّ القرينة الحاليّة أوجبت فهم العلماء الأعلام من هذه الجملة خصوص زيارة الحسين عليه السلام؛ لأنّ قضيّة سيّد الشهداء هي

التي ميّزت بين دعوة الحقّ والباطل؛ ولذا قيل: الإسلام بدؤه محمّدي وبقاؤه حسيني. وحديث الرسول صلى الله عليه وآله: «حسين منّي وأنا من حسين» يشير إليه؛ لأنّ ما قاساه سيّد الشهداء إنّما هو لتوطيد أُسس الإسلام واكتساح أشواك الباطل عن صراط الشريعة، وتنبيه الأجيال على جرائم أهل الضلال، هو عين ما نهض به

نبيّ الإسلام لنشر الدعوة الإلهيّة.

فمن أجل هذا كلّه لَم يجد أئمّة الدِّين من آل الرسول ندحة إلاّ لفت الأنظار إلى هذه النّهضة الكريمة؛ لأنّها اشتملت على فجائع تفطّر الصخر الأصمّ، وعلموا أنّ المواظبة على إظهار مظلوميّة الحسين عليه السلام تستفزّ العواطف وتوجب استمالة الأفئدة نحوهم فالسّامع لتلكم الفظائع يعلم أنّ الحسين عليه السلام إمام عدل لَم يرضخ للدنايا، وإنّ إمامته موروثة له من جدّه وأبيه الوصي، ومَن ناوأه خارج عن العدل، وإذا عرف السّامع أنّ الحقّ في جانب الحسين عليه السلام وأبنائه المعصومين، كان معتنقاً طريقتهم وسالكاً سبيلهم.

ومن هنا لَم يرد التحريض من الأئمّة على إقامة المأتم في يوم الأربعين من شهادة كلّ واحد منهم حتّى نبيّ الإسلام؛ لكون تذكار كارثته عاملاً قويّاً في إبقاء الرابطة الدينيّة وإنّ لفت الأنظار نحوها أمسّ في إحياء أمر المعصومين المحبوب لديهم التحدّث به «أحيوا أمرنا وتذاكروا في أمرنا».

وعلى كلٍّ، فالقارىء الكريم يتجلّى له اختصاص زيارة الأربعين بالمؤمن حينما يعرف نظائرها التي نصّ عليها الحديث.

فإنّ الأول منها وهو (صلاة إحدى وخمسين ركعة) التي شُرّعت ليلة المعراج، وبشفاعة النّبي صلى الله عليه وآله اقتصر فيها على خمس فرائض في اليوم والليلة، عبارة عن: سبع عشرة ركعة للصبح والظهرين والعشائين والنّوافل الموقّتة لها مع نافلة الليل أربع وثلاثون؛ ثمان للظهر قبلها، وثمان للعصر قبلها، وأربع بعد المغرب، واثنان بعد العشاء تعدّان بواحدة، واثنان قبل الصبح، وإحدى عشرة ركعة نافلة الليل

مع الشفع والوتر وبإضافتها إلى الفرائض يكون المجموع إحدى وخمسين ركعة، وهذا ممّا اختصّ به الإماميّة، فإنّ أهل السُنّة وإنْ وافقوهم على عدد الفرائض إلاّ أنّهم افترقوا في النّوافل، ففي فتح القدير لابن همام الحنفي ج ١ ص ٣١٤: إنّها ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر، واثنان بعدها، واربع قبل العصر، وإنْ شاء

ركعتين، وركعتان بعد المغرب، وأربع بعدها، وإنْ شاء ركعتين. فهذه ثلاث وعشرون ركعة، واختلفوا في نافلة الليل أنّها ثمان ركعات أو ركعتان أو ثلاث عشر أو أكثر، وحينئذ فالمجموع من نوافل الليل والنّهار مع الفرئض لا يكون إحدى وخمسين فإذاً تكون (إحدى وخمسون) من مختصّات الإماميّة.

الثاني: مما تعرّض له الحديث (الجهر بالبسملة) فإنّ الإماميّة تدينوا إلى الله تعالى به وجوباً في الصلاة الجهريّة واستحباباً في الصلاة الاخفاتية، تمسّكاً بأحاديث أئمّتهم عليهم السلام، وفي ذلك يقول الفخر الرازي: ذهبت الشيعة أنّ من السُنّة الجهر بالتسمية في الصلاة الجهريّة والاخفاتيّة، وجمهور الفقهاء يخالفون، وقد ثبت بالتواتر أنّ علي بن أبي طالب كان يجهر بالتسمية ومّن اقتدى في دينه بعلي فقد اهتدى والدليل عليه قوله صلى الله عليه وآله: «اللهمّ، أدر الحقّ مع علي حيث دار»[1]. وكلمة الرازي لَم يهضمها أبو الثناء الآلوسي، فتعقّبها بقوله: لَو عمل أحد بجميع

---

(١) مفاتيح الغيب ١ / ١٠٧.

ما يزعمون تواتره عن الأمير كفر، فليس إلاّ الإيمان ببعض والكفر ببعض. وما ذكره من أنّ مَن اقتدى في دينه بعلي فقد اهتدى مسلم، لكن إنْ سلم لنا خبر ما كان عليه علي عليه السلام ودونه مهامه فيح[1].

ولا يضرّ الشيعة تهجّم الآلوسي وغيره بعد أنْ رسخت أقدامهم على الولاء لسيّد الأوصياء عليه السلام الذي يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي، ما عرف الله تعالى إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلاّ الله وأنت، وما عرفك إلاّ الله وأنا»[2].

إنْ كنت ويحك لَم تسمع مناقبه فاسمعه مِنْ هل أتى يا ذا الغبا وكفى[3] (٤)

وخالف أهل السُنّة في مسألة الجهر، ففي المغني لابن قدامة ج ١ ص ٤٧٨، وبدايع الصنايع للكاساني ج ١ ص ٢٠٤، وشرح الزرقاني على مختصر أبي الضياء في فقه مالك ج ١ ص ٢١٦: إنّ الجهر غير مسنون في الصلاة.

الثالث: ممّا تعرّض له الحديث (التختّم باليمين) وقد التزم به الإماميّة تديّناً بروايات أئمتهم عليهم السلام وخالفهم جماعة من السُنّة، قال ابن الحَجّاج المالكي: إنّ السُنّة أوردت كلّ مستقذر يتناول بالشمال، وكلّ طاهر يتناول باليمين؛ ولأجل هذا المعنى كان المستحبّ في التختّم أنْ يكون التختّم بالشمال، فإنّه يأخذ

---

(١) روح المعاني ١ / ٤٧.

(٢) المحتضر / ١٦٥.

(٣) في شذرات الذهب لابن العماد ٤ / ١٤٠: كان بعض الحنابلة ينشدهما على المنبر ببغداد.

الخاتم بيمينه ويجعله في شماله[١].

ويحكي ابن حجر إنّ مالكاً يكره التختّم باليمين وإنّما يكون باليسار، وبالغ الباجي من المالكية بترجيح ما عليه مالك من التختّم باليسار[٢].

وقال الشيخ إسماعيل البروسوي ذكر في عقد الدرر: إنّ السُنّة في الأصل التختّم في اليمين، ولمّا كان ذلك شعار أهل البدعة والظلمة، صارت السُنّة أنْ يُجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا[٣].

---

(١) المدخل ١ / ٤٦، آداب الدخول في المسجد.

(٢) الفتاوى الفقهيّة الكبرى ١ / ٢٤٦، في اللباس.

(٣) حكاه الحجة الأميني في الغدير ج ١٠ ص ٢١١ عن تفسير روح البيان ج ٤ ص ١٤٢. وليس هذا بأول مخالفة للإمامية ففي المهذب لأبي اسحاق الشيرازي ج ١ ص ١٣٧ والوجيز للغزالي ج ١ ص ٤٧ والمنهاج للنووي ص ٢٥ وشرحه تحفة المحتاج لابن حجر ج ١ ص ٥٦٠ وعمدة القاري للعيني شرح البخاري ج ٤ ص ٢٤٨ والفروع لابن مفلح ج ١ ص ٦٨١ والمغني لابن قدامة ج ٢ ص ٥٠٥ التسطيح اشبه بشعار أهل البدع وفي رحمة الأمة باختلاف الأئمة على هامش الميزان للشعراني ج ١ ص ٨٨ ان السنة تسطيح القبور ولما صار شعار الرافضة كان الأولى مخالفتهم التسنيم (ومن ذلك) الصلاة على أهل البيت مستقلا ففي الكشاف للزمخشري في الاحزاب ٥٦ (ان الله وملائكته يصلون) انه مكروه لانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقد قال صلى الله عليه وآله لا تقفن مواقف التهم (ومن ذلك) ما في فتح الباري لابن حجر ج ١١ ص ١٣٥ كتاب الدعوات باب هل يصلى على غير النبي قال اختلف في السلام على غير الانبياء بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي فقيل يشرع مطلقاً وقيل تبعاً ولا يفرد لواحد لكونه صار شعاراً للرافضة ا هـ (ومن ذلك) ما في شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٣ كان بعض أهل العلم يرخي ←

الرابع: ما ذكره الحديث (التعفير)، والتعفير في اللغة: وضع الشيء على العفر، وهو التراب. والجبين في هذا الحديث الشريف إنْ أُريد منه الجبهة كما استظهره الشيخ يوسف البحراني في الحدائق مدّعياً كثرة الاستعمال بذلك في لسان أهل البيت عليهم السلام، وقد ورد في التيمّم، فيكون الغرض بيان أنّ الجبهة في السّجود لا بدّ أنْ تكون على الأرض؛ لأنّ أهل السُنّة لَم يلتزموا بوضعها على الأرض، فإنّ أبا حنيفة ومالكاً وأحمد - في إحدى الروايتين عنه - جوّزوا السّجود على كور العمامة[1] وفاضل الثوب[2] والملبوس، وجوّز الحنفيّة وضعها على الكفّ مع الكراهة[3]، وجوّزوا السّجود على الحنطة والشعير والسّرير وظهر مصلٍّ أمامه يصلّي بمثل صلاته[4]، وإنْ أُريد نفسه فيكون الغرض من ذكره الإرشاد إلى أنّ الراجع في سجدة الشكر تعفير الجبين، وإنّه للتذليل والبُعد عن الكبرياء، ومن هذا الجملة في الحديث استظهر صاحب المدارك رجحان تعفير الجبينَين أيضاً، وإليه أشار السيّد بحر العلوم قدس سره في المنظومة، قال

↩

العذبة من قدام الجانب الايسر ولم ار ما يدل على تعيين الايمن الا في حديث ضعيف عند الطبراني ولما صار شعاراً للامامية ينبغي تجنبه لترك التشبه بهم ا هـ.

(١) الميزان للشعراني ١ / ١٣٨.

(٢) الهداية لشيخ الإسلام المرغيناني ١ / ٣٣.

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ١ / ١٨٩.

(٤) البحر الرائق لابن نجيم ١ / ٣١٩.

في سجدة الشكر:

والخـــدُّ أوْلى وبـــه الـــنصّ جـــلا وفي الجبـــين قـــد أتـــى محـــتملا

وقد ورد تعفير الخدّين في سجدة الشكر[١] وبه استحقّ موسى بن عمران عليه السلام الزلفى من المناجاة[٢] ولَم يخالف الإماميّة في التعفير سواء أُريد من الجبين الجبهة أو نفسه، وأهل السُنّة لَم يلتزموا بالتعفير في الصلاة أو سجدة الشكر مع أنّ النّخعي ومالكاً وأبا حنيفة كرهوا سجدة الشكر، وإن التزم بها الحنابلة[٣] والشافعي[٤] عند حلول كلّ نعمة أو زوال نقمة.

الخلاصة في علائم المؤمن

لقد تجلّى ممّا ذكرناه في هذه الأُمور التي نصّ عليها الحديث بأنّها من علائم الإيمان أنّ المراد من (زيارة الأربعين) فيه إرشاد الموالين لأهل البيت عليهم السلام إلى الحضور في مشهد الغريب المظلوم سيّد الشهداء عليه السلام لإقامة العزاء وتجديد العهد بذكر ما جرى عليه من القساوة التي لَم يرتكبها أيّ أحد يحمل شيئاً من الإنسانيّة

---

(١) الكافي على هامش مرآة العقول ٣ / ١٢٩، والفقيه للصدوق / ٦٩، والتهذيب للشيخ الطوسي ١ / ٢٦٦، في التعقيب.

(٢) الفقيه للصدوق / ٦٩، في التعقيب.

(٣) المغني لابن قدامة ١ / ٦٢٦، والفروع لابن مفلح ١ / ٣٨٢.

(٤) كتاب الأُم ١ / ١١٦، ومختصر المزني على هامشه ١ / ٩٠، والوجيز للغزالي ١ / ٣٢.

فضلاً عن الدِّين، والحضور عند قبر الحسين عليه السلام يوم الأربعين من مقتله من أظهر علائم الإيمان.

ولا ينقضي العجب ممَّن يتصرّف في هذه الجملة بالحمل على زيارة أربعين مؤمناً مع عدم تقدّم إشارة إليه ولا قرينة تساعد عليه ليصح الإتيان بالألف واللام للعهد، مع أنّ زيارة أربعين مؤمناً ممّا حثّ عليها الإسلام، فهي من علائمه عند الشيعة والسُنّة ولَم يخصّ بها المؤمنون ليمتازوا عن غيرهم. نعم، زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين من قتله ممّا يدعو إليها الإيمان الخالص لأهل البيت عليهم السلام ويؤكّدها الشوق الحسيني، ومعلوم أنّ الذين يحضرون في الحائر الأطهر بعد مرور أربعين يوماً من مقتل سيّد شباب أهل الجنّة خصوص المشايعين له السّائرين على أثره. ويشهد له عدم تباعد العلماء الأعلام عن فهم زيارة الحسين في الأربعين من صفر من هذا الحديث المبارك، منهم أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي في التهذيب ج ٢ ص ١٧ باب فضل زيارة الحسين عليه السلام، فإنّه بعد أن روى الأحاديث في فضل زيارته المطلقة، ذكر المقيّد بأوقات خاصّة، ومنها يوم عاشوراء، وبعده روى هذ الحديث.

وفي مصباح المتهجّد ص ٥٥١ طبعة بمبئي، ذكر شهر صفر وما فيه من الحوادث، ثمّ قال: وفي يوم العشرين منه رجوع حرم أبي عبد الله عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وورود جابر بن عبد الله الأنصاري إلى كربلاء لزيارة أبي عبد الله صلى الله عليه وآله، فكان أول من زاره من النّاس، وهي زيارة الأربعين، فروي عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: «علامات المؤمن خمس...».

وقال أبو الريحان البيروني: في العشرين من صفر رُدّ الرأس إلى جثّته فدفن

معها. وفيه زيارة الأربعين ومجيء حرمه بعد انصرافهم من الشام[١].

وقال العلاّمة الحلّي في المنتهى، كتاب الزيارات بعد الحج: يستحب زيارة الحسين عليه السلام في العشرين من صفر.

وروى الشيخ عن أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: «علامات المؤمن خمس...» إلى آخر الحديث.

وفي الإقبال للسيّد رضيّ الدِّين علي بن طاووس، عند ذكر زيارة الحسين عليه السلام في العشرين من صفر قال: روينا بالاسناد إلى جدِّي أبي جعفر فيما رواه بالاسناد إلى مولانا الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنه قال: «علامات المؤمن خمس...».

ونقل المجلسي (أعلى الله مقامه) في مزار البحار هذا الحديث عند ذكر فضل زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين وفي الحدائق للشيخ يوسف البحراني، في الزيارات بعد الحجّ قال: وزيارة الحسين عليه السلام في العشرين من صفر من علامات المؤمن. وحكى الشيخ عبّاس القمي في المفاتيح هذه الرواية عن التهذيب، ومصباح المتهجّد في الدليل على رجحان الزيارة في الأربعين، من دون تعقيب باحتمال إرادة أربعين مؤمناً.

واستبعاد بعضهم إرادة زيارة الأربعين من جهة عدم تعرّض الإمام عليه السلام للآثار الأُخرويّة المترتّبة على الزيارة مع أنّ أهل البيت عليهم السلام عند الحثّ على زيارة

---

(١) الآثار الباقية / ٣٣١.

المظلوم وغيره من أئمّة الهدى عليهم السلام يذكرون ما يترتّب عليها من الثواب لا يُصغى إليه؛ فإنّ الإمام في هذا الحديث إنّما هو بصدد بيان علائم المؤمن التي يمتاز بها عن غيره، وجعل منها زيارة الأربعين على ما أوضحنا بيانه، ولَم يكن بصدد بيان ما يترتّب على الزيارة من الأثر.

واستحباب زيارته عليه السلام في العشرين من صفر نصّ عليه الشيخ المفيد في (مسار الشيعة)، والعلاّمة الحلّي في (التذكرة) و (التحرير)، وملاّ محسن الفيض في (تقويم المحسنين).

وتفسير الشيخ البهائي في (توضيح المقاصد) الأربعين بالتاسع عشر من صفر، مبنيّ على حساب يوم العاشر من الأربعين، وهو خلاف المتعارف.

وافتك جنداً يستثير ويزأر ... فقد المواكب أنّها لك عسكر

لا تسلمنَّ إلى الدنيّة راحة ... ما كان أسلمها لذل حيدر

وابعث حياة النّاهضين جديدة ... فيها الأُباء مؤيَّد ومظفَّر

وارسم لسير الفاتحين مناهجاً ... فيها عروش الطَّائشين تدمَّر

إنْ لَم تلبِّك ساعة محمومة ... ذمّت فقد لبَّت نداءك أعصر

قم وانظر البيت الحرام ونظرة ... أُخرى لقبرك فهو حجّ أكبر

أصبحت مفخرة الحياة وحقّ لَو ... فخرت به فدم الشهادة مفخر

قدَّست ما أعلى مقامك رفعة ... أخفيه خوف الظالمين فيظهر

شكتِ الإمارة حظَّها واستوحشت ... أعوادها من عابثين تأمَّروا

وتنكرت للمسلمين خلافة ... فيها يصول على الصلاحِ المنكر

سوداء فاحمة الجبين ترعرعت ... فيها القرود ولوَّثتها الأنمر

سكبت على نغم الأذان كؤوسها ... وعلى الصلاة تديرهنَّ وتعصر

تلك المهازل يشتكيها مسجد ... ذهبت بروعته ويبكي منبر

فشكت إليك وما شكت إلاّ إلى ... بطل يغار على الصلاحِ ويثأر

تطوى الفضائل ما عظمن وهذه ... أُمّ الفضائل كلَّ عام تنشر

جرداء ذابلة الغصون سقيتها ... بدم الوريد فطاب غرس مثمر

وعلى الكريهة تستفزُّك نخوة ... حمراء دامية ويوم أحمر

شكت الشريعة من حدود بُدّلَتْ ... فيها وأحكام هناك تغيَّر

سلبت محاسنها أُميّة فاغتدت ... صوراً كما شاء الضلال تصوَّر

عصفت بها الأهواء فهي أسيرة ... تشكو وهل غير الحسين محرِّر

وافى بفتيته الصّباح فساقهم ... للدِّين قربان الإله فجزِّروا

أدّى الرسالة ما استطاع وإنّما ... تبليغها بدم يطلّ ويهدر

فبذمّة الإصلاح جبهة ماجد ... تدمى ووضّاح الجبين يعفَّر

لبّيك منفرداً أُحيط بعالم تحصى ... الحصى عدداً وما إن يحصر

لـبّيك ظـام حـلأوه عـن الـروى ... وبـراحتيه مـن الـمكارم أبـحر
هـذي دمـوع المخلصين فـروّ مـن ... عبـراتها كبـداً تـكاد تـفطّر
واعـطف عـلى هـذي القلـوب فإنّهـا ... ودَّت لَـو أنَّـك في الأضـالع تقـبر
يـتزاحمون عـلى اسـتلام مشـاعر ... مـن دون روعتهـا الصّـفا والمشـعر
ركـبوا لها الأخطار حتّى لَو غدت ... تُـبرى الأكـفّ أو الـجماجم تنثـر
وافـوك يـوم الأربـعين وليـتهم ... حـضروك يـوم الطّـف إذ تستنصر ـ
وجـدوا سـبيلكم الـنّجاة وإنّـما ... نـصبوا لـها جسر ـ الـولاء ليعـبروا
وتـأمّـلوك لسـاعةٍ مـرهوبةٍ ... إمّـا الـحميم بـها وإمّـا الكـوثر
وسـيعلم الخصـمان إنْ وافـوك مَـن ... يـرد المعـين ومَـن يـذاد ويصـدر[1]

في المدينة

لَم يجد السجّاد عليه السلام بدّاً من الرحيل من كربلاء إلى المدينة بعد أنْ أقام ثلاثة أيّام؛ لأنّه رأى عمّاته ونساءه وصبيته نائحات الليل والنّهار، يقمن من قبر ويجلسن عند آخر.

تـشكو عـداها وتـنعى قومها فلها ... حـال من الشجو لفّ الصبر مدرجه

---

(١) للعلاّمة الشيخ عبد المهدي مطر النجفي.

فنعيها بشجى الشكوى تؤلّفه ودمعها بدم الأحشاء تمزجه

ويدخل الشجو في الصخر الأصمِّ لها تزفُّر من شظايا القلب تخرجه[1]

قال بشير بن حذلم: لمّا قربنا من المدينة، نزل علي بن الحسين عليه السلام وحطَّ رحله وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه وقال: «يا بشير، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟» قلت: بلى يابن رسول الله، إنّي لشاعر. فقال عليه السلام: «ادخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السلام». قال بشير: فركبت فرسي حتّى دخلت المدينة فلمّا بلغت مسجد النّبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت:

يا أهل يثربَ لا مُقَام لكم بها قُتل الحسينُ فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرّج والرأس منه على القناة يُدار

وقلت: هذا علي بن الحسين عليه السلام مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم وأنا رسوله إليكم أُعرّفكم مكانه. فخرج النّاس يهرعون ولم تبقَ مخدَّرة إلاّ برزت، تدعو بالويل والثبور، وضجَّت المدينة بالبكاء، فلم يرَ باكٍ أكثر من ذلك اليوم، واجتمعوا على زين العابدين عليه السلام يعزّونه، فخرج من الفسطاط بيده خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه مولى معه كرسي، فجلس عليه، وهو لا يتمالك من العبرة، وارتفعت الأصوات بالبكاء والحنين.

فأومأ إلى النّاس أنْ اسكتوا، فلمّا سكتت فورتهم قال عليه السلام: «الحمدلله ربِّ

---

(١) لحجة الإسلام الشيخ محمد كاشف الغطاء قدس سره.

العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بعُد فارتفع في السّماوات العلا، وقرُب فشهد النّجوى، نحمده على عظائم الأُمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاظعة الكاظة الفادحة الجائحة.

أيّها القوم، إنّ الله تعالى وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترته، وسُبيت نساؤه

وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عامل السّنان، وهذه الرزيّة التي لا مثلها رزيّة.

أيّها النّاس، فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟ أم أيّ فؤاد لا يحزن من أجله؟ أم أيّة عين منكم تحبس دمعها، وتضنُّ عن انهمالها؟ فلقد بكت السّبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسّماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، الملائكة المقرّبون، وأهل السّماوات أجمعون.

أيّها النّاس، أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه؟ أم أيّ سمع يسمع بهذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصمّ؟

أيّها النّاس، أصبحنا مشرّدين مطرودين مذودين شاسعين عن الأمصار، كأنّنا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها. ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إنّ هذا إلاّ اختلاق، والله لو أنّ النّبيّ تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصيّة بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا،

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأفجعها وأكظّها وأفظّها وأمرّها وأفدحها، فعند الله نحتسب ما أصابنا، وما بلغ بنا، فإنّه عزيز ذو انتقام».

فقام إليه صوحان بن صعصعة بن صوحان العبدي، وكان زَمِناً واعتذر بما عنده من زمانة رجلَيه.

فأجابه عليه السلام بقبول عذره وحُسن الظن فيه، وشكر له وترحّم على أبيه. ثمّ دخل زين العابدين عليه السلام المدينة بأهله وعياله[1] وجاء إليه إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقال: مَن الغالب؟ فقال عليه السلام: «إذا دخل وقت إلى الصلاة فأذّن وأقم، تعرف الغالب»[2].

فأمّا زينب أُمّ كلثوم فأنشأت تقول:

مدينة جَدّنا لا تقبلينا ... فبالحسرات والأحزان جينا

خرجنا منك بالأهلين طرّاً ... رجعنا لا رجال ولا بنينا

ثمّ أخذت زينب بنت أمير المؤمنين بعضادتي باب المسجد وصاحت: يا جَدّاه، إنّي ناعية إليك أخي الحسين.

وصاحت سكينة: ياجَدّاه! إليك المشتكى ممّا جرى علينا، فوالله ما رأيت أقسى من يزيد، ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شرّاً منه ولا أجفى وأغلظ، فلقد

---

(١) اللهوف لابن طاووس / ١١٦.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي / ٦٦، وفي المقدمة / ٥٦ ذكرنا مراده.

كان يقرع ثغر أبي بمخصرته وهو يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين[١].

وأقمن حرائر الرسالة المأتم على سيّد الشهداء ولبسن المسوح والسّواد، نائحات الليل والنّهار، والإمام السجّاد يعمل لهنّ الطعام[٢].

وفي حديث الصادق عليه السلام: «ما اختضبت هاشميّة ولا أدهنت ولا أُجيل مرود في عين هاشميّة خمس حجج حتّى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد»[٣].

وأما الرباب فبكت على أبي عبد الله حتّى جفّت دموعها فأعلمتها بعض جواريها بأنّ السّويق يسيل الدمعة، فأمرت أنْ يُصنع لها السّويق لاستدرار الدموع[٤]. وكان من رثائها في أبي عبد الله عليه السلام[٥]:

إنَّ الذي كان نوراً يُسْتَضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون

سبط النّبيّ جزاك الله صالحة ... عنّا وجنبت خسران الموازين

قد كنتَ لي جبلاً صعباً ألوذ به ... وكنتَ تصحبنا بالرحم والدّين

مَنْ للبتامى ومَنْ للسائلين ومَنْ ... يغنى ويأوي إليه كلّ مسكين

والله لا أبتغي صهراً بصهركمُ ... حتّى أُغَيَّب بين الرمل والطِّين

---

(١) رياض الأحزان / ١٦٣.
(٢) محاسن البرقي ٢ / ٤٢٠، باب الاطعام للمأتم.
(٣) مستدرك الوسائل ٢ / ٢١٥ الباب الرابع والتسعون.
(٤) البحار ١٠ / ٢٣٥ عن الكافي.
(٥) الأغاني ٢ / ١٥٨.

وأمّا علي بن الحسين عليه السلام فانقطع عن النّاس؛ انحيازاً عن الفتن وتفرّغاً للعبادة والبكاء على أبيه، ولم يزل باكياً ليله ونهاره، فقال له بعض مواليه: إنّي أخاف عليك أنْ تكون من الهالكين. فقال عليه السلام: «يا هذا، إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّ يعقوب كان نبيّاً فغيّب الله عنه واحداً من أولاده وعنده اثنا عشر، وهو يعلم أنّه حيّ فبكى عليه حتّى أبيضّت عيناه من الحزن، وإنّي نظرت إلى أبي وإخوتي وعمومتي وصحبي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟! وإنّي لا أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني العبرة، وإذا نظرت إلى عمّاتي وأخواتي ذكرت فرارهنّ من خيمة إلى خيمة».

رأى اضطرام النّار في الخباء ... وهو خباء العزِّ والإباء
رأى هجوم الكفر والضلالة ... على بنات الوحى والرسالة
شاهد في عقائل النبوّة ... ما ليس في شريعة المروَّة
من نهبها وسلبها وضربها ... ولا مجير قطّ غير ربِّها
شاهد سَوق الخفرات الطّاهرة ... سوافر الوجوه لابن العاهرة
رأى وقوف الطّاهرات الزاكية ... قبالة الرجس يزيد الطّاغية
وهنَّ في الوثاق والحبال ... في محشد الأوغاد والأنذال[1]

---

(١) للحجّة الشيخ محمّد حسين الاصفهاني.

إليك يا رسول الله المشتكى ممّا أتت به أُمّتك مع أبنائك الأطهرين من الظلم والاضطهاد. والحمد لله ربّ العالمين.

المراثي

إنّ قضيّة سيّد الشهداء عليه السلام بما اشتملت عليه من القساوة الشائنة كانت مثيرة للعواطف، مرققةً للأفئدة، فتذمّر منها حتّى مَن لم ينتحل دين الإسلام؛ لذلك ازدلف الشعراء قديماً وحديثاً، باللغة الفصحى والدارجة، إلى ذكرها وتعريف الأجيال المتعاقبة بما جاء الأُمويّون من استئصال شأفة آل الرسول صلى الله عليه وآله فجاؤا بما فيه نجعة المرتاد.

ومن هؤلاء المناضلين لإحياء المذهب، الحجّة آية الله الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (نوّر الله ضريحه) فلقد جاء بمراثٍ كثيرة لها حُسن السَّبك ودقَّة المعنى وسلاسة النّظم ورقَّة الانشاء، آثرنا منها أربع قصائد ساطعة في رثاء السّبط الشهيد سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام:

١ - قال رحمه‌الله:

نفس أذابتها أسىً حسراتها ... فجرت بها محمرَّة عبراتها

وتذكّرت عهد المحصَّب من منى ... فتوقَّدت بضلوعها جمراتها

سارت وراءهم ترجع رنَّة ... حنَّت مطاياهم لها وحداتها

طلعوا بيوم للوداع وقد غدى ... ليلاً فردَّت شمسه جبهاتها

وسروا بكلّ فتاة خدرٍ إنْ تكن ... بدراً فأطراف القنا هالاتها

فـخذوا احمـرار خـدودها بـدمائنا ... فـجناتها دون الـورى وجناتهـا

واسـتعطفوا بـاللين أعطافـاً لهـا ... فـلقد أقـمنَ قـيامتى قـاماتها

وعـلى عـذيب الريـق بـارق لؤلـؤ ... بـالمنحنى مـن أضـلعى قبسـاتها

لاثـت عـلى شـهدية بخمارهـا ... والـخمر يـشهد إنّـه لـلثّاتها

لله يـوم تـلفّتت لَـو أنّـها ... كـانت لـقتلى حـبّها لـفتاتها

ثـملت بـخمرة ريـقها أعطافهـا ... وزهـت بـلؤلؤ ثـغرها لثاتهـا

ومـشت فخـاطرت النّفـوس كـأنّما ... مـاست بـخطّار القنـا خطراتهـا

ومـن الـبليّة أنّـنى أشـكو لهـا ... بـلوى الـضّنا فتزيـدني لحظاتهـا

وأبـيت أسـهر لـيلتى وكـأنّما ... قـد وفّـرت في جنحهـا وفراتهـا

ومهـى قنصـت لصـيدهنّ فعـدت فِي ... شـرك الـغرام وأفلتـت ظبياتهـا

عـجباً تـفاد لـى الأُسـود مهابـةً ... وتـقودني وأنـا الأبـى مهاتهـا

أنـا مـن بعـين المكرمـات ضـياؤها ... لـكن بـعين الـحاسدين قـذاتها

إن أنـكرتنى مـقلة عـميا فـلا ... عـجب فـإنّي فـى سـناني فقأتهـا

تعـساً لـدهر أصـبحت أيّـامه ... والـغدر نـجح عـداتها وعـداتها

لا غـرو أنْ تـعتد بـنوه الـغدر ... فـالأبناء مـن آبـائها عـاداتها

ولـقد وجـدت مـلاءة الـدنيا خلـت ... مـن عـفّة ونـجابة فـملاتها

وأرى أخـــلاّئى غـــداة خـــبرتهم ... أعـــدى عـــدى شـنّت بنـا غاراتهـا

كـــنت الـــحماة أظـــنّهم فـــكشفتهم ... عـــن عقـرب لسـعت حشـاي حماتهـا

وتـــعدّهم نـــفسى الـــحياة لهـا وقـد ... دبّـــت إليـــها مـــنهم حـــيّاتها

أســـدت إلـــىّ بـــكلّ ســـيّئة ومـــن ... صـــفحى أقـــدّر أنّـــها حـــسناتها

ولـــكم عـــليها مـــن يـد بيضـاء لي ... قـــد ســـوّدتها الـــيوم تـــمويهاتها

إنْ فـصّلت لـى الغـدر أنواعـاً فقـد ... عـــرفت بـــخبث الجـنس ماهيّاتهـا

لـــؤمت إســـاءتها فهانـــت واستوى ... نـــبح الـــكلاب عـــلىَّ أو أصـــواتها

وتـــكرّماً عـــنها صـــددت وإنّنـــى ... لـــولا خـــساستها عـــلىّ خـــساتها

ولـــقد دنـــت شـــأناً فـــلولا عفّتـى ... عـــن وطء كـــلّ دنـــيّة لـــوطاتها

وأنـــا الـــشجى فِي حلقهـا فلـو أنّهـا ... تـــجد الـــمساغ قـــذفن بي لهواتهـا

وتهـشّ بشـراً إن حضـرت فـإن أغـب ... قـــذفت بـــجمرة غيظهـا حصـياتها

كـــم صـانعتنى بالـدهاء وإنّـما أدهـى ... الـــورى شـــرّاً عـــلىَّ دهـــاتها

لـكنْ جُبلْتُ على الوفـاء فلَـو جنـت ... يـــدها عـــلى عينـى العمـى لـدراتها

وأنـــا الـــعصىّ مـــن الإبـا وخلائقـى ... فـــى طـــاعة الحـرِّ الكـريم عصـاتها

عـــوَّدتُ عـــينىَّ الإبـــاء فلـم تسـل ... إلاّ لآل محمّـــــدٍ عـبراتـــــها

كـــم غـــارة لـــك يـا زمـان شـننتها ... لـــم أســـتطع دفـــعاً لـــها فشـناتها

وأرى الليالي منك حُلبى لَمَ تلد ... للحرِّ غير ملمَّة غدراتها

تجرى لها العبرات حمراً إنْ جرت ... ذكراً على أسماعنا عثراتها

ووددْت مذ جارت على أبنائها ... ورمت بنيها بالصروف بناتها

عدلت بآل محمّدٍ فيما قضت ... وهُمُ أئمّة عدلها وقضاتها

المرشدون المرفدون فكم هدى ... وندىً تميح صَلاتها وصِلاتها

والمنعمون المطعمون إذا انبرت ... نكباء صوَّحت الثَّرى نكباتها

والجامعون شتات غرِّ مناقب ... لَم تجتمع بسواهُمُ أشتاتها

يا غاية تقف العقول كليلة ... عنها وإنْ ذهبت بها غاياتها

ياجذوة القدس التى ما أشرقت ... شهب السّما لو لَمَ تكن لمعاتها

ياقبّة الشرف التى لو فِي الثّرى ... نُصبت سمت هام السّما شرفاتها

ياكعبة الله إنْ حجَّت لها ... الأملاك منه فعرشه ميقاتها

يانقطة الباء التى باءت لها ... الكلمات وائتلفت بها ألفاتها

يا وحدة الحقِّ التى ما إنْ لها ... ثانٍ ولكن ما انتهت كثراتها

يا وجهة الأحديَّة العليا التى ... بالأحمديَّة تستنير جهاتها

ياعاقلى العشر- العقول ومَن لها ... السَّبع الطباق تحرّكت سكناتها

أقسمتُ لو سِرَّ الحقيقة صورة ... راحت وأنتم للورى مرآتها

أنتم مشئته التى خلقت بها ... الأشياء بل ذُرئت بها ذرَّاتها

وخزانة الأسرار بل خزَّانها ... وزجاجة الأنوار بل مشكاتها

أنا فى الورى قال لكم إنْ لَمْ أقل ... ما لم تقله فى المسيح غُلاتها

سفهاً لحلمى إن تطر بثباتي السفـ ... ـهاء مذ طارت بها جهلاتها

أنا من شربت هناك أول درِّها ... كأساً سرت بسرائري نشواتها

فاليوم لا أصحو وإن ذهبت بيَ ... الأقوال أو شدَّت علىَّ رماتها

أو هل ترى يصحو صريع مدامة ... ممّا به إن عنّفته صحاتها

أو هل يحول أخو الحجى عن رشده ... ممّا تؤنّبه عليه غواتها

بأبي وبى مَن هم أجلُّ عصابة ... سارت تؤمّ بها العلا سرواتها

عطري الثياب سروا فقل فِي روضة ... غبّ السّحاب سرت بها نسماتها

ركبٌ حجازيون عرّقت العلا ... فيهم ومِسك ثنائهم شاماتها

تحدو الحداة بذكرهم وكأنَّما ... فتقت لطيمة تاجر لهواتها

ومطوَّحين ولا غناء لهم سوى ... هزج التلاوة رتلّت آياتها

وإلى اللقاء تشوّقاً أعطافها ... مهزوزةً فكأنّها قنواتها

خفَّت بهم نحو المنايا همَّة ... ثقلت على جيش العدى وطآتها

وبعزمها من مثل ما بأكفِّها ... قطع الحديد تأجّجت لهباتها

فكـــأنَّ مـــن عـــزماتها أســـيافها ... طـــبعت ومـــن أســـيافها عـــزماتها

قـــسم الـــحيا فـــيها فـــمن مقصـــورة ... الأيـــــدي ومـــمـــــدودة قســـــماتها

ومـــلوك بـــأس في الحـــروب قبابهـــا ... قـــبّ الـــبطون ودســـتها صـــهواتها

يـــسطون فـــى الجـــمِّ الغفـــير ضـــياغما ... لكـــنّما شجـــر الـــقنا أجـــماتها

كـــالليث أو كالغيـــث في يـــومى وغـــىً ... ونـــدىً غـــدت هـــباتها وهـــباتها

حـــتّى إذا نـــزلوا العـــراق فأشرقـــت ... أكـــنافها وزهـــت بـــهم عرصـــاتها

ضـــربوا الـــخيام بـــكربلا وعلـــيهم ... قـــد خـــيَّمت بـــبلائها كُـــرُباتها

نـــزلوا بهـــا فانصـــاع مـــن شـــوك القنـــا ... ولـــظى الـــهواجر مـــاؤها ونباتهـــا

وأتـــت بـــنو حـــرب تـــروم ودون مـــا ... رامـــت تـــخرُّ مـــن السَّـــما طبقاتهـــا

رامـــت بـــأن تعنـــو لهـــا ســـفهاً وهـــل ... تـــعنو لـــشرِّ عـــبيدها ســـاداتها

وتـــسومها إمّـــا الخضـــوع أو الـــردى ... عـــزّاً وهـــل غـــير الإبـــاء ســـماتها

فـــأبوا وهـــل مـــن عـــزّة أو ذلّـــة ... إلاّ وهـــم آباؤهـــا وأُباتـــها

وتـــقحّموا لـــيل الحـــروب فأشرقـــت ... بوجـــوههم وســـيوفهم ظـــلماتها

وبـــدت عـــلوج أُمـــيّة فتعرّضـــت ... لـــلأسد فـــى يـــوم الـــهياج شـــياتها

تـــعدو لـــها فـــتميتها رعـــباً وذي ... يـــوم اللـــقا بـــعداتها عـــاداتها

فتـــخرُّ بعـــد قـــلوبها أذقـــانها ... وتـــفرّ قـــبل جـــسومها هـــاماتها

وبأُسرة من آل أحمد فتية ... صينت ببذل نفوسها فتياتها

يتضاحكون إلى المنون كأنّ في ... راحاتها قد أترعت راحاتها

وترى الصّهيل مع الصّليل كأنّه ... فيهم قيان رجّعت نغماتها

وكأنّما سمر الرماح معاطف ... فتمايلت لعناقها قاماتها

وكأنّما بيض الظُّبى بيض الدّمى ... ضمنت لمى رشفاتها شفراتها

وكأنّما حمر النّصول أنامل ... قد خضّبتها عندماً كاساتها

ومذ الوغى شبّت لظى وتقاعست ... دون الشّدائد نكّصاً شدّاتها

وغدت تعوم من الحديد بلجّة ... قد أنبتت شجر القنا حافاتها

خلعوا لها جنن الدُّروع ولاح من ... نيرانها لجنانهم جنّاتها

وتزاحفوا يتنافسون على لقى ... الآجال تحسب أنّها عاداتها

بأكفّها عوج الأسنّة ركّع ... ولها الفوارس سجّد هاماتها

حتّى إذا وافت حقوق وفائها ... وعلت بفردوس العلى درجاتها

شاء الإله فنكّست أعلامها ... وجرى القضاء فنكّصت راياتها

وهوت كما انهالت على وجه الثرى ... من صمٍّ شاهقة الذرى هضباتها

وغدت تقسّم بالظّبى أشلاؤها ... لكن تزيد طلاقة قسماتها

ثمّ انثنى فرداً أبو السجّاد فاجـ ... ـتمعت عليه طغامها وطغاتها

غـير أن يحمـل عزمـة عملـت إلى ... حـرب جـيوش مـنيَّة حملاتهـا

تـلوي بـأُولاهم عـلى أُخـراهم ... وتـجول فـي أوسـاطهم سـطواتها

يـحمى مـخيّمه فقـل أسـد الشَّرى ... ديـست عـلى أشـبالها غاباتهـا

خطبَ العدى فوق العوادي خطبةً ... للـسانه وسنـانه كلـماتها

وعـظ اللسـان ومـذ عتـوا عنـأمره ... طـعن الـسّنان فـلم تفتـه عتاتهـا

نـثر الـرؤوس بسـيفه ونظمـن فِي ... سلـك الـقنا لـقلوبهم حـبَّاتها

إن يشرـع الخرصـان نحـو مكـردس ... ردَّت ومـن أكـبادها عـذباتها

واذا هـوت بـالبيض قبضـة كفِّـه ... عـادت عـلى أرواحهـم قبضـاتها

يـروي الثـرى بـدمائهم وحشـاه مـن ... ظـمأ تـطاير شـعلة قـطعاتها

لـو قـلبت مـن فـوق غلَّـة قلبـه ... صـمّ الـصفا ذابـت عليـه صـفاتها

تـبكى الـسّماء لـه دمـاً أفـلا بكـت ... مـاء لغـلّة قـلبه قـطراتها

وا حـرَّ قـلبى يـابن بنـت محمّـد ... لـك والعـدى بـك أُنجحـت طلباتهـا

مـنعتك مـن نيـل الفـرات فـلا هنـا ... لـلنّاس بـعدك نِيلهـا وفراتهـا

وعـلى الثنايـا منـك يلعـب عودهـا ... وبـرأسك الـسّامى تشـال قناتهـا

وبـهم تـروح العاديـات وتغتـدي ... وجـسومكم فـوق الثّـرى حلباتهـا

ونـساؤكم أسرى سرت بسرـاتكم ... تـدعو وعـنها اليـوم أيـن سراتهـا

هـاتيك في حـرِّ الهجـير جسـومها ... صـرعى وتلـك عـلى القنـا هاماتهـا

بـأبي وبي مـنهم محاسـن في الثَّـرى ... لـلحشر تـنشر فخـرهم حسـناتها

أقـوت معـالم أُنسـهم والـوحش كـم ... راحـت ومـن أسـيافهم أقواتهـا

يـا هـل تـرى مضرـاً درت مـاذا لقـت ... فـي كـربلا أبـناؤها وبـناتها

خـفرت لـها أبـناء حـرب ذمَّـة ... هـتكت لـها مـا بيـنهم خفراتهـا

جـارت عـلى تلـك المنيعـات التـى ... تـهوى الـنّجوم لـو أنّهـا جاراتهـا

حـتّى غـدت بـين الأراذل مغـنما ... تنـتاشها أجلافـها وجـفاتها

فـلضربها أعـضادها ولـسلبها ... أبرادهـا ولنـهبها أبيـاتها

وثـواكل لـمَّا دفـعن عـن البكـا ... والـنّوح ردَّدت الـشَّجى لهواتهـا

زفـراتها لـو لَـم تكـن مشـفوعة ... بـالدمع أضرمـت السّما جـذواتها

وعـلى الأيـانق مـن بنـات محمّـد ... في الشـمس تصـلى حرُّهـا أخواتهـا

أبـدى الـعدوّ لهـا وجوهـاً لم تـبن ... حتّـى لأنـفاس الصّـبا صـفحاتها

ومـروعة فـى السّـبى تشـكو بثَّهـا ... فـتجاب ضـرباً بالسّـياط شـكاتها

قـامت تـسُّب لهـا الجـدود أراذل ... قـعدت بـها عـن شـاوهم سبّاتها

يـا غـيرة الـجبّار أنّـى والعـدى ... راحـت وفـى أبـياتكم غاراتهـا

يـا حـرمةً هُـتكت لعـزّة أحمـد ... فيـها وعـزَّة ربِّـه حـرماتها

أحـــماة ديـــن الله كـــيف بـــناتكم ... ســـاروا بـــها والشـــامتون حماتهـــا

تطـوي الفـلاة بهـا ومـا ضـاقت عـلى ... حـــرب بـــشعث خيـــولكم فلواتهـــا

كفـأت لكـم ظهـر المجنِّ فهـل سـوى ... عـــزماتكم وهـــى الحتـــوف كفاتهـــا

وخـــيامكم تـــلك الـــتى أوتـــادها ... شـــهب الـــسَّماء وعرشـــها داراتهـــا

بـــالنّار أضـــرمها الـــعدوُّ وأنـــتُمُ ... أربابـــها وحريـــمكم ربَّـــاتها

فـــرّت تـــعادى في الفـــلاة نوائحـــاً ... حـــسرى تـــقطّع قلبهـــا حسرـــاتها

حـــتّى إذا وقـــفت عـــلى جثـــث لكـــم ... طـــالب عـــليها لـــلظَّبى وقـــفاتها

قـــدحت لكـــم زنـــد العتـــاب فلـــم تجـــد ... غـــير الـــسِّياط لـــجنبها هفواتهـــا

وســـرت عـــلى حـــالٍ يحـــقُّ لشـــجوها ... الأفـــلاك لـــو وقفـــت لهـــا حركاتهـــا

حنَّـــت ولـــولا زجـــر زجـــر مـــا حـــدت ... أظـــعانها بـــسوى الحنـــين حـــداتها

يـــا لوعـــة قعـــدت وقامـــت في الحشـــا ... خـــرساء تـــنطق بالشَّـــجى نفثاتهـــا

قـــعدت ولا تـــنفكُّ أو أرزاؤكـــم ... بـــقيام قـــائمكم تُـــصاب تراتهـــا

فـانهض فـديً لـك أنفـس كمنـت بهـا ... طـــير الـــشّجون كـــأنَّها وكناتهـــا

واحـصد رؤوسـهُمُ فكـم رأس لكـم ... حـــصدته بـــعد ولم يشـــبَّ شـــباتها

وأحـرق لهـم صـنمى ضـلال وطِّـدا ... لـــهم الأُمـــور فـــأمكنت وثباتهـــا

تـــبعاً بـــما ابـــتدعا فـــما مـــن ســـوأة ... إلاّ وفـــى عنـــقيهما تـــبعاتها

وهما اللذان عليكُم قد جزّءا ... من لا يداني نعلكم جبهاتها

جرّا إليكم كلّ جور نالكم ... من عصبة فعليهما لعناتها

فلرزئكم إن لم أمت حزناً فلى ... نفس أذابتها أسى زفراتها

ولقد نشرت رثاً لكم وكأنَّ في ... طيِّ الجوانح للقنا وخزاتها

وإليكم من بكر فكري ثاكل ... تنعى فتهتف بالنّفوس نعاتها

منكم لكم أهديتها وبرزئكم ... آل النّبيِّ ختمتها وبدأتها

ولنشاتي أنشأتها ذخراً لكم ... أفهل أخيب وفيكم أنشأتها

ولمهجتى بولاكم الحسنى إذا ... فقدت غداً بصحيفتى حسناتها

فولاؤكم حسبى وإنّي عبدكم ... فخري وذخري أن تضق حلقاتها

وإليكم شكواي من نفس غدت ... تقتادني للسّوء إماراتها

وجرائم عبَّت بمهلك لجَّة ... ترمى لها بنفوسها غفلاتها

وأنا الغريق بها فهل إلاّ بكم ... للنّفس يا سُفُن النّجاة نجاتها

وعليكم يا رحمة الباري من التـ ... ـسليم ما سارت به صلواتها

٢- وقال أيضاً:

أقوت فهنَّ من الأنيس خلاء ... دمن محت آياتها الأنواء

درست فغيّرها البلى فكأنّما ... طارت بشمل أنيسها عنقاء

يـــا دار مقريّـــة الضـــيوف بشاشـــة ... وقـــراي منـــك الوجـــد والبرحـــاء

عـــبقت بـــتربك نـــفحة مســـكيّة ... وســـقت ثـــراك الديمـــة الوطفـــاء

عـــهدي بـــربعك آنســـاً بـــك آهـــلا ... يـــعلوه مـــنك الـــبشر والسَّـــراء

وثـــرى ربـــوعك للنّـــواظر أثمـــد ... والـــعقد حـــلى ضـــيائك الحصـــباء

قـــد كـــان مجتمـــع الهـــوى واليـــوم في ... عـــرصاته تـــتفرَّق الأهـــواء

أخـــنى عـــليه دهـــره والـــدهر لا ... يـــرجى لـــه بـــذوي الوفـــاء وفـــاء

أيـــن الـــذين ببشرـــهم وبنـــشرهم ... يحيـــا الرجـــال وتـــأرج الأرجـــاء

ضربـــوا بعرصـــة كـــربلا خيـــامهم ... فـــأطلَّ كـــرب فـــوقها وبـــلاء

لله أيّ رزيَّـــــة فـــــى كـــــربلا ... عـــظمت فهانـــت دونهـــا الأرزاء

يـــوم بـــه ســـلّ ابـــن أحمـــد مرهفـــاً ... لـــفرنده بـــدجى الـــوغى لألاء

وفـــدى شـــريعة جـــدِّه بعصـــابة ... تـــفدى وقـــلَّ مـــن الوجـــود فـــداء

صـــيد إذا ارتـــعد الكمـــيّ مهابـــة ... ومـــشت إلى أكـــفائها الأكفـــاء

وعـــلا الغبـــار فأظلمـــت لـــولا ســـنا ... جـــبهاتها وســـيوفها الـــهيجاء

عشـــت العيـــون فلـــيس إلاّ الطعنـــة ... الـــنجلا وإلاّ الـــمقلة الخوصـــاء

زحـــفوا إلى ورد المنـــون تشـــوّقاً ... حتّـــى كـــأنَّ مـــماتها الأحيـــاء

عـــبست وجـــوه عـــداهم فتبسّـــموا ... فـــرحاً وأظلمـــت الـــوغى فأضـــاؤا

فلها قراع السّمهري تسامر ... وصليل وقع المرهفات غناء
بأبي لها من أنْ تشمَّ مذلَّة ... أنف أشمّ وهمَّة قعساء
يقتادهم للحرب أروعُ ماجد ... صعب القياد على الأبا أبّاء
صحبته من عزماته هنديَّة ... بيضاء أو يزنيَّة سمراء
تجري المنايا السّود طوع يمينه ... وتصرَّف الأقدار حيث تشاء
ذلَّت لعزمته القروم بموقف ... عقَّت به آباءها الأبناء
بفرائص رعدت وهامات همت ... مذ لاح بارق سيفه الوضَّاء
ولئن تنكَّر في العجاج فطالما ... شهدت بغرِّ فعاله الهيجاء
من أبيض نثر الرؤوس وأسمر ... نُظِمتْ بسلك كعوبه الأحشاء
كره الحمام لقاءه في معرك ... حسدتْ به أمواتها الأحياء
بأبي أبى الضيم سيم هوانه ... فلواه عن ورد الهوان إباء
وتألَّبوا زمراً عليه تقودها ... لقتاله الأحقاد والبغضاء
فسطا عليهم مفرداً فثنت له ... تلك الجموع النّظرة الشزراء
يا واحداً للشّهب من عزماته ... تسري لدَيه كتيبة شهباء
ضاقت بها سعة الفضاء على العدى ... فتيقّنوا ما بالنّجاة رجاء
فغدت رؤوسهم تخرّ أمامهم ... فوق الثّرى وجسومهنَّ وراء

تسع السّيوف رقابهم ضرباً وبا ... لأجسام منهم ضاقت البيداء

ما زال يفنيهم إلى أنْ كاد أنْ ... يأتي على الإيجاد منه فناء

لكنَّما طلب الإله لقاءه ... وجرى بما قد شاء فيه قضاء

فهوى على غبرائها فتضعضعت ... لهويه الغبراء والخضراء

وعلا السِّنان برأسه فالصعدة ... السّمراء فيها الطلعة الغرّاء

ومكفَّن وثيابه قصد القنا ... ومغسّل وله المياه دماء

ظام تفطَّر قلبه ظمأ وبا ... لحملات منه ترتوي الغبراء

تبكى السّماء دماً له أفلا بكت ... ماء لغلّة قلبه الأنواء

وآلهف قلبى يابن بنت محمّد ... لك والعدى بك أدركوا ما شاؤا

فلخيلها أجسامكم ولنبلها ... أكبادكم ولقضبها الأعضاء

وعلى رؤوس السّمر منكم أرؤوس ... شمس الضّحى لوجوهها حرباء

يابن النّبيّ أقول فيك معزِّيا ... نفساً وعزّ على الثكول عزاء

ما غضَّ من علياك سوء صنيعهم ... شرفاً وإنْ عظم الذي قد جاؤا

إنْ تمس مغبرَّ الجبين معفَّراً ... فعليك من نور النّبيّ بهاء

أو تبق فوق الأرض غير مغسّل ... فلك البسيطان الثَّرى والماء

أو تغتدى عار فقد صنعت لكم ... برد العلا الخطىّ لا صنعاء

أو تقض ظمآن الفؤاد فمِن دما ... أعداك سيفك والرماح رواء

فلو أنّ أحمد قد رآك على ... الثَّرى لفرشن منه لجسمك الأحشاء

أو بالطّفوف رأت ظماك سقتك من ... ماء المدامع أُمّك الزهراء

يا ليت لا عذب الفرات لوارد ... وقلوب أبناء النّبيّ ظماء

كم حرَّة نهب العدى أبياتها ... وتقاسمت أحشاءها أرزاء

تعدو وتدعو بالحماة ولم يكن ... بسوى السِّياط لها يجاب دعاء

تعدو فإنْ عادت عليها بالعدى ... عدو العوادي الجرد والأعداء

هتفت تثير كفيلها وكفيلها ... قد أرمضته في الثَّرى الرمضاء

يا كعبة البيت الحرام ومَن سمت ... بهم على هام السَّما البطحاء

لله يوم فيه قد أمسيتم ... أسراء قوم هم لكن طلقاء

حملوا لكم في السَّبى كل مصونة ... وسروا بها في الأسر أنّى شاؤا

ثكلى تحنُّ لشجوها عيس الفلا ... وترقّ إنْ ناحت لها الورقاء

تنعى ليوث البأس من فتيانها ... وغيوثها إنْ عمَّت البأساء

رقدوا وليس بعزمهم من قدرة ... وغفوا وما في بأسهم إعفاء

تبكيهم بدم فقل بالمهجة الحرَّى ... تسيل العبرة الحمراء

ناحت فلمّا غضّضت من صوتها ... بزفيرها أنفاسها الصعداء

حـنَّت ولـكنَّ الـحنين بكـى وقـد ... نـاحـت ولـكن نـوحها أيـماء

وقـست عـليهنَّ الـقلوب فـدونها ... الـصخر الأصـمّ ودونهـا الخنسـاء

وحـدت بـهنّ الـيعملات كلابهـا ... ولـهنَّ رجـع حـنينهنَّ حـداء

ومقـيّد قـام الـحديد بـمتنه ... غـلاً وأقـعد جـسمه الاعـياء

رهـن الـضَّنا قـعدت بـه أسـقامه ... وسـرت بـه الـمهزولة العجفـاء

وغـدت تـرقّ عـلى بليتـه العـدى ... مـا حـال مـن رقَّـت لـه الأعـداء

لله سـر الله وهـو مـحجَّب ... وضـمير غـيّب الله وهـو خفـاء

أنّـى اغـتدى لـلكافرين غنيمـة ... فـى حـكمها يـنقاد حيـث يشـاؤا

عـالٍ عـلى عـاري المطـيِّ تقـاذف ... الأمـصار فـيه وترتمـى الأحيـاء

طـوع الأكـفِّ وكـلّهنَّ لـئيمة ... نـصب الـعيون وكـلّها عـمياء

وهـو الـذي لـو شـاء أنْ يفنـيهم ... قـذفتهم الـدئماء والـدهماء

وهَـوَت لـه شُـهُب السَّـماء بقوسـها ... وأطـاعه الإصـباح والإمسـاء

آل الـنّبيِّ لأن تعـاظم رزؤكـم ... وتصـاغرت في وقعـه الأرزاء

فـلأنتم يـا أيُّـها الشـفعاء في ... يـوم الـجزاء وأنـتم الخصـماء

وإلـيكم مـن بكـر فكـري ثاكـل ... تـنعى وقـد أودت بهـا البرحـاء

حـسناء جـاءت للعـزاء ولم تعـد ... إلاّ بحـسن مـنكمُ الـحسناء

٣- وقال أيضاً:

خذوا الماء من عيني والنّار من قلبي ... ولا تحملوا للبرق منّاً ولا السّحب

ولا تحسبوا نيران وجدي تنطفي ... بطوفان ذاك المدمع السّافح الغرب

ولا أنَّ ذاك السَّيل يبرد غلَّتي ... فكم مدمع صبٍّ لذي غلَّة صبِّ

ولا أنَّ ذاك الوجد منِّي صبابة ... لغانية عفراء أو شادن ترب

نفى عن فؤادي كلَّ لهو وباطل ... لواعج قد جرَّعنني غصص الكرب

أبيت لها أطوي الضلوع على جوىً ... كأنِّي على جمر الغضا واضعاً جنبي

رزاياكم يا آل بيت محمّد ... أغصّ لذكراهنَّ بالمنهل العذب

عمى لعيون لا تفيض دموعها ... عليكم وقد فاضت دماكم على

وتعساً لقلب لا يمزِّقه الأسى ... لحرب بها قد مزَّقتكم بنو حرب

فوا حرَّتا قلبي وتلكم حشاشتي ... تطير شظاياها بواحرتا قلبي

أأنسى وهل ينسى رزاياكم التي ... البت على دين الهداية ذولب

أأنساكم حرَّى القلوب على الظَّما ... تذادون ذود الخمص عن سائغ

أأنسى بأطراف الرماح رؤوسكم ... تطلَّع كالأقمار في الأنجم الشهب

أأنسى طراد الخيل فوق جسومكم ... وماوطأت من موضع الطَّعن

أأنسى دماء قد سُفِكنَ وأدمعاً ... سُكبن وأحراراً هُتكن من الحجب

أأنسى بيوتاً قد نُهبن ونسوة ... سُلبن وأكباداً أذبن من الرعب

أأنسى اقتحام الظالمين بيوتكم ... تروِّع آل الله بالضَّرب والنّهب
أأنسى اضطرام النّار فيها وما بها ... سوى صبية فرّت مذعرة السَّرب
أأنسى لكم في عرصة الطَّف موقفاً ... على الهضب كنتم فيه أرسى من
تشاطرتموا فيه رجالاً ونسوةً ... على قلَّة الأنصار فادحة الخطب
فأنتم به للقتل والنّبل والقنا ... ونسوتكم للأسر والسَّبى والسَّلب
إذا أوجبت أحشاءها وطأة العدى ... علا ندبها لكن على غوثها النّدب
وإنْ نازعتها الحلى فالسَّوط كم له ... على عضديها من سوار ومن قلب
وإنْ جذبت عنها البراقع جدِّدت ... براقع تعلوهنَّ حمراً من الضَّرب
وان سلبت عنها المقانع قنِّعت ... اذا بثت الشكوى عن السّلب
وثاكلة حنَّت فما العيس في الفلا ... وناحت فما الورقاء في الغصن
تروي الثَّرى بالدمع والقلب ناره ... تشبّ وقد يخطى الحيا موضع الجَّدب
وتندب عن شجو فتعطى بندبها ... لكلِّ حشى ما في حشاها من النّدب
وتنعى فتشجى الصّمَّ زينب إذ نعت ... وتصدع شكواها الرواسى من
تثير على وجه الثَّرى من حماتها ... ليوث وغى لكن موسَّدة التّرب
نيام على الأحقاف لكن بلا كرى ... ونشوانة الأعطاف لكن بلا شرب
تطارحهم بالعتب شجواً وإنَّها ... لتعلم بعد القوم عن خطّة العتب

حـــموا خـــدرها حتّـــى أُســـتبيحت ... وطلَّت وما طالت إليها يد النّصب
ومـــن دونـــها أجـــسامهم ورؤوســـهم ... غـدت نـهب أطراف الأسنّة والقضب
فـيا مـدركى الأوتـار حتّى مَ صبركم ... وأوتـاركم ضـاقت بهـا سـعة الرحـب
ويـا طـاعنى صـدر الـكتائب مـا لكـم ... قـعدتم وفـى أيـديكم قـائم العضـب
ويـا طـاحنى هـام العدى ما انتظـاركم ... وقـد طحنـتكم في الحـروب رحـى
ويـا مـزعجى أسـد الشّرى ما قعودكم ... وقـد ظـفرت مـن ليثكم ظفـر الكلـب
جبـــار بأيـــدي الـــظالمين دمـــاؤكم ... فـيا غـيرة الـجبّار مـن غضـب هبى
فكـــم غـــرَّة فـــوق الـــرماح وحـــرَّة ... لآل رسـول الله سـيقت عـلى النّجـب
وكـــم مـــن يـــتيم مـــوثق لـــيتيمة ... ومـــسبيّة بـــالحبل شـــدَّت إلى مسـبى
بنى النّسب الوضَّاح والحسب الذي ... تـعالى فـأضحى قـاب قـوسَين للربِّ
إذا عـدَّت الأنساب لـلفخر أو غـدت ... تـطـاول بـالأنساب سـيّارة الـشّهب
فـمـا نـسـبى إلاّ انتـسابي إلـيكم ... ومـا حـسـبى إلاّ بـأنّـكم حـسبى

٤- وقال:

فـى الـقلب حرّ جـوى ذاك توهّجـه ... الـدمع يـطفيه والـذكرى تؤجّجـه
أفـدي الأُولى للعـلا أسرى بهـم ظعـن ... وراء حـاد مـن الاقـدار يـزعجه
ركـب عـلى جـنَّة المـأوى معرِّسـه ... لـكن عـلى مـحن البلـوى معرِّجـه

مثل الحسين تضيق الأرض فيه فلا ... يدري إلى أين مأواه وموجله

ويطلب الأمن بالبطحا وخوف بنى ... سفيان يقلقه عنها ويخرجه

وهو الذي شرّف البيت الحرام به ... ولاح بعد العمى للنّاس منهجه

يا حائراً لا وحاشا نور عزمته ... بمَن سواك الهدى قد شعّ مسرجه

وواسع الحلم والدنيا تضيق به ... سواك إن ضاق خطب من يفرِّجه

ويا مليكاً رعاياه عليه طغت ... وبالخلافة باريه متوجّه

يا عارياً قد كساه النّور ثوب سناً ... زها بصبغ الدَّم القاني مدبِّجه

يا ريَّ كلِّ ظما واليوم قلبك من ... حرِّ الظّما لو يمسُّ الصخر ينضجه

يا ميّتاً بات والذاري يكفِّنه ... والأرض بالتُّرب كافوراً تؤرِّجه

ويا مسيح هدى للرأس منه على ... الرماح معراج قدس راح يعرجه

ويا كليماً هوى فوق الثرى صعقاً ... لكن محيَّاه فوق الرمح أبلجه

ويا مغيث الهدى كم تستغيث ولا ... مغيث نحوك يلويه تحرّجه

فأين جدّك والأنصار عنك ألا ... هبَّت له أوسه منهم وخزرجه

وأين فرسان عدنان وكلُّ فتىً ... شاكى السّلاح لدى الهيجا مدجِّجه

وأين عنك أبوك المرتضى ـ أفلا ... يهيجه لك إذ تدعو مهيِّجه

يروك بالطَّف فرداً بين جمع عدى ... البغى يلجمه والغىُّ يسرجه

تـخوض فـوق سـفين الخيـل بحـر دم ... بـــالبيض والـــسُّمر زخـــار مموِّجـه
حـــاشا لـــوجهك يـــا نـــور النبـــوّة أن ... يـــمسى عـــلى الأرض مغـــبَّراً مبلِّجـه
ولـلـــجبين بـــأنوار الإمـــامة قـــد ... زهـــا وصـــخر بنـى صـخر يشـجِّجه
أعـيذ جـسمك يـا روح النبـيِّ بـأن ... يـبقى ثـلاثاً عـلى البوغـا مضرّ ـجه
عـــار يحـوك لـه الـذكر الجميـل ردى ... أيـــدي صـــنائعه بـــالفخر تـــنسجه
والـــرأس بـــالرمح مـــرفوع مبلِّجـه ... والـــثغر بـــالعود مـــقروع مـــفلِّجه
حـديث رزءٍ قـديم الأصـل أخـرج إذ ... عـــن الأُولـــى صـحَّ اسـناداً مخرجـه
تـــالله مـــا كـــربلا لـــو لا ســـقيفتهم ... ومـــثل ذا الفـرع ذاك الأصـل ينتجـه
وفـى الطّفوف سقوط السّبط منجدلا ... من سقط محسن خلف الباب منهجه
وبـــالخيام ضـــرام النّـار مـن حطـب ... بـــباب دار ابـــنة الـــهادي تـــأجِّجه
لـــكنْ أُمـــيَّةَ جـــاءتكم بـــأخبث مـــا ... كـــانت عـــلى ذلـــك المنـوال تنســجه
ســـرت بـــنسوتكم لـــلشَّام في ظعـــن ... قـــبابه الـــكور والأقـــتاب هـــودجه
مـــن كـــلِّ والـــهة حـــسرى يعنِّفهـــا ... عـــلى عجـاف المطـى بالسّـير مدلجـه
كم دحلج صاغه ضرب السّياط على ... زنـــد بـــأيدي الـــجفاة ابـــتزَّ دملجـه
ولا كـــفيل لـــها غـير العليـل سرت ... تـــرثى لـــه ألـــم الـــبلوى وتنشـــجه
تـشكو عـداها وتـنعى قومهـا فلهـا ... حـال من الشجو لفَّ الصبر مدرجه

فـنعيها بـشجى الـشكوى تـؤلِّفه ... ودمـعها بـدم الأحـشاء تـمزجه
ويدخل الشَّجو في الصخر الأصمِّ لها ... تـزفُّر مـن شـظايا القلـب تخرجـه
فـيا لأرزائـكم سـدَّت عـلى جزعـى ... بـاباً مـن الـصبر لا ينفـكُّ مرتجـه
يـفرُّ قـلبى مـن حـرِّ الغليـل إلى ... طـول الـعويل ولـكن لـيس يثلجـه
أودُّ أنْ لا أزال الـدهـر أُنشـئها ... مـراثياً لـه تـمسُّ الطـود تزعجـه
ومـقولي طـلقٌ فـى القـول أعهـده ... لكـن عـظيم رزايـاكم يـلجلجه
ولا يـزال عـلى طـول الزمـان لكـم ... فـى الـقلب حرّ جـوى ذاك توهُّجه

للحجّة آية الله الشيخ محمّد حسين الاصفهاني قدس سره:

أَسـفرَ صـبح الـيُمن والسّـعادة ... عـن وجـه سرِّ الغيـب والشَّـهادة
أَسـفرَ عـن مـرآة غيـب الـذَّات ... ونـسخة الأسـماء والصـفات
تعـرب عـن غيـب الغيـوب ذاتـه ... تـفصح عـن أسـمائه صـفاته
يـنبِّئ عـن حقيقـة الخلائـق ... بـالحقِّ والصِّـدق بوحـهٍ لائـق
لـقد تـجلَّى أعظـم المجـالي ... في الـذات والصِّـفات والأفعـال
روح الحـقيقة الـمحمديَّة ... عـقل الـعقول الكُمّـل العليَّـة
فـيضٌ مُقـدّسٌ عـن الشـوائب ... مـفيض كـلِّ شـاهد وغائـب
تَـنفَّس الصّـبح بنـور لم يـزل ... بـل هـو عنـد أهلـه صـبح الأزل

وكيف وهو النَّفَس الرحماني ... في نفس كلِّ عارف ربَّاني
به قوام الكلمات المحكمة ... به نظام الصُّحف المكرَّمة
تنفَّس الصُّبح بسرِّ القدم ... بصورة جامعة للكَلِم
تنفَّس الصُّبح بالاسم الأعظم ... محا عن الوجود رسم العدم
بل فالقُ الإصباح قد تجلَّى ... فلا ترى بعد النَّهار ليلا
فأصبح العلم ملاء النُّور ... وأيّ نور فوق نور الطور
ونار موسى قبَسٌ من نوره ... بل كلّ ما في الكون من ظهوره
أشرق بدرٌ من سماء المعرفة ... به استبان كلّ اسم وصفة
به استنار عالم الإبداع ... والكلّ تحت ذلك الشعاع
به استنار ما يُرى ولا يُرى ... من ذرّة العرش إلى فوق الثرى
فهو بوجهه الرضى المرضى ... نور السّماوات ونور الأرض
أفلا توازي نوره الأنوار ... بل جل أن تدركه الأبصار
غرّته بارقة الفتوّة ... قرّة عين خاتم النبوّة
تبدو على غرّته الغرّاء ... شارقة الشهامة البيضاء
بادية من آية الشهامة ... دلائل الإعجاز والكرامة
من فوق هامة السّماء همَّته ... تكاد تسبق القضا مشيئته

ما همّة السّماء من مداها ... إنَّ إلى ربك منتهاها

أُمُّ الكتاب في علوِّ المنزلة ... وفي الإبا نقطة باء البسملة

تمّت به دائرة الشهادة ... وفي محيطها له السّيادة

لو كشف الغطاء عنك لا ترى ... سواه مركزاً لها ومحوراً

وهل ترى لملتقى القوسين ... أثبت نقطة من الحسين

فلا وربِّ هذه الدوائر ... جلّ عن الأشباه والنظائر

بشراك يا فاتحة الكتاب ... بالمعجز الباقي مدى الأحقاب

وآية التوحيد والرسالة ... وسرّ معنى لفظة الجلالة

بل هو قرآن وفرقان معاً ... فما أجلّ شأنه وأرفعا

هو الكتاب الناطق الإلهي ... وهو مثال ذاته كما هي

ونشأة الاسماء والشؤون ... كلّ نقوش لوحه المكنون

لا حكم للقضاء إلاّ ما حكم ... كأنّه طوع بنانه القلم

رابطة المراد بالإرادة ... كأنّه واسطة القلادة

ناطقة الوجود عين المعرفة ... ونسخة اللاهوت عيناً وصفة

في يده أزمة الأيادي ... بالقبض والبسط على العباد

بل يده العليا يد الإفاضة ... في الأمر والخلق ولا غضاضة

لـــك الـــهنا يـــا ســـيّد الكـــونين ... فـــغاية الآمـــال في الحســـين
وارث كـــلّ الـــمجد والـــعلياء ... مـــن المـــحمّديَّة الـــبيضاء
فـــإنّه مـــنك وأنـــت مـــنه في ... كـــلّ الـــمعالي يـــا لـــه مـــن شرف
وفـــيه ســـرّ الكـــلّ في الكـــلّ بـــدا ... روحـــان في روح الكـــمال اتحـــدا
لـــك العـــروج في السّـــماوات العـــلا ... لـــه العـــروج في ســـماوات المـــلا
حـــظك منتهـــى الشـــهود في دنـــا ... وســـهمه أقصى المنـــى مـــن الفنـــا
مـــنك أســـاس العـــدل والتوحيـــد ... مـــنه بـــناء قـــصره الـــمشيد
مـــنك لـــواء الـــدين وهـــو حاملـــه ... قـــام بـــحمله الـــثقيل كـــاهله
والـــمكرمات والـــمعالي كـــلّها ... أنـــت لهـــا المبـــدأ وهـــو المنتهـــى
لـــك الـــهنا يـــا صـــاحب الولايـــة ... بنـــعمة ليـــس لهـــا نـــهاية
أنـــت مـــن الوجـــود عـــين العـــين ... فـــكن قـــرير العـــين بالحســـين
شـــبلك فـــى الـــقوّة والشـــجاعة ... نـــفسك فـــى الـــعزّة والمناعـــة
مـــنطقك الـــبليغ فـــى البيـــان ... لـــسانك الـــبديع فـــى المعـــاني
طـــلعتك الـــغرّاء بـــالإشراق ... كـــالبدر فـــى الأنفـــس والآفـــاق
صـــفاتك الـــغرّ لـــه مـــيراث ... والـــمجد مـــا بـــين الـــورى تـــراث
لـــك الـــهنا يـــا غايـــة الإيجـــاد ... بـــمبدئ الـــخيرات والأيـــادي

وهـــو ســـفينة النّجـــاة في اللجـــج ... وبـــابها الـــسّامى ومـــن لـــجَّ ولـــج

ســـلطان إقـــليم الحفـــاظ والإبـــا ... مـــليك عـــرش الفخـــر أُمّـــاً وأبـــا

رافـــع رايـــة الـــهدى بمهجتـــه ... كـــاشف ظـــلمة العمـــى ببهجتـــه

بـــه اســـتقامت هـــذه الشرـــيعة ... بـــه عـــلت أركـــانها الرفيعـــة

بـــنى الـــمعالي بمعـــالي هممـــه ... مـــا اخضرّ ـ عـــود الـــدِّين إلاّ بدمـــه

بـــنفسه اشـــترى حـــياة الـــدِّين ... فـــيا لـــها مـــن ثـــمن ثـــمين

أحـــيا مـــعالم الـــهدى بروحـــه ... داوى جـــروح الـــدِّين مـــن جروحـــه

جـــفَّت ريـــاض العلـــم بالسّـــموم ... لـــم يَـــروِها إلاّ دم الـــمظلوم

فـــأصبحت مـــورقة الأشـــجار ... يانـــعة زاكيـــة الثـــمار

أقعـــد كـــلّ قـــائم بـــنهضته ... حتّـــى أقـــام الـــدِّين بعـــد كبوتـــه

قـــامت بـــه قـــواعد الـــتوحيد ... مـــذ لـــجأت بـــركنها الـــشديد

وأصبـــحت قـــويّة الـــبنيان ... بعـــزمه عزائـــم الـــقرآن

غـــدت بـــه ســـامية الـــقباب ... معـــاهد السُـــنّة والـــكتاب

أفـــاض كـــالحيا عـــلى الـــوراد ... مـــاء الـــحياة وهـــو ظـــام صـــادي

وكـــضه الـــظما وفي طـــيِّ الحشـــا ... ريُّ الـــورى والله يقضى ـ مـــا يشـــا

والـــتهبت أحـــشاؤه مـــن الظـــما ... فـــأمطرت ســـحائب القـــدس دمـــا

وقد بكته والدموع حمر ... بيض السّيوف والرماح السّمر

تفطر القلب من الظما وما ... تفتر العزم ولا تثلما

ومن يدك نوره الطور فلا ... يندكُّ طود عزمه من البلا

تعجّب من ثباته الأملاك ... ومن تجوّلاته الأفلاك

لا غرو أنّه ابن بجدة اللقا ... قد ارتقى في المجد خير مرتقى

شبل على وهو ليث غابه ... لا بل كأنّ الغاب في اهابه

كرّاته في ذلك المضمار ... تكوّر الليل على النّار

وعضبه صاعقة العذاب ... على بقايا بدر والأحزاب

سطا بسيفه ففاضت الربى ... بالدم حتّى بلغ السّيل الزبى

فرّق جمع الكفر والضلال ... لجمع شمل الدِّين والكمال

أنار بالبارق وجه الحق ... وفي وميضه رموز الصدق

حتّى تجلّى الدِّين في جماله ... يشكر فعله لسان حاله

قام بحق السّيف بل أعطاه ... ما ليس يعطى مثله سواه

كأن منتضاه محتوم القضا ... بل القضا في حدّ ذاك المنتضى

كأنّه طير الفنا رهيفه ... يقضي على صفوفهم رفيفه

أو صرصر في يوم نحس مستمر ... كأنّهم أعجاز نخل منقعر

أو بصريره كريح عاتية ... كأنّهم أعجاز نخل خاوية

وفي المعالي حقّها لما علا ... على العوالي كالخطيب في الملا

يتلو كتاب الله والحقايق ... تشهد أنّه الكتاب النّاطق

قد ورث المعروج في الكمال ... من جدّه لكن على العوالي

هي العوالي وهي المعالي ... والخير كلّ الخير في المثال

هو الذبيح في منى الطفوف ... لكنّه ضريبة السّيوف

هو الخليل المُبتلى بالنّار ... والفرق كالنّار على المنار

نوح ولكن أين من طوفانه ... طوفانُه فليس من أقرانه

تالله ما ابتلى نبيٌّ أو ولي ... في سالف الدهر بمثل ما ابتلى

له مصائف تكلّ الألسن ... عنها فكيف شاهدتها الأعين

أعظمها رزءاً على الإسلام ... سبي ذراري سيّد الأنام

ضلالة لا مثلها ضلالة ... سبي بنات الوحي والرسالة

وسَوقها من بلد إلى بلد ... بين الملا أشنع ظلم وأشد

وأفظع الخطوب والدواهي ... دخولها في مجلس الملاهي

ولدغ حيّة لها بريقها ... دون وقوفها لدى طليقها

ويسلب اللب حديث السّلب ... يا ساعد الله بنات الحجب

تحـــمّلت أُميّـــة أوزارهـــا وعـــارها مـــذ ســـلبت إزارهـــا
وكيـف يرجـى الخـير مـن خمارهـا تـــبّت يـــد مُـــدَّت إلى خمارهـــا
وأدركـــت مـــن الـــنّبيِّ ثارهـــا وفـــى ذراريـــه قضـــت أوتارهـــا
وآ عـــجباً يـــدرك ثـــار الكفـــرة مـــن أهـــل بـــدر بالبـــدور النـــيّرة
فـــيا لـــثارات الـــنّبى الـــهادي بـــما جـــنت بـــه يـــد الأعـــادي
ومَـــن لـــها إلاّ الإمـــام المنتظـــر أعـــزّه الله بفـــتح وظـــفر

للحجّة آية الله المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي[1]:

يـا تريـب الخـد في رمضـا الطفـوف لـــيتنى دونـــك نـــهباً لـــلسّيوف
يـــا نـــصير الـــدِّين إذ عـــزّ النّصـــير وحـــمى الـــجار إذا عـــزّ المجـــير

---

(١) نظم هذه القصيدة لأجل الموكب الذي سعى به ليلة عاشوراء ويومها في كربلاء، في السّنة التي قُتل فيها السيد حسن ابن آية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني وببركاته اتسع إلى هذه السنة فكان موكب النجفيين ليلة عاشوراء في كربلا يضم العلماء وأهل الفضل والمقدسين من أرباب المهن، كل ذلك من انفاس هذا الشيخ الجليل المناضل دون الدين الحنيف وتوفي في الليلة الثانية والعشرين من شعبان سنة ١٣٥٢هـ وترجمته مفصلة في (شعراء الغرى ٢ / ٤٣٦).

وشـــديد الـــبأس والـــيوم عســـير ... وثـــمال الـــرفد في العـــام العســـوف

كـيف يـا خـامس أصـحاب الكسـا ... وابـــن خـــير المرســـلين المصـــطفى

وابـن سـاقي الحـوض في يـوم الظـما ... وشـــفيع الخلـــق في اليـــوم المخـــوف

يـــا صـــريعاً ثاويـــاً فـــوق الصـــعيد ... وخضـيب الشـيب مـن فـيض الوريـد

كـــيف تـــقضى بـــين أجنـــاد يزيـــد ... ظـــامئاً تســـقى بكاســـات الحتـــوف

كـيف تقضى- ظامئـاً حـول الفـرات ... داميـــاً تـــنهل مـــنك الماضـــيات

وعـــلى جسـمك تجـري الصـافنات ... عـــافر الـــجسم لقـــى بـــين الطفـــوف

يـــا مريـــع المـــوت في يـــوم الطِّعـــان ... لا خـــطا نـــحوك بـــالر مـــح ســـنان

لا ولا شـــمر دنـــا مـــنك فـــكان ... مـــا أمـــاد الأرض هـــولا بـــالرجوف

سـيّدي أبـكيك للشـيب الخضـيب ... ســـيّدي أبـــكيك لـــلوجه التريـــب

سـيّدي أبـكيك لـلجسم السّـليب ... مـــن حشـــا حـــران بالـــدمع الـــذروف

ســـيّدي إن مـــنعوا عنـــك الفـــرات ... وســـقوا مـــنك ظـــماء المرهفـــات

فســـنسقى كـــربلا بـــالعبرات ... وكـــفا مـــن علـــق القلـــب الأُســـوف

ســـيّدي أبـــكيك منهـــوب الرحـــال ... ســـيّدي أبـــكيك مـــسبى الـــعيال

بـــين أعـــداك عـــلى عجـــف الجـــمال ... فـــى الفيـــافي بعـــد هاتيـــك السّـــجوف

ســـيّدي إن نقـــض دهـــراً في بكـــاك ... مـــا قضـــينا الـــبعض مـــن فـــرض ولاك

أو عـكفنا عـمرنا حـول ثـراك ... مـا شـفى غـلّتنا ذاك العكـوف

لـهف نـفسي لنسـاك المعـولات ... والـيتامى إذ عـدت بـين الطغـاة

بـاكيات شـاكيات صـارخات ... ولـهاً حـولك تـسعى وتطـوف

يـا حـمانا مَـن لـنا بعـد حماك ... ومَـن الـمفزع مـن أسر عـداك

ولِـمَن نـلجأ إنْ طـال نـواك ... ودهـتنا بـدواهيها الـصروف

يـا حـمانا مـن لأيـتام صـغار ... ومذاعـير تـعادي بـالفرار

راعـها الـمزعج مـن سلب ونـار ... حـيث لا مـلجا ولا حـام رؤوف

لـست أنـساها وقـد مالـت إلى ... صـفوة الأنصـار صرعـى في الفـلا

أشـرقت مـنها مـحاني كـربلا ... كـشموس غـالها ريـب الكسـوف

هاتـفات بـهم مـستصرخات ... باكـيات نادبـات عـاتبات

صـارخات أيـن عـنّا يـا حمـاة ... يـا بـدور الـتمّ مـا هـذا الخسـوف

يـا رجـال البـأس في يـوم الكفـاح ... يـا ليـوث الحـرب في غـاب الرمـاح

كـيف آذنـتم جـميعاً بـالرواح ... ورحـلتم رحلـة القـوم الضـيوف

مـا لـكم لا غـالكم صرف الـردى ... لا ولا أدركـتم بـيض الـظبى

أفتـرضون لنـا ذلّ الـسّبا ... وعـناء الأسـر مـا بـين الأُلـوف

أفـنُسبى بـعدكم سـبى الـعبيد ... ثـمّ نُـهدى مـن عـنيد لعنيـد

لا وقفنا في السّبا عند يزيد حبّذا الموت ولا ذاك الوقوف

للعلاّمة الحُجّة الشيخ محمّد حسين بن حمد الحلّي (أعلى الله مقامه):

خليليَّ هل من وقفة لكما معي على جدث أسقيه صيب أدمعي
ليروي الثرى منه بفيض مدامعي فإنَّ الحيا الوكاف لَم يكُ مقنعي
لأنَّ الحيا يهمي ويقلع تارة وإنّي لعظم الخطب ما جفّ مدمعي
خليليَّ هبا فالرقاد محرّم على كلّ ذي قلب من الوجد موجع
هلمّا معي نعقر هناك قلوبنا إذا الوجد أبقاها ولَم تتقطَّع
هلمّا نقم بالغاضريّة مأتماً لخير كريم بالسّيوف موزع
فتىً أدركت فيه علوج أُميّة مراماً فأردته ببيداء بلقع
غداة أرادت أنْ ترى السّبط ضارعاً ولَم يكُ ذا خدٍّ من الضيم أضرع
وكيف يسام الضيم من جدّه ارتقى إلى العرش حتّى حلّ أشرف موضع
فتىً حلّقت فيه قوادم عزّه لأعلى ذرى المجد الأثيل وأرفع
ولمّا دعته للكفاح أجابها بأبيض مشحوذ وأسمر مشرع
وآساد حرب غابها أجمّ القنا وكلّ كميٍّ رابط الجأش أروع
يصول بماضي الحدّ غير مكهم وفي غير درع الصبر لَم يتدرع
إذا ألقح الهيجاء حتفاً برمحه فماضي الشبا منه يقول لها ضعي

وإنْ أبطأت عنه النّفوس إجابة ... فحدّ سنان الرمح قال لها أسرع

فلّم تزل الأرواح قبض أكفّهم ... وتسقط هامات بقولهم قعى

إلى أن دعاهم ربّهم لملقائه ... فكانوا إلى لقياه أسرع من دعى

وخرّوا لوجه الله تلقى وجوههم ... فمن سُجَّدٍ فوق الصعيد ورُكّع

وكم ذات خدر سجفتها حماتها ... بسمر قنا خطيّة وبلمَّع

أماطت يد الأعداء عنها سجافها ... فأضحت بلا سجف وكهف ممنع

لقد نهبت كف المصاب فؤادها ... وأبدى عداها كلّ برد وبرقع

فلم تستطع عن ناظريها تستراً ... بغير زنود قاصرات وأذرع

وقد فزعت مذراعها الخطب دهشة ... وأوهى القوي منها إلى خير مفزع

فلمّا رأته بالعراء مجدّلاً ... عفيراً على البوغاء غير مشيع

دنت منه والأحزان تمضغ قلبها ... وحنّت حنين الواله المتفجّع

تقول وظفر الوجد يدمى فؤادها ... عليَّ عزيزٌ أنْ أراك مودّعى

عليَّ عزيزٌ أنْ تموت على ظما ... وتشرب في كأس من الحتف مترع

أُخيَّ ذا شمر أراد مذلّتى ... فأركبنى من فوق أدبر أظلع

وذا العلج زجر أرغم الله أنفه ... بقرع القنا والأصبحيَّة موجعى

للعلاّمة الشيخ محمّد تقي ابن الحُجّة المرحوم الشيخ عبد الرسول آل صاحب الجواهر:

دعـــاني فـــوجدي لا يـــسليه لائمـــه ... ولـــكن عسـى يشـفيه بالـدمع سـاجمُه
ولا تـــكثرا لَـــومى فـــرُبَّ مـــوله ... (أعـقُّ خـليلَيه الـصفِيَّين لائمُـه) [1]
فـما كـلّ خطـب يُحمـد الصـبر عنـده ... ولا كـلّ وَجْـدٍ يكسـب الأجـر كاتمُه
فـإنْ تـرعيا حـقّ الإخـاء فـأعولا ... مـعى فِي مصـاب أفجعتنـا عظائمُـه
غـداة أبـو الـسجّاد قـام مشـمّراً ... لـتشييد دِيـن الله إذ جـدّ هـادمُه
ورام ابـن مَيسـون عـلى الـدِّين إمـرةً ... فـعاثت بـدِين الله جـهراً جرائمُـه
فـقام مـغيثاً شرعـة الـدِّين شـبل مَـن ... بـصمصامه بـدءاً أُقيمـت دعائمُـه
وحـفَّ بـه إذ محّـص النّـاس معشرـ ... نـمته إلى أوج الـمعالي مكارمُـه
فـمن أشـوس ينميـه للطعـن حيـدر ... ويـنميه جداً فِي قـرى الطـير هاشـمُه
ورهـط تفـانى فِي حمـى الـدِّين لَم تهـن ... لـقـلته بـين الـجموع عـزائمُه
إلـى أنْ قضَـوا دون الشرـيعة صرعـا ... كـما صُرعـت دون العـرين ضراغمُـه
أراد ابـن هنـد خـاب مسـعاه أن يـرى ... حسيناً بأيدي الضيم تلوى شكائمُه

---

(١) [موقع معهد الإمامين الحسنين عليهما السلام] العجز من بيت للمتنبي في قصيدة يمدح بها سيف الدولة، تمام قول المتنبي هو:

وما أنا إلاّ عاشقٌ كلّ عاشق ... أعـقُّ خـليلَيه الـصفِيَّين لائمُـه

ولكن أبى المجد المؤثّل والإبا ... له الذلّ ثوباً والحسام ينادمه

أبوه عليٌّ وابنة الطهر أُمّه ... وطه له جدٌّ وجبريل خادمُه

إلى ابن سُمَيَّ وابن مَيسون ينثنى ... يمدّ يداً والسّيف في اليد قائمُه

فصال عليهم صولة الليث مغضباً ... وعسا له خصم النّفوس وصارمُه

فحكم فى أعناقهم نافذ القضا ... صقيلاً فلا يستأنف الحكم حاكمُه

إلى أنْ أعاد الدِّين غضا ولَمْ يكن ... بغير دماء السّبط تُسقى معالمه

فإنْ يكُ إسماعيل أسلم نفسَه ... إلى الذبح في حجر الذي هو راحمُه

فعاد ذبيح الله حقّاً ولَم يكن ... تصافحه بيض الظبى وتسالمه

فإنّ حسيناً أسلم النّفسَ صابراً ... على الذبح في سيف الذي هو ظالمه

ومن دون دِين الله جاد بنفسه ... وكلّ نفيس كى تشاد دعائمُه

ورضَّت قراه العاديات وصدرَه ... وسيقت على عجف المطايا كرائمُه

فإن يمس فوق الترب عريان لَم تقم ... له مأتماً تبكيه فيه محارمُه

فأيّ حشى لَم يمس قبراً لجسمه ... وفى أيِّ قلب ما أُقيمت مآتمُه

وهب دم يحيى قد غلا قبل في الثرى ... فإنَّ حسيناً فى القلوب غلا دمُه

وإنْ قرَّ مُذ دعا بخت نصر ... بثارات يحيى واستردّت مظالمه

فليست دماء السّبط تهدأ قبل أنْ ... يقوم بإذن الله للثأر قائمُه

أبـا صـالِح يـا مُـدرك الثار كـم تـرى ... وغـيظك وارٍ غـير أنّـك كـاظمُه

وهـل يـملك الموتـور صـبراً وحولـه ... يـروح ويـغدو آمـن السّرب غارمُـه

أتـنسى أبي الضـيم فِي الطـفِّ مفـراداً ... تـحوم عـليه لـلوداع فـواطمُه

أتـنساه فـوق الـترب منفطـر الحشـا ... تـناهبه سـمر الـردى وصـوارمُه

ورُبَّ رضيـع أرضـعته قـسيهم ... مـن الـنّبل ثـدياً درّه الثـر فاطمـه

فـلَهفى لـه مُـذ طـوّق السّـهم جيده ... كـمـا زيّـنته قـبل ذاك تـمائمُه

ولَهـفى لـه لـمّا أحـسَّ بـحرّه ... ونـاغاه مـن طـير الـمنيّة حائمُـه

هـفا لـعناق الـسّبط مـبتسم اللمى ... وداعـاً وهـى غـير العنـاق يلائمُـه

ولـهفى عـلى أُمّ الرضيع وقـد دَجى ... عـليها الدُجى والدوح ناحت حمائمُه

تـسلل فـى الـظلماء ترتـاد طفلهـا ... وقـد نـجمت بين الضحايا علائمُـه

فـمُذ لاح سـهم النّحر ودَّت لَـو أنّهـا ... تـشاطره سـهم الـردى وتـساهمُه

أقلـته بـالكفين تـرشف ثـغره ... وتـلثم نـحراً قَـبلَها الـسّهم لاثمُـه

وأدنتـه لـلنّهدين ولـهى فـتارةً ... تـناغيه الـطافاً وأُخـرى تـكالمه

بُنَى أفق من سكرة الموت وارتضع ... بـثديك عـلَّ الـقلب يـهدأ هائمُـه

بُـنَى فـقد درَّا وقـد كـضك الظـما ... فـعلّك يُـطفى مـن غليلك ضـارمُه

بُـنَى لـقد كـنت الأنـيس لِوحشـتى ... وسـلواي إذْ يسطو من الهـمّ غاشـمُه

للخطيب السيّد مهدي الأعرجي رحمه الله:

ما بال فِهر أغفلت أوتارها ... هلا تثير وغى فتدرك ثارها

أغفت على الضيم الجفون وضيّعت ... يا للحميّة عزّها وفخارها

عجباً لها هدأت وتلك أُميّة ... قتلت سراة قبيلها وخيارها

عجباً لها هدأت وتلك نساؤها ... بالطفِّ قد هَتك العدى أستارها

من كلِّ ثاكلة تناهب قلبها ... كفّ الأسى ويد العدوّ خمارها

لهفى لها بعد التحجّب أصبحت ... حسرى تقاسى ذلّها وصغارها

تدعو أمير المؤمنين بمهجة ... فيها الرزيّة أنشبت أظفارها

أبتاه يا مردي الفوارس في الوغى ... ومبيد جحفلها ومخمِد نارها

قم وانظر ابنك في العراء وجسمه ... جعلته خيل أُميّة مضمارها

ثاوٍ تغسِّله الدماء بفيضها ... عارٍ تكفِّنه الرياح غبارها

وخيول حرب منه رضَّت أضلعاً ... فيها النبوّة أودعت أسرارها

وبيوت قدس من جلالة قدرها ... كانت ملائكةُ السّما زوّارها

يقف الأمينُ ببابها مستأذناً ... ومقبِّلاً أعتابها وجدارها

أضحت عليها آل حرب عنوة ... في يوم عاشورا تشنّ مغارها

كم طفلة ذعرت وكم محجوبة ... برزت وقد سلب العدوّ إزارها

ويتيمة صاغ القطيع لها سِوا ... راً عندما بزَّ العدوّ سِوارها

أيـن الكـماة الصـيد مـن عمـرو العـلا عـــنها فـــترخص دونهـــا أعمارهـــا

أيـن الكـماة الصـيد مـن عمـرو العـلا لِـــتثير لـــلحرب العـــوان غبارهـــا

محتويات الكتاب

نهضة الحسين عليه السلام ٧
الأنبياء مع الحسين عليه السلام ٣٢
الإقدام على القتل ٣٥
آية التهلكة ٥١
علم الحسين بالشهادة عليه السلام ٦٥
الحسين فاتح عليه السلام ٦٨
الحسين مع أصحابه عليه السلام ٨١
الحسين يوم الطفّ عليه السلام ٩٧
الرخصة بالمفارقة ١٠١
بقاء الشريعة بالحسين عليه السلام ١١٤
البكاء على الحسين عليه السلام ١١٨
التباكي ١٢١
السّجود على التربة ١٢٧
تشريع الزيارة ١٢٨
إيثارهم ١٣٣
قول الشعر فيهم ١٣٨
مشكلة الخروج بالعيال ١٤٥
نهضات العلويِّين ١٤٩
حديث كربلاء ١٥٥
هلَّ المحرم ١٥٩
شهر المحرّم ١٦٠
يزيد بعد معاوية ١٦١
جماعة يتخوّفون على الحسين عليه السلام ١٧٤
١- رأي عمر الأطرف ١٧٤
٢- رأي ابن الحنفية ١٧٥
٣- رأي أُمّ سلمة ١٧٧
الهاشميات ١٧٨

٤- رأي عبد الله بن عمر ١٨٠
الوصية ١٨١
الخروج من المدينة ١٨٣
نزوله في مكّة ١٨٥
كتب الكوفيّين ١٨٩
جواب الحسين عليه السلام لأهل الكوفة ١٩١
سفر مسلم للكوفة ١٩٢
دخول مسلم الكوفة ١٩٣
البيعة ١٩٤
موقف مسلم ١٩٩
موقف هاني ٢٠٥
نهضة مسلم عليه السلام ٢٠٨
حبس المختار ٢١٠
مسلم في بيت طوعة ٢١١
مسلم وابن زياد ٢١٥
السّفر إلى العراق ٢٢٣
خطبته في مكّة ٢٢٤
محاولات لصرفه عن السّفر ٢٤٤
توجيه لدواعي السّفر ٢٢٨
التنعيم ٢٣٥
الصفاح ٢٣٦
ذات عرق ٢٣٧
الحاجر ٢٣٩
بعض العيون ٢٤٠
الخزيمية ٢٤٠
زرود ٢٤١
الثعلبية ٢٤٥
الشقوق ٢٤٦

زُبالة ٢٤٦
بطن العقبة ٢٤٧
شراف ٢٤٨
البيضة ٢٥٢
الرُهَيمة ٢٥٣
القادسيّة ٢٥٤
العذيب ٢٥٥
قصر بني مقاتل ٢٥٧
قرى الطف ٢٦١
كربلاء ٢٦٦
ابن زياد مع الحسين عليه السلام ٢٧٢
خطبة ابن زياد ٢٧٥
الحسين عليه السلام عند الكوفيين ٢٧٧
الجيوش ٢٧٨
المشرعة ٢٨٠
اليوم السّابع ٢٨٢
غرور ابن سعد ٢٨٥
افتراء ابن سعد ٢٨٧
طغيان الشمر ٢٨٨
الأمان ٢٩١
بنو أسد ٢٩٣
اليوم التاسع ٢٩٣
الضمائر الحرّة ٢٩٧
ليلة عاشوراء ٣٠١
يوم عاشوراء ٣١٣
يوم عاشوراء ٢٢٢
الحسين عليه السلام يوم عاشوراء (مصرع الإمام) ٣١٩
دعاء الحسين عليه السلام ٣٢١

الخطبة الأُولى ٣٢٢
كرامة وهداية ٣٢٧
خطبة زهير بن القين ٣٢٨
خطبة بُرير ٣٣٠
خطبة الحسين الثانية عليه السلام ٣٣١
ضلال ابن سعد ٣٣٤
توبة الحرّ ٣٣٥
الحملة الأُولى ٣٣٧
مبارزة الاثنين والاربعة ٣٤٠
استغاثة و هداية ٣٤١
ثبات الميمنة ٣٤٢
مسلم بن عوسجة ٣٤٣
الميسرة ٣٤٤
عزرة يستمدّ الرجال ٣٤٥
أبو الشعثاء ٣٤٦
الزوال ٣٤٧
حبيب بن مظاهر ٣٤٨
مصرع الحرّ الرياحي ٣٤٨
الصلاة ٣٥٠
الخيل تعقر ٣٥١
أبو ثمامة ٣٥٢
زهير وابن مضارب ٣٥٢
عمرو بن قرظة ٣٥٣
نافع بن هلال الجملي ٣٥٤
واضح وأسلم ٣٥٥
برير بن خضير ٣٥٦
حنظلة الشبامي ٣٥٨
عابس بن شبيب ٣٥٩

جون ٣٦٠
أنس الكاهلي ٣٦٠
عمرو بن جنادة ٣٦١
سوار ٣٦٢
سويد بن عمرو ٣٦٣
شهادة أهل البيت ٣٦٥
علي الأكبر عليه السلام ٣٦٥
عبد الله بن مسلم ٣٧٥
حملة آل أبي طالب ٣٧٦
القاسم بن الحسن وأخوه ٣٧٨
إخوة العبّاس بن أمير المؤمنين ٣٨٢
شهادة العبّاس عليه السلام ٣٨٣
سيّد الشهداء في الميدان عليه السلام ٣٩٠
الرضيع ٣٩١
الوداع الثاني ٣٩٩
محمّد بن أبي سعيد ٤٠٥
عبد الله بن الحسن ٤٠٥
الدعاء ٤٠٨
الجواد ٤١٠
سلبه ٤١٢
حوادث بعد الشهادة ٤١٥
الليلة الحادية عشرة ٤١٧
الليلة الحادية عشرة عند الحسين ٤٣٠
السّلب ٤٣٤
الخيل ٤٣٩
الرؤوس ٤٤١
السّفر من كربلاء ٤٤٣
في الكوفة ٤٥١

خطبة أُم كلثوم زينب عليها السلام ٤٥٣
خطبة فاطمة بنت الحسين عليها السلام ٤٥٨
خطبة أُمّ كلثوم (زينب) عليها السلام ٤٦٢
خطبة السجّاد عليه السلام ٤٦٢
دفن الحسين عليه السلام ٤٦٥
في قصر الإمارة ٤٧٣
ابن عفيف ٤٧٩
المختار الثقفيّ ٤٨٣
كلام الرأس المقدّس ٤٨٥
طغيان الأشدق ٤٩١
أُمّ البنين ٤٩٥
عبد الله بن جعفر ٥٠٠
عبد الله بن عباس ٥٠٣
السّبايا إلى الشام ٥٠٦
في الشام ٥١١
يزيد مع السجاد عليه السلام ٥١٨
الرأس الأطهر ٥٢٢
الشامي مع فاطمة ٥٢٧
خطبة زينب عليها السلام ٥٢٧
الخربة ٥٣٢
إلى المدينة ٥٣٣
الرأس مع الجسد ٥٣٦
يوم الأربعين ٥٣٨
الخلاصة في علائم المؤمن ٥٤٨
في المدينة ٥٥٣
المراثي ٥٥٩